


دكتورة نعمات أحمد فؤاد

قَمَمٌ أدبيّة



لطفي السيد	العقّاد	طه حسين
عبد الوهاب عزام	توفيق الحكيم	الزيات
محمد فريد أبو حديد	يحيى حقي	محمود تيمور
محمد كامل حسين	على أدهم	

الطبعة الأولى ١٩٦٦

الطبعة الثانية ١٩٨٤

الناشر : عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت ت : ٧٤٦٤٠١

دكتورہ نعمات أحمد فؤاد

قمر اکبر

دراسات وتراجم لأعلام
الأدب المصري الحديث

الناشر
عالم الكتب
٢٨ عبد العزيز شريف بالقاهرة

من مؤلفات الكاتبة

- * من عبقرية الإسلام •
- * شخصية مصر •
- * النيل في الأدب المصرى •
- * أعيدوا قراءة التاريخ •
- * مشروع هضبة الأهرام أخطر اعتداء على مصر •
- * مصر تدخل عصر النفايات (بالاشتراك مع الدكتور حامد ربيع) •
- * صناعة الجهل •
- * أزمة الشباب •
- * خصائص الشعر الحديث •
- * الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد •
- * رسائل الى ابنتى •
- * شعب وشاعر •
- * الأدب والحضارة •
- * رحلة في الزمان والمكان بين مصر وأوروبا •
- * التراث والحضارة •
- * أم كلثوم وعصر الفن •
- * أحمد رامى (قصة شاعر وأغنية) •
- * أدب المازنى •

الإهداء

إلى كل إنسان يحاول أن يعطي الحياة

إضافة رائعة تسعد ...

الفن

أو الحق

أو الخير

أو الجمال

نعمات



هذا الكتاب هو نتاج جهد فني كبير، وقد تم تأليفه بحرص شديد،
وتمت مراجعته بعناية فائقة، وقد تم التأكد من دقة المعلومات الواردة فيه،
وتمت تصحيح الأخطاء المطبعية، وقد تم التأكد من جودة الطباعة،
وتمت العناية بالترتيب والتنسيق، وقد تم التأكد من أن الكتاب جاهز للنشر.

الإهداء

مقدمة

هذا الكتاب يتناول بالدراسة والترجمة أحد عشر علما من أعلام الحياة الأدبية والفكرية المعاصرة • وكان أملا لى أن يضم هذا الكتاب أوائل في ميدانهم يرتفع بهم عند التقدير ، أمثال : الدكتور أحمد أمين والدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ أمين الخولى ؛ والأستاذ نجيب محفوظ والدكتور حسين فوزى وأندادهم • غير أن دراستهم لم أستوفها بعد ، على الوجه الذى قدرته لها وهو ما يشغلنى الآن لتكون فى صدر الجزء الثانى من كتاب أرجو أن تتواكب أجزاءه لتعطى دراسة متكاملة ، بقدر ما يسعه جهد الفرد ، للأدب المصرى الحديث • هذا الأدب الذى أسهمت فيه المرأة المصرية وخاصة فى العشرين سنة الأخيرة مما لا يغفل ذكره وإن أدخر للأجزاء التالية • • فمن حق الذين علموها أن يسبقوها الى التاريخ ومن حق الذى يسبق الى الحياة ، وفيها ، أن يكون أولا فى التسجيل •



وبعد فهى محاولة فى الدراسة والترجمة فيها من الوفاء لأصحابها ، ولعطاء مصر من خلالهم ما يعين على كتابتها ويدعو الى تقبل القارىء لها أديبا • • وإنسانا وهو معنى كبير •

نعمات أحمد فؤاد

فن التراجم والسير

كتابة التراجم والسير فن كسائر الفنون فان مهمة بعث الماضي كما تقول كاترين درينكر بوين ، جهد فنى لا يقل عما يبذل فى تأليف قصة أو نظم ملحمة شعرية وهو فن مهدت له ظروف معينة وعوامل كثيرة تولد عنها ثم تطور معها وبها فغريزة حب البقاء وتخليد النوع بالتناسل أو الانتاج وغرور الانسان الذى يجعله يتحدى الفناء ، وكرهه للموت والاندثار وأمله فى الشهرة والذكر ، حتى بعد الحياة كلها حوافز تدفعه الى تحقيق وجوده بل تخليد ذاته فى أعمال فنية وكشوف علمية وآثار مختلفة •

وقد استهوت الترجمة الكثيرين من أمثال (بلوتارك) أول مترجم برع فى تصوير الشخصيات ورسم ملامحها ، وتاسيتوس الرومانى معاصره ، فى القديم ، وفى العصور الحديثة مورلى واستربتشى وموروا ولدفع وزفايخ وبييلوك وبوزويل مترجم حياة الأديب الانجليزى جونسون وستيفن اسبندر ، وبراد فورد ، ومرزكوفسكى ومن عندنا العقاد ومحمد حسين هيكل وميخائيل نعيمة وعبد الحليم الجندى • ومن أصحاب التراجم الذاتية الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والأستاذ سلامة موسى ، والعقاد فى كتابيه (انا) و (حياة قلم) •

وكما استهوت الترجمة الكثيرين فقد استهوت الكتابة عن التراجم والسير والمؤثرات فيها ، الكثيرين أيضا ومنهم مشاهير فى كتابة التراجم مثل « أميل لودفج » صاحب كتاب (العبقرية والشخصية) و « كرتشمر » صاحب كتاب (الجنس والعبقرية) « Race & Genius » و (سيكولوجية العباقرة) و « برمان » صاحب كتاب (الغدد المنظمة للشخصية) و « كوب » صاحب كتاب (غدد الحظ) وغيرهم •

والكتابة عن الترجمة موضوع واسع ومدى فسيح اذا أردنا الوقوف على جوهر الفن فيها وتطوره بل تطور الفنون الأدبية الأخرى وخاصة في الرواية والقصة للعلاقة الشديدة بينها وبين الترجمة وتشابه السمات وتسابق المزايا وتنافس الفنانين على كسب القارئ وتشويقه •

وهناك الفرق بين الترجمة والتاريخ ، وأنواع الترجمة وسماتها في كل عصر ، وذيوها في عصور الشك أو انكماشها في عصور اليقين ، وما يكمن وراء هذا من أسباب نفسية أو اجتماعية أو دينية •

وهناك عوامل كبيرة أثرت في كتابة التراجم تأثيراً باقياً مثل الاعترافات التي نبهت كتاب التراجم الى قيمة الغوص في أعماق النفس الإنسانية واستبطانها •• قيمة الاستشفاف والتأمل والتحليل والتعليل والتقاط الفتات الإنسانية والنفوذ منها الى معان كبيرة هي خطوط بارزة في صورة الشخصية المرسومة •

ومن العوامل الكبيرة المؤثرة في كتابة الترجمة الكشف العلمية فبحوث البيولوجيا ، والطب كشفت عن عامل الوراثة الذي فسر في ضوءه كتاب التراجم النزعات الفردية والميول الشخصية • كما أسهمت البحوث السيكولوجية في تطور كتابة التراجم فالأهمية الكبيرة الخطيرة التي أعطاها فرويد للغريزة الجنسية خدما كتاب التراجم في تفسير النزعات الفنية تفسيراً واقعياً ومقبولاً وطريفا فلم يعد خافياً ولع ميشيل انجلو بتصوير جمال الذكر أو تحامل نيتشه على المرأة أو تسامى شيلر في العاطفة •

والطب دوره في كتابة التراجم والنظر الى الأشخاص فحانت لفظة كتاب التراجم الى أمراض الشخصية المدروسة وخاصة الغدد • وقد أشار الأستاذ السحرتي الى حديث برمان عن نابليون وكيف انه عندما ضعفت غدته النخامية ، بدا عليه التعب ، ودهمه الكسل ، ووهن ذهنه ، وكثر شحمه وترهل بطنه ، ونحل جسمه وصار أنثوياً وتجلى هذا الوهن

في مقال كتبه عن الانتحار • وكيف أرجع كثرة آلام داروين وضعفه وإعياؤه الى قلة إفراز غدته الأدرنالية ، وما كان يكابده من النوراستانيا •

ومن طرائف « كوب » في هذا الصدد أنه لاحظ أن شعرات حاجب موسولينى الأيسر بدأت تسقط وكان هذا قبل الحرب الأخيرة وقد رأى كوب في هذه الظاهرة علامة من علامات ضعف الغدة النخامية لدى موسولينى ويؤيد هذا تقامؤ شخصية موسولينى الى جانب شخصية حليفه هتلر ثم تلاشيها بعد هذا (١) •

وتسلمنا هذه الظاهرات الى علم النفس بمذاهبه ، ذلك العلم الذى تتوثق الصلة بينه ، وبين فن كتابة التراجم ، فى القرن العشرين •

والاكتئاس بالعلم وشيوع الأسلوب العلمى نفسه أغنى التراجم وصقلها حين تجردت من الأهواء وتحرت الصدق والتزمت الدقة والتحليل شأن الأمانة العلمية على ألا يجور الكاتب على الروح الأدبية التى تعطر الترجمة •

يضاف الى هذه العوامل عامل المجتمع الذى يؤثر فى شخصية المترجم له ويكيفها الى حد كبير حتى ليراه قوم من بين العوامل كلها أولى بتقديم • وهناك الظواهر التاريخية للعصر الذى عاش فيه المترجم له والظواهر التاريخية غير محدودة بل تأخذ أمداً طويلاً فى إعدادها قبل ظهورها لهذا تسوق الى لمحات من الماضى •

بل إن الأنظمة السياسية والاقتصادية لها دخل كبير فى نزوع الكتاب وأسلوب الكتابة بما يصحبها من آراء تشجيع السخرية من شئ وتنتقص من آخر وتعالى قيما معينة وتشهر أناساً وتخمل آخرين • وفى مثل هذه الأجواء تجد كتابة التراجم والسير مادة غزيرة لها وتكون أكثر حرية

(١) اقرا كتاب (الفن الادبى) للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرى •

وانطلاقا وواقعية فيظهر الإنسان فيها بمزاياه وعيوبه على السواء ••
يغدو بشراً لا أكثر ولا أقل •

وهناك عامل المناخ وعامل نعمة الجنس والمزايا التي ينحلها البعض
جنساً بعينه ويخصه بها دون العالمين بغير سند من حقيقة الواقع أو
واقع التاريخ •

كما طور كتابة التراجم تطور كتابة القصة والرواية واهتمام أصحاب
القصص برسم الأشخاص وتحديد ملامحها مما أعدى كتاب التراجم •

والحقيقة أن هذه العوامل كلها خيوط دقيقة في يد كاتب الترجمة •
واليد الصانع وحدها هي التي تعرف كيف تحركها في مهارة فائقة
فلا تتشابك ولا تتعقد بل تتوازي أو تلتقي في سهولة وفن تشهد لصاحبها
بالبراعة ، ولعمله بالأصالة والتميز وعمق الاحساس •

إن كتابة ترجمة لحياة علم من الأعلام كما نقول كاترين درينكر بوين
إنما هو عمل مثير حقاً • إنها كالعشق له لحظاته من الرضا وأيامه الطويلة
من اليأس ، عندما تغلق آلهة التاريخ أبوابها وتأبى أن تطل بوجهها
الصبيح • ولعل مغامرات هذه المؤرخة في أدب التراجم تكشف لنا
مشاق الترجمة التي تبلغ في كثير من الأحيان حد الخطر (١) •

* * *

إن الترجمة للأعلام ، فن والترجمة إذا استوفت غايتها من فن التعبير
وعذوبة المدخل ومواهب النفس الكبيرة عندما تتصدر للقضاء فلا تتحيف
ولا تزيغ ولا تحابي بل تزن الكلام والأحكام وتقدر الظروف وشلتى
الاعتبارات لا تغضى عن الضعف ولا تتجاهل النقص والعيوب وإن شأهت
على أن يكون حكمها مشبعاً بروح العطف على الإنسان • بل إن كاتب

(١) اقرأ كتاب (مغامرات مؤرخة في أدب التراجم) تأليف كاترين درينكر بوين
ترجمة محمود عزت موسى •

الترجمة يطلب منه فوق نزاهة القاضى سماحة الصديق * اذا استوفيت الترجمة غايتها من هذا كله غدت بما فيها من صدق ولهم والنقد ربيع وواقعية ونبض وحياة ورقرة وحنان ، عزيزة على القارىء يفرغ منها الى غيرها * ونحن لغلبة العاطفة علينا وتمكن عادة عبادة البطل هنا ، تنقص ترجماتنا لعظمائنا أو معظمها كثير من سمات الواقعية والنقد الحر الأصل حتى لكأن المترجم له مبرأ من كل عيوبنا عيوب البشر وصراع الحى مع نفسه ومع مغريات الحياة * وفاتتنا أن الذى لا يعرف الشر أولى الناس بالوقوع فيه اذا صادفه ، وخير منه ذلك الذى امتحن به وصمد وخرج من التجربة أصلب عوداً وأقدر على الحياة * وهنا تصير الترجمة مربى حسناً للنفوس المتداعية تصح عليه وتستعيد ثققتها بنفسها وتستعلى على ضعفها معتصمة بالأمل الذى وهبته لها الترجمة ونفحتها به *

وكما تطورت الترجمة فى أسلوب التناول تطورت فى الموضوع فلم يعد الملوك والقادة وحدهم (أو القوالب) كما يسميهم الأستاذ على أدهم (١) ، هم المجال الوحيد للاختيار فإن بعض الذين يعيشون فى الظل لهم (أهمية داخلية عميقة) وهو اعتبار له شأنه اليوم عند كتاب التراجم بل إن الترجمة لهؤلاء والنفاز اليهم أدل على القدرة والتمكن والصبر على ارتياد مجاهل النفس الإنسانية وفك رموزها * والعمل هنا أصعب من جمع الأخبار المعروفة والأوهام الشائعة مما يسردها كاتبها بالسمع وليس على وجه التحقيق *

وهكذا نرى فن كتابة التراجم والسير من أقوى الفنون الأدبية وأصلها وأسيرها وهو فن عزيز لا يقدر عليه إلا الموهوبون فيه ممن ذودتهم الطبيعة بآلاته من ذوق قادر على الاختيار ، وصبر صابر على الاطلاع ، وقدرة قادرة على النزاهة فى الحكم ، وقلب كبير يتفهم الأخطاء

(١) اقرا كتاب (فصول فى الادب والنقد) للأستاذ على ادهم .

ويرحم العيوب ، وملاحظة نافذة تخترق الحجب ، وذكاء إحساس كالشعاع ، ومهارة فائقة في تجميع الخيوط وتحريكها ونسجها في تساقق ونظام ودقة لا تجافى الروح الأدبية الشفافة الهفافة دن أن تغلو في مديح أو تتورط في هجاء .. دقة علمية وهى مع دقتها من جفاف العلم بمنجاة •

وفى الأدب كثيراً ما تكون الترجمة للأدباء أضواء كشافة تعين على دراسة الأدب نفسه من خلال الأديب الذى جاد به •

وقد عرف أسلافنا هذا اللون من التعريف فى صور شتى جهد طاقتهم وطاقاة العصور التى عاشوا فيها والظروف التى أحاطت بهم ظروف الزمان وظروف المكان والمعرفة • وهذه التعاريف التى أثرت عنهم هى معاجمهم التى بين أيدينا • ولكن التعريف بالأدباء فى العصر الحديث قد استن منهجاً خاصاً لا يتكافأ معه ما درجت عليه هذه المعاجم من رسم الشخصية الأدبية فى نطاق ضيق •

إننا لو نظرنا فى دائرة المعارف البريطانية نرى المجلد العشرين منها قد تناول شاعر الانجليز شكسبير تناولاً لم يغفل معه شيئاً من سيرته ومما يمكن أن يكون قد انفعل به الشاعر مؤثراً أو متأثراً • ومن هنا لمحت الترجمة ميلاده — مسقط رأسه — منازل — تربيته فى أسرته — إخوته — الأعمال التى تولاهها — ملابس نشأته — مشاكله — زواجه — زوجته — كتاباته الأولى — الجمعيات التى انضم إليها — شهرته وصيته — وفاته — صورته — حتى اسمه تناولته الترجمة بتحليل ضاف •

ثم عرجت الترجمة على أدبه فأوردت رواياته — عدد طبعات كل — تحليلها — أزمان تأليفها — قصة كل منها ثم وقفت عند شعره — قصائده الغزلية — نقاده — النصوص النقدية — التقييم الأدبى لفنه — طريقته فى نظم الشعر — منابعه — رصيده من المعرفة •

ولكن ترجمة كهذه تكاد تبلغ حد الكمال الممكن نلاحظ معها أن

الشاعر موضوعها رواية تمت فصولا ثم هو بمثابة مفخرة قومية لهم ومن ثم أفاضوا في الكتابة عنه والتسجيل له • وكلها عوامل لها اعتبارها ودليلي أن المجلد الخامس عشر من الدائرة حين عرض لقصاصهم « سومرست موم » لم يطل اللبث عنده والوقوف بل لمح الخطوط العريضة في سيرته ثم أحصى رواياته وسجل بعد كل منها تاريخ تأليفها •

وقد استشرفت الى هذا المستوى من الترجمة ولكنى قصرته على الشوامخ عندنا لسابقتهم في الأدب ولأن خير إنتاجهم قد بلغنا أو هكذا يُقدَّر له أن يكون ولو فرضنا أن الزمن يضم إضافات جديدة يحتملها اسمهم فإن باب الاضافة مفتوح • وعندما شرعت فتح الشروع نفسه آفاقا وكشف آمادا وأضياء معميات كثيرة ما كان لها أن تتضح بغير التجربة والمزاولة الايجابية •

وبدأت بالقمم الأدبية في حياتنا الحاضرة أمثال : أحمد لطفى السيد — عباس محمود العقاد — طه حسين — أحمد حسن الزيات — توفيق الحكيم — محمد فريد أبو حديد — محمود تيمور — على أدهم — يحيى حقى — وإخوان هذا الطراز •

والاستهلال بالمعاصرين الأحياء ممن يعيشون بيننا الآن ممن هم في سن حرجة يستهدف الانتفاع بالمعاصرة في التقاط المادة الحية في الموضوع مما لا يستقى إلا منهم أنفسهم • هذه المادة الحية التى ضاع علينا منها خير كثير بذهاب بعض من عاصرونا ممن لم يكتب لهم أو لنا التأريخ والتسجيل •

وقد يقال في التعريف الشامل المحيط للأحياء أن من سيرتهم الدقيق الحساس الذى قد يستعصى على النشر في حياتهم ولكننا نرد على هذا الاعتراض بأن الواجب العلمى والأدبى والتاريخى يقتضى أن نظفر بما يمكن

الظفر به من دقائق حياتهم مما له اتصال بأدبهم ومما له اتصال بتاريخ الحياة الأدبية • وقد سمعت من بعض رجالنا الأعلام أثناء ترجمتي لهم ما لا يمكن أن نعثر عليه في كتبهم أو فيما كتب عنهم • وهنا فضل المعاصرة والمقابلة الشخصية التي لا يغنى عنها ملء النماذج مهما كانت مفصلة • إن اللقاء الشخصى يضىء جواً من الثقة والطمأنينة يفتح كثيراً من الموضوعات وكثيراً من مغاليق النفوس أيضاً هذا فضلاً عن عامل الوقت والسرعة فى الموضوع على أن حصاد المقابلة الشخصية سوف يدرس ويمحص بعد التثبت من الحقائق فى مظانها المختلفة •

فإن لم يكن الأديب بيننا كان المعول فى رسم صورته وشخصيته الأدبية على كتبه ومخالطيه وأولئك الذين كتبوا عنه من النقاد • ولا بد لهذه النواحي الثلاث أن تشترك فى التصوير إذ الاعتماد على واحدة دون الآخرين لا تكمل به الصورة ولا تتضح خطوطها فكتب الأديب بوجه عام (ليست كل شئ فى الدلالة عليه) فقد يرضى الناس بالتجمل فى الكتابة عنهم وعن دنياهم وقد يهرب من الواقع فيجنىح الى الخيال يوشى له رسائله ، وقد يضيف الى الواقع من عنده أو ينقص منه لحاجة فى نفسه • أما مخالطو الأديب فلكل منهم شخصيته وعلاقته به تختلف قوة وضعفاً عن علاقات الآخرين ومن ثم ينظر كل منهم الى الأديب من زاوية معينة ولا تسلم آراؤهم فيه من المودات أو الهنات •

أما النقاد فما علينا أن نسلّم لهم دون تمحيص مدحوا أم قدحوا • والمسودات الفنية فى مثل هذا البحث مادة علمية تدرس لنتبين منها التحول الذى طرأ على الفكرة فى نفس الفنان • والدراسة النفسية للفنان أخلق شئاً بالعناية إذ آمنا أن الفن وليد واقع حيوى فى حياته •

وقد مررت بهذه التجارب حين ترجمت للمازنى وناجى الشاعر والشابى ورامى • كما خدّمت الرسائل الخاصة حين عرضت للأستاذ

مصطفى صادق الرافعى •• بل مرت بهذه التجارب حين ترجمت للنيل
أبرز الشخصيات المصرية وأعماقها ، أثراً وأدومها ذكراً ، وأسيرها اسماً ،
وأعرضها تاريخاً ، وأخصبها عملاً وأكرمها على الحياة والناس •

وهذا الجزء من دراسات الشخصيات الأدبية أو شخصية الأدب
المصرى من خلالهم ، أرجو أن يتبعه أجزاء •

وقد تأخر ظهور الطبعة الثانية بل الطبعة الثالثة لهذا الكتاب
أعواماً ، انصرفت فيها الى جديد من الكتب أو عتيد من القضايا •

وعندما اذن الله لطبعة جديدة من هذا الكتاب أن ترى النور ،
رأيت أن أحذف منها بعض التراجم التى قدر لأصحابها أن اكتب عن
كل منهم كتاباً كاملاً مستقلاً فى الفترة التى أشرت اليها • ومن الطريف
أن بعض هذه الكتب طبع ثلاث مرات لا واحدة •
يسر الله لى أن أكتب عن الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى كتاباً
ضافياً باسم (أدب المازنى) •

وكتبت عن الأستاذ عباس محمود العقاد كتاب (الجمال والحرية
والشخصية الإنسانية فى أدب العقاد) •• ومع هذا استبقيت الخطوط
العريضة من ترجمته فى (قمم أدبية) لوجود دراسة مقارنة بين العقاد
وطه حسين تستلزم وجود الترجمتين حتى يمكن الرجوع اليهما •

وقد ضمنت وضمت هذه الطبعة اضافات ذات أبعاد فى ترجمة
الأستاذ الزيات كما أضفت الى هذه الطبعة ترجمة للدكتور كامل حسين
والأستاذ على أدهم •

وقد احتفظت فى هذه الطبعة بالتراجم كما كتبتها أول مرة مع
علمى بظهور كتب تناولت بعض هذه الشخصيات من زاوية أو أخرى •
ومن الممكن مناقشة ما جاء فيها ولكنى أحجمت عن هذا لعدة أسباب :

* حرصى على الاحتفاظ ببيكاره الاحساس فى هذه التراجم فقد كتبها بعد أن وثقتها من أصحابها وكنت أثيره عندهم وقد استقبلوا تراجمهم فى الطبعة الأولى استقبالا حميما أعتر به ... فرحوا بى وفرحت بهم ..

أيام من عمرى أريد أن أحتفظ بها فقد عشتها بالطول والعرض .
والكتابة بعد هذا خبزى اليومى فلاكتب ما يشاء لى الله فى كتب أخرى وقد فعلت .

* مناقشة كل ما كتب عن الكاتب موضوع الترجمة قد يسعف بها الوقت لو أنها ترجمة واحدة ، لكاتب فحسب ؛ ولكن مع أحد عشر كتابا ، لا يتسع كتاب واحد لهذا العدد بهذا المنحى .

* حتى الزيادات التى أضفتها كانت لها صفة « الذاتية » فقد استودعنى الأستاذ الزيات ، « رسائله » أعزنى بها وأعزرتها بالكتابة عنها وعنه من خلالها .

تيسر القاهر ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م)
نعمات أحمد قواد
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م

تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م

تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م
تيسر القاهر ١٩٨٤ م

العمر لطفى السيد



بيتة — مولده — نشأته — تعاليمه —
صلته بالشيخ محمد عبده — كفاحه
الوطني — الجمعية السرية — حصوله
على الجنسية السويسرية —
الجريدة — حزب الأمة — دوره في
الثورة العرابية — الدعوة المصرية
الخالصة — تأليف نقابة الصحفيين —
توقف الجريدة — فهمه للحرية ونضاله
في سبيلها — دار الكتب — مجمع اللغة
العربية — تأليف الوفد المصري ١٩١٨
— القتل — الجامعة المصرية — لطفى
السيد والمرأة المصرية — مدرسة لطفى
السيد الفكرية — تحليل أسلوبه —
إيمانه بالتطور — موقفه من العامية —
رأيه في رسالة المجمع — طرائف
لا يذكرها التاريخ ...

فى بيته الكبير وفى مكتبته •• مكتبته ؟ إنها أكبر مكتبة خاصة رأيتها حتى الآن ، وأنا التى ألفت عينها مكتبة أساتذتنا : الزيات ، والعقاد ، وطه حسين ••

إن مكتبة العقاد جامعة إلا أن تفرقتها فى الحجرات لم يمكن لها ما يمكنه (للمكتبة) •• المكان الواحد والأثاث المرسوم والبسطة •• فى كل شئ • كانت المكتبة حجرة كالساحة مترامية الأنحاء يستطيع المهندس أن يقيم عليها بيتاً كاملاً ••

وكانت الحجرة ذات سقف مرتفع جداً على شكل قبة ضخمة ، وفى صدرها مكتب ضخم لو بسط عليه جوخ أخضر لغدا مائدة اجتماع كبيرة ، وفى الأركان نظمت الأرائك والكراسى الكبيرة ، ولكنها من اتساع المكان كانت تبدو وكأنها لا تشغل إلا حيزاً صغيراً مع أن بعضها كفىل بأن يزحم حجرة من حجرات العمارات الحديثة •

كان قابعاً فى مقعد كبير يحمل على أكتافه عشرات السنين ، وجلسنا على أريكة الى جانبه ، كانت ملابسه المحدودة العرض تبدو فضفاضة عليه على أناقتها فى اللون والسمت •• كان فيها أشبه بعود ريحان يقف فى (زهرية) واسعة •• كانت ملابسه حريصة عليه لا تظهر منه إلا كفين نحيلتين نبيلتى الحركة والإشارة ورقبة طويلة تحمل رأساً كبيراً •• كبير العقل •• كبير المعرفة •• كبير المقام •• إنه أحمد لطفى السيد الأستاذ •

وفى المكتبة الواسعة كان يحدثنا على طريقة الغيث •• قطرات قطرات يطول بينها الصمت ويقصر ، ثم انهزم ، فكأننى كنت أسمع مصر من خلاله • كان يتحدث ويقص ويطرف •• ويتفكه فى دعاية حلوة •• كان يعلق على الأحداث فى سخرية عميقة ولكنها تتبع من نفس رضية لا تعلق بها مرارة • إنه يرى نفسه موفقاً دائماً •• ذلكم هو أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل •

فهناك في نعيم الخصب وأمان النعمة في قرية يشاع بين أهل الريف أن اسمها « المنزلة » وهى قرية « برقين » من أعمال مركز السنبلالوين بمديرية الدقهلية وفي منتصف شهر يناير سنة ١٨٧٢. أهل على الدنيا « أحمد » ••• أحمد لطفى السيد ••

وضجت القرية بالفرح مع بيت العمدة « السيد باشا أبو على » ابن عمدتها السابق « على أبو سيد أحمد » •

طفل وادع الطفولة يدرج في الرابعة من عمره الى الكتاب ليتعلم كرفاقه القراءة والكتابة ، فاذا به يبلغهما ويزيد فيتم حفظ القرآن كله في العاشرة من عمره •

وفي سنة ١٨٨٢ التحق بمدرسة المنصورة الابتدائية وأتم تعليمه الابتدائي ، على عنت لاقاه في هذه المدرسة ، سنة ١٨٨٥ ، ولم تكن شهادة الابتدائية والبكالوريا معروفتين في ذلك الحين ، بل كان الانتقال من مرحلة الى أخرى بالنجاح في امتحان المدرسة • ولما كانت الفرقة التجهيزية الوحيدة بمدرسة المنصورة قد ألغيت سنة ١٨٨٥ ؛ فقد اضطر أحمد لطفى السيد الى السفر الى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الخديوية ، حيث التقى بصديق العمر ورفيق الجهاد عبد العزيز فهمى •

وحين وفد لطفى السيد على القاهرة كان يخاف ، وديعا ، حوادث (الفتوات) في ذلك الحين ، فلما انتقلت العدوى الى بعض طلبة المدرسة أثر الاعتكاف فيها أيام العطلة الأسبوعية فظل ثلاثة أشهر لا يخرج من الخديوية وفي هذه الأثناء قرأ كتاب « أصل الأنواع » لداروين ترجمة (اسماعيل مظهر) وحفظ كثيرا من المعلقات والأشعار •

وفي سنة ١٨٨٩ حصل لطفى السيد على البكالوريا •• وكان نظام الشهادات العامة قد وضع قبل ذلك بعام — فالتحق بمدرسة الحقوق ، وكانت وقتئذ تعتبر (كلية حقوق) و (كلية آداب) معا •

وفي مدرسة الحقوق عرفه الشيخ محمد عبده الذي كان تشجيعه له حافظاً له على إنشاء « مجلة التشريع » بالاشتراك مع المغفور لهم اسماعيل صدقي واسماعيل الحكيم • وعبد الهادي الجندي ، وعبد الخالق ثروت ، ومحمود عبد الغفار •

فقد هوى لطفى السيد الصحافة منذ كان طالباً في الحقوق فكان يترجم لجريدة « المؤيد » تلغرافاتها الخارجية أحياناً •

وفي صيف ١٨٩٣ سافر الى استانبول ، وهو مازال طالباً بالحقوق ، وهناك التقى بالشيخ جمال الدين الأفغانى أو الشعلة الحية المتنقلة ، ولازمه شهراً ، وتأثر به أيما تأثر حتى ليقول عنه :

« وأهم ما أظن أنى قد انتفعت به من السيد جمال الدين فى تلك المدة أنه وسع فى نفسى آفاق التفكير » •

ثم عاد الى مصر وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٨٩٤ فعين هو وجميع زملائه كتبة فى النيابة ، وكان تعيينه فى القاهرة ثم نقل الى الاسكندرية وقد مكث بها شهراً ، ثم انتدب معاوناً للنيابة ببنى سويف حيث التقى مرة أخرى بصديقه عبد العزيز فهمى وكيل النيابة وقتئذ •

وفي سنة ١٨٩٦ عين وكيلاً للنيابة وكان عبد العزيز فهمى ما زال بها أيضاً • فأقاما معاً ، وكان حديثهما مصر وما تكابده من الاحتلال البريطانى حتى انتهى بهما التفكير والتدبير الى إنشاء جمعية سرية هدفها (تحرير مصر) •

وفي القاهرة التقى به مصطفى كامل وعرف منه أن الخديوى يعرف من أمر الجمعية كل ما خفى • • وهنا اقترح عليه مصطفى تنسيق الجهود وإنشاء حزب وطنى برياسة الخديوى • فوافق لطفى السيد كما وافق عند مقابلته للخديوى على السفر الى سويسرا لاكتساب الجنسية السويسرية

يتسلح بها في تحرير جريدة مقاومة • وقد استقر الرأي على الجنسية السويسرية لأنها تكتسب بعد سنة من الإقامة بها •

وبعد هذه المقابلة انعقد أول اجتماع للحزب الجديد في منزل محمد فريد • وقد شهد هذا الاجتماع مولد الحزب الوطنى برئاسة الخديوى وعضوية مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعيد الشيمى (ياور الخديوى) ، ومحمد عثمان • ولييب محرم ولطفى السيد •

ومن الطريف ما يذكر عن هذا الحزب أن الخديوى كان اسمه بين الأعضاء « الشيخ » ومصطفى كامل « أبو الفدا » ولطفى السيد « أبو مسلم » •

وفي جنيف حيث أزمع لطفى السيد الإقامة سنة مرقاة الى اكتساب الجنسية السويسرية ، عكف هذه المدة على الدراسة حيث انتظم في فصل صيفى أعدته جامعة جنيف لحملة الليسانس لدراسة الآداب والفلسفة • وقد انضم اليه في هذا الفصل الشيخ محمد عبده الذى زار سويسرا في ذلك الوقت والذى قدمه لطفى السيد الى مدير الجامعة باعتباره أحد مديرى الأزهر •

وعاد لطفى السيد الى مصر ليجد في انتظاره غضب الخديوى منه لصلته بالشيخ محمد عبده ، ورفض الباب العالى اكتسابه الجنسية السويسرية • ولكن هذا لم يحل دون أن يكتب لطفى السيد تقريراً ضافياً عن أبحاثه السياسية وما أسفرت عنه دراسته للموقف ، جاء فيه :

« إن مصر لا يمكن أن تستقل إلا بجهود أبنائها •• وإن المصلحة الوطنية تقضى أن يرأس سمو الخديوى حركة شاملة للتعليم العام ••• » • ولا أريد أن أمضى في تفاصيل تاريخ حافل عريض •• تاريخ يعرفه التاريخ ••• حسبى لمحات ذكرتها ، بداية دالة واستهلال واعد •

وبعد مولد لطفى السيد نقف عند مولد « الجريدة » ••• كانت « الجريدة » أو الحدث الضخم •• ككل الأعمال الكبيرة « فكرة » ولدتها حاجة ، ونهتها غاية ، وأخرجتها الى النور إرادة وإصرار •••

لقد انبثقت فكرة « الجريدة » من حوادث العقبة وفاشودة قبلها • فقد كان الانجليز ينادون بحق مصر فيها حين زهدت مصر في هذا (الحق) بل أيدت وجهة النظر المضادة ••

وهذا المعنى لا يكمن تفسيره كما يقول لطفى السيد إلا بأن البلاد ثقل عليها الاحتلال ، فأصبحت تبغضه وتبغض معه كل ما يأتى به ولو كان الخير عليه باديا ولكنها على كل حال ظاهرة تسترعى النظر وتستأهل التفكير •• إن مصر بحاجة الى جريدة تنطق بلسانها وحدها ، وتعبر عن ذاتها خالصة ورأيها صريحا لا شبهة فيه من هوى لتركيا أو متابعة لانجلترا •• جريدة تكون ملكا لشركة من الأعيان أصحاب المصالح الحقيقية ، وهم الذين يزعم كرومر أنهم عن الاحتلال راضون •• وهكذا انبثقت فكرة « الجريدة » •• نبعت من صميم الاحساس المصرى الشائر على انجلترا وتركيا معا •

وفى بيت محمود باشا سليمان تألفت شركة « الجريدة » وانتخبت لطفى السيد مديرا لها ورئيسا لتحريرها لمدة عشر سنوات •

وما كاد يمضى على صدور الجريدة بضعة أشهر حتى تألف « حزب الأمة » الذى نادى بالاستقلال التام • وقد اختار حزب الأمة لطفى السيد سكرتيرا عاما له •

وقد قام لطفى السيد بصحبة الدكتور حسين هيكل بالطواف بكثير من القرى للموقوف على حالة التعليم الأولى وضمن مشاهداته تقريراً قدمه الى مجلس المديرية •

وبالقلم حارب لطفى السيد قانون المطبوعات الذى صدر إبان

الثورة العراقية وأرادت الحكومة بعثه سنة ١٩٠٩ .. وإن لم يكتب لحملته — على قوتها — النجاح ، إذ وافق عليه الانجليز وتابعهم مجلس الشورى .. ولم يهدأ لطفى فهو حين سافر الى أوروبا للاستشفاء لم يعف نفسه من النضال بل سعى الى لقاء وزير خارجية انجلترا « ادوارد جراى » وإن اعتذر عن مقابلته . فلما عاد الى مصر راعه أن وجد شركة القناة تسعى لدى المسئولين لمد أجل الامتياز لقاء أربعة ملايين من الجنيهات ، فهرع لطفى السيد الى رشدى وسعد ، الذى أحاله على بطرس غالى رئيس الحكومة والمستشار المالى الانجليزى ، فذهب اليه واعترض على مد الامتياز وطلب عرض المشروع على الجمعية العمومية وهى أكبر هيئة نيابية وقتئذ فى البلاد . فرفض ومن ورائه بطرس غالى يحبذ المشروع ويملى له فهد لطفى السيد يحارب المشروع حربا لا هوادة فيها مما أورى الرأى وزاد لهيبه ضراما حتى تفادته الشركة فاشتترطت عرض الموضوع على الجمعية العمومية وانتهى الأمر برفضه .

ومن كفاحه فى ميدان التعليم ما انتهجه فى « الجريدة » من بث الثقافة على مستوى عال ، فكانت قبلة الطلاب من الشباب المتعلم يؤمنونها للاستماع والاستمتاع ، ويحاضر فيها كبار الأساتذة والمحامين .

هال لطفى السيد أن يكون ناظر مدرسة الحقوق الانجليزى وأستاذ القانون المدنى بها من الراسبين فى الليسانس ، فاضطلعت الجريدة بمطالبة الحكومة بتنحيته واستبدال غيره به ، فلم تستجب .. فدعا لطفى السيد الأستاذ أحمد عبد اللطيف ليدرس القانون المدنى للطلبة فى دار « الجريدة » وكان يؤم دروسه الكثيرون . ومن تلاميذ هذه الحلقات صفوة من رجال القانون فى مصر .

وفى عام ١٩١٠ وضع حزب الأمة مشروعا للدستور ، ورأى أن يطلبه الشعب من الخديوى بعريضة يحتشد الكل لإمضائها ، وهنا حرر لطفى السيد العريضة ودعا الى إمضائها .

وفي الحرب التركية — الإيطالية عاد لطفي السيد الى التبصير
بوجوب حياد مصر إزاء ألوان الصراع فإن مصر للمصريين لا لتركيا
ولا لانجلترا ، فإن سيادة الأولى لا تجديها نفعا ولا تغني عنها شيئا ،
وتبعية الأخرى رزء لا ينقذها منه إلا تضافرنا تضافرا واعيا يدفعه مدافعة
البلاء ، ويصارع مصارعة الوباء •

وسار لطفي في دعوته غير هباب لا يعنيه رضا الجماهير المخدوعة
عن نفسها ، المخدوعة عن موقفها مادامت مصر هدفه وغايته معا • فما إن
استصرخه تاجر بدمياط استولى الطليان على سفينة تحمل تجارته لأن عليها
العلم التركي حتى نفر له ، فكانت فرصة اهتبلها لطفي السيد سانحة ،
ومضى الى رشدي باشا مطالبا باستبدال العلم المصري بالعلم التركي •

وراجعه ثانية بمطلب أبعد ؛ لقد طالبه هذه المرة باعلان استقلال
مصر عن الدولة العثمانية وتنصيب الخديوى ملكا تدعيما للخطة ، ولكن
« كتشنر » لم يصغ لهذه النصيحة حتى لا تضايق تركيا على عدائها لهم ،
فلم يبق أمام لطفي السيد إلا « الجريدة » يودعها مبادئ وآراءه •
فحمل حملة قوية على التبعية ونادى « بسياسة المنافع لا سياسة
العواطف » •

هذا في الوقت الذي كان فيه عمر طوسون يجمع التبرعات للجيش
التركي بطرابلس والصحف من ورائه تشجع حركته ما عدا « الجريدة »
بالطبع ، فأحيط بمشروع الانفصال ، وإن ظل لطفي السيد على إيمانه
بالقومية المصرية ودعوته لها وتمكينها من النفوس والأذهان •



وفي سنة ١٩١٢ دعا لطفي السيد الى تأليف نقابة للصحافة المصرية ،
وقد استجاب الصحفيون على اختلاف مشاربهم الى هذه الدعوة •
 واجتمعت الجمعية العمومية لانتخاب النقيب والوكيلين وكان لطفي السيد

أحدهما • ولم تلبث الحرب الأولى أن أعلنت فانطوت صفحة هذه النقابة
أو هذه المحاولة الأولى في ميدانها •

وفي سنة ١٩١٣ استبدل بمجلس شورى القوانين ، الجمعية التشريعية ،
فدخل لطفى السيد في انتخاباتها باسم حزب الأمة ، ولكن الانجليز أوغزوا
بسقوطه فسقط •

وفي سنة ١٩١٤ تجمعت طاقاته كلها لصراع رهيب مع المستعمر واجهه
مرات ، والتقى على حربه مرات حتى أيقن أن لا مفر من الرضاء به ولو
الى حين •

وفي أغسطس سنة ١٩١٤ يؤس لطفى السيد من اعتراف انجلترا
باستقلال مصر فمنى بخيبة أمل كبيرة ارتد على إثرها الى بلدته « برقين »
معتزلا السياسة والصحافة واستقال كذلك من رئاسة تحرير « الجريدة » ،
فكانت استقالته ايذانا بهجر الصحافة الى غير عود •

وأسأله :

« لماذا اعتزلت « الجريدة » عندما يؤست من القضية المصرية وكان
أحرى بك أن تضاعف جهادك بالقلم لو أنه كان فيه زيادة لمستريد ••
في مصلحة من هذا الاعتزال ••• ؟ إن أقصى ما تبغيه انجلترا في ذلك
الوقت ، إنما هو إغمد الأقلام المشروعة » • فيقول :

— أعلنت الأحكام العرفية في ذلك الوقت ورزحت الأقلام تحت
الرقابة •• ما جدوى قلم لا يترجم مبادئ صاحبه وأفكاره ؟ كنت أكتب
المقال ملتها فيركض فيه قلم عبيّ يمسك به رئيس قلم المطبوعات وكان
يدعى « خلاط » •• أنا أكتب وأعرض على خلاط ؟ كلا •• لأهون ألف
مرة اعتزال السياسة أو حتى كسر القلم •

إن (أحمد لطفى السيد) يقدس الحرية تقديساً يرتفع بها الى مرتبة العقائد ، ومن خطبه السياسية والاجتماعية فى ذلك العهد قوله :

« كان للانسان قبل ترتيب الحكومة كل الحرية المطلقة ، وكانت له السلطة المطلقة على ما يمكنه ، فلما كانت الحكومة أخذت منه السلطة كرها كما فى الحكومات المطلقة أو بالوكالة كما فى الديموقراطيات الصرفة ، ولما كانت سلطة الانسان لا تتناول الاضرار بنفسه أو بغيره كان من اللازم أن الحكومات مهما كانت مطلقة لا يمكنها أن تضر بأى فرد من الأفراد ولا بالمجموع ، فتعديها على حرية الفرد خروج عن كل سلطة مقبولة ، بل فسوق عن الغرض من ترتيبها وهو حماية حرية الأفراد الذين انتقلت سلطتهم اليها ، إلا اذا كانت ترضى أن تكون ظالمة » (١) .

« سيقولون لا ذنب للحكومة الحاضرة فى نقص حرية الشعب ، فإن الشعب لو كان مستعداً للحرية راجباً فيها ، لما سلبت أفرادها منها فى موقف الحكم ، على أن الحكومة الحاضرة مستعدة أن تعطى الشعب ما شاء من صنوف الحرية ، عند ما تجد فيه الأهلية لهذه النعمة . كلا إن ذلك من خطأ التقدير والمغالطة فى التدليل . أما الحكومة الحاضرة فهى استمرار للحكومات التى قبلها ، وهى لا تبرأ من المسئولية أمام أمة مظلومة ، إلا بأن تنزل لها عن جميع حقوقها التى فى يدها ، وإن الحرية الشخصية بل والحرية العامة ، ليستا لعبة ولا ميزة تمنحهما متى شئت وتمنعهما متى تشاء . بل هما حقان طبيعيان للأفراد وللأمة لا تقربهما حكومة عادلة تحكم لا لمصلحتها ولكن لمصلحة المحكومين . انهما للأفراد وللأمة بمنزلة الحياة . وما علمنا إنساناً على الأرض يدعى لنفسه حق إعطاء الحياة ومنعها . . سبحان من يحيى ويميت » (٢) .

(١) ص ٥٤ من كتاب (صفحات مطوية) .

(٢) « المنتخبات » ج ٢ ص ٦٢ .

إن الحرية عنده :

« قاعدة الفضية ، ومناط التكاليف • فأى إنسان خمدت في صدره نار الحرية وأظلمت جوانب عقله من شعاعها الساطع جدير بألا يعتبر إنساناً وأن تسقط عنه تكاليف الحياة » (١) •

ويتحدث عن السياسة والشعوب فيقول في ذكاء ساخر :

« السياسة خادم الاقتصاد ، والثروة أكبر القوى السياسية • ومن المشاهدات العامة أن البلاد الزراعية ، أى بلاد السهول لا تطمع عادة في الحرية ولا في شرف الاستقلال ، إلا أن تبلغ حاجتها من الثروة • وحينما كان الفقر عند الفلاحين كان الضعف والسكون الى الذل • وقد كنا في الزمن الماضي من الفقر وعدم الأمن على اليسير الذى فى أيدينا لا نستطيع أن نقف فى وجه الحاكم الظالم وقفة الأبى ، ولا يرد فى خاطرنا أن نحاسبه على أعماله ، بوصف أنه فى الحقيقة وكيل ، بل كنا نظن طاعته حتى فى المنكر واجبا مقدسا • درجنا على ذلك واعتبرنا الحاكم راعيا ونحن الرعية ، وأخذنا نصبغ رغبته بألوان الرغبة ونعبر عن كراهتنا له بألفاظ الحب والتفانى فى عشق شخصه الكريم •

كل ذلك كانت تأتية الأفراد طمعا فى استعارة جاهه • وكان الجاه مورد الثروة ومأمنا من نهب المال الموجود • ومع ذلك فإن حكام الشرق على العموم وحكام مصر على الخصوص من المماليك وغيرهم ، كان يعز عليهم أن يوفق أحد الفلاحين لجمع ثروة أو ينبه ذكره فى الناس شأن الظالمين يخيفهم أن تتألف فى الأمة طبقة قوية بعقلها ومالها تقف سدا منيعاً بين الحاكم الأكبر وبين تنفيذ شهواته الضارة فى الشعب كأنهم كلهم لوزير الرابع عشر وريشليو » (٢) •

(١) « المنتخبات » ج ٢ ص ٦٢ •

(٢) « المنتخبات » ج ٢ ص ١٠٨ •

ثم نزل الخديوى عن العرش وأصدرت تركيا أحكام الإعدام بالجملة وممن حكمت عليهم بالإعدام لطفى السيد • فهى لم تنس بعد موقفه منها سنة ١٩١١ واعتناقه القومية المصرية وحدها ودعوته لها فى غير هوادة أو لين •



وفى سنة ١٩١٢ استدعاه عدلى باشا الى الاسكندرية ليفضى إليه برغبة تعيينه مديراً لدار الكتب المصرية خلفاً للدكتور شاده المدير الألمانى •

وفى دار الكتب انفسح الوقت له لترجمة أرسطو ، فعكف عليه بل دعا الى ترجمة الكتب الأخرى ، وندب من وثق بهم للاضطلاع بنقل الثقافة الغربية الى العربية هوقنا أن النهضات فى بواكيرها إنما تقوم على الترجمة التى هى بمثابة التمهيد فالاحتذاء ثم الخلق والأصالة •

وفى سنة ١٩١٦ عمل على إيجاد مجمع للغة العربية تفسح له وزارة المعارف فى دار الكتب على ألا تبسط عليه سلطاتها • ومن أجل هذا الغرض دعا لطفى السيد حفنى (بك) ناصف ، وعاطف (باشا) بركات ، ليضعا معه قانونا للمجمع الذى تألف برياسة الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر وقتذاك ، وكان لطفى السيد سكرتيراً له •

ومن الطريف أن هذا المجمع ظل سنة كاملة يناقش « جواز التعريب » ثم انطوت صفحته فيما انطوى من صفحات ••

وفى سنة ١٩١٨ هب لطفى السيد مع سعد ، وعبد العزيز فهمى ، وعلى شعراوى ومحمد محمود ، يطالبون بالاستقلال ومن ورائهم مصر مشرئبين الى مبادئ « ويلسون » التى نادى بها والتى أنكرها على مصر •

وفى نوفمبر سنة ١٩١٨ بدأوا يؤلفون الوفد المصرى ، واستقال لهذا الغرض لطفى السيد من دار الكتب المصرية •

ثم نفى سعد زغلول ، ومحمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وحمد الباسل فاستطارت مصر وثارت ثورتها العاتية سنة ١٩١٩ • فاستدعت السلطة العسكرية لطفى السيد فيمن بقى من أعضاء الوفد وحملتهم مسئولية الثورة المندلعة ، فانبرى لطفى السيد يحمل المسئولية ويواجه تعسفهم وحده مقترحاً تأليف وزارة ترضى الأمة •

وبعد أيام ترامي إليه أن السلطة العسكرية تريد قتل أربعة ومصادرة أملاكهم هو أحدهم ، فأسرع الى أوراقه السياسية يحرقها • ثم حدث أن عين اللنبى وأبدى استعداداه للتفاهم فأرسل إليه الوفد تقريراً ضمته نفس اقتراح لطفى السيد ، فتألفت وزارة برياسة حسين رشدى وصدر الأمر بالافراج عن المنفيين ، وسافر لطفى السيد مع الوفد المصرى المسافر الى انجلترا •

وفى طريقهم بلغتهم فى مرسيليا برقية تنبئ بأن مستر ويلسون رئيس الولايات المتحدة قد وافق على الحماية الانجليزية على مصر فكانت صدمة قوية من صاحب المبادئ الأربعة عشر وإن لم تثنهم عن مواصلة السير ، فذهبوا الى باريس • فاذا بمؤتمر السلام يتراور عنهم •

لجأت مصر الى المفاوضات وتنافس سعد وعدلى على رياستها ، وتلاحيا ، فاعتزل لطفى السيد السياسة • ثم عرضت عليه دار الكتب فعاد إليها ، وأخذ يشتغل بها وبالجامعة المصرية القديمة التى كان رشدى باشا رئيساً لها وكان هو وكيلها •

وفى سنة ١٩٢٢ وضع منهاج لهذه الجامعة باعتبارها كلية للآداب ، وسعى لدى الملك فؤاد لتدعيمها باعتراف الدولة باجازاتها العلمية ما دام المنهج يقضى بموافقتها عليه فى الامتحانات فوعده بضمها الى الجامعة التى ترمع الحكومة بإنشاءها باعتبارها كلية آداب بها ، فجمع لطفى السيد مجلس إدارة الجامعة والجمعية العمومية لوضع شروط للانضمام ، وتوكيل

رشدى باشا للتعاقد مع الحكومة بمقتضاها • وقد نص لطفى السيد
فى العقد على أن يكون طه حسين أستاذاً فى الجامعة الجديدة وكان
هذا سنة ١٩٢٣ •

وقد ظل لطفى السيد مديراً لدار الكتب حتى مارس ١٩٢٥ حين
صدر مرسوم بتعيينه مديراً للجامعة الجديدة فأدارها على نهج قويم
من الأسس الجامعية السليمة •



وهنا يأتى دور لطفى السيد فى حياة « المرأة المصرية » • ففى عام
الجامعة الأول طلب إليه بعض عمداء الكليات قبول البنات الحائزات على
البكالوريا فرأى ببعد نظره أن يستعين على اتخاذ هذه الخطوة بالكتمان
فلا تتسرب الى الصحف أو يشار إليها فى الخطب حتى يضع الحكومة
والرأى العام أمام الأمر الواقع • وصحت نظره فإنه بعد تنفيذ الخطة
بإحكام عشر سنوات متتالية بدأ يتنبه الرأى العام ، ورفعت الضجة
عقيرتها ، ولكنه لم يأبه لها لإيمانه بغلبة التطور ومنطق العدل وحكم
الزمن وصالح الجماعة •

ومرة أخرى صدقت نبوءته فخدمت المعارضة وخفت الصوت ، وانداح
الصدى ، وسعت الفتاة — على قدم المساواة مع الفتى — الى الجامعة •
وقد تحدث بعد هذا عن رسالة الجامعة فأشار الى هذا الحدث وما
أحاط به من ضجة تذكر هذا الاختلاط • ضجة لم يأبه لها :
« لأننا على يقين من أن التطور الاجتماعى معنا ، والتطور لا غالب له ،
ومعنا العدل الذى يسوى بين الأخ وأخته فى أن يحصل كلاهما أسباب كماله
الخاص على سواء ومعنا فوق ذلك منفعة الأمة من تمهيد الأسباب لتكوين
العائلة المصرية على وجه يأتلف مع أطماعنا فى الارتقاء القومى (١) » •

لقد حفظ أحمد لطفى السيد القرآن فى القرية على « الشيخة فاطمة » وحفظ لها ، نبىلا ، هذه اليد • فهل كان حفظه آية صنعت حدثاً ضخماً فى تاريخ مصر ؟ حدثاً صنع بدوره أحداثاً وكيف تاريخاً وبنى نفوساً ودعم نهضة ووفر طاقات جديدة لوطن جديد وإن كان معرقاً فى القدم موعلاً فى التاريخ •



وفى سنة ١٩٢٨ اختاره محمد محمود باشا وزيراً للمعارف فى وزارته فكان توليه لها بمثابة امتداد لما يستهدفه من خدمة الأمة عن طريق التعليم • وفى وزارة المعارف طبق اللامركزية • ثم استقالت وزارة محمد محمود فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٩ ، فعكف على كتبه وأوراقه أنسا إليها حتى استدعى سنة ١٩٣٠ مديراً للجامعة فعاد إليها قريراً من طول ما ألفها وصاحبها على الأيام •

وعاد الى رحاب الجامعة مستهدفاً لها الاستقلال فى الرأى والفكر والعمل مؤمناً بأن التربية الجامعية قوامها حرية العمل والبعد عن التأثيرات الحكومية وتأثيرات البيئات العامة ، وعن تأثيرات البيئات السياسية المختلفة حتى اذا ما مس هذا الاستقلال بنقل الدكتور طه حسين دون أخذ رأى الجامعة سارع لطفى السيد الى تقديم استقالته حفاظاً على التقاليد الجامعية التى يربها ويرها حراماً لا ينال ، وحماً لا يستباح • • وأقول التقاليد الجامعية لأن الوزارة باجرائها هذا لم تكن قد جاوزت حدود القانون الجارى العمل به ، إلا أنها جاوزت حدود التقاليد الجامعية فكانت غضبته وكانت استقالته •

ظل لطفى السيد بعيداً عن الجامعة حتى أبريل سنة ١٩٣٥ حين طلب اليه نجيب الهلالي باشا وزير المعارف فى وزارة محمد نسيم باشا الثانية أن يعود الى الجامعة فاشترط تعديل القانون بحيث يكفل شرط موافقة مجلس

الجامعة على نقل أى أستاذ فيها ، وكان أن عدل القانون نزولا على إرادته وانصياعا لرغبته .



وفي سنة ١٩٣٥ عمل على ضم بعض الكليات الى الجامعة فضمت كلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الزراعة وكلية الطب البيطرى .

ظل لطفى السيد مديرا للجامعة حتى أوائل أكتوبر سنة ١٩٣٢ حين اندست الأحزاب بين الطلبة فظهر بين صفوفهم اللجج في المهاترة ، واللدد في الخصومة حتى خاف عليهم لطفى السيد الفتنة التى تفصم الأخوة وتنتال من « الشمائل الجامعية » التى يعتنقها مدير الجامعة . فطلب لطفى السيد من وزارة الداخلية تعيين كونستبلات لحفظ النظام لأن البوليس لا يجوز له أن يدخل الحرم الجامعى . ولما لم تستجب له وزارة الداخلية استقال للمرة الثانية .

وبعد ثلاثة أشهر أى فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ عين وزير دولة فى وزارة محمد محمود الكبرى ثم وزيرا للداخلية بضعة أشهر ، ثم أثر الاستقالة عند إعادة تشكيل الوزارة .

ثم لم يابث أن عاد الى الجامعة عودة مشروطة أساسها ابتعاد رجال الحكومة عن الطلبة ، فلما أن رقى اليه تسلل الوزراء الدستوريين الى صفوف الطلبة قدم استقالته لمحمد محمود باشا ، فاعتذر وأصدر أمرا مشددا بعدم اتصال الوزراء بالطلبة لأغراض سياسية ، وهكذا انتصرت سياسة لطفى السيد انتصارا آذن ببقائه فى الجامعة حتى سنة ١٩٤١ ، اذ اجتذبه مجلس الشيوخ فى الوقت الذى أثر أن يخلد فيه الى بعض الراحة بعد كفاح طويل مرير فى سبيل الحرية السياسية والحرية الجامعية والحرية الفكرية والحرية الشخصية .

دعا لطفى السيد الى (المصرية) دعوة متصلة تهدف الى تمييز شخصية مصر وتأصيل الشعور بها وتنقية هذا الشعور من تداخل أفكار معينة ، وسطحية مفاهيم بعينها • إن مصر هي مصر قبل سائر الاعتبارات مهما بلغت قوتها • وقد أيقظت دعوته هذه ، النفس المصرية وردتها الى أعماقها الحقيقية • وهى فى تلمسها وجودها الأصيل كانت ايجابية اذ نزعت نزوعا علميا فاتجهت دراساتها فى القديم الى تاريخها وسابقتها فى الفنون والعلوم ، وفى الحديث الى دورها فى المنطقة ومواقفها فى تاريخ أديانها وآدابها •



وقد تأثرت بدعوة لطفى السيد الحياة الفكرية فى مصر فقال الدكتور طه حسين بمصرية مصر دما وفكرا وهوى وروحا • ونادى الدكتور أحمد ضيف باقليمية الأدب ، وانتهج الاقليمية درسا بالجامعة الأستاذ أمين الخولى الذى كانت مصر محور دراساته فى البلاغة والدين •

وخلعت (المصرية) طابعها على شتى مناحى الحياة فى الوادى وخاصة فى الأدب باعتباره مرآة الشعور ، فاتجهت اليها موضوعاته خاصة فى القصة بل إن من آثارها فيه الحنو على العامية لغة الشعب المصرى •

وسار على طريق لطفى السيد : الأستاذ توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزى صاحب (سندباد مصرى) •

وقد تفسح الظروف والاحداث لمفاهيم أخرى ولكن الشعور بالمصرية الذى أصله لطفى السيد فى النفوس وعمق له ، لا ينسخه ناسخ •



وكفاح لطفى السيد لم يكن لديه فيه من سلاح الا القلم ، وعلى كثرة نأثر هذا القلم فان صاحبه لم يعن بجمع آثاره • فلم يتهيأ لنا منها الا ثلاثة كتب جمعها الأستاذ اسماعيل مظهر وهى :

- ١ — المنتخبات (في جزئين) •
 - ٢ — تأملات •
 - ٣ — صفحات مطوية (وأكثرها مقالات سياسية) •
- وقد ترجم لطفى السيد عن الفرنسية (عن سانت هيلير) كتب أرسطو :
- * الأخلاق •
 - * الكون والفساد •
 - * الطبيعة •
 - * السياسة •

ولكن رسالة لطفى السيد تتمثل في تقييم مبادئ السياسة والأدب والاجتماع تلك المبادئ التى بشر بها ووفاهها شرحا وتفصيلا فى مقالاته بالجريدة فخلق كما جاء فى تقرير جائزة الدولة ، بيئة فكرية • كانت « الجريدة » لسان دعوته الى حرية الفكر وحرية الانسان وحرية الوطن • كانت مدرسته التى وجه منها الرأى العام الى قضايا الاستقلال والدستور • وسلطة الأمة ، والحياة النيابية الصحيحة ، والتعليم الجامعى ، وحرية المرأة فكانت الجريدة مدرسة شعبية لقن فيها لطفى السيد أمته كثيرا من المبادئ وبصرها بكثير من الحقوق كما كانت مدرسة خاصة تخرج فيها الرعيل الاول فى الأدب والصحافة والسياسة والعلوم الفلسفية والاجتماعية فقد عاش لطفى السيد فى أحداث مصر وهمومها ومطامحها منذ أواخر القرن الماضى • عاش أيامها بأفراحها وأتراحها وشكل الاحداث وكيف الوقائع وصنع رجالا واضطلع بأعباء ضخام وأسهم فى توجيه الامور وتسيير الحكم وقيادة الناس • وتاريخه غنى بالانسانيات والوطنيات والمثل • وظل على جلال السن ووهن المرض فى مركز القيادة فى كثير من نواحي حياتنا الفكرية ، فكان رئيس المجمع اللغوى ، وقبلة الرأى فى جلائل الأمور ••

وهو عضو المجمع العلمى المصرى •

وهو رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية ومن منشئها •
وهو رئيس جمعية العلم المصرى (وهى جمعية أدبية كان وكيله فيها
الشيخ الخضرى) •

• وهو عضو مراسل للمجمع العلمى العراقى
• وهو عضو المجمع اللغوى الايرانى
• وهو عضو الجمعية الجغرافية •

وقد كرمته بأوسمتها الفخرية دول انجلترا وبلجيكا والمغرب وألمانيا
فأنعم عليه ملك بلجيكا بنيشان جران أوفيسييه من طبقة ليوبولد الثانى
وأنعمت عليه ألمانيا بنيشان النسر الألمانى من الدرجة الأولى سنة ١٩٣٨
كما أنعم عليه المغرب بنيشان وسام الفخامة •

• وهو بعد هذا يحمل الوشاح الأكبر من نيشان النيل •
• ووسام الجمهورية العربية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى •
• وفى سنة ١٩٥٨ نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية •

* * *

ولطفى السيد صاحب مدرسة تدين بالدقة والسلامة والوضوح
واليسر • فهو ينفرد من الصنعة فى اللفظ ، والالتواء فى المعنى ، والملابسة
فى الفكرة ، والمعاظلة فى التعبير •

وأثر القرآن فى أسلوبه لا يخفى ، فهو كثيرا ما اقتبس منه فى
كتاباتة • وهو يؤثر الجملة الاسمية ويرى الفاعل أحق بالتقديم • ان المسند
اليه فى الجملة عنده هو كل شئ •• ونبراسه فى هذا القرآن نفسه فمن
آياته التى تقف الى جانبه وتجلو حجته :

« الله نور السموات والأرض ••• »

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض »
« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »

فالجملـة الاسمية عنده أكبر في الدلالة من الجملة الفعلية وكذلك يقول النحويون • واستعماله الجملة الاسمية مقصود وهو يرى أن الجملة الفعلية إذا استعملت فلأهميتها في الحوادث •• في الظواهر وهنا أيضا تستجلى حجته القرآن الكريم وتشرئب إليه ••

« أنزل من السماء ماء »

« سخر لكم الشمس والقمر »

وأسلوب لطفى السيد متماسك في قوة مكن •• أسلوب لا يقبل التفكك والتحلل من دقة في التعبير مقصودة ، وهو من أوائل من ارتفعوا بأسلوب الصحافة على المغالاة والفضفضة • وهو أبعد ما يكون عن اللفظ المجازي • وهو في باب التعبير خلاق يقصد الى المعنى الكبير في أوجز لفظ وأدقه وأحكمه وأقدره على إحياء المطلوب • وهو صاحب الأقوال السائرة كوصفه للمعاهدة بأنها « غير ذات موضوع » ••• معنى كبير جامع تستعلن فيه المعارضة ويسفر فيه الرفض ولكن بلا ندوب ، فهو لا يسيل دما ولا ينكأ جرحا •

وهو يميل الى تطعيم أسلوبه بالكلمة العامية الصحيحة والألفاظ العصرية الحية ، وهما اتجاهان يرجعان الى إيمانه بالتطور •• وبأن لكل عصر طابعه في التعبير والتفكير وضرورة مسايرة هذه الحقيقة •• ومن هنا نستطيع أن نفسر رأيه في رسالة المجمع اللغوى فإن مهمته ، في يقينه ، أن يسجل ما يستعمله ذوو الشأن لا أن يخلق لغة جديدة • قد يقبل (النحت) في المصطلحات العلمية إلا ما كان منها باسم صاحبها لأن طبيعة بيئتها تعينها على السيورة • وهو يرى أن اللفظ يجب أن يكون له مسمى واحد فإن اللغات القوية لا تستعمل اللفظ المشترك • وهو يرى إصلاح

الكتابة العربية مرهونا بتسكين الحروف • كل الحروف يجب أن تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحرف العلة •

* * *

إن إيمان الرجل الكبير بالتطور إنما هو مفتاح الموضوع بل مفتاح شخصية لطفى السيد • وسنرى كثيرين يخوضون موضوع العامية والفصحى ويطيلون الجدل والحوار ويبيثون في ثنايا العبارات المطاطة والفضفضة الحائرة ، رأيا آخر تستعلن المعارضة فيه لتختفى أو تترك الباب مفتوحا تهب منه الريح أو يتردد عليه الفضول ، ولكن لطفى السيد في صراحة الوثائق من نفسه ، وفي وثوق المؤمن بالتطور ، وفي بساطة العالم الحق يقصد الى موضوعه في ذكاء ومضاء بلا موارد أو تعقيد • وفي الموضوع الخطير موضوع العامية والفصحى ، قال أحمد لطفى السيد كلمته وأوضح حجته ••

« نريد أن نرفع اللغة العامية الى الاستعمال الكتابي وننزل بالضرورة من اللغة المكتوبة الى ميدان التخاطب والتعامل فلا تكون النتيجة إلا أننا نكتب الكتاب مفهوما ، ونتحدث الأحاديث عربية صحيحة بالزمان » (١) •

وأحمد لطفى السيد هو الذى قدم سنة ١٩٤٢ (٢) اقتراحا الى لجنة المعجم وهو أن يعنى المجمع بجمع المصطلحات الفنية التى يستخدمها العمال في مصانعهم والتجار في متاجرهم وأسواقهم والزراع في مزارعهم حتى اذا اجتمعت له طائفة صالحة من هذه المصطلحات نظر في وضعها في معجمه بعد صياغتها وفق الأوزان العربية •

ألم أقل إن الأمر بلغ مبلغ الدعوة التى يمكن لها صاحبها في الحياة وفى الأذهان ؟

(١) المنتخبات ج ٢ ص ١٣٤ •

(٢) الجلسة العاشرة ١٩٤٢/١١/٢٨ •

ان اللفظ العامى متى كان موجودا فى القاموس فانه عربى صريح النسب
لا سبيل الى العجمة اليه أو الحكم بها عليه .. إن القاعدة عنده أن الكاتب
يكتب لناس يفهمون وكلما زاد وضوحه كثر قراؤه بزيادة من يفهمون
عنه وهذا أفضل .

إن ملاك الكتابة « ذوق » ، أما الألفاظ فلا دخل لها فى الموضوع .
والذوق انما يعنى الطبع .. الروح .. أسلوب التناول .. فن المعالجة
« الطريقة » الطريقة التى تجعل كاتبها خفيف الظل وآخر ثقیله وان
سلمت الألفاظ أو تقاصحت عند الاثنین .. المسألة ليست مسألة فصاحة
و (تفهيق) فإن من الأساليب العامية كما يقول رجلنا الكبير ما هو
(فى عرف الفصاحة العربية أعلى مقاما من كثير من هذه الأساليب
الكتابية التى نسطرها كل يوم فى الصحف) . بل إنه يذهب الى أبعد
من هذا فيقول : (إن هجر الألفاظ العربية لا لذنب آخر غير أنها تكرر
كل يوم فى لسان الأمة ، يعتبر فى عرف الأدب القومى ، بل فى عرف العقل ،
تفطرسا غير مغفور) .

إن الأمر ليس بسيطا كما يبدو .. ليست المسألة ، هجر ألفاظ
وتفضيل أخرى عليها فلو أننا (أجدنا البحث فى نفور أهل العلم من قبول
ما كان فصيحاً غير مبتذل من الألفاظ العامة ، وما كان رشيqa من أساليبها
الكلامية ، لكدنا نجد فى طيات نفوسهم أن سبب هذا النفور نوع من
الاحتقار اللاتنبهى ، ذلك لأن العلم فى عمومه ، يحتقر الجهل .. والجهل
فى عمومه ، يخاف من العلم غير أننا مع ذلك يجب علينا أن نعتقد أن أهل
العلم لو رجعوا الى مبادئهم العالية ، والتفتوا الى هذا الشعور اللاتنبهى
لفزعوا من أنفسهم ، ولعلموا أن الأمة التى أخرجتهم ، والتى هى يحبونها ،
ويسعون الى منفعتها ، أولى ما يكون بها أن تكون موضع احترامهم التام ..
ولأدركوا أن إحياء اللغة العربية لا يقتصر على تعليمها فى المدارس ، ولا على
طبع الكتب القديمة التى لا تأتى إلا بفائدة أثرية ، ولكنه يأتى من ترقية

لغة العامة ، واستعمالها صحيحة في الكتابة بقدر ما تسمح به لغة القرآن :
حتى تردم الهوة السحيقة الموجودة بين اللغتين (٠٠) (١) •

ومن حجج « الأستاذ » التي يرسلها في السياق (أن العوام يملكون بالوراثة سر اللغة ، ويصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألوفاً وكثير من أساليبهم حسن جميل • وأن اللغة العامية « وليست لغة العلم ولا لغة الشعر والكتابة » هي مع ذلك اللغة الحية في النفوس واللغة الفصيحة ليس لها أثر في الصور البيانية إلا عند الذين يعرفونها ويقرؤونها فصيحة كل يوم ، ويحاولون البيان في كل يوم ، وهم من الأمة أقل من القليل •

ومن عواقب هذا أن علماءنا الذين لا يعرفون العربية الصحيحة قد تقطعت بهم أسباب التأليف بلغتنا ، وعدم وسائل ترجمة العلوم المختلفة من اللغة الأجنبية التي تعلموا العلم بها (٠٠)

وهو يتطرق من هذا الى الترجمة ومسئولية المترجم فيقول في اصرار ••
(إن المترجم والكاتب في حل من أن يضع الاسم الافرنجنى في اللغة العربية عند الضرورة الملحة • وعليه أن يعتنق الاسم الجديد الذي جرى عليه العرف وصار أكثر شيوعاً من أن يغير ، وأكبر شهرة من أن يهجر ، عليه أن لا يحاول ايجاد اسما للتلفراف ولا للتليفون ولا للفنوجراف ومن يحاول ذلك يجب عليه من باب أولى ألا يسمى الورد (وردا) بل يسميه حوجما ، لأن الورد له مسمى في العربية الأصلية) • ويمضى في السخرية •• سخرية مشوبة بألم بعيد الأغوار في مسارب النفس المصرية •• (والله يعلم والناس جميعاً أن التلفراف والتليفون والفنوجراف لم يكن لها أسماء في البصرة ولا في الكوفة ، فهجرنا نحن تلك الأسماء لناخذ أسماء أعجمية) (٢) •

* * *

(١) المنتخبات د ٢ ص ١٣٧ •

(٢) المنتخبات د ٢ ص ١٤٠ •

مصر التى عرفتها الدنيا متبوعة لا تابعة تبعتها أمم فى الحضارة ،
وتبعها آخرون فى العقيدة ، ولمحها كثيرون فى الفن والحكمة ، وأخذ عنها
متطلعون العلم ، ونهل منها الشادى فى الأدب ، وورد نيلها من شتى
أقطار الأرض ، ظماء •

مصر وهذا شأنها مما لا ينكره إلا جاهل بالقيم مغرور ، ولا يجحده
إلا كافر بالنعمة حاسد ، مصر هذه يريدونها قوم أن تتردد فى الأخذ بكل
كلمة من لغة العرب حتى تتبين وجه الرأى عند الأسلاف هل وردت على
ألسنتهم أو جاءت فى كتاباتهم !!

إن للجمل كما يقول رجلنا الكبير أحمد لطفى السيد ، وللأسد والسيف
فى العربية (أسماء تعد بالمئات والعشرات لا حاجة بنا نحن المصريين
منها إلا بما يقضى به البيان العصرى • أما أسماء المشاعر النفسية
باعتبارها موضوعا للبحث العلمى ، فهى فى اللغة العربية أقل من حاجتنا ،
أسماء الآلات والماكينات الصناعية وأعضائها المختلفة ، تكاد تكون معدومة
عندنا فى معاجم اللغة وكتب السلف •• لذلك يجب على الكاتب أو المترجم
أن ينظر اذا كان لهذه المسميات أسماء قد دخلت فعلا فى اللغة اليومية ،
فعليه أخذها ووضعها على الوزن العربى بقدر الامكان ، فإن لم يكن لها
أسماء ، وجب عليه أن يبحث فى معاجم اللغة وكتب العلم عنها ، فان لم
يجد وضع لها أسماء كما وضعوا اسم (الطيارة) من وظيفتها •• فان
كان اسم علم من العلوم مأخوذ من اللاتينية أو اليونانية ، وكان لا يستطاع
التعبير عنه بالعربية الا بجملته ، وجب أخذ اسمه كما هو وصقله الصقلة
العربية بقدر الممكن وبحيث لا يخفى أصله على القارئ والسامع •

سيقولون هذا المبدأ يدعو الى الفوضى •• وربما كان ذلك) •

وهذا الاعتراض على جوازه لا يزحزحه عن رأيه الذى ارتضاه بل
يزيده به تمسكا يشهد به قوله :

(لا بأس بالفوضى اذا كانت ملازمة لحال التطور) (١) •

ويتساءل الرجل الكبير في دهشة : (ما لنا لا نعتبر لغتنا كالعلم ، نزيد عليها كل جديد بمقدار الحاجة ، وكالفن والصناعة والتجارة ، نزيد مقدارها بزيادة علاقاتنا بالأمم الأخرى •• ما لنا لا نزيد على أسمائها أسماء المخترعات الحديثة في العلم وفي الفنون والصناعة والتجارة ؟ نحن نعمل ذلك بالفعل •• ولو سألت العامة عن (التلتوار) لعرفوه وأنكروا إفريز الطريق وعذاره ، ولكننا يثقل على سمعنا أن نعترف قولاً بما نأثيه فعلاً) (٢) •

ولكن رجل الحريات أحمد لطفى السيد يواجه الأمر بحرية رجل الفكر ويضع النقط على الحروف كما يقولون غير هيب ولا متردد • ليست المسألة مسألة لغة فحسب وإنما هى أيضا مسألة أمة أخرجتنا كما يقول مما سبقت الإشارة اليه ، أمة نحبها ونحترمها حب الحى لذاته •• أمة أولى ما يكون أن تكون موضع احترامنا التام كما أن لغة حياتها اليومية يجب أن تكون موضع احترامنا التام فتفسح الصفحات أمام ألفاظها وتراكيبها مادام اللفظ صريح النسب فى العربية والتركيب مصرى الطابع والروح •• من المحال أن تحتجب شخصية مصر وراء شئ من الأشياء مهما كان هذا الشئ •

* * *

لابد لمصر أن تفرض شخصيتها بطريقة ما • لقد تميزت مصر فى القراءات بقراءة (ورش) ، وتميزت فى الحديث بالصحيفة المصرية ، وتميزت مصر فى البلاغة بمدرستها ، وتميزت فى البديع بعشرين لونا ، وتميزت فى الأدب شعره ونثره بسمات واضحة لا يخطئها الدرس والتطبيق •

(١) المنتخبات د ٢ ص ١٣١ •

(٢) المنتخبات د ٢ ص ١٣٠ •

بل إن مصر منذ البداية اشتركت في الأحداث وهى الجديدة فى الاسلام فقالت رأيها فى عثمان وذهب وفدها — من ذون البلاد الاسلامية — الى مقر الامارة يعلن كلمته !!

واستقلت مصر بأمرها إلا ظل تبعية اسمية • ولا يغير من الأمر شيئاً (أجنبية) الحاكم •• ليكن الحاكم أحمد بن طولون أو الاخشيدي أو المعز لدين الله •• انهم جميعا بمصر •• بسند من موقعها وغناها وطاقاتها وثرواتها المعنوية والمادية على السواء حتى كانت مصر تتنافس بغداد مقر الخلافة فى أوج عزها •• فعدت تتودد اليها بالمصاهرة والشعر •

لا بل إن مصر استقدمت الخليفة العباسى نفسه فى عهد الظاهر بيبرس فعاش فيها ، وبها •

هذه مصر • فهل تنبذ لغة حياتها اليومية بما أضفته عليها من روحها وعذوبتها وأصالتها وشخصيتها الخلاقة الوهوب ؟

رجلنا أحمد لطفى السيد رئيس المجمع اللغوى يقول : لا •

انه يوقن (أن أكبر خدمة نستطيع تقديمها للغتنا هى أن نجعلها لغة العلم فى مصر ، وأن نحاول توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام ••) (١) •

انه حكم الواقع ••

ويسأل الرجل الكبير من ينكرون هذا رأى :

(أو يريد أهل العلم أن يضحوا العلم وهو غرض اللغة ، وهى واسطة ؟ أو يفهم فى حق أهل العلم فى مصر ، وفى هذا العصر ، أن يكونوا أكثر غيرة على لغة العرب ••• من العرب القرشيين أنفسهم فى أيام الدولة العباسية ؟ وهل يقبل منا أن ننكر مذهب ادخال الألفاظ الأعجمية الضرورية

الادخال الى لغتنا بعد أن أدخلها الله تعالى في كتابه العزيز ، الذى هو قرآن عربى مبين ؟؟ !!) (١) •

والمسألة عند لطفى السيد ليست مسألة نظريات انما هو يستمد أحكامه من واقع الحياة ومنطق الواقع •• (لقد دخل في اللغة العربية في عهد الحضارة الاسلامية ، أسماء كثيرة وأفعال ليست بالقليلة ، بعضها استعمل ودخل في اللغة ، وبعضها هجر بالمرّة • كذلك دخل في اللغة الفرنسية في جيلنا هذا كلمات كثيرة من اللغة الانجليزية ، قبلها الجمهور والكتاب • ودخل فيها أيضا كلمات كانت تستعملها العامة ولا يستعملها الكتاب ، ولا المجالس الرسمية والشبيهة بالرسمية فلما غلب استعمالها وجرت على ألسن الخواص ، بحكم استفاضتها على ألسن العوام اضطر المجمع اللغوى الفرنساوى أن يقبلها ودونت بعد ذلك في معاجم اللغة ••

والنتيجة الطبيعية لهذا أن اللغة ملك الأمة • وللاكتاب الحرية في الزيادة عليها بأساليب جديدة ، وألفاظ جديدة ، اذا قبلها الجمهور راجت وأصبحت من لغة الأمة ، فاذا رفضها الجمهور ، بارت ثم بانت) (٢) •

ولطفى السيد حين ناقش القضية من جوانبها كلها وأحاط بأطرافها لم يغفل اعتراضين بعيدين وإن كانا يبدو ان ظاهرى الصلة بالموضوع • **أحدهما :** (أن الاعتراف بما أدخلته الأمة من الألفاظ الأعجمية قد يكون فيه شبه تمصير للغة العربية ، فيتعطل بذلك عامل من عوامل الجامعة الاسلامية والثانى : أن ذلك وتصحيح الألفاظ العامية المصرية واستعمالها في الكتابة معطل للغة العربية الفصحى !) •

أما الاعتراض الأول فيجيب عليه بقوله : (اننا وإن كنا لسنا من أنصار هذه الجامعة المستحيلة بوصف كونها دينية ، لاقتناعنا بأن أساس الأعمال السياسية هو الوطنية ، وروابط المنفعة دون غيرها ، فإننا مع ذلك لا نرى

(١) المنتخبات د ٢ ص ١٤٥

(٢) المنتخبات د ٢ ص ١٤٠

الاعتراض وجيها ، ولا من هذه الجهة • لأن القائلين بالجامعة الاسلامية يجب عليهم أن يقبلوا فيها الترك والفرس والهنود والصينيين والجاويين والشراكسة ، وهم لا يعرفون من اللغة العربية شيئا ومجموع عددهم أضعاف مجموع عدد من يتكلمون العربية من المسلمين • فإذا كانت الجامعة الاسلامية وحدة ، وكانت اللغة داخلة في شخصيات هذه الوحدة ، وعاملا من عواملها وجب أن تكون لغة هذه الوحدة هي لغة الأكثرية والأكثرية غير عربية ، فلا خوف على الجامعة الاسلامية الموهومة ، من إدخال المصطلحات العلمية في مصر في جسم اللغة العربية • ذلك ولأننا اذا فرضنا أن اللغة العربية ستكون هي اللغة الرسمية في هذه الجامعة الاسلامية التي لا أدرى من أى المواد يخلقونها ولا من أى الرقع يلفقون ثوبها ، فإنه يسر هذه الجامعة الاسلامية أن تحيا هذه اللغة حياة جديدة وتكون هي لغة علم الاجتماع وعلم السيكولوجيا ، ولغة الفلاحين في مصر ، والجمالة في بلاد العرب جميعا) •

وأنا أرجح ترجيحا يكاد يبلغ مرتبة اليقين أن سر عطف رجلنا الكبير على اللغة العامية هي أنها اللهجة المصرية أو اللغة العربية المصرية •

* * *

وبعد أن لقيته في كتبه ، لقيته في بيته •• كان بيده كتابه ••
(المنتخبات) قال : اقرئى لى ••

ووجدتنى أقرأ له في جذل •• إن كلمته في شيخوخته المهيبة الجليلة الوقور أمر ترغب النفس فيه حين تنفر من أوامر أخرى •

وجدتنى أقرأ وأقرأ وإذا بالباب يفتح ثم يسفر عن زائرين •• انهما بهى الدين بركات (باشا) ومصطفى الصادق (باشا) وسلموا وجلسا فكنا نحن الأربعة جلوسا حوله متجهين بعيوننا وحديثنا اليه حتى ما كان منه بيننا • قلت :

كيف ترى رسالة المجمع إذن .. هل هي التسجيل ؟

— نعم .. إن المجمع ليست مهمته اختراع لغة جديدة .. قد يقبل (النحت) في المصطلحات العلمية إلا ما كان منها باسم صاحبها لأن طبيعة بيئتها تعينها على السيولة .. مدرس وطلابه .. أسماء يعطيها ويحفظونها ولكن رجل الشارع كيف نفرض عليه ألفاظا لا يألّفها وهيهات أن يستعملها .

— قلت وما رأيك في « سيارة » مثلا .. لقد سارت واستعملها الناس ..

— أن اللغات القومية لا تستعمل اللفظ المشترك .. أن اللفظ يجب أن يكون له مسمى واحد أما نحن فنقول : العين والعين الجارية ، وعين الأعيان وعين بمعنى جاسوس وهكذا ..

(وسيارة) هذه في القرآن معناها القافلة .. إشارة الى قوله تعالى :

- (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) (١)
- ، (وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) (٢)
- ، (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) (٣)

— ومع هذا فأنا شخصا لم أقل سيارة قط ، بل أقول .. العربية .. وهنا أخذ السيد بهي الدين بركات بطرف الحديث :

— نعم .. اللغات القوية لا تستعمل اللفظ المشترك .. إن كلمة (فوا) الفرنسية اذا نطقت تفيد معاني ثلاثة :

(١) ٩٦ سورة المائدة .
(٢) ١٠ ك سورة يوسف ١٢ .
(٣) ١٩ ك سورة يوسف ١٢ .

فوا = مرة
فوا = عقيدة
فوا = كبد

ولكنهم في الكتابة يكتبون كل لفظة تختلف عن الأخرى فلا يلتبس على القارئ معنى ولا تتتابه حيرة .. أما عندنا فلفظة « علم » قد تكون بمعنى :

عِلْم ، وعِلْمٌ ، وعِلِمٌ ، وعِلْمٌ ... الخ ..
ان من حقنا التعديل في اللغة حتى تتواءم مع هذا العصر الطائر ..

* * *

لقد كانت اللغة قديما حروفا مجردة .. وفي دار الكتب كتابات من غير نقط ومن غير شكل .. ثم أدخل الأقدمون عليها النقط ثم فكروا في الشكل .. لفظة كللفظة حيث مثلا مع عدم النقط يحمل عليها ألوان من المعانى والمفاهيم فهي قد تكون حيث ، خبث ، جنت ، حنت ، جيب ، خيب ، حنث ... الخ ..

وهنا قال لطفى (باشا) كمن يتوقع سؤالا عن التشكيل حلا للمشكلة :

— قد نقولون الشكل .. ولكن الشكل صعب .. على وواطى في رأى العين وهو فى الكتابة عسير ويستلزم تحريك القلم كثيرا ثم لا يسلم النطق بعد هذا ، مع وجود الشكل ، من الأخطاء ..

وهنا تذكرت مجلة الموسوعات التى أصدرها رجل الوطنية المصرية محمد فريد عندما استقال من الحكومة .. فقد كتب أحمد لطفى السيد وقتئذ مقالا فى هذه المجلة عن اصلاح الكتابة العربية .. نادى فيه بأن نقرأ العربية كما يقرأ الفرنسيون الفرنسية .. انهم يقرؤن ليفهموا حين نفهم نحن ولا بد أن نفهم أو نتفهم لنقرأ وهذا عسير .. فضلا عن أنه يعوق انتشار

اللغة بيننا أنفسنا • إن طفلنا يجمع نفسه ليفهم حتى يستطيع أن يقرأ ولو أنه كان يقرأ متخففا من هذه المهمة لتركز انتباهه كله في القراءة وانطلق فيها •

* * *

وأحمد لطفى السيد الأستاذ يرى أن إصلاح الكتابة العربية مرهون بتسكين الحروف •• كل الحروف •• يجب أن تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحروف العلة •• وهو يعجب للكسائي إذ يقول :

الفتحة = ألف محذوفة

و الكسرة = ياء محذوفة

و الضمة = واو محذوفة

ويتساءل أحمد لطفى السيد فى حيرة : لِمَ نحذفها ؟ يجب اثباتها وهنا قال السيد مصطفى الصادق :

— ولكن هذا الاثبات يشغل حجما أكبر وورقا أكثر •• مما يكلفنا — لو فعلنا — أكثر من ثلاثين مليوناً من الجنيهات •

وفى سماحة القلب النقى وفى فكاهة الروح الانسانى الصافى قال رجلنا الكبير باسم :

— هذا الكلام لا يقول به الا معاليك واليهود •

إن السنين التى تضيع من أعمارنا فى تعلم القراءة والكتابة والتى يمكن توفيرها بتيسير اللغة ، ألا تساوى هذه الثلاثين مليوناً ؟ اننا نضيع من عمر الطفل بضعة أعوام لترقية قراءاته وكان الأحرى أن تنفق فى ترقية عقله • إن نشر المعرفة إنما يكون بنشر صوابها حتى لا يوجد من يقول سَمَو الخديو عن سمو ، أو من يقول : كر ، ومر عن « كرومر » •

* * *

ودعوة لطفى السيد الى تسكين الحروف اذا تأملناها ، وجدنا أنها ترتبط بدعوته الى التآخى بين العامية والفصحى فإنه عندما تحدث عن العامية فى مصر ، ذكر أن لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتجعلها متميزة تميزا تاما ومن أقوى هذه الشخصيات ، أن **أواخر الكلمات فيها ساكن دائما** •

اذن التسكين عملية تيسير والتقاء معا ••

ولا يحتج علىّ بأن هذا الرأى قديم (١) فلطفى السيد متمسك بكل كلمة جاءت فى كتبه •• مصرّ عليها •• سمعتها منه أكثر من مرة •• إن كل آرائه مبنية على نظرية التطور وهى نظرية تدين بها الحياة النامية دائما •• المتجددة أبدا •• **إن التطور سنة الأيام** فالزمن سائر لا يتوقف •• من استيقظ وجاراه عاشه ولحق به ومن تحداه تخلف هو بينما الزمن يسير •• يسير ••

* * | *

حقيقة كبرى عرفها واعتنقها الرجل الكبير •• ان الخطين العريضين فى حياة رجل الفكر أحمد لطفى السيد هما :

ايمان كامل **بالتطور** ، وايمان مطلق **بالحرية** وهو بهذا الايمان العالى •• العالى •• أستاذ الجيل ••

* * | *

عدته فى مرضه فإذا به يطلب أن يدخلونى حجرته •• كان فى سريره مهيبا يروع كما هو فى مكتبه على رأسه وحول رقبتة وأكتافه شال حرير أبيض ناصع البياض كالثلوج التى تتوج أعلى القمم ••

(١) اقرا المنتخبات د ٢ ص ١٤٠ •

كان وجهه يظهر من الشال والتجاعيد تزيده مهابة ووقارا .. رأسه الكبير وعيناه الصغيرتان المتوهجتان لم يخب بريقهما لأنهما تستمدان شعلتهما من الذكاء .. ذكاء القلب وذكاء الروح ..

ورجلنا يتمتع بكليهما و .. يتمتع مع الذكاء بالصفاء .. بالاشراق .. باليقظة الواعية ، بالسلام النفسى .. وكلها مجتمعة ومتفرقة تضى عليه لا بل تسكب عليه نورا فوقه نور .. كان وجهه يظهر من الشال وحوله هالة من هذا كله كأنه « الزمن » ويملؤك هذا الشعور فتندفع الأسئلة على لسانك فى كل شىء أو فى أى شىء المهم أن تسأل لتتزود من التجارب والحكمة والمعرفة .. أأنت أمام « الزمن » أو على الأقل أمام جزء غنى منه ملىء ؟ أأنت أمام أستاذ الجيل جيلنا وجيلين قبلنا وأجيال بعدنا كما أعتقد .. نعم سل ما بدا لك إنك أمام أحمد لطفى السيد .. الأستاذ ..

— ما الذى جذبك الى الفلسفة فقرأت لأرسطو وترجمت عنه كل هذا ؟

وببساطة العظيم المتواضع الذى لا يحتاج الى العمل ولا يلجأ اليه
قال :

— مصادفة يا بنيتى .. كثير من الأشياء يأتية المرء مصادفة حتى ولو تأثر به بعد ذلك .. لم تكن الفلسفة فى تقديري واتجهت اليها ، حين كانت الرياضة لى هدفا ثم لم يتحقق ..

ووجدتني أمام قصة شائقة .. فتهيأت للاستماع ..

— كنت تهوى الرياضة اذن ؟

— حتى هذا تستطيعين نسبته الى المصادفة .. كان صابر باشا وكمال بك (خوجات) فى المهندسخانة .. وكنت أمتحن أمامهما امتحان الشفوى فى البكالوريا فنصحانى بالالتحاق بالمهندسخانة وأغريانى بها ..

ونجحت في البكالوريا ، واحتشدت لدخول المهندسخانة فيصادف أن تعلن في ذلك الوقت عن استعدادها لقبول ساقطى البكالوريا .. فأنفثت ورفضت دخولها .. ويصمت قليلا ويقلب كفين نحيلتين ويقول في صوت مبتسم .. غرور شباب ..

— وما الذى دفع المهندسخانة الى مثل هذا العرض ؟

لتجذب طلابا .. لم تكن المهندسخانة تستهوى جيلنا .. كان قصارى هم التلميذ منا أن ينال البكالوريا ويشغل والعمل في هذه المرحلة لا يعنى نقص الطموح ، كلا بل لعله دليل عليه في أيامنا .. انه مظهر قدرة أن يشق الفتى طريقه بالبكالوريا وينجح ويسهم في دفع عجلة الحياة ..

ويصمت مرة أخرى صمتا أطول ثم يقول :

لقد آغدت المهندسخانة أملا ومطمحا للشباب .. انى أؤمن بالتطور .. ان جيلكم أحسن من جيلنا ، أحسن في كل شيء .. في التفكير ، في العلم بل في الخلق أيضا أقلها على الرغم من نقد ناقديه .. انه التطور .. كل شيء في الدنيا يتطور .. سنة الحياة تأبى التوقف .. ويصمت .. كل شيء يتطور ، اذا استثنينا الأديان ، فطبعها المحافظة .. هيه ، دعيتها ولكن ما عداها متجدد دائما .. متطور أبدا ..

وابتسمت مؤمنة وأرسطو بعد في الصورة لما يزل .. فقلت :

— ولكن أرسطو .. ألم يترك عندك انطباعات خاصة ؟ ألم تتأثر به في ناحية ما ؟

— قطعاً تأثرت به .. انى أحفظ عن الشيخ النجار هذا البيت أو هذا

القول .. سمه ما تشائين ..

« دا البرابرة يكرموا ذا الفضل منهم ومحمد يندهوله محمدين »

ونضحك من (محمد يندهوله محمدين) فيلتقطها لطفى السيد بلماحيته

ويقول :

— أليست القاعدة النحوية : كثرة المبنى تدل على كثرة المعنى .. كان العرب يبنون الأسماء حسب المعانى فمثلا « شقدف » وضعوها للهودج يحمله جملان فاذا ثقل الجمل بمن فيه من نثومات الضحى ، واستدعى الأمر أربعة جمال سمي الهودج « شقنداف » ..

ويضحك هو هذه المرة ويقول : « يظهر أن الشيخ النجار كان يلمح هذه القاعدة النحوية .. » .

ثم يصل موضوعنا وما انقطع فيقول : احفظ هذا من سبعين سنة خلت لأنه راقنى بالطبع وقتئذ والدليل أنى أذكره ولا أزال ، فكيف لا أتأثر بأرسطو ؟ إن المرء يتأثر بكل شئ يقرؤه درى بهذا أم لم يدر ولكن ليس معنى هذا أنى تأثرت به كاتباً .. لقد كان بيانه صعباً شأن علمائنا القدامى .. أما البيان الناصع فأفلاطون صاحبه .. إن من يقرأ أفلاطون يحس كأنه يقرأ لجان جاك روسو .. ويصمت .. : إن أفلاطون كاتب لا يجارى .. إنه أستاذ أرسطو الذى جلس منه مجلس التلميذ من الأستاذ عشرين عاماً .. واليونانيون يقولون إنه من نسل الآلهة .

ولطفى السيد مع هذا انتقد أرسطو عندما كان رئيس تحرير (الجريدة) انتقاداً مرا .. إن رجلنا الذى يعشق الحرية ويتعبد لها نفر من تبرير أرسطو ، **الرق** . وإن رجلنا رجل الوطنية نقم على أرسطو قوله : ان هناك أمما خلقت للطاعة وأمما خلقت للأمر .. انها الغطرسة اليونانية ! ! ومست هذه الكلمة جروح أحمد لطفى السيد المصرى الذى يعانى من الاحتلال البريطانى ويكافحه فهاجم أرسطو بملء حبه لمصر .. بملء أله لاستعمارها .. بملء كبريائه الجريحة .. بملء ابائه المشبوب .. كلمة ألهمت غضب الحليم فنسى أرسطو حين ذكر مصر .



وأحمد لطفى السيد الوفى لوطنه ، وفى للناس .. للمعانى ..

لذكر • جاءه (تلميذه) الشيخ طه • الدكتور طه • طه باشا كما يقول
لطفى السيد فى توال يؤيد التطور الذى يؤمن به ، وفى اعزاز يمازجه
فخر • جاءه طه حسين الطالب بالأزهر على إثر اقصائه عنه وببيده مقال
حائق على الشيخ حسونة شيخ الجامع الأزهر • وطلب الى لطفى السيد
رئيس تحرير (الجريدة) نشره فنظر اليه لطفى السيد قائلا :

— ألا تعرف أن الشيخ حسونة (خوجتى) ؟

— لا ••

— اذن اعرف •• اعرف أنى لا أقدر أن أكتب فى الجريدة ضد
الشيخ حسونة أبدا •• انه أستاذى خمس سنين •

(وكان الشيخ حسونة أستاذ الشريعة فى مدرسة الحقوق) •

— ولكنك •• رجل الحريات وحرية الكتابة إحداهما •

— أأست مسلما ؟ والشافعى يقول : ما من عام إلا وخصص ••
والقاعدة خاصة بالشيخ حسونة •

وأشرق وجه الرجل الكبير وهو يقول : انى أحب الشافعى • لقد
اختلف الشافعى مع الحنفية فى قضية (الأمر فى القرآن) فالحنفية
يقولون « الأمر للوجوب » ويرفض الشافعى فى رحابة أفق هذا الرأى
مستندا الى القرآن نفسه فالآية :

« اذا قضيت الصلاة فانتمشوا فى الأرض » لا تحتم الانتشار •
هب أن أحدهم أراد البقاء وقتا فى المسجد •• كما أن الآية : (وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، من الفجر)
لا يعنى استمرار عملية القضم والخضم حتى مطلع الفجر ••

الشافعى قال : لابد للوجوب من قرينة أخرى غير الصياغة ، والقرينة
هى الامكان •

أويصمت لطفى السيد برهة ثم يقول فى صوت عميق (أنا أحب الشافعى — ويردف ضاحكا — وإن كان ضدكم إنما هو معذور) لقد قال النبى « النساء ناقصات عقل ودين .. » •

— أحقا نحن كذلك ؟

— لقد فتحت لكن الجامعة .. يكفى هذا دليلا على ثقته وحبى .. وتهللت ..

وعاد الأستاذ الى الحديث .. فذهب اليه نفر من الصحابة قائلين :

ناقصات عقل نحن معك ولكن « دين » هذه تحيرنا .. هل من تفسير ، فقال :

— تقعد احداهن فى عقر دارها شطر عمرها لا تصوم ولا تصلى ..

وهنا قال الشافعى : مادام الشطر هو النصف فان مدة الحيض تعتبر خمسة عشر يوما — فى أقصى تقدير بالطبع ..

ويعود الى الشيخ طه الذى يبدو أنه لم يقتنع يومئذ • فمال عليه لطفى السيد وقال له :

— أفصح هل الغرض ذم الشيخ أم الرجوع الى الأزهر ؟

فقال الشيخ طه :

— الرجوع الى الأزهر ..

— اذن التقينا ..

وهنا أمسك لطفى السيد بسماعة (التليفون) وخاطب الشيخ حسونة فى أمر طه ورفيقه الزيات والزنتانى .. فقبل الشيخ رجاءه وعادوا الى النصفوف التى انتشبت عنهم عندما خالفوا الجمهرة فى أمر (الحجاج) •

ويمكن لطفى السيد من جلسته وتسبح عينا المفاذتان فأحس أنه
يخترق حجابا غير منظورة •• لعل حديث العهد الخالى أغراه فعادت به الى
الماضى حنة شوق أثارها حديث (المهندسخانة) والدكتور طه ••
ولم يخطئ تقديرى فقد عاد الينا لطفى السيد ، وهو معنا ، من
سبحاته ، وابتسم ابتسامة المقبل على رواية نادرة فكهة أو ملحمة مستحبة ••
وتهيأنا •• وأعطيناه كامل صغونا •• وتهدى الينا الضمير الهادى
العميق ••

— كنت أصدر صحيفة (الشرائع) مع نخبة من رفاق صباى ••
منهم ثروت واسماعيل صدقى ويضحك العظيم المتواضع وهو يقول :
تصوروا كنا نعلم الناس فيها القانون ونحن مازلنا بعد ، تلاميذ فى
مدرسة الحقوق ! ! أرايتم الادعاء ؟

ولما كنا نطبعها فى صحيفة (المحروسة) فقد تصادف أن قابلت يوما
عبد الله النديم هناك فلما وقعت عين الرجل علىّ قال لى :
— لى رجاء صحح لى (الأستاذ) لأننى مدعو عند الأباضية والقطار
لم يبق على موعده غير نصف ساعة ••

وقبلت بالطبع بل سررت بهذا التكليف فهو امارة •• « وصول » •
وقعدت على الفروة •• على الأرض ، بالردنجوت الذى كنت ارتديه
تقليدا لطلبة باريس •• وبينما أنا فى جلستى تلك ، منهمكا فى التصحيح
اذ بعمدة يخب فى الحرير ، يقتحم المكان وهو يصيح : بشير •• بشير ••
فلم يرد عليه أحد ، فاذا بالرجل ينظر الىّ ويصيح فى هذه المرة :

— قوم انده بشير ••
— موش فاضى ••
— قوم انده بشير ••

— موش فاضى ••

ويبدو أن العمدة لم يَمْضِ على مغادرته القرية غير قليل فهو لم تتعود أذنه بعد ، كلمة « لا » ، ولم يتصور أن يعصى له أحد أمرا •• فنظر الى حانقا وهو يقول :

— انت صنعتك ايه ؟

بالطبع (صنعتى ايه) حتى أخالفه فلا أحضر له « بشير » مكبلا بالأغلال اذا أمكن ، على كل حال قلت :

— تلميذ بالحقوق ••

— بتعمل ايه ؟

— اصحح « الأستاذ » •

وكنيت أتوقع أن ارتفع ولو قليلا فى عين الرجل فتعتدل لهجته وتراجع نظراته • ولشد ما كانت دهشتى حين سمعته يقول :

— أنت •• أنت تصحح الأستاذ •• ؟

ما ينفعش الا الغلبة اللي زيكو ، انما أولاد الناس الطيبين يروحوا انبلد يلاقى الواحد منهم الفرس مستنيه ••

ماذا أقول ؟

الحقيقة انى وقعت فى حيرة عاصفة •• لقد تملكنى شعور بالغضب والغضب هل أعرف هذا الرجل بأهلى وقومى •• هل أقول له ان عندى فرسا فى البلد ينتظرنى كأولاد الناس الطيبين ؟ وتذكرت فى حيرتى صديقى اسماعيل صدقى الذى وعدنى فى هذا اليوم أن يمر بى ليصحبنى فى نزهة بالجزيرة أو دورة الجزيرة كما كان يسميها •

— يارب اسماعيل ييجى بعربية أبوه علشان أثبت للرجل انى
ابن ناس ..

ويضحك لطفى السيد وهو يقول : ولكن اسماعيل تأخر وانصرف
العمدة وضاعت الفرصة .

نسيت أذكر لكم أن العمدة اللبيب انما جاء ليطلع « كرت فزيت » .

* * *

وانتقل الحديث من موضوع الى موضوع فلما بلغ قدماء المصريين
حلق وشمخ :

كم كانت فرحتى عندما نصب المسئولون تمثال رمسيس فى ميدان
المحطة .. انه ليس تمثالا فحسب .. انه جزء من مصر .

ثم التفت الى وقال :

« أليس كذلك يا ابنتى ؟ »

— نعم انه كذلك .. ان مصر لا تتجزأ فى عيوننا ، فى ضميرنا ..
فى قلوبنا . ان مصر فى احساسى هى مصر الفرعونية ومصر القبطية ومصر
الاسلامية ومصر الحاضرة على السواء .. لا نستطيع أن نتخلى عن يوم
واحد من أيامها .. عن لحظة واحدة من تاريخها .

وتهلل الرجل الكبير وأشرق وجهه بنور غامر وهو يهتف :

— أنت مصرية .. مصرية أصيلة .. ما أهنا قلبى بجيلكم .. كان
قومنا فى وقت من الأوقات لا يذكرون الفراعنة الا فى مجال الفخر ..
كل وظيفة الجدود فى نظرهم تغذية العزة القومية فحسب .. حين يقتضى
انحدارنا منهم ، الشعور بهم شعورا مستغرقا يملأ علينا جوانب نفوسنا
ونعمق له نحن فيها .. شعور الحى بذاته .. شعور المصرى بمقومات
وجوده .. شعور الوطنى بأعراق ماضيه .

عصره — بيته — مولده — أبواه — أسوان —
طفولته — المرض — مقومات شخصيته (فرديته —
عصاميته — ارتفاعه على التقليد) — حرية الشيوعية
— ثورته على الشعر العربي التقليدي — مقاييسه الفنية
— العبقریات واحترامه للانسان — العقاد وديوان
الأوقاف — ساعات بين الكتب — الانسان الثانى
— مجمع الأحياء — نفوره من الوظائف — تحديه
للاستعمار — تاريخه معه — تاريخه فى الصحافة —
تاريخه فى التدريس — تاريخه السياسى — حرية
الملكية — سجنه — رفضه المناصب — اللغات
الملكية — سجنه — رفضه المناصب — اللغات التى
علمها نفسه — أسلوبه — تعدد جوانبه ومواهبه —
العقاد شاعرا — الدكتور طه حسين يقول (لا أؤمن
فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما أؤمن بالعقاد)
— لازماته فى الكتابة — العقاد والمرأة — ظاهرة
النور فى أدبه .

لقد رأى العقاد عظمة شكسبير أعجوبة خارقة ورآه كاتب الأعاجيب
وان لم يكن في سيرته خبر غريب • ولكن العقاد أعجوبة خارقة في
سيرته وفي أعماله على السواء • فقد ولد شكسبير في عصر يعين على نماء
البذرة الكامنة في صاحب الموهبة وازدهارها • كان عصر شكسبير في إنجلترا
عصر الفن والمسرح والغناء ولكن العقاد ولد في عصر تكتنفه في مصر ،
الظلمات من كل ناحية • ففي السياسة احتلال يكبل الحريات ، وفي الأدب
عفن يجمد الأقلام ، وفي المجتمع ركود في كل شيء تختنق فيه العبقرية
إلا إذا ظهرت من نفس صاحبها إرادة ماردة تتحدى وتتخطى وتستعلى
على الأحداث ، والناس ، واليأس ، والجحود ، كما فعل العقاد •



منيت مصر بالاحتلال سنة ١٨٨٢ وولد عباس محمود العقاد في
٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ • وكان مصر بعد الغاشية ولدت من جديد • فإن
وليد أسوان كان حدثا ضخما في حياتها هز فيها كل شيء : الأدب والسياسة
والوزارات والأحزاب والملك نفسه •

وإذا كان زمن المولد لا ينبىء بمستقبل الوليد فإن مكان المولد ببيئته
الخاصة والعامة يصلح ركيزة للشخصية الفريدة الواعدة • • ركيزة فحسب
تمده بالعرق أو بالفطرة أو بالعوامل المساعدة بما يعينه على قطع الطريق
الملىء بالجلاميد الى أعلى القمم في تاريخ الفكر المصرى والأدب المصرى
والخلق المصرى والشخصية المصرية بكل ما يدخل في مضمون هذه
الكلمة من وراثات التاريخ وصفات الانسان على هذه البقعة من الدنيا
ذات الأسرار •

ولد العقاد في بيت عرف صاحباه بحب العزلة وطول الصمت والتقى •
فقد كانت أمه من أسرة تنسب نفسها الى النبی صلى الله عليه وسلم •
وسواء أصبحت هذه النسبة أم لم تصبح فإنها تضيف على القائلين بها جوا
خاصا يليق بها • وهذه السيدة التى ولدت لمصر موسوعتها الحية كانت

لا تعرف القراءة والكتابة إلا أنها **بالغة الذكاء** خاصة في المسائل الرياضية : **هازمة** حتى لقد كان الأهل يطلقون عليها « المشدة » وهو مقدم الفعله الذى يسوقهم بالقوة الى العمل ، دعوب ، ولوع بالنظافة ، حريصة عليها ، وعن هذه الأم أخذ العقاد الجانب الذهني كما أخذ ملامح الوجه •

أما والده فقد كان على رزانة فيه ، يؤدي عمله بلا إفراط ذكاء • كان أمين المحفوظات بأسوان • وكانت في عهده مستندات أملاك مديريتى اسنا وأسوان اللتين هجرهما أهلهما أثناء حرب الدراويش مخلفين وراءهم أموالهم ثم عادوا • فكان الحصول على سند ملكية يهون لدى صاحبه في سبيله أى ثمن ومع هذا تعفف الرجل فلم يستغل وظيفته ، ومثل هذه الظروف محك لأخلاق الرجال •

وبهذه الصفات المميزة استطاعت هذه الشجرة المباركة أن تتمكن لنفسها في وادينا العجيب الخصب فثبت أصلها في الأرض وبلغ فرعها السماء بما غذيه من مواهب العقل والقلب وصفات الاصرار والصبر ، وسمات التعفف والترفع والاباء حتى اجتمع له من صفاته النوابع شعور بالمناعة يبلغ حد العجب أو الخيال •



ونشأ العقاد في مدينة يلتقى فيها الماضي السحيق بالحاضر • ففي أسوان خاصة في الشتاء تلتقى أحدث صور الحضارة الحديثة بآثار الماضي العريق لا في المتاحف وحدها بل في البيوت فالحياة هي الحياة والوسائل هي الوسائل كأن كل شيء ثابت في مكانه لم يتحرك إلا الزمن •

وفي ملتقى الحياتين شب العقاد • فتح عينه الطفلة على الفتاة الباريسية والليدى الانجليزية ثم المرأة الأسوانية المحجبة حتى ليعز على المرء أن يعرف أمه في الطريق • وهو وإن لم يعط هذا النقيض أهمية في

طفولته إلا أنه قد لمس في سن الوعي وملاؤه عليه احساسه • فقد منحه بسطة في الأفق كما أعطاه قابلية الاحساس بسعة الحياة • وطبعه على الاستعداد للتقابل وعدم الاحساس بالتنافر •

ومرة أخرى تظهر مدينة أسوان في الصورة التي تراها وتقرؤها وتلمسها عيوننا اليوم • فلما كانت مدينة سياحية بل مشتى عالميا فقد غصت بالمكتبات لمنفعة السائحين وهى بالطبع عامرة بكتب الآثار والتاريخ والقصص والمجلات • فكان العقاد يتردد عليها ويعب منها ما وسعته الطاقة والرغبة • وكان ذا نفس طلعه يندس بين السائحين ويتحدث اليهم ليمرن على الكلام بالانجليزية • وقد مكن له من طلبته أيضا المجالس المختلطة التي كان يدعى اليها • فقد كان بعض الأجانب ممن يزورون معالم المدينة يدعون ناظر المدرسة والطلبة المتقدمين فتسنى للعقاد في حديثه أن يجالس صفوة الأجانب رجالا ونساء • ولاشك أن الأمر هاله بادية ذي بدء ولكنه واجه الموقف واستفاد منه •

يقول العقاد عن أسوان في مذكراته :

« كانت البلدة التي نشأت فيها بلدتي أسوان بأقصى الصعيد ، يكاد الناشئ في مثل سنى أن يأوى الى صومعة من صوامع الفكر يقلب فيها وجوه النظر في كل ما يسمع أو يبصر من الشؤون العامة ، بغير تضليل أو تهويل •• وتهب الزوبعة القومية فلا تفاجئنا في وسط غبارها لتعمى البصائر عما فيها ، ولكنها تقترب منها رويدا رويدا فلا تصل إلينا حتى تتكشف على جلاء » ••

يضاف الى هذا كما يقول العقاد حالتان طارئتان على أسوان — في ذلك الحين — لم تجتمعا لبلد من بلدان السياحة • هما حملة السودان وبناء الخزان •

ففى أثناء حملة السودان كان الحاكم العسكرى ومحافظ المدينة

وقاضى المحكمة وقادة الفرق الموزعون على المصالح طائفة من الانجليز
العسكريين أو المدنيين لا يعرفون العربية • وكان كل بيت فيه « ولد من
أولاد المدارس » مرجعا نافعا لقراءة الأوراق الرسمية أو ترجمة العرائض
الى « الحكام » على حسب الاجتهاد • وكان « نصف الفرنك » نفحة
سخية يحصل عليها « الولد » المترجم الذى يستطيع أن يخط فى الورق
بضعة سطور تدل على معنى من المعانى مفهوم بالاشارة أو التخمين •
فأما « الولد » الذى تتكرر الشهادة له بحسن الترجمة فنصف الفرنك قد
يصعد فى معاملته الى نصف ريال ، ويزداد التقدير مع زيادة القرابة أو
الجوار •

أما بناء الخزان فقد جلب الى المدينة مئات من المهندسين والخبراء
والمفتشين يقرأون الصحف الافرنجية طوال العام ، ويدفعنا حب الاستطلاع
الى النظر فى هذه الصحف وفى صحف السائحين ، فلا يفوتنا « مع تتابع
النظر » أن نعرف أقسام الصحيفة وعناوينها وأماكن البرقيات والأخبار
منها ، وأن نختطف عبارة هنا وتعليقا هناك فلا يخفى علينا معناها بالمقابلة
بعد المقابلة أو بالتصحيح بعد التصحيح • • »

« آخر ساعة العدد ١١٩٣ — ٥٧/٩/٤ »



نستطيع أن نقول فى العقد ما قاله فى كتابه عن برناردشو من أن
نشأته فى أسوان (ونشأته فى أسرته ، ونشأته من أبويه ، ونشأته فى
جبله السياسى ، ونشأته فى جيله الثقافى — كل أولئك على صلة وثيقة بعنصر
من عناصر حياته ، أو عنصر من عناصر استعداده وعمله فى حياته الفنية
والثقافية) • هذا الفتى الذى صنعته أسوان على عينها رفض طفلا أن
يلبس البنطلون القصير كما رفض وهو فى السابعة من عمره تلميذا صغيرا
أن يدعو المعلم باسم « عباس حلمى » كما جرت عادة أهل ذلك العهد الذى
كان الطفل فيه لا يذكر اسم أبيه بل يطلق عليه أحد الأسماء التقليدية

حلمى-صبرى-لطفى — شكرى (على حسب المطابقة لأسماء المشهورين
أو الموافقة لجرس اللقب ورنينه فى الأسماع) •

وهكذا عرف الطفل فى العقاد • الرفض ، مبكرا • عرف الاعتزاز
بالنفس والاعتداد بالذاتية هذه الصفات التى رسمت طريق حياته ••
وحياتنا بالتطلع اليه والاستمداد منه والتأسى به •• بل لعل موقف
طفولته البطولى بالنسبة الى سن السابعة وبالنسبة الى الشائع بين لداته
مما لم يجز عليه ولم يقبله يفسر قوله عن نفسه صادقا فى (سارة)
(أنه مطبوع على أن لا يعلق قيمته فى معارض الفخر والمباهاة على رأى
انسان من النساء أو من الرجال) • وهو جبروت لم يتخل عنه حتى فى
السجن ، عالم السدود والقيود ! • دخل العقاد السجن فجعلت نفسه
الماردة — وهو ما لم يسمع به من سجناء • (العالم الخارجى جزء لاحقا
بالسجن مضافا اليه) ويرى العقاد تلك الشيمة فى النفس — الانسانية •
والحقيقة أن (الشيمة) لا يقدر عليها الا نفس العقاد •• هى وحدها التى
تستطيع أن (تنقل مركز الكون كله الى حيث تكون) •



وفى مطلع حياته كان يقرأ كرفاق صباه صحف عبد الله النديم ولكن
على طريقته هو (ولفنتنى العناوين البائرة فقرأت كل ما وجدته من
صحف النديم ووجدتنى ذات يوم أقطع الورق قطعا على قدر المجلة وأعمد
الى مكان العنوان منها فأكتبه متأنقا وأعارض عنوان « الأستاذ » بعنوان
(التلميذ ») هنا تطل شخصيته •• تطل الذات لتأخذ (موقفا) فى
موقف يغلب فيه التسليم والاتباع •

(أما المقالة الافتتاحية فقد كانت أيضا من قبيل المعارضة لمقالة من
أشهر المقالات التى تردد صداها زما فى البيئات المصرية ، وهى المقالة التى
جعل عنوانها « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » وافتتح بها الجزء الثانى
والعشرين من السنة الأولى •

فكتبت مقالى الافتتاحى وجعلت عنوانه « لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم » •

ومرة أخرى تطل الذات العقادية الشموس فيستشرف الى أبعد من هذا الى اللامحدود ولا يرى نفسه تلميذا في مدرسة النديم ولا يشعر بأن (الرجل قدوته المختارة بين أمثلة النبوغ التى يتمناها أو بين « الشخصيات » المثالية التى يجلها ويحب أن ينتمى إليها) • على أن الرجلين يلتقيان فى أكثر من وجه شبه فكلاهما تعلم صناعة التلغراف ، وكلاهما اشتغل بالتعليم فى مدرسة خيرية وكلاهما طورد من البوليس وتنكر مستخفيا •

ولكن الأمر لا يعدو وجوه الشبه التى تصنعها المصادفات أو مقارنات الكتاب فى معرض التأريخ وكتابة السير • فان العقاد يمتد امتناعه على الاقتداء فينسحب على غير النديم حتى ممن يفوقونه فليس بين العظماء السابقين واحدا اتخذ منه العقاد مثله الأعلى على اعجاب بهم وتقديره • وان تأثر التأثر الذى يفرضه ، ولو بدون وعى ، الاعجاب والتقدير ، خاصة ، فى مطلع حياته حين كان يحتفى بقراءة كارليل ، وماكولى ، وهازلت ، ولى هنت ، وأرنولد وغيرهم من أئمة المقالة فى القرن التاسع عشر •• وترك هؤلاء انطباعاتهم عليه فترجم عنهم حيناً وترسم نهجهم حيناً آخر فيما كتبه عن أدباء العرب والفرس ومسائل النقد والتعليق •

واذا كان العقاد لا يطيب له أن يكون هناك أشخاص فى حياته يجرى ذكرهم فى قلمه أو يعرض حديثهم على لسانه فلعلها من الموافقة التى تلتقى فى الهوى على غير خلاف أن نذكر فى باب المؤثرات شيئاً يحسب له لا شخصاً يحسب عليه عند الرجحان • والشئ الذى كان له فى حياته مكان أو أثر هو المرض الذى ألم به فى فجر شبابه وان لم يذكره العقاد بل لعله يخصه باغفال ، — ومع هذا يرى له كاتب كالأستاذ محمود تيمور (الأثر الأعظم

في تكوين حياته وابرار طابعه) — فقد اضطره المرض أن يحيا حياة
عزلة واعتكاف ، فانفسح المجال لميوله الأدبية كي تشبع نهما الى القراءة
والدرس في ذلك المعزل •

وكان من أثر الاحتجاز في صومعة القراءة والدرس أن تمكنت في
خصائص (العقاد) ملكة التأمل في الحقائق ، والتعمق في الأفكار ، فاكتست
فصوله تلك الصبغة ، من أسلوب رصين وتفكير دقيق ، واحاطة شاملة •

وهذا المرض كان من أثره أن استقر في قلب (العقاد) حب الحياة
والتشبث بها والكفاح في سبيلها ، فانه لما واتاه الظفر في عراك المرض
ازداد تعلقا بالحياة ورغبة في التمتع بأطايبيها ، فكرم نفسه ونعمها ما وسعه
التكريم والتتبع فلم يجمع العقاد مالا ولم يدخره بل أنفقه على فكره وعلى
نفسه وعلى من يلوذ بحماه • وكان من عقبى ذلك الظفر أنه أورثه زهوا
وعزة ، وثقة بالنفس ورهافة شعور بالكرامة ، وأزكى بين جنبيه نزعة
المغالبة والمصاولة والاصرار • فتجلى في حياته وفي انتاجه هذا اللون من
القوة والصراع وصلابة القناة فكان بصفاته الفريدة حدثا ضخما في حياته
وفي حياتنا • كان العقاد يذهب الى رئيس الحكومة ومجلس الوزراء منعقد
فيخرج من الاجتماع للقاءه في مواعده لأنه يعرف خطر موعد العقاد •

كان دقيق التفكير • • دقيق النظام • • دقيق الموعد • • دعاه نائب قنا
ثم تأخر عن استقباله بالمحطة فلم يغادرها العقاد انتظارا للقطار العائد
وعبثا حاول الرجل استرضاءه • فلما أعينته الحيل نقل سراقق الاحتفال
الى المحطة حيث هو •



وتقديسه للذاتية هو الذي جعله يرفض تعريف ابن خلكان لشاعره
الأثير ابن الرومي مع ما في ظاهر هذا التعريف من مدح بالغ في رأى كل عين
الأعين العقاد ، (فالنظم العجيب والتوليد الغريب والغوص على المعاني

النادرة واستخراجها من مكانها وإبرازها في أحسن صورة واستيفاء المعنى حتى لا يبقى فيه بقية) كل هذا مما يبهر القارئ ، يراه العقاد ناقصاً بل الناقص فيه هو المهم وهو الأجدر بالتتويه كما يقول • فالغوص على المعانى الخ • • لهو ولعب فارغ كلعب الحواة والمشعوذين إن لم يكن صاحبه صادق التعبير مطبوع التمثيل والتصوير • **إن المزية الكبرى للشاعر إنما هو الطبيعة الفنية** (هى تلك الطبيعة التى تجعل فن الشاعر جزءاً من حياته أياً كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ومن الثروة أو الفاقة ومن الألفة أو الشذوذ • وتتمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئاً واحداً لا ينفصل فيه الإنسان الحى من الإنسان الناظم • وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره وموضوع شعره هو موضوع حياته ، فديوانه هو ترجمة « باطنية » لنفسه يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان ولا يخفى فيها ذكر خالصة ولا هاجسة مما تتألف منه حياة الإنسان) •

والشعر الجيد يساوى عنده الطبيعة الفنية (أما المعانى والتوليدات فهى وسائل إلى غاية لا قيمة لها إلا فيما تؤديه وتنتهى إليه • ويستوى بعد ذلك من أدى إليك سريرة نفسه بتوليد وإغراب ، ومن أداها إليك بكلام لا إغراب فيه ولا توليد) •

فالشعر من الشاعر (هو إهابة الموصول بعروق جسمه المنسوج من لحمه ودمه وليس لباساً للزينة فى مواسم الأيام ولا لباساً يلبسه للابتذال فى عامة الأيام) •

حتى الصحافة لم تستطع أن تجنى عليه جنايتها على الأدباء فظل أسلوبه له طابعه الذى لا يتغير طابع الدراسة والاستقصاء والتمحيص • وهذا صدى لفرديته واعتزازه بذاته حتى لتغلب شخصيته فلا تطغى عليها شخصية أخرى فردية أو معنوية • • إن الصحافة تغلب بالكثرة وهو معتكف متعمال منفرد •

ومما يتصل بصفة « الذاتية » عند العقاد ، إيمانه بالإنسان •
فالعقاد الكاتب السياسى الذى هز الوزارات والعروش كان لا يرى رأى
من يبررون القتل السياسى وكان يأخذ على الشيخ جمال الدين الأفغانى
أنه أوعز بقتل الشاه •• روى لى مرة أنه شاهد فيلما يقضم فيه Atila
زور عدوه فتقزز من المنظر حتى لم ينم ليلته فلما وقعت حادثة دنشواى
هزته هزاً عنيفاً تضاءلت معه بشاعة هذا الحادث حتى خيل إليه أن
انجلترا لو تجسمت لقضم زورها كما فعل Atila تماماً • لقد كان
وقت الحادث فى أسوان حين طلعت عليهم اللواء بهذا العنوان (يا دافع
البلاء) • والتفوا حول الجريدة أربعة يقرأون فأغمى على أحدهم وانخرط
الباقون فى البكاء • لقد سمعته يقول أن دنشواى أصابته بصدمة لم تتكرر
فى حياته • ومع أنها حادثة فردية وهناك من الحوادث القومية ما هو
أضخم منها ، ولكنها من الناحية الإنسانية كانت تثيره وتفزعوه وكان
يتناولها بمنطقه المعهود وعقله الثاقب فىرى أن الاعتزاز بالقوة إلى حد
استباحة كل شىء ، يجرح كرامة الإنسان (١) • وكان العقاد مؤمناً
بالإنسان إيماناً يبلغ حد التطرف والمغالاة من حفاظ على الكرامة
والشخصية جعله يغضب من التلويح البعيد غصبة إنسان آخر مما يجرح
أو يسوء • وكان تقديس العقاد للإنسان وتقديسه للفرد وتقديسه للذاتية
وراء الكثير من آرائه وكتابات بل لعله مفتاح أشياء كثيرة عنده :
فتمجيده الديمقراطية التى تكفل حرية الفرد وأهم ما فيها عنده (أن
يشعر كل فرد وكل فريق بأنه صاحب رأى فى حكومة بلاده وبغير ذلك
لا تتحقق له مزية) فالديمقراطية بلغت الحاسمة الحتمية (إما أن تكون
ثقة شعبية أو لا تكون شيئاً) وحيثيات هذا الحكم العقادى يفصله تفصيلاً
كتابه (الحكم المطلق فى القرن العشرين) •

(١) ومع هذا كله لم يهزه جلاء الانجليز ليقينه منه • لقد كان فى لجنة
الدفاع سنة ١٩٤٨ وأثارت اللجنة موضوع بناء الثكنات للجيش المصرى فعارض
العقاد الفكرة وكانت حجته الناطقة أن ثكنات العدو ستخلو قريباً •

وحربه الشيوعية إذ يستحق كما يقول في كتابه (أفيون الشعوب) أن يسمى مذهباً هداماً كل مذهب يقضى على جهود الإنسانية في تاريخها القديم والحديث ولا سيما الجهود التي بذلها الإنسان للارتفاع بنفسه من الإباحة الحيوانية إلى مرتبة المخلوق الذي يعرف حرية الفكر وحرية الضمير .

ثم ثورته على الشعر العربي التقليدي ومعظمه مدح بل إغراق في المديح والتبعية يمسح شخصية الشاعر ويذيبها في شخص ممدوحه ، وهدر القيم الفنية أثناء هذا لأن الفن عند هؤلاء وسيلة لا غاية .

وتقديره (العبقریات) أى التفرد أى الامتياز الخاص ومقاييسه الفنية . بل إن الإسلام نفسه لم يأت تفضيله له كما ذكرت إلا باعتباره العقيدة المثلى للإنسان منفرداً أو مجتمعاً وعاملاً لروحه أو عاملاً لجسده وناظراً إلى دنياه أو ناظراً إلى آخرته ، ومسالماً أو محارباً ، ومعطياً حق نفسه أو معطياً حق حاكمه وحكومته أى أن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية مما فصله في كتابه (الإسلام في القرن العشرين) هو المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية وهو المزية التي توحى إلى الإنسان أنه (كل) شامل فيستريح من فسام العقائد التي تشترط السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق .

والقرآن كتاب الإسلام من مزاياه الواضحة الجديرة بالاعتبار مزية (التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف) والتفكير فريضة إسلامية أى الذاتية أى احترام الإنسان .

(وحين يكون العمل بالعقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله ، أو خوفاً منه ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات وتتعاقب مع الأجيال) (١) .

(١) كتاب التفكير فريضة إسلامية .

كل هذه الخطوط الكبيرة في شخصية العملاق الذي خلد إلى أسوان •
وخلد فيها تنبع من حقيقة كبرى تملأ عليه نفسه ، وهى تقديس الانسان •

* * *

وعقيدة احترام الانسان ، اقترنت في رأيه وضـميره بالكرامة
الشخصية فزهده بل نفرتة من الوظائف الحكومية التى تولاها والتى
كان سرعان ما يضيق بها • فحين عثـن بالقسم المالى بادیء الأمر فى
مديرية الشرقية فكر فى الاستقالة لينشئ صحيفة اختار لها اسم « رجع
الصدى » ثم عدل عنها •

وفى الفترة ما بين ١٩١٢ ، ١٩١٤ التى عمل فيها بديوان الأوقاف لم
يكن راضيا كل الرضا مع أن عمله فى قلم السكرتارية من ذلك الديوان
كان مزيجا من الصحافة والوظيفة • وكان (ديوان الأوقاف فى تلك
الحقبة مجمع الأدباء والشعراء من شيوخ وشبان • كان فيه محمد
المويلحى وأحمد الأزهرى صاحب مجلة الأزهر وأحمد الكاشف وعبد
الحليم المصرى وعبد العزيز البشرى وحسين الجمل واخوان هذا الطراز)
ومع هذا ما إن فاتح حافظ عوض ، العقاد ، فى الاشراف على صفحة
الأدب بصحيفة المؤيد حتى سارع الى القبول • على أنه لم يلبث أن
استقال لسمة من سمات الكرامة فى نظره وتقديره وكانت استقالة رابحة
فقد خلا بعدها الى القراءة والتأليف •

ويصف العقاد هذه الفترة بأنها كانت موسما خصبا حقا بثمرات
التأليف (لأننى انتهيت من كتاب : « ساعات بين الكتب » فى نحو
خمسائة صفحة ، وأودعته ثمرة الاطلاع والتأمل فى أهم مذاهب الفكر
الحديث • وأولها مذهب داروين ومذهب نيتشه السوبرمان • وهذا
الكتاب الذى ظهر بعد ذلك باسمه وأعيد طبعه مرات ، لأن « ساعات بين

الكتب » التى كتبتها فى أسوان ضاعت مرتين ولم يبق منها غير خمسين أو ستين صفحة •

وفرغت من كتاب غير الساعات ، عن المرأة سميته « الانسان الثانى » ولم يبق منه كذلك غير صفحات •

وأتممت رسالتى « مجمع الأحياء » تلخيصا للكرء فى فلسفة النشوء وفلسفة القوة وفلسفة الفطرة التى تهذبها الرياضة النفسية والاجتماعية ، وهو الكتاب الوحيد الذى تم ونشرته تماما بعد تأليفه بفترة وجيزة •

ونظمت فى هذا المرسوم الأسوانى أكثر من نصف قصائد الجزء الأول من الديوان ومنها قصيدة دالية مطولة نبذتها بعد ذلك لأنها تعبر عن دفعة من دفعات الفكر لم يبق لها فى نفسى سند سليم ولا مسوغ مقبـول (١) •

ولعل كرهه للوظائف وعدم استعداده الطبيعى أو الخلقى لها هو الذى أقنعه بعدم التأهيل لها بمؤهلاتها التقليدية من شهادات كانت فى زمانه ، خاصة لا تقصد فى الأعم الأغلب الا لما تهيئه لصاحبها من وظيفة تنسبه الى الميرى وتحسبه عليه • فاكتمى العقاد من مدرسة الدولة بالشهادة الابتدائية حين لم يقنع من مدرسة الحياة بما هو أكبر بكثير • فظل حياته طالبا فى تلك المدرسة وأستاذا بها يتعلم عليه فيها حملة الإجازات بمختلف مراتبها وألقابها •

وهذا القلم الذى استقر نصف قرن بين أصابع العقاد فى ثبات واعتداد كان له درعا وكان له سلاحا فحين نشبت الحرب العالمية الأولى ومست أسوان بالتجنيد الاجبارى والاعتقال المتكرر والاتاوات لتعلمات

ملفقة ، شهر العقاد سلاحه الخاص : القلم • فكتب ونشر في تحدٍ ظاهر هو سمة من سمات العقاد حتى أن السلطات عندما نفت ناظر مدرسة المواساة إلى جزيرة مالطة تعتمد أن يشغل مكانه (تحدياً للأمر) كما يقول •

ويبدو أن التحدى أفاده هذه المرة فإن مدير الإقليم حين ضاق به تعذر عليه نفيه إشفافاً أن يقال أنهم يضطهدون المدرسة الإسلامية الوحيدة في البلدة وإن احتال للأمر فصدمه بمفتش الداخلية الإنجليزي حتى اضطر العقاد أن يرحل من أسوان متنكراً • ولكنه لم يكف عن حربهما حتى أودى بهما في النهاية • فإنه لم يكذباً أرض القاهرة حتى لاذ (بجعفر والى باشا) وكان صديقاً • وكان في ذات الوقت وكيلاً للداخلية فكان يصطحبه كل يوم إلى مكتب المستشار ليشهده على كذب التقارير ضده التي تفد كل يوم من أسوان منذرة بخطر وجوده في الإقليم ، مما أدى إلى إحالة المدير إلى المعاش قبل موعد الحركة الإدارية فخرج من أسوان ولحق به المفتش • ومن الطريف أن المدير الذي خلفه كان يدعى « مقبل باشا » • فأبرق العقاد إلى أصدقائه في أسوان يقول :

شر مدبر وخير مقبل

* * *

وحين كان العقاد يعمل في وظيفة بمصلحة الإيرادات بقنا — وهي مركز أدبي قديم — أنشأ مع أهل الأدب بها — جمعية أدبية كانت تجتمع يوم الخميس من كل أسبوع في مبنى الكنيسة باتفاق مع قسيسها البروتستنتى •

ثم خلف الصعيد وسافر إلى القاهرة وعمل بالكتابة والصحافة • وتاريخ العقاد في الصحافة يبدأ بصحيفة « الدستور » التي أصدرها الأستاذ « محمد فريد وجدي » منذ نصف قرن • فقد كانت أول صحيفة يومية عمل في تحريرها وأول صحيفة أيضاً واظب عليها • فقد عمل بها من العدد الأول إلى العدد الأخير مضطرباً بنصف أعباء التحرير والترجمة

والتصحيح وتهذيب الرسائل والأخبار • فقد كان هو المحور الوحيد مع صاحبها •

وقد كان العقاد يوقع مقالاته الأولى باللقب وبالحرفين الأولين من اسمه :

« ع • م العقاد » متأثراً بالمجلات الأجنبية التي كان يقرأها • ومن الطريف أن هذا لفت إليه النكتة المصرية فكان رفقاؤه يسمونه « ع-م العقاد » ويتفكهون « ماذا تقول يا عمنا » • الخ ••

ولكنه في سنى الحرب انصرف أكثر وقته إلى التدريس • ولكن علاقته بالصحافة لم تنته وان كانت قليلة متقطعة على تعدادها وتنوعها • فقد اتصل بألوان من الكتابة الصحفية أتاحت له الوقوف على طرف من أسرارها وخباياها • وفي هذه الفترة كتب إلى المجلات الشهرية والصحف الأسبوعية كما اشتغل بالصحافة اليومية في غير القاهرة •

وقد عمل العقاد رقيباً نزولاً على رغبة « جعفر والى باشا » وكيل الداخلية • ولكنه لم يلبث أن اصطدم بالرقيب العام مستر « هور تيلور » في ذلك الوقت فألقى إليه باستقالته ولما يمض عليه غير أسبوع •



ثم اشتغل بالتدريس في مدرسة وادى النيل الثانوية على مقربة من مكتبة المقتطف والمقطم حيث كان يكتب في فلسفة المعرى وفلسفة شوبنهاور مقارنة بينهما • وقد استدعاه ذات يوم الدكتور يعقوب صروف واقترح عليه الرحلة إلى الخطوط الأمامية في صحراء سيناء ليصفها بثأ للطمانينة في النفوس • ولكن العقاد رفض لأن الدفاع في ذلك الوقت كانت تقوم به دولة الحماية وهو يناوئها •

ثم انقطعت به الأسباب حيناً قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى

فأوى الى بيته الذى اختاره بحى الإمام الشافعى متعمدا ليكون بعيدا عن القاهرة بتكاليفها ، فلم يكن يفد عليها إلا مرة فى الاسبوع هى : يوم السبت • وفى إحدى هذه الزيارات علم أنه مطلوب للتحريض فى صحيفة « الأهالى » بالاسكندرية •

وكانت « الأهالى » إحدى ثلاث جرائد كانت شبيهة بالرسمية • فقد عمل على إنشائها « محمد سعيد باشا » رئيس الوزارة فى ذلك الحين لتكون لسان حاله • ومن الطريف أن اسمها هو الاسم نفسه الذى كان إسماعيل أباطه باشا يصدر به صحيفته • وقد وقع الاختيار على هذا الاسم بذاته (لأن اسم « الأهالى » يقابل اسم « الشعب » واسم « الأمة » مصبوغا بالصيغة التى تدل على معنى « الرعية » ولا يفهم منها معنى المقاومة والثورة كما يقول العقاد •

ولما شرعت صحيفة (الأهالى) فى مهاجمة الرأى السياسى الذى كان يتشيع له العقاد ، تركها وعمل بجريدة الأهرام حيث كان يدافع بقلمه عن القضية المصرية • وقد حدث عندما أعلن ملنر بلاغه أن ترجمته الحكومة فى بلاغها الرسمى (أن الغرض من التحقيق اعطاء الاستقلال « تحت أنظمة دستورية ») وشايعتها الصحف بايعاز منها ما عدا الأهرام فقد رأى العقاد هذه الترجمة مدلسة وانفرد بترجمتها « تحت أنظمة حكم ذاتى » • حدث هذا فى ظل الأحكام العرفية • وكان هذا النزوع إلى اشهار الحقيقة والبر بها ، أحد الأسباب التى عرضته للنفى يوما •



كما حارب العقاد الملكية فى مصر بلا هوادة من أجل الدستور وإرساء قواعد الحياة النيابية • فقد حدث أن سلم عبد الخالق ثروت الدستور للسراى حيث ظل بلا إعلان لأن الملك فؤاد كان يريد أن يسقط من الدستور عبارتين أولهما (الأمة مصدر السلطات) ، والأخرى (الوزارة مسئولة أمام البرلمان) • وفى سبيل هذه الغاية حاول إستمالة بعض

إما أن يستزيد وإما أن يزيد .. رفيقه في العمر كتاب هو قارئه أو هو كاتبه فليس غـيره على الحاليين صاحب وخدين •

وقد أوتي العقاد الكتابة بكل ملكاتها ومواهبها ففاض بالشعر وتوسع في المقال والنقد والتاريخ .. واللغويات والدين والفلسفة والعلوم وعالج القصة • وبهذه المواهب المتنوعة المتعددة ، مصحوبة بالقدرة على التأمل النافذ من ذهن موسوعي استطاع العقاد كما يقول الدكتور عثمان أمين أن يفتح في عالم الفكر طريقا طويلا بلغ فيه بجده وصبره غاية قلما يبلغها مفكر واحد في عصر واحد •

ولما تنسك العقاد في مكتبته رفض المناصب وقد عرض عليه منها ما يخرى • عرض عليه سعد زغلول قبل موته أن يكون مديرا لدار الكتب فاعتذر • انه الاكتفاء الذاتي لو صح هذا التعبير في دنيا الأفراد • لكن العقاد أودع رفضه كل صفاته من جبروت وصرامة واعتداد واستعلاء وزهد في المناصب وما تضيفه .. إنه الأغنى بالقلم •

وهكذا عاش العقاد لقلمه وعاش به • • عاش ولوعا بالمعرفة الانسانية على اختلاف ألوانها • يخف إليها في مظانها • عصامي صنع نفسه على غير مثال في الرجال وثق طريقه في الحياة بسلاح الذكاء الفطري والموهبة الأصيلة التي يزيد بها الصقل والتجربة والطموح تألقا ومضاء •

وهو يجيد من اللغات غير العربية ، الإنجليزية إجادة تامة .. روى لى مرة إنه كان إذا كتب في العربية تمثلت الجملة في ذهنه لأول وهلة ، انجليزية ثم يخرجها على الورق عربية وذلك من طول قراءته للإنجليزية وتشربه لها • وإنه ليستعين بها على فهم الإيطالية والأسبانية اللتين يفهمهما بقدر ما هو مشترك بينهما وبين الإنجليزية •

أما الفرنسية فقد تعلمها أقصد علمها نفسه أثناء سجنه •

وفي الأدب العربي كان العقاد يؤثر من كتابه ابن المقفع وصاحب الأغاني ، ومن الشعراء ابن الرومي •

وعملاق الفكر العربي والأدب العربي كان أسلوبه بخصائصه المتميزة يمثله ويعلن عنه • **أسلوب العقاد** أسلوب منطقي يعتمد على المقدمات والنتائج حتى لتحس إزاء مقالاته أن أفكارها مرتبة ترتيباً يتميز فيه البدء والختام قبل أن يخط فيها حرفاً • وأدب العقاد كما يقول الدكتور عثمان أمين (أدب الفكرة الواعية في أرفع منازلها) • وقد كان ملاك الرأي عند العقاد في الفن والأدب هو أن (الفن والأدب وجدان إنسان ، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير ، وأن التمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير) (١) •

الصرامة والجد والتوقر طابع جلي في (أدب العقاد) شعره وترسله •

وأسلوب العقاد أسلوب علمي ما لم تغلب عليه طبيعة الموضوع إن كان أدباً خالصاً • الجملة عنده بنيان مرصوص • والكلمة في مقاله لها موقعها الذي لا موقع غيره يكفل لها الجلال والخطر ، فهو بحق إمام من أئمة العارفين بمقامات الكلام •

وهو لا يرتاح إلى الجمل المعترضة ومن ثم يدخلها في السياق • ويتحكم فيه السياق نوعاً ما حين يملأ عليه التعبير المختار أو يوحى به •

ومع ما لأسلوبه من الطابع العلمي إلا أنه يميل إلى الإيقاع ونهاية الفواصل في غير حشو أو فضول • وهو يؤثر المعنى على اللفظ وإن كان يستهويه السجع أحياناً في موضوعات التهكم والدعابة كما يختاره في الموضوعات الوجدانية وما إليها مما يلحق بالأغراض الشعرية • (فإن السجع ينبه الذهن إلى المعاني في هذه الأغراض ويزيدها جلاء وتوكيدا ،

كأنه اللحن الذى يضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ليست للكلام الذى يسمع بغير تلحين) •



وهو متعصب للفصحى ولا يقبل التساهل فيها ويرى أن الكتابة الإنسانية ، ما كانت باللغة الباقية ذات القواعد •

ولكن تعصبه للفصحى فى الحقيقة كان رد فعل للهجوم عليها من جهات عدة • وكان العقاد يرى (الحملة على اللغة فى الأقطار الأخرى إنما هى حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد احتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شئ يعنينا ، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير فى ضربة واحدة • لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم يبقئها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان) (١) •

ولم يقف العقاد عند هذا الحد بل انبرى يبرز المزايا العلمية لهذه اللغة فى كتاب كامل حين مست الحاجة إلى إبراز هذه المزايا غاية المساس لأنها فى يقينه (قوام فكر وثقافة وعلاقة تاريخية ، لا لأنها لغة كلام وكفى) (٢) •



وهو يزور عن النقد المتشائم ويعزف عن أصحابه • وإن كان لا ينكر على النقد أنه أصدق المذاهب على أن يداف فيه العطف وتمتج به الرحمة كالذى تطالعه العين فى أدب المعرى وشروبه نهور •

Huminity Sympathy

(١) كتاب (اشتات مجتمعات) ص ١٢٧ •

(٢) كتاب (اللغة الشاعرة) •

والعقاد في نقده يراه قوم متعصبا لرأيه ، فأفكاره قضاء من حقه التسليم • ونسوا أن أفكاره هذه ، حياته •• أنها زوجه والولد • أنها نور عينيه •• أنها دنياه وعالمه حين يفكر الآخرون ولكن ساعة من نهار ، أو سانحا من خاطر ، أو حتى اهتماما مقصودا ، ولكنه أحد اهتمامات كثيرة هي في مجموعها لا تلهيهم عن مناعم دنيا تعفف عنها العقاد وترفع عليها واستبدلها بعالم الفكر ومحرابه ليتعبد فيه ويتهجد وكأنه الكاهن حتحور كما كان يلقيه تلاميذه الصغار حين كان هو نفسه صغيرا في حساب السنين •• لا بل إن العقاد وحده جمع من الفراعين أصحاب البطولات المعدودة والأمجاد الباقية •

لـك أن تقول وأن تعيدا
صادفت من فيض مـزيـدا
تـروى مآثر واحد
وكأنما تـروى عديدا

اننى أتى بالتفسير للظاهرة الإنسانية العجيبة التى نسميها العقاد ثم انتهى بعد المطاف إلى وصفه هو لما أريد •• وما أحوجنى إلى وصفه هذا ، للعظمة ، لأصل إلى تعريف قريب لشخصه العظيم •• وبعض قوله فى هذا المضمـار فى كتابه (عبقرية محمد) يقول العقاد : (إن للعظمة خصائص تدعو إلى العجب ، وإن كانت معروفة الأسباب ، وناهيك بالعظمة التى ترتقى هذا المرتقى •

من تلك الخصائص أنها قد توصف بالنقيضين فى وقت واحد لأنها متعددة الجوانب فيراها أناس على صورة ويراها غيرهم على صورة أخرى وربما رأتها العين الواحدة على اختلاف فى الوقتين المختلفين •

ولأنها تبعث الحب الشديد كما تبعث البغض الشديد ، وبين الطرفين مجال للاعتدال يستقيم للراشدين ، ومجال للمغالاة من هنا وللمغالاة من هنـاك •

ولأنها عميقة الأغوار فلا يسهل استبطانها لكل ناظر ، ولا يتأتى تفسيرها لكل مفسر ووصفه هذا للعظمة ينطبق عليه ، فقد كان كابد سينا المعجبون به على الجملة أكثر من محبيه ، لأنه رزق أسباب الحسد من جميع نواحيه • فكان رجلا عظيم الذكاء عظيم الاعتداد بالنفس عظيم النشاط ممتلئا بالحياة (١) • لكنما كان يصف نفسه من خلال ابن سينا •

وأثر فنون المعرفة عند العقاد بترتيب :

* الشعر عربيا وأجنبيا وما يلحق به من نقد ودراسة •

* البحث فيما وراء الطبيعة •

* في العلوم •



لقد شارفت كتب العقاد المائة •

ومن عجيب أن هذه التحقيقات التي أغنت أدبنا وتاريخنا ، هذه الآفاق التي أحسنت إلينا ، أساءت إلى ربها شاعرا ! فشعر العقاد قيمة إنسانية كبرى بما أعلى من شأن (الإنسان) وليس شعرا عربيا فحسب • وكانت أحب صفات العقاد إلى نفسه صفة « الشاعر » • ولكن بحوره في الكتابة على اختلاف ألوانها غلبت صفة الكاتب وصفة المفكر وصفة الأديب • يضاف إلى هذا أن العقاد شاعرا يقتدر في أذهان الناس برفيقيه الشاعرين المازني وعبد الرحمن شكري عضوي مدرسة الديوان • والذي حدث أن المازني زهد في الشعر وخلص للنثر ، وشكري زهد في كل شيء : الشعر والناس والحياة ، وآخض إلى عزلة رهيبة أسلمته إلى العزلة الكاملة •

هذه العوامل مجتمعة ومتفرقة ألهمت الناس وأنستهم مالا يغفل

(١) كتاب (الرئيس ابن سينا) ص ١٧ •

عنه في مجال التاريخ والتقدير وهو مثالية العقاد في الشعر ، وتفرد العقاد في الشاعر • وقد سبقني إلى هذا القول الدكتور طه حسين الذي أعلن سنة ١٩٣٤ على الملأ : أنى لا أؤمن في هذا العصر بشاعر عربي كما أؤمن بالعقاد • ولم يقل الدكتور طه حسين وهو أعلم بمواطن الكلام هذا القول ، تحية مجامل فطالما تعارض الرجلان في الأدب وفي غيره مما تتشاحن فيه الآراء ، ولكنه قال عن علم رجل الأدب بالعقاد الذى خلق لنفسه بالدرس المتصل الطويل الذى لا يعرف حدا ، (قوة لم يعرفها غيره من شعرائنا ، قوة خاصة خارقة لا يعرفها شعراء العرب لأنهم من أقل الناس قراءة في هذا العصر • خلق العقاد لنفسه قوة شاعرة لا تجد لها نظيراً إلا في أوروبا حيث يلتبس الشعراء الفن لا في الأدب وحده بل في العلم وفي كل شيء آخر) •

وحين يحدد الدكتور طه حسين مكان العقاد في الشعر ومتى ؟ منذ ربع قرن يعلن مرة أخرى (أن المدرسة القديمة قد ماتت بموت حافظ وشوقي وأن المدرسة الجديدة — أى مدرسة العقاد — قد أخذت تؤدى حقها وتنهض بواجبها فترضى المصريين والعرب جميعاً فإذا الشعر الجديد يفرض نفسه على العرب فرضاً ، وإذا الشعور المصرى والقلب المصرى والعواطف المصرية أصبحت لا ترضى أن تصور كما كان يصورها حافظ وشوقي ، إنما تريد وتأبى إلا أن تصور تصويراً جديداً • وهذا التصوير هو الذى حمل الملايين على إكبار العقاد) •

لماذا أكبر الدكتور طه حسين العقاد وآمن به وحده دون غيره من الشعراء في هذا العصر ؟

(لأننى حين أسمع شعر العقاد إنما أسمع الحياة المصرية الحديثة) •

ثم لماذا ؟ (ثم لأننى إذا قرأت شعره مرة ومرة — لم أستطع أن أقول لنفسى : قد قرأت هذا الكلام من قبل أو أين قرأت هذا • أفى شعر الباحثرى أم عند أبى تمام أم سبق أبو نواس إلى مثل هذا الكلام ،

كلا • • إنما تقرأون العقاد فتقرؤنه وحده ، لأن العقاد ليس مقلدا ، ولا يستطيع أن يقلد ، ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته ، وشخصية العقاد فوق الفساد • خذوا ما شئتم من دواوين الشعراء المعاصرين الذين أكبر منهم كثيرين وأحب منهم كثيرين • أنا واثق أنكم لن تمضوا في قصيدة حتى تذكروا شاعراً من المتقدمين ، أو أن تذكروا شاعراً من الغربيين المحدثين ولكن انظروا في العقاد خذوا بيتاً من العقاد أو قصيدة أو مقطوعة فلن تروا إلا العقاد •

لقد وجدتني في هذا المقال منساقة إلى وصف العقاد بنوابغ الصفات مما قد يحمل على أنه تحية وفاء ما أضيّعنا إن لم نؤدّها ، أو إعجاب تلميذة بأستاذ عظيم ، ولكنني أصف العقاد مطمئنة إلى أن الوصف مهما بدا مغالياً أو ظنّ به الغلو والاسراف فإنه يجد سنداً من أعمال العقاد يدعمه ويزكيه فيغدو صحيحاً لا اسراف فيه بل يجد سنداً من أقوال أفذاذ لم تستطع المعاصرة أو المنافسة أن تحجب كلمة الحق أو حتى زهو الفخر واشتادة التقدير • • •



وكان العقاد يخطط لحياته فلا ينجز مشروعاً حتى يرسم آخر فلا يستريح بينهما إلا أسبوعاً • والراحة هنا معناها أنه يتخفف في القراءة فيختار الموضوعات الخفيفة والشيقة • فاذا فرغ الأسبوع الموعد شرع في وضع الكتاب الجديد • وكان آخر اهتماماته سلسلة أتم بعض حلقاتها • وهذه السلسلة كتب أربعة عن :

الله — الكون — الإنسان — الشيطان •

وقد أنجز العقاد منها كتابه (إبليس) وكتابه (الله) الذي احتشدت له ملكاته كلها • وبعد رحلته الفلسفية الطويلة فيه ، انتهى إلى القول بأن (الإيمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة • لأن الإنسان غير المؤمن إنسان

(غير طبيعى) فيما نحسه من حيرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه ، وإن الحس والعقل والوعى والبدئية جميعا تستقيم على الإيمان بالذات الإلهية ، وأن هذا الإيمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليقة يعقله المؤمن ويدين به الفكر ويتطلبه الطبع السليم) .

كما انتهى بحثه فيه إلى أن (العقيدة الدينية هى أقرب الفلسفات إلى المعقول وليس قصارى الأمر فيها أنه أمر تصديق وإيمان •

لا بد من وقفة فى كل تفسير للوجود •

فوقفة المؤمن أصح من وقفة الفلاسفة فى النهاية : كل ما هو محدود فقد يحيط به القياس ، ولا إحاطة بما ليست له حدود • « البارى » قديم سرمد لا يحده الزمان ولا المكان • ليس كمثله شئ • وهنا يحسن الوقوف •

لأنه عقيدة وكفى ؟

كلا ، بل لأنه منطق سليم ، ولأنها نهاية شوط العقول •

ومن مشروعاته فى الكتابة لو أن العمر امتد به ، الكتابة عن الغزالي وعن بعض الشعراء مثل توماس هاردى وهابنى •

* * *

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود يشبّه شعر العقاد بأنه (أقرب شئ إلى فن العمارة والنحت وأن القصيدة عنده بناء من الصوان ، والقلم فى يده هو أزميل النحات ، وأنه لا يصوغ قطعة من العجين اللين ولا يقيم بناء من الطين الطرى المطواع فلا الفكرة عنده قريبة المنال ، ولا المادة سهلة التشكيل • القصيدة عنده هى المسلة القديمة قدت من حجر الجرانيت لترسخ فى الأرض وترتفع الى السماء فها هنا العمق ... والسبب ...) •

إذا كان الدكتور الباحث يقصر هذا الوصف على شعر العقاد وهو

أكبر مجالى أدبه ، فإن هذا الوصف يصدق فى غير زيادة أو تحريف على أدب العقاد كله شعره ونثره على السواء • فكل كتاب للعقاد وراءه جهد دارس متعمق محيط • وكل كتاب للعقاد بصورته التى هو عليها من حيث التناول والصياغة ومادة الموضوع ونفاذ الرأى والتحليل (مسلة) قدت من حجر الجرانيت لترسخ فى الأرض وترتفع فى السماء • وليس بكتاب للعقاد ما احتوى على فكرة قريية المنال أو مادة سهلة التشكيل •

ولكن أقرب كتبه اليه كتابه (ابن الرومى) • إن بينه وبين الشاعر تجاوب الفن حتى ليراه فى النوم على صورة واحدة كما حدثنى مرة • • وهو يرى فى ابن الرومى شاعراً وصافاً لا نظير له فى آداب الدنيا على كثرة ما فيها من وصف ووصافين • فهو حين يكتب عنه يجد رضى نفسه فى الكتابة • إنه يرتاح حين يعطيه حقه ويرفعه إلى حيث يجب أن يكون • •

لقد كتب العقاد عن عمر ، الذى نال بكتابه عنه جائزة الآداب • ولكنها كتابة الإنسان الذى يؤدى واجبه ويقول ما يعتقد • ولكن كتابه (ابن الرومى) فيه ذاتية واضحة تحب فى اعجاب وتتعصب فى حماسة • •



وقد ترجم كتاب (الله) إلى الفارسية كما ترجمت بعض كتب الأستاذ فى ألمانيا وروسيا وفرنسا •

وترجمت إلى الايرانية والاردية والملايو كتبه :

(عبقرية محمد) ، (أبو الشهداء) ، (عبقرية الامام) •



ولكتابه الأول (خلاصة اليومية) قصة هو يرويها :

(كان يأسا من معنى الحياة • • كل غاية فى الحياة • • لاننى قبل ذلك بشهور عكفت على القراءة فى كتب (الفلسفة المادية) وأكثرت من

النظر في مذهب النشوء والارتقاء فلاح لى أنه أصدق من أقوال خصومه المتعصبين الذين تصدوا للرد عليه بين الأوربيين باسم الدين • ولاح لى من النظرة الأولى على غير روية فيه أنه يهبط بالانسان إلى حضيض الحيوان ، ولا يبقى بينه وبين السماء معراجاً واحداً يرتفع عليه •

وكذلك كتبت في مقدمة كتابى « خلاصة اليومية » أن الانسان حيوان راق ولكنه حيوان •

وقصة (الخلاصة) هذه هى قصة الأمل الذى بقى عندى يومئذ في شهرة الأدب وفي عدد الأيام التى أقضيها قبل ظهور هذا الكتاب وكنت أظننى مبالغاً إذا حسبتها بأكثر من الأيام •

هو الموت إذن كما أستقر فى خلدى بلا أثر ولا خبر ، وهو الموت إذن أمضى اليه صفر اليدين من مجد الأدب ومن مجد الدنيا ومن كل مجد يبقى بعد ذويه •

و « اليومية » هذه هى دفتر صغير كنت أقيّد فيه الخواطر والتعليقات وأبادر إلى إيداعه أبيات الشعر التى نظمته ولم أتممها قبل أن أنساها ، أو رءوس الموضوعات التى نظرت فيها ولم أفرغ من دراستها ، أو ملاحظات الطريق ونوادير الأحاديث العابرة التى أعاودها فى مناسباتها • وقد اجتمع عندى من هذه اليوميات دفاتر ثلاث سنوات • فلما وقع فى وهمى أننى سأذهب بغير أثر ولا خبر تصفحت هذه الدفاتر ونقلت منها صفحات متفرقة تشتمل على جميع نماذجها وبعثت بها إلى صديق فى القاهرة أقول له إن هذه الصفحات هى كل ما أتركه إذا تركت الحياة : فان وجدنى أهلاً للذكر ووجدتها أهلاً للنشر فتلك كرامة الصديق الراحل على الصديق الباقي ، وإلا فلا حرج عليه أن يهمل نشرها ويسلمها للنسيان •• يطويها حيث طواها فى زاوية من زواياه •

ثم طبعت خلاصة اليومية بعد أن أضفت إليها وحذفت منها ، وكان

من التوفيقات التي لم أترقبها أنها نفذت في أقل من ستة شهور ، فلم يبق من ألفى نسخة طبعتها منها غير مائة أو نيف ومائة ، وهو نجاح غريب لكتاب ولدته فكرة يائسة من الحياة) :

ولكنه لم يخرج من الدنيا في ذلك الوقت الذي قدره لأن الله أراد بنا خيراً فعاش العقد ليملاً الدنيا لمصر مجداً ، وعاش ليملاً حياتنا أدبا وعلماً وفكراً ، وأملاً في (الطموح) ، وفي (الكرامة) وفي (الإنسان) . . في الإنسان الذي كان العقد بشخصه وسيرته وكتابته أشرف مثل له وأكرمه على الحياة والناس .



وللعقاد مدرسة ولكنها لم تتبلور إلا في الأعوام الأخيرة فقد كانت قبلاً شبه علاقات متفرقة بأفراد متفرقين ثم اتضحت معالمها . ومن أبرز أبنائها الأستاذ على أدهم والدكتور زكي نجيب محمود . والدكتور عثمان أمين والأستاذ العوضي الوكيل والدكتور محمد غلاب والأستاذ عبدالرحمن صدقي والفنان صلاح طاهر والأستاذ عبد الفتاح الديدي والدكتور نظمي لوقا والشاعر محمود عماد والشاعر محمد طاهر الجبلاوي تلميذه وصديقه .

ومن تلاميذها الأستاذ أنيس منصور والأستاذ جلال العشري . ومن أصدقاء مدرسة العقد الشاعر عزيز أباظة والمرحوم كامل الشناوي والأستاذ طاهر الطناحي والأستاذ صالح جودت .



وأدب العقد على جديته وصرامته لا يخلو من المرأة حبشية ، وصديقة . فالعقاد من ذلك الرهط الذي كان يؤم صالون (مى) الأدبي ويعشى مجالسها . ومى هى بعينها (هند) في (سارة) وفي الديوان .

وظاهرة في أدب العقاد أن كل اسم في (الديوان) أو (سارة) من حيث الوزن العروضي له نظيره الحقيقي حتى تلك التي يدعوها (يا بنية) في ديوانه (أعاصير مغرب) و (بعد الأعاصير) .

وكانت (سارة) شخصية مستوفية ثقافة وجمالاً . ذات أنوثة متأصلة عارمة طاغية حتى ليؤثر عنها قولها (لو خيروني أن أكون رجلاً أبيت) .

ولعل هذه المستويات الرفيعة من الثقافة والنماذج الرائعة من الجمال هي التي زهدت العقاد فيما هو أدنى ، أو لعله التمسك في محراب الفكر حتى لا يعطى من نفسه أحداً سواه . يعزز هذا ما رآه العقاد من تمزق صديقه المازني عند وفاة ابنته فآل يومئذ على نفسه ألا يواجه هذا الموقف المروع وأشفق عليها من مجرد احتمال الشكل . وكان العقاد مرهف الإحساس شديد التأثر لا يطيق الألم في نفسه أو نفوس الآخرين وخاصة الألم الذي لا قبل للإنسان بدفعه أو تفاديه .

وجوهر الرأي عنده في قضية المرأة كما جاء في أكبر كتبه عنها (المرأة في القرآن الكريم) أن :

ملاك العدل والمصلحة بين الجنسين أن تجرى الحياة بينهما في الأمانة على سنة التعاون والتقسيم (لا على سنة الشقاق والتناضل بالمطالب والحقوق) .

وليس الخلاف بينهما بالخلاف الذي ينفص بالصراع على كفاية واحدة يدعيها كلاهما في مقام الخصومة ، ولكنه خلاف على كفايتين أيهما أصح لهذه وأيهما أصح لتلك ، وإن صلح كلاهما لكفاية الآخر في كثير من الأحيان .

وهو حين يرى وظيفتها المثلى التي تستقل بها : حماية البيت في ظل السكينة الزوجية من جهاد الحياة ، وحصانة الجيل المقبل لإعداده بالتربية

الصالحة لذلك الجهاد .. حين يرى هذا يعلن في غير موارد أن حصتها
هذه ليست بأصغر الحصتين • ليس تدبير السكينة في الحياة بأهون
من تدبير الجهاد ، وليس العمل الصالح لسياسة الغد بأهون من العمل
الصالح لسياسة اليوم •



وقبل أن أضع القلم أريد أن أقف وقفة قصيرة عند ظاهرة لا تخطئها
عين الدارس لأدب العقاد بل القارئ العادي وأعنى ظاهرة (النور في
أدب العقاد) •

والنور ظاهرة من ظاهرات كثيرة في تراث الرجل الكبير فقد أحب
النور ، واختار بيته في مدينة النور ، وفتح للنور كما فتح عقله الكبير
للنور .. كل النور .. من الشرق والغرب فغدا عقلا نورانيا موسوعيا في
عصر التخصص والتحديد • وهو بهذه الصفة ظاهرة فذة بين الأعلام
المعدودين • وهو بهذه الصفة عاش قرونا طويلة لا تقاس في عداد
السنين بالسنتين والسبعين التي نعرفها •

والنور الذي أحبه العقاد النور المادي والنور المعنوي على السواء
فقد أحب العقاد النور لأنه كان صريح النفس لا يخاتل ، صريح الرأي
لا يخافت به ولا يجمجم فيه بل كان حراً كالنور ، نافذا مثله يكشف
المعميات والخوافي ، على غرار • واختلف الناس في طبيعة النور الذي
أشرق على مصر من أسوان اختلفهم في معنى العظمة والعظيم فقال
المبصرون هو النور والاشراق ، وقال المذعورون بل النار والإحراق • ثم
غدا العقاد سيرة مجيدة • وإذ هدا روع الخائف تعلق بما كان يذكره ،
والتقى معنا على تمجيده والوفاء له • وحق له الوفاء والتمجيد •

إنسان شفاف مضيء يحب النور ويعيش في النور بل كان يتعشق
النور حتى ليقول : (أحبه صافيا وأحبه مزيجا ، وأحبه مجتمعا وأحبه

موزعا • وأحبه مخزوننا كما يخزن في الجواهر ، وأحبه مباحا كما يباح
على الأزاهر • وأحبه في العيون ، وأحبه من العيون ، وأحبه إلى العيون ؟

ويوم سكنت في هذا المكان ، ونظرت من هذه النافذة ، أعجبنى
أننى أفتحها فلا أرى منها إلا النور •• والفضاء •

والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور ••

وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين ، ويملأ الروح ، ويصل الأرض
بالسـماء !)

في بيتى ص ٥

إنسان عميق لا يرى الأشياء سطحها ولكنه ينفذ خلالها كالشعاع
حتى النهار الذى يتكرر في حياة الانسان كل يوم ما عاش فلا يثير التفاته
بله تفكيره شأن المكرر المعاد •• هذا النهار ينظر إليه العقاد نظرة متوهجة
غنية مبتكرة فهو نهار مبتكر (عليه جدة لا تحسبها قد مضت عليها سوية
من يوم ! •• خلقا مبتكراً يخيل إليك أنه يتلألأ في فضائه الأول للمرة
الأولى •• وهل هنالك من فارق بين نور نهارنا هذا وبين النور في أبعد
مكان من الفضاء ، وفي أبعد فترة من الزمان ؟ هاهنا شيء على الأقل
تستطيع أن تقول أنه لم يفتك أن تراه قبل ألف ألف من السنين) •

في بيتى ص ١١

وقد غنى العقاد للنور في كتابيه (أنا) و (في بيتى) غناء عذبا •
والبعثة المحمدية « مطلع النور » ، ورسالة محمد (رسالة النور) ص ١٢٩

النور عنده مصدر كل شيء حتى الربيع : (إن الربيع ليغنى لأنه حى
ولا سبب للغناء غير ذلك ولا حاجة إلى سبب غيره لمن يحس ويعيش •
والربيع حى لأنه موسم الحرارة والضياء • وهل الحياة إلا حرارة وضياء ؟
إنك لتؤمن بالروح ووجدته أو بالجسم ووجدته ثم تقول إن النور هو مصدر
كل شيء وأصل كل حياة فلا تكون إلا على صواب ، وما كان نور العين

ولا نور الروح إلا شيئاً واحداً في العنصر والقرار ، وإلا عنصراً واحداً لكل ما يظهر في هذه الدنيا للبصائر والأبصار) •

ص ٣٩ ساعات بين الكتب

وقد يكون هذا القول مجملاً أو مكتنزاً على عادة أقواله • ولهذا أرانى بحاجة إلى التماس مزيد من إيضاح أو تخريج فيعين كتابه (الفصول) على الغرض فيسأل معنا : ما هو الربيع ؟ أليس هو فصل الحب ؟ أليس هو الموسم الذى تشرق فيه ألوان الأزهار فتتزوج كما يتزوج الأحياء ؟ ألا تتكشف للعشاق علاقة هذه الأزهار بالغرام فيتراسلون بالأنوار الندية ، والرياحين الشذية • ويخرجون إذا أقبل الربيع إلى المنازه والخلوات فيختارون من الأماكن ما تحف به الورود المتعانقة والطيور المتعاشقة • وتفاجئهم بهجة الحب داخل نفوسهم ومن خارجها في نفثة واحدة من نفثات الطبيعة الحية ؟ وأى ميلاد يؤلف بين نسبها ونسبنا وأية قربى تمت بها الأزهار إلينا ألصق من القربى التى تجمع في موسم واحد بين توالدنا وتوالدها ، وحياتنا وحياتها وامتزاج الجمال والحب فيها بامتزاج الجمال والحب فينا ؟

ولم يحقق لنا العلم ما هو سر تأثير ألوان الزهر على أبصارنا ولا ما هو سر تأثير الزهر بذاته في شعورنا • ولكننا قد نرى علاقة النور بالألوان • ونرى علاقة الحرارة بالنور ، ونرى علاقة الربيع بالحرارة ، ثم نرى علاقة العواطف الغرامية بالربيع • فكلها عناصر ربيعية تظهر بياض واحد في زمن واحد ولا نرى منها إلا ما هو من الحرارة قابس ، وبالضوء مزدان ولا بس ، وفي الحب مغروس وغارس) •

وليس هذا من حلى الأسلوب كما يوحي التوافق بين أواخر الجمل في الصوت والحروف فإن العقد يمضى قائلاً :

الحرارة تتبعث من الشمس إلى جوف الأرض فتتخللها فتتبت البقل

والثمرات — ذلك هو الربيع •

والحرارة تبسط نورها على الأزهار فينسج على أوراقها اللطيفة ألوانه ويحليها بأصباغه ونقوشه • ذلك هو سحر الألوان وبهجة الأزهار •

والحرارة تجرى الدم في العروق فتتيقظ العواطف التي أنامها الظل وتتحرك الحياة الكامنة فيملكها الشوق إلى تجديد الحياة في مخلوق جديد، ذلك هو الحب • فالربيع والأزهار والحب أشقاء لم يولد بعضها بعضا ولكنها تولدت على السواء من أم واحدة هي الحرارة • أو هي الشمس أم الحب والحياة في هذا النظام (١) •

كان العقاد يحب النور وما أكثر ما قرأ العقاد في صباه على ضوء شمعة أو فتيل مصباح • • وما أكثر ما في حياة هذا القلم من عجائب ومقـــــــــابلات •



أنا لم أقل كل شيء عن ظاهرة واحدة من ظاهرات عديدة في أدب العملاق إن هي إلا لمحة من نوره تسعى على ضوء ذكرى حياة طويلة جهرة كبيرة العطاء، وحياة عريضة غنية لها تاريخ في التاريخ • وهي معلم من معالم النهضة الأدبية الحديثة يقف صاحبها بين أعلامها قمة شامخة باذخة • حياة ثرة المنابع كثيرة الجوانب كالنهر العظيم تتفرع عنه في سيره الجداول والعيون • أملت له ، في العمر ، الأيام وأملى لها ، وأمدته وأمدتها ، وعاشت في أدبه وعاشها • وعلى جلال السن وهالة المشيب رحل عنها وهي ما زالت ترتجيه ، وما زال عنده الكثير مما هو بسبيل كتابته والبحث فيه • كانت الكتابة روح حياته ومعناها فلم يحل بينه وبينها إلا سفره إلى أسوان • وهو معنى ضخم لا ينفذ إليه إلا الأقلون ، ليعيشوه • وحتى هؤلاء ، يقف بينهم ، بذكره العريض ، نموذجا وحده ، عباس محمود العقاد •



وبعد فليست هذه الصفحات إلا خطوط عريضة من ترجمة العقاد •

إن العقاد كقمة الهرم الأكبر لا يرقى إليه صاعد إلا من قاعدة واسعة • فالعقاد لم يكن شاعراً فحسب ، أو كاتباً فحسب ، أو ناقداً أو عالماً فحسب ، بل كان هذا كله مجتمعاً ، وكان أكثر منه •

إن القول في العقاد يطوّف ما يطوف ثم يقصر عن الإحاطة أو ما دونها • إن هي إلا لمحات جانبية لأن القول الحق فيه والتقييم الدارس لا يتأتى إلا بالوقوف على الأصول التي درسها العقاد ، وورود المنابع الثقافية التي عب منها العقاد • وهو أمر تشكل ضخامته صعوبة كبيرة للدرس والتقييم إلا أن يسعف صبر صابر وتفرغ مخلص وجد دؤوب • ولعل هذا يفسر طواف الدراسات والكتب بمشاهير الكتاب والشعراء دون العقاد من تهيب لمجالاته ، وتقدير لوعورة الطريق •

حين ترجم العقاد لابن الرومي قال (لأن تكون ترجمة ابن الرومي صورة خير من أن تكون قصة ، لأن ترجمته لا تخرج لنا قصة نادرة بين قصص الواقع أو الخيال) • ولكننا إزاء العقاد •• إزاء العملاق نجد أنفسنا أمام قصة نادرة بين قصص الواقع تكاد تكون أسطورة بما اجتمع لها من ألوان التفرد والترفع والامتياز •

في نهاية الامتياز

٧٧٨١ •

٧٧٨١ •

٧٧٨١ •

٧٧٨١ •

٧٧٨١ •

مؤلفات الأستاذ العقاد

وبعض تراث العقاد في حياتنا الفكرية ما أذكره على سبيل المثال
لا الحصر •

شعر :

- ديوان العقاد (أربعة أجزاء) ١٩٢٨ •
- يقظة الصباح ١٩١٦ •
- وهج الظهيرة ١٩١٧ •
- أشباح الأصيل ١٩٢١ •
- أعاصير مغرب ١٩٤٢ •
- بعد الأعاصير ١٩٥٠ •
- أشجان الليل •
- وحى الأربعين ١٩٣٣ •
- هدية الكروان ١٩٣٣ •
- عابر سبيل ١٩٣٧ •
- ديوان من دواوين ١٩٥٨ •

أدب واجتماع وتاريخ :

- الفصول ١٩٣٢ •
- الشذور ١٩١٥ •
- مطالعات في الكتب والحياة ١٩٢٤ •
- مراجعات في الأدب والفنون ١٩٢٦ •
- اشتات مجتمعات في اللغة والأدب ١٩٦٣ •
- ساعات بين الكتب ج١ ١٩٢٩ ج٢ ١٩٤٥ الجزءان معا سنة ١٩٥٠

- عالم السدود والقيود ١٩٣٧ •
- يسألونك ١٩٤٦ •
- بين الكتب والناس ١٩٥٢ •
- إبليس ١٩٥٨ •
- على الأثير ١٩٤٧ •
- مطالعات ١٩٥٦ •
- عقائد المفكرين في القرن العشرين ١٩٤٨ •
- جحا الضاحك المضحك ١٩٥٦ •
- في بيتي ١٩٤٥ •
- القرن العشرين ما كان وما سيكون ١٩٥٨ •
- ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ١٩٥٢ •
- اليد القوية في مصر ١٩٢٨ •
- جوائز الأدب العالمية ، مثل جائزة نوبل ١٩٦٤ •
- قصة :
- سارة ١٩٣٨ •
- دراسة ونقد ولغة :
- الديوان في النقد والأدب مع الأستاذ المازني ١٩٢١ •
- ابن الرومي حياته من شعره ١٩٣١ •
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ١٩٣٧ •
- رجعة إلى أبي العلاء ١٩٣٩ •
- قمبير في الميزان ١٩٣١ •
- أبو نواس الحسن بن هانيء ١٩٦٠ • (كتاب الهلال)

- شاعر الغزل (عمر بن أبي ربيعة) ١٩٤٣ •
- جميل بثينة ١٩٤٤ •
- شاعر أندلسي وجائزة عالمية ١٩٦٠ •
- اللغة الشاعرة ١٩٦٠ •
- التعريف بشكسبير ١٩٥٨ •

الترجمة :

- (عرائس وشياطين) مجموعة من الشعر العالمى ١٩٤٥ •
- (ألوان من القصة القصيرة فى الأدب الأمريكى) •

المذكرات :

- خلاصة اليومية ١٩١٢ •
- اليوميات ١٩٦٣ •

وفى الفلسفة :

- مجمع الأحياء ط١ ١٩١٦ •
- الله ١٩٤٧ •

وفى السياسة :

- الحكم المطلق فى القرن العشرين ١٩٢٨ •
- هتلر فى الميزان ١٩٤٠ •
- أفيون الشعوب ١٩٥٦ •
- فلاسفة الحكم فى العصر الحديث ١٩٥٠ •
- الشيوعية والانسانية ١٩٥٦ •

- الشيوعية والإسلام ١٩٥٦ •
- النازية والأديان ١٩٤٠ •
- الصهيونية العالمية ١٩٥٦ •
- لا شيوعية ولا استعمار ١٩٥٧ •

العقريات والشخصيات الإسلامية :

- عبقرية محمد ط ١٩٤٢ •
- » الصديق ١٩٤٣ •
- » عمر ١٩٤٢ •
- » الامام ١٩٤٣ •
- » خالد ١٩٤٨ •
- » المسيح ١٩٥٣ •
- أبو الأنبياء •• الخليل إبراهيم ١٩٥٣ •
- داعي السماء (بلال) ١٩٤٥ •
- ذو النورين (عثمان بن عفان) ١٩٥٤ •
- الصديقة بنت الصديق ١٩٤٣ •
- أبو الشهداء ١٩٤٥ •
- عمرو بن العاص ١٩٤٤ •
- معاوية بن أبي سفيان في الميزان ١٩٥٦ •
- فاطمة الزهراء والفاطميون ١٩٥٣ •

الإسلاميات :

- الاسلام والاستعمار ١٩٥٧ •
 - مطلع النور ١٩٥٥ •
- (م ٧ — قلم أدبية)

- الديمقراطية في الاسلام ١٩٥٢ •
- أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١٩٤٦ •
- الفلسفة القرآنية ١٩٤٧ •
- حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ١٩٥٧ •
- الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ١٩٥٩ •
- التفكير فريضة اسلامية ١٩٥٧ •
- الانسان في القرآن الكريم ١٩٦١ •
- الاسلام في القرن العشرين ١٩٥٤ •
- ما يقال عن الاسلام ١٩٦٣ •

التراجيم :

- حياة قلم ١٩٦٣ •
- سعد زغلول ١٩٣٦ •
- روح عظيم (غاندى) ١٩٤٨ •
- تذكاري جيتي ١٩٣٢ •
- بنيامين فرانكلين ١٩٥٦ •
- محمد علي جناح ١٩٥٢ •
- برنارد شو ١٩٥٠ •
- الشيخ الرئيس ابن سينا ١٩٤٦ •
- عبد الرحمن الكواكبي ١٩٥٩ •
- سن يانسن ١٩٥٢ •
- فرانسيس باكون ١٩٤٥ •
- ابن رشد ١٩٥٣ •
- الفارابي ١٩٤٤ •

- الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ١٩٦١ •
- رجال عرفتهم ١٩٦٣ •

المرأة :

- الانسان الثانى ١٩١٢ •
- هذه الشجرة ١٩٤٥ •
- المرأة فى القرآن الكريم ١٩٥٩ •

أما الكتب التى قدم لها ، أو عرّف بها أو نقدها ... أما المقالات والبحوث فى شتى المعارف فقد سجلتها دار الكتب فى نشرة بيليوغرافية باسم عباس محمود العقاد •

طه حسين



نشأته في الصعيد — أله الكبير وأثره — حادثات
هزت صباه — تاريخه في الأزهر — قصصه في الربع .
— حياته في القاهرة — ذكرياته عن المشايخ ورأيه
فيهم — الدكتور طه والشيخ المرصفي — الدكتور طه
والأستاذ الزيات والأساتذ الزناتى معركتهم مع الأزهر
 وخروجهم منه — دور لطفى السيد في المعركة — طه
حسين يضل في قطار الصعيد — الأسرة تريد انقطاعه
عن التعليم — عود الى القاهرة — الجمع بين الأزهر
والجامعة ! — السفر الى أوربا — طرائف عن
حياته من وثائق الجامعة — معاركه السياسية والأدبية
— أدبه — شعره — فن الصورة عنده (الحركة .
التفصيل . التنعيم . التكرار . المقابلة . التضاد)
— مدرسة طه حسين .

أحد المشاعل التي رفعها صعيد مصر على طريق الحياة المصرية الأدبية في القرن العشرين • ففى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ولد طه فى عزبة « الكيلو » وتقع على مسافة كيلو متر من « مغاغة » بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط • وهو سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه وخامس عشر من أشقائه • (وكان يشعر بأن له بين هذا العدد الضخم من الشباب والأطفال مكاناً خاصاً يمتاز عن مكان إخوته وأخواته • أكان هذا المكان يرضيه ؟ أكان يؤذيه ؟ الحق أنه لا يتبين ذلك إلا فى غموض وإبهام • والحق أنه لا يستطيع الآن أن يحكم فى ذلك حكماً صادقاً • كان يحس من أمه رحمة ورأفة ، وكان يجد من أبيه ليلاً ورفقاً ، وكان يشعر من إخوته بشيء من الاحتياط فى تحدثهم اليه ومعاملتهم له • ولكنه كان يجد إلى جانب هذه الرحمة والرأفة من جانب أمه شيئاً من الإهمال أحياناً ، ومن الغلظة أحياناً أخرى وكان يجد إلى جانب هذا اللين والرفق من أبيه شيئاً من الإهمال أيضاً ، والازورار من وقت إلى وقت • وكان احتياط إخوته وأخواته يؤذيه ، لأنه كان يجد فيه شيئاً من الاشفاق مشوباً بشيء من الازدراء •

على أنه لم يلبث أن تبين سبب هذا كله ، فقد أحس أن لغيره من الناس عليه فضلاً ، وأن إخوته وأخواته يستطيعون مالا يستطيع ، وينهضون من الأمر مالا ينهض به • وأحس أن أمه تأذن لإخوته وأخواته فى أشياء تحظرها عليه • وكان ذلك يحفظه ، ولكن لم تلبث هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزن صامت عميق ، ذلك أنه سمع إخوته يصفون مالا علم لديه ، فعلم أنهم يرون مالا يرى (١) •

لقد أصاب الرمد عين طه حسين وهو فى السادسة من عمره ، وأطفال القرية حين يشكون يهملون • فإذا التفتت إلى أحدهم أم فهى تسقط من حسابها ، الطبيب مكتفية (بعلم) جاراتها وأشباههن فى الجهل •

وعلى هذا النحو فقد صبى أغلى حواسه جميعاً على يد الحلاق (١) . .
فقد عينيه .

وأرى هذا الحدث أكبر الأحداث في حياته شأناً . . لقد ساءه مرات
ولكنه أحسن إليه مراراً لقد أورثه معه غير علة من علل الجسم ،
ولكنه أكسبه غير صفة حميدة من صفات النفس . فقد وجه قراءاته ،
وحبب إليه الصمت ، وعلمه حسن الاستماع . ثم استعلى على مصابه
به فكان منه طه حسين الذى ملأ السمع والبصر فى مصر وفى غيرها من بلاد
العالمين .

ومن حوادث هذا (الحادث) أنه خطر له طفلاً يأكل مع أسرته
أن يتناول اللقمة بـكلتا يديه ويغمسها من الطبق المشترك فيضحك
إخوته وتبكي أمه ويرشده أبوه فى هدوء حزين (٢) .



حادثة كما ترى تمنى بعدها أن يخلو إلى طعامه . ولما عز عليه ذلك
طفلاً ، التزمه عندما صار أمره إليه حتى تزوج .

حادثة أخذته بألوان من الشدة فى حياته . صار قليل الأكل على
رغبة فيه حتى لا يوصف بالشره أو يتغامز عليه أحد . كان يسرف فى
تصغير اللقمة حتى حنق عمه عليه فكره عمه هذا . كان يستحي أن
يشرب على المائدة حتى لا يضطرب القدرح من يده . فكان طعامه جافاً
ما جلس على المائدة ، حتى إذا فرغ منه شرب من حيث يغسل يديه وعب
حتى يروى . ولم يكن ذلك الماء نقياً دائماً فغدا موعوداً .

ثم حرم على نفسه من ألوان اللعب والعبث كل شيء ، حتى لا يثير

(١) اقرأ الأيام ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) الأيام ج ١ ص ١٩ — ٢٠ .

ضحكاً ولا إشفاقاً • ولهذا انصرف إلى الاستماع إلى القصص والأحاديث
(ومن هنا تعلم حسن الاستماع) •

حادثة كما يقول (حدث ميله إلى الاستطلاع ، وملأت قلبه حياء لم
يفارقه إلى الآن) •

وهكذا عمقت هذه الحادثة جذورها في نفسه وتركت ميسمها عليها •
فمن ذلك الوقت (عرفت لنفسه إرادة قوية ، ومن ذلك الوقت حرم على
نفسه ألوانا من الطعام لم تبح له إلى أن جاوز الخامسة والعشرين •
حرم على نفسه الحساء والأرز وكل الألوان التي تؤكل بالملاعق لأنه
كان يعرف أنه لا يحسن اصطناع الملعقة • وكان يكره أن يضحك إخوته ،
أو تبكي أمه ، أو يعلمه أبوه في هدوء حزين) (١) •



لم يعد بعد هذه الحادثة طفلاً يلعب ويمرح بل اقتضب طفولته
اقتضاباً فيه كثير من القسر وفيه كثير من القسوة على نفسه • ترك
رفاقه في الملعب وانضم إلى رفاق أبيه في ندوة العصر في فناء البيت
المنبسط أمام المنطرة تطل عليه عنبات ندية من آيات القرآن الذي كان
سيدنا يؤثر أن يقرأه في هذا الفناء كل يوم قبل أن تطلع الشمس •
فإذا التقى والده بأصحابه يستمعون إلى واحد منهم — وهو بينهم
يسرى بأذنه ويسمع بكامل صغوه — قصص الغزوات والفتوح وأخبار
عنتر والظاهر بيبرس وأخبار الأنبياء والنسك والصالحين ، وكتباً في
الوعظ والسنة • ولم يكن صبيناً (غافلاً عما يسمع ، بل لم يكن غافلاً
عما يتركه هذا القصص في نفوس السامعين من الأثر) (٢) •

فإذا دخل الليل ترقب مجلس الشاعر فلا يفوته إنشاده أخبار

(١) الأيام ج ١ ص ٢٠ •

(٢) الأيام ج ١ ص ٢٥ •

الهلالين والزنايتين إلا أن تقصره أخته على النوم • هذا في الليل أما النهار فكثيرا ما كان يخلو فيه إلى نفسه ، يميل إلى حديقة المعلم جرجس التي كان يحبها حتى ليقضى فيها الساعات بعيدا عن الناس • وصحبتهم • إلى حد غير بعيد • فقد كان لا يطيق العزلة الخالصة ولا يحب الخلطة الخالصة •

وهناك حديقة أخرى كانت له بها وقفات يداعب لبلابها يتخطى السور ، ويتدلى في فضول على الطريق • وما به حب اللبلاب ولكنه الشوق إلى عزيزة وأمينة أختى عثمان ومحمود رفيقيه •

كما عرف أغاني القرية بل و (تعديدها) من أخواته وأمه • وحفظ أيضا أوراد جده التي كان يتلوها أثناء إقامته عندهم في الشتاء من كل عام • (ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى من الأغاني والتعديد والقصص وشعر الهلالين والزنايتين والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية جملة صالحة • وحفظ إلى ذلك كله القرآن) (١) •

وبحفظ القرآن صار شيخا صغيرا كما كانوا يدعونه • كان عمره تسع سنوات وعمر الزمن ١٨٩٨ م •

ولكن هذه المشيخة التي اقترنت باسمه قبل الأوان كلفتة من الأمر عسيرا • فإن أباه أمك بزهو الأبوة وهو بين صحبه ، أن يقرأ عليهم ولده ما حفظ من القرآن • فنادى به وطلب إليه أن يقرأ سورة الشعراء فتعثر • فصرفه إلى النمل ، ثم القصص فلم يكن أحسن حالا • لم يذكر الشيخ الصغير من السور الثلاث إلا أن أولها (طسم) ثم ارتج عليه بعدها في كل مرة •



(كان هذا اليوم مشئوما حقا ، ذاق فيه صاحبنا لأول مرة مرارة الخزي والذلة والضعف وكـرهه الحياة) (١) •

ومن الغريب أنه عاد فحفظ القرآن ثم نسيه وتعرض لهذه التجربة مرة أخرى في صورة أشد عسرا ونكرا • وكان الامتحان هذه المرة في سورة سبأ وفاطر ويس •

على أن الشيخ الصغير لم يطق الفشل في هذه ، فذهب إلى الكرار حيث القرمة وأخذ الساطور وأهوى به إلى قفاه ضربا • وأقبلت أمه على صرخته فأوسعته ذما وتقريرا ، وجذبتة ملقية به في زاوية من زوايا المطبخ • (ولبت صاحبنا في مكانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يبكي ولا يفكر كأنه لاشيء) (٢) •

على أنه فيما بعد قرأ القرآن على مفتش الزراعة وأتقن التجويد برواية « حفص » وكاد يبدأ في رواية « ورش » لولا أن سافر إلى القاهرة •

وفي هذه المرحلة من حياته عرف طه حسين (علماء القرية) واختلف اليهم • وعرف مشايخ الطرق الصوفية • وكان بينهم وبين أسرته صلات قوية • (ترك فيها آثارا باقية من الأخبار والقصص ، وأحاديث الكرامات والمعجزات التي كان أبواه يستمرئان التحدث بها إلى أبنائهما) •

وبهذا كله تأثر طه حسين •

ومن المحادثات التي هزت صباه ولا تزال ، موت أخيه ، (ومن ذلك اليوم تغيرت نفسية صبينا تغيرا تاما) • عرف الله حقا وأخذ

يتقرب اليه • (من ذلك اليوم عرف الصبى أرق الليل) • (ومن ذلك اليوم عرف الصبى الأحلام المروعة •

وهكذا وفى طه لأخيه ولم ينفك وافيا •



كانت أمنية الشيخ حسن ، وهو الموظف بشركة السكر ، أن يرى ابنه (طه) قاضيا ، وأن يراه من علماء الأزهر قد جلس إلى أحد أعمدته تتحلق من حوله ندوة واسعة المدى •

وعمل الأب لهذا وأرسل ابنه إلى القاهرة مخلفا وراءه الريف والثوب الفضفاض الذى كان يلبسه قبل أن يهبط إلى القاهرة (والذى كان يمتاز من ثياب أترابه من أهل الريف بضيق كميته وتكسرهما بعض الشيء عند آخرهما ، وبهذا التكسر المنظم به عند الخصر ، ولكنه لا يحيط بالجسم كله وإنما هما قطعتان قد خيبتا على جانبى الثوب من يمين وشمال ، ثم وصلت إحداهما بالأخرى أزرار من الصدف • وكان يضع على رأسه ذلك الغطاء الرقيق الأبيض الذى يسمونه الطاقية وإنما هو يصطنعه المترفون من أهل المدن فى الأقاليم يقلدون به بعض قلانس الفرنجة ويسمونه (الطاقية الافرنجية) • فلما وصل حياته بالقاهرة وقع له ما نفره • فقد سمع الشيخ يقول : (ولو قال لها أنت طلاق أو أنت طلام أو أنت طلال ، أو أنت طلاة ، وقع الطلاق ولا عبرة بتغيير اللفظ) (١) •

إن الدكتور طه (يقسم) فى الأيام أنه احتقر العلم منذ ذلك اليوم • وإن كان أخوه بعد ذلك قدمه إلى أستاذه الذى علمه مبادئ الفقه والنحو سنة كاملة •

لقد صدمه الإفتاء على هذا النحو العقيم الضيق الحصر • وهو الذى كان فى أول عهده بالأزهر (يشعر أنه فى وطنه وبين أهله ، لا يحس غربة ولا يجد ألماً • وإنما هى نفسه تتفتح من جميع أنحائها ، وقلبه يتشوق من جميع أقطاره ليتلقى • ليتلقى ماذا ؟ ليتلقى شيئاً لم يكن يعرفه ، ولكنه كان يحبه ويدفع إليه دفعاً • طالما سمع اسمه وأراد أن يعرف ما وراء هذا الاسم ، وهو العلم) (١) •



كان يجد فى الأزهر كما يقول (راحة وأمنًا وطمأنينة واستقراراً كأن هذا النسيم الذى يترقرق فى صحن الأزهر حين يصلى الفجر يتلقى وجهه بالتحية فيملأ قلبه أمنًا وأملًا) حتى إذا قطع به صاحبه الصحن وصعدا معاً هذه الدرجة اليسيرة التى بيتدىء بها الأزهر نفسه ، امتلأ هذا القلب خشوعاً وخضوعاً • وامتلاأت نفس طه حسين إكباراً وإجلالاً حتى ليخفف الخطو (على هذه الحصر المبسوطة البالية التى كانت تنفرج أحياناً عما تحتها من الأرض ، كأنها تريد أن تتيح لأقدام الساعين عليها شيئاً من البركة بلمس هذه الأرض المطهرة) (٢) •

وفى القاهرة كان يقيم مع أخيه وصحبه فى غرفة هى أشبه بالدھليز قد تجمعت فيها مرافق البيت مادية وعقلية • وكان مجلسه من هذه الغرفة منكشاً متطامناً (كان مجلسه عن شماله إذا دخل الغرفة ، يمشى خطوة أو خطوتين فيجد حصيراً قد بسط على الأرض ألقى عليه بساط قديم ولكنه قيم • هنالك يجلس أثناء النهار ، وهنالك ينام أثناء الليل تلقى له وسادة يضع عليها رأسه ولحاف يلتف به) (٣) •

كان فى هذه الغرفة يشعر شعوراً قاسياً بالغربة والوحشة لأنه

(١) الأيام ج ٢ ص ١٦ — ١٧ .
(٢) الأيام ج ٢ ص ١٧ — ١٨ .
(٣) الأيام ج ٢ ص ٦ — ٧ .

لا يعرفها ولا يعرف فيها شيئاً حتى الهواء الذى كان يتنفسه بها كان يجد فيه ألماً وثقلاً •

وفى القاهرة كان يتردد على حانوت الحاج فيروز وكانت له أهميته عند طلاب العلم فى ذلك العهد • وهو الحانوت الثانى فى حياة طه حسين التعليمية • أما الأول فكان حانوت الشيخ محمد عبد الواحد وأخيه الشاب الحاج محمود • فقد كان إذا فرغ من الكتاب مضى إليه (فجلس هناك متحدثاً متندراً مستمعاً لما كان يقوله المشترون من الرجال والمشتريات من النساء من هذه الأحاديث الريفية الساذجة التى تمتع باختلافها وطرافتها وسذاجتها أيضاً) (١) • وربما قل الطارئون على الحانوت من المشتريين والمشتريات ، فيخلو للصبى أن يخلو لصاحبيه يتحدث مع أولهما فى أخبار الشيخ ماضى وآثاره وكراماته ومقاماته ، ويقرأ عليه الثانى كتب القصص والوعظ فلا يشوب هذا الصفاء إلا ملعونة من النساء أو الفتيات تفد على الدكان لتشتري بعض الملح أو الفلفل أو الخيط أو غير هذا من سقط المتاع ، فينقطع الحديث •

ومن الأشياء التى نشأت بينه وبينها صداقات فى القاهرة ، شارع الحلوجى • ذلك الشارع الضيق حتى لتكاد تبلغ جانبيه إذا مددت يديك عن يمين وشمال كما يقول • ولكنه شارع الكتب مطبوعها ومخطوطها على اختلاف أقدارها • (كم كانت للصبى فى ذلك الشارع الضيق وقفات خصبة ممتعة لم ينسها قط حين تقدمت به الأيام ، واختلفت عليه أطوار الحياة) (٢) •

(١) الأيام ج ٢ ص ٣٥ •
(٢) الأيام ج ٢ ص ١٤ •

ومن أراد أن يعرف حنان طه حسين للأشياء فليقرأ قصته مع
(الصندوق) •



وحياة طه حسين في القاهرة شريط حافل بكلمات وحركات وصور •
فمن الحركات التي لا تنسى حركة صاحبه أو رفيق الطريق • كان إذا
انتهى درس ليبدأ آخر أقبل عليه ذلك (الرفيق) فيأخذ بيده في غير
كلام ، ويجذبه في غير رفق • ويمضى إلى مجلس آخر فيضعه فيه كما
يضع المتاع وينصرف عنه (١) •

كان طه حسين يحس هذه الحركة • ويزيد احساسه ألما ، مشيته •
(كان مستخدنيا في نفسه من اضطراب خطاه وعجزه من أن يلائم بين
مشيته الضالة الحائرة الهادئة ، ومشية صاحبه المهتدية العازمة
العنيفة) (٢) •



وفي أول عهده بالقاهرة كان السكون يطول عليه فيرهقه فيغفو
جالسا • وقد يسلمه الإغفاء إلى النوم فلا يفيق إلا مذعورا على صوت
يدعوه (بهذه الكلمة التي رنت في أذنه أعواما وأعواما : « مولانا أنائم
أنت ؟ ») (٣) •

كان سكون العصر يضطره إلى النوم • أما سكون العشية فكان
يضطره إلى اليقظة • ولعل دخول الليل وزحف الظلمة على نفس الكفيف
المتوحد أروع ما كتب الدكتور طه حسين أو من أروعه على الأقل • • كان

(١) الأيام ج ٢ ص ٢٢ • ص ٩١ - ٩٢ •

(٢) الأيام ج ٢ ص ١٥ •

(٣) الأيام ج ٢ ص ٣٧ •

إذا فرغ من طعامه (عاد إلى سكونه وجموده في ركنه الذي اضطرب إليه • وقد أخذ النهار ينصرم وأخذت الشمس تنحدر إلى مغربها • وأخذ يتسرب إلى نفسه شعور شاحب هادئ حزين • ثم يدعو مؤذن المغرب إلى الصلاة فيعرف الصبي أن الليل قد أقبل • ويقدر في نفسه أن الظلمة قد أخذت تكتفه • ويقدر في نفسه أن لو كان معه في الغرفة بعض المبصرين لأضىء المصباح ليطرد هذه الظلمة المتكاثفة • ولكنه وحيد لا حاجة له إلى المصباح فيما يظن المبصرون ، وإن كان ليراهم مخطئين في هذا الظن • فقد كان في ذلك الوقت يفرق تفرقة غامضة بين الظلمة والنور • وكان يجد في المصباح إذا أضىء جليساً له ومؤنسا • وكان يجد في الظلمة وحشة لعلها كانت تأتيه من عقله الناشئ ومن حسه المضطرب • والغريب أنه كان يجد للظلمة صوتاً يبلغ أذنيه ، صوتاً متصلاً يشبه طنين البعوض لولا أنه غليظ ممثليء وكان هذا الصوت يبلغ أذنيه فيؤذيها ، ويبلغ قلبه فيملؤه روعاً ، وإذا هو مضطرب إلى أن يغير جلسته فيجلس القرفصاء ويعتمد بمرفقيه على ركبتيه ويخفي رأسه بين يديه ، ويسلم نفسه لهذا الصوت الذي يأخذه من كل مكان (١) •

« ولكنه وحيد لا حاجة له إلى المصباح فيما يظن المبصرون وإن كان ليراهم مخطئين في هذا الظن ، فقد كان في ذلك الوقت يفرق تفرقة غامضة بين الظلمة والنور » •

أنا لا أستطيع أن أنسى هذه الجملة مهما قرأت •



وفي القاهرة التي قدم إليها طه حسين من قلب الريف ليسعى إلى الأزهر ، تلقفته مدارس كثيرة لم يكن الربع الذي عاش فيه أقلها شأنًا. فإن ما اكتسبه فيه من العلم بالحياة وشئونها والأحياء وأخلاقهم لم يكن

في تقديره ، أقل خطرا مما اكتسبه في بيئته الأزهرية من العلم بالفقه والنحو والمنطق والتوحيد (١) .

وفي القاهرة اختلف طه حسين إلى جامع محمد بك أبو الذهب ودار الكتب . أما الجامع فقد كان يعرفه حق المعرفة وكانت له فيه قصص عندما كان يسمع دروس النحو والمنطق في جميع أماكنه وزواياه . أما دار الكتب فقد أثرها على درس (القشور) أي النحو والمنطق ، فكان يذهب إليها مع الظهر ويبقى بها حتى الغروب موعد إغلاقها .

وكما امتحنت الأيام طه حسين ، امتحنه الناس .

أنبيء ذات يوم بعد درس الفقه أنه سيذهب إلى الامتحان في حفظ القرآن توطئه لانتسابه إلى الأزهر .

(وسعى إلى مكان الامتحان في زاوية العميان خائفا أشد الخوف مضطربا أشد الاضطراب . ولكنه لم يكد يدنو من الممتحنين حتى ذهب عنه الوجل فجأة ، وأمتلأ قلبه حسرة وألما . وثارت في نفسه خواطر لاذعة لم ينسها قط ، فقد انتظر أن يفرغ الممتحنان من الطالب الذي كان أمامهما ، وإذا هو يسمع أحد الممتحنين يدعوه بهذه الجملة التي وقعت في أذنه ومن قلبه أسوأ وقع : « أقبل يا أعمى » (٢) ولولا أن أخاه أخذ بذراعه فأنهضه في غير رفق وقاده إلى الممتحنين في غير كلام ، لما صدق أن هذه الدعوة قد سيقَّت إليه ، فقد كان تعود من أهله كثيرا من الرفق به وتجنبها لذكر هذه الآفة بمحضره . وكان يقدر ذلك وإن كان لم ينس قط آفته ولم يُشغل قط عن ذكرها) (٣) .

ونجح طه حسين في هذا الامتحان وألبس سوار الخيط ذي القطعة

(١) اقرأ الأيام ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) الأيام ج ٢ ص ١٠١ .

(٣) الأيام ج ٢ ص ١٠٢ .

(م ٨ — قسم أدبية)

الرصااص علامة النجاح ولكنه لم يحس لهذا النجاح ، الحلاوة ، التى يسعد بها كل ناجح • لقد (ظل مشغولاً عن السوار بدعوة الممتحن له وصرفه إياه) •

وتمضى الأيام طويلة حافلة وتتراكم الأحداث على الجرح حتى لتكاد تغطيه أو تنسيه فإذا بشيخ من شيوخ الأزهر •• شيخ كبير يغضب إذ يجادله طه حسين فى العلم فيقول للفتى فى حدة ساخرة (أسكت يا أعمى ما أنت وذاك !) •

وهاج جرحه ورد على الشيخ فى حدة الطعين : (إن طول اللسان لم يثبت قط حقاً ولم يمح باطلاً) •

إن هذا الشيخ الذى شاء أن ينكأ جرحه الكبير كان مغضوباً عليه من القصر حتى منعه من إلقاء درسه • فانتصر له طه حسين وذهب إليه فى نفر من الطلاب وتمنوا عليه أن يواصل درسه عليهم فى بيته • وجأهروا بمناصرتهم له فأعلنوا فى الصحف ! كان طه حسين يراه أملاً فعدا الأمل ألا تذكره الأيام •



وفى ليلة ! وما أكثر لياليه • أطفأ أخوه المصباح لينصرف • ولكنه لم ينصرف وحده هذه المرة ، لقد سبقه إلى الباب نقيب مكتوم •• لقد أجهش بالبكاء فتى أنطفاً مصباحه • ولكن وحدته لم تطل أكثر من أيام بعد هذا فقد حضر إلى القاهرة رفيق طفولته ، طالباً للعلم فتغيرت حياته كلها منذ ذلك اليوم •

تنفس فى كيانه حب الحياة ثم ضج صوتها فى أرجائه فضاقت به الغرفة التى شهدت أيامه •• لم يكن يدخلها إذا عاد إلى الربع إلا ليتخفف من عباءته ثم يعود ليجلس أمامها مع صاحبه وقد (أخذ أكثر الطريق على المارة) فلم يخل لهم منه إلا موضع أقدام الرجل الواحد أو الرجلين

وفي هذا المجلس كان الصبيان يلهوان بالحديث قليلا وبالقراءة كثيرا •
وقد يفرغان لما كان يجري في الطبقة السفلى من حركة وحديث • ويسمع
أحدهما ، ويرى الآخر ويفسر لصاحبه ما يرى •

وكذلك عرف الصبي الربع أكثر مما كان يعرفه • (وعرف من
سئون أهله أكثر مما كان يعرف • وسمع من أحاديثهم أكثر مما كان
يسمع • عاش جهرة بعد أن كان يعيش سرا) (١) •



خطط الصديقان حياتهما وعود كل منهما صاحبه عادات لازمته •
فمما تعود طه ودأب عليه ألا يمر بمسجد سيدنا الحسين أو يزوره إلا
قرأ الفاتحة • (وقد تقدمت به السن واختلفت عليه أطوار الحياة ،
وما يذكر أنه مر بمسجد سيدنا الحسين إلا قرأ في نفسه هذه السورة
الكريمة من سور القرآن) (٢) •

كيف كان الصديقان يعيشان ؟ كيف كانا يدبران طعامهما ؟ كيف
كانا يسعيان إلى الأزهر ؟ ذلك حديث عجيب وشائق مع هذا • أليس
شائقا وعجيبا أن يفطر طالبان ويتعشيان بقرش وقد يحتالان على هذا
القرش اليتيم فيقتطعان منه ثمن (البليلة) أو التين في بعض الأحيان ؟
وفي هذه المرحلة اختلف طه حسين إلى الأزهر ، وإلى مسجد محمد
بك أبي الذهب ، وإلى مسجد الشيخ العدوى •



وفي هذه المرحلة عرف الطالب الشيخ ألوانا من الأساتذة • فشيخ
يتفاهم بحذائه أو قبضة يده • فإذا ألحف طالب في السؤال فنصيبه لكمة

(١) الأيام ج ٢ ص ١١٠ •

(٢) الأيام ج ٢ ص ١١١ •

إن كان مجلسه قريبا من الأستاذ البركان ، أو رمية من حذائه إن كان في الصفوف الخلفية •

وشيخ كان معجبا بشعره حتى لينشده في درس الفقه • وويل للطلاب إذا قطعوا عليه غناؤه • وقد حفظ عنه طه حسين بيتا كان يتغنى به مترنحا :

كان عمته من فوق هامته
شنف من التبن محمول على جمل

وقد حاول طه حسين ، مجادلة شيخ الفقه مرة ولج في الجدل • يقول طه حسين • (وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسيني بالشيخ أن حسبك فقد نفذ الفول • فأجابهم الشيخ في غنائه الظريف : لا والله لا نقوم حتى يقتنع هذا المجنون • ولم يكن بد للمجنون من أن يقتنع ، فقد كان هو أيضا حريصا على أن يدرك الفول قبل أن ينفذ (١) •

وشيخ كان يفسر لهم القرآن فيكثر من الأخطاء ولا سيما حين كان يعرض للغة والأدب • ولكن هذا أمره أسهلهم فقد كانوا يضحكون منه ويحسون عليه أغلاطه ليتندروا منها •

وشيخ لقي منه بلاء عظيم ومع هذا يضحك منه كلما تذكره ضحكا شديدا • فقد كان يجلس قبالة في الدرس • وهنا تترك الرواية للدكتور طه نفسه • (جلس الشيخ على كرسيه وأخذ في القراءة ، فقال : « المقصد الثاني في التصديقات » يقلقل القاف ويفخم الصاد ، ويمد الألفات والياءات مدا متوسطا ، ثم يعيد هذه الكلمات نفسها فيقلقل القاف ويفخم الصاد ويمد الألف والياء في « الثاني » ولكنه لا يقول « في التصديقات » وإنما يقول (في مين ؟) فلا يرد عليه أحد • فيرد على نفسه ويقول « في التصديقات » • ثم يعيد الكلمة نفسها على هذا

النحو نفسه ، فإذا انتهى من قوله « في مين ؟ » ولم يرد عليه أحد ، ضرب بظهر يده في جبهة الغلام وهو يقول :

« ردوا يا غنم ، ردوا يا بهائم ، ردوا يا خنازير ! » •

يفخم الغين والخاء إلى أقصى ما يستطيع فمه أن يبلغ من التفخيم ، فيقول الطلاب جميعا (في التصديقات) (١) •

وكم تعذب طه حسين بهذه الضربات وإن كانت تضحكه في سره • فقد كان يخاف الأستاذ إن ضحك جهره • فلما توالى الضربات لإصرار الطلاب الخبثاء على عدم الرد ، رأى طه حسين أن الأسلم التقهقر إلى الوراء والجلوس في مكان بعيد ينجو فيه من كف الشيخ الغليظ • وما زال يتأخر يوما بعد يوم في مجلسه حتى بلغ باب القبة ، فخرج منه ذات ليلة ، ولم يدخله بعد ذلك (٢) •

ولكن طه حسين كان يعد أشد عيوب المشايخ إيلا ما لنفسه (الغيبة والنميمة) أساتذة وطلابا حتى كرههم طه حسين جميعا وعاف مجالسهم • وتأكد في نفسه هذا الشعور بعد خروج الأستاذ الامام من الأزهر • وكان تلاميذ الشيخ محمد عبده ميثوثين في الأزهر • وكان الظن بهم أن يهبوا لنصرته مهما فدحهم الثمن • ولكن الأستاذ الامام خلف الأزهر واتخذ دارا للافتاء فأسفوا فيما بينهم ولم يزدوا • وقليلون هم الذين زاروه في عين شمس ، وانصرف عنه الكثيرون !

وهزت هذه الواقعة نفس طه حسين بالألم والشجن والغيط أيضا • ولم يكن في ذلك الحين قد عرف الأستاذ الامام • (١) (٢) •

ولم يلبث الشيخ محمد عبده ، بعد أن خرج من الأزهر أن خرج من الدنيا بأسرها • فروع فقدته مصر ، ولم يكن الأزهريون أكثر الناس

(١) الأيام ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ • ٧٧١ •

(٢) اقرأ الأيام ج ٢ ص ١٣٩ — ١٤٠ • ٨٦١ •

روعا ! (وكذلك عرف الفتى فى ألم لاذع ولأول مرة فى حياته الناشئة أن ما يقدم إلى عظماء الرجال من ألوان الإكبار والإجلال وضروب التملق والزلفى ، لغو لا طائل تحته ولا غناء فيه ، وأن وفاء الناس ينحل فى أكثر الأحيان إلى كلام لا يفيد) (١) •



قضى طه حسين أعوامه الأولى فى الأزهر منتميا إلى رواق الفشنية وبدأ يتطلع بعد هذا إلى المرحلة الثانية ، مرحلة المنتظرين • فرفع ورقة إلى شيخ الرواق يطلب إليه أن يقيد اسمه بين أسماء المنتظرين • وختمها بالجملة التقليدية فى ذلك الحين : (جعلكم الله ملجأ للقاصدين) •

ثم انتقل طه حسين من صفوف المنتظرين إلى رهط المستحقين بعد أن نجح فى امتحان الانتساب إلى رواق الحنفية • وبهذا أصبح طه حسين مستحقا • (ونال رغبين فى كل يوم فكثرت الخبز فى الغرفة ، وفرحت الأسرة فى الريف) •

ونال طه حسين أكثر من هذا خزانة فى الرواق يحفظ فيها نعليه ورغيفيه أو أحدهما • وليس هذا بالشئ القليل الشأن فقد كانت النعال لها جاذبية خاصة فى الأزهر ، حتى أصبحت سرقتها من الأمور المألوفة الشائعة • حتى ازدهر بفضلها فن الاعلان فى الأزهر فكان أصحاب النعال المسروقة يلصقون على جدران الأزهر من حول الصحن أوراقا يعلنون فيها (أن نعالهم قد ضاعت وأن من ظفر بها فردها إلى صاحبها فى مكان كذا ، أو رواق كذا ، فله الأجر والثواب ، ومن احتفظ بها متعدياً قطعه الله من هذا المكان !) (٢) •



(١) الايام ج ٢ ص ١٤٧ •

(٢) الايام ج ٢ ص ١٤٨ •

ولكن هل انصرف الطالب الشيخ إلى علومه الأزهرية وحدها وخلص لها ؟ كلا لقد أقبل على شيء آخر يبدو في نظر الكثيرين متعارضاً مع الاتجاه الأزهرى •• لقد أقبل الشيخ طه على •• الأدب حفيماً به أول الأمر ، ثم متفانياً فيه • أحب الأدب ولمّا يدرسه ، حديثاً يروى • كان أخوه وصحبه يتذكرون طرائف الشيخ الشنقيطى وإن كانوا لم يسيغوا ما يحمّلهم من (معلقات) • ولكن أخاه حاول أن يحفظ هذه المعلقات • ونجح في حفظ معلقة امرئ القيس ، ومعلقة طرفة اللتين كان يردد أبياتهما بصوت مسموع • فيلتقط الصبى منه ويحفظ عنه حتى إذا آنس منه ميلاً إلى الحفظ أشركه فيه ، وإن كان الصبى في حقيقته لم يفهم لما يردده معنى • وبهذه الطريقة حفظ طه حسين عشر مقامات الحريري ، وطائفة من خطب الإمام على في (نهج البلاغة) ، ومقامات بدیع الزمان الهمزاني ، وقصيدة أبى فراس :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

(وكذلك اتصل صاحبنا بالأدب على هذا النحو المضطرب المختلط • وجمع في نفسه أطرافاً من هذا الخليط من الشعر والنثر • ولكنه لم يقف عند شيء من ذلك ولم يفرغ له ، وإنما كان يحفظ منه ما يمر به حين تتاح له الفرصة ، ثم يمضى لشأنه وفناقله (١) •



وانصرف الطلاب الكبار عن درس الشيخ المرصفي فلم يعد طه حسين يسمع حديث الأدب الأثير عنده • ولكنه لم يلبث أن ترامى إليه أن الشيخ المرصفي سيجعل يومين من أيام الأسبوع لقراءة المفصل للزمخشري في النحو • فأقبل عليه حفيماً بالدرس والدارس ، كما حضر

بالطبع دروس الأدب في دورها من الأسبوع •• ومنذ ذلك الحين لزم
الشيخ الموصى •

لم يكن الشيخ الموصى أقل به كلفاً • فقد اصطفاه فيمن اصطفى
من تلاميذه بعد أن كشف مواهبه وعرف مزاياه من قوة ذاكرة ووعي
شامل لما يسمع وإن طال عليه العهد وبعد به التاريخ •

وقد التقى الأستاذ والتلميذ في بغضهما لشيوخ الأزهر ونقدتهما
لهم ، وفي شيء آخر هو حبهما الراسخ للحرية خالصة من القيود ••
كل القيود والأغلال •

وليس كالشيخ الموصى في درس الأدب ونقده — وعنه أخذ طه
حب النقد وحرية — ومع هذا لم يثبت معه من تلاميذه الذين تقاطروا عليه
أول الأمر إلا قليلون امتاز منهم وظهر عليهم ثلاثة هم : طه حسين ،
وأحمد حسن الزيات ومحمود الزناتى • وكون الثلاثة جماعة سار ذكرها
في الأزهر ، وذاع نقدها له ، وشاع رأيها فيه ولم يكن مدحا • وزادوا
أن جهروا بقراءة الكتب القديمة وتقضيها على الكتب الأزهرية •
(يقرءون كتاب سبوية أو كتاب المفضل في النحو ، ويقرءون كتابي
عبد القاهر الجرجاني في البلاغة ، ويقرءون دواوين الشعراء لا يتخرجون
في اختيار هذه الدواوين لا في السر ولا في الجهر ، وإنشاد ما كان فيها
من شعر المجون أحيانا ، في الأزهر • ويقلدون هذا الشعر ، ويتناشدون
ما ينشئون من ذلك إذا التقوا) (١) •

وحفظها لهم الأزهريون وباتوا يتآمرون بهم ويدبرون بليل •
وبينما هم يستمعون يوما إلى الشيخ عبد الحكم عطا — وكان من

عادته أن يقطع درس البلاغة دقائق للاسترواح فيقبل هو على نشوقه ،
ويقبل الطلاب على أقداح الشراب يطفئون به نار الفول • • بينما هم
في هذه الهدنة القصيرة من الدرس ، إذا بأحد المشدين يأتي فيدعو طه
والزيات والزنتاتي إلى غرفة شيخ الجامع • وهنا بدأت معركتهم
مع الأزهر • • معركة لم تعرف الهدنة إلا بعد أن خلفوا الأزهر لائذين
بالجامعة الجديدة •

انصرف الثلاثة من الأزهر بل انصرفوا عن الشيخ المرصفي ، وكان
أملهم الباقي في الرجال لترفعه عن الدنيا وتعففه عن الصغار على خلاء
يده وشدة حاجته التي كان يسترها عن الناس فلا يعرف إلا خاصته
المقربون الذين كانوا يرون ويصمتون ويعجبون أيضاً • ومع الصمت
والعجب يرتفع في أعينهم (الأستاذ) أقدارا •

وكان الشيخ المرصفي يرى رأيهم في شيخ الجامع الذي أحقنهم
في ذلك الحين بل كان يذهب فيما يزعمه لهم متندرا أنه لم يخلق للعلم
ولا للمشيحة ، وإنما خلق لبيع الحسل الأسود في سرياقوس • وكان
قد فقد أسنانه فكان ينطق السين ثاء ، فلم ينس تلاميذه (بائع
العث في ثرياءوث) •

ويقول طه حسين (ولكن بائع سرياقوس هذا كان شديداً حازماً
وكان مهيباً صارماً ، يخافه الشيوخ جميعاً ومنهم الشيخ المرصفي • فقد
أخذ يقرأ كتاب المغنى وذهب إليه تلاميذه ، مطمئنين ، وما يعنيهم أن
يقرأ الشيخ هذا الكتاب أو ذاك • حسبهم أن يقرأ الشيخ وأن يسمعوا
منه ويقولون له وقد سمعوا منه • فلما هم الفتى أن يقول له بعض
الشيء أسكتته في رفق وهو يقول : « لأ ، لأ ، عاوزين ناكل عيش » •
ولم يعرف الفتى أنه حزن منذ عرف الأزهر كما حزن حين سمع هذه
الجملة من أستاذه ، فانصرف عنه ومعه صديقه وإن قلوبهم ليملؤها
حزن عميق (١) •

(١) الأيام ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١ • ٧٧١ ج ٢ ص ١٧١ (١)

وخرج طه حسين والزيات والزناطي من الأزهر • • ولكن لطفي السيد ، كريما ، شفع لهم عند الشيخ حسونة فعادوا إلى الأزهر • (ومنذ ذلك الوقت اتصل الفتى بمدير الجريدة وجعل يتردد عليه ، حتى جاء وقت كان يلقاه فيه كل يوم • وفي مكتب مدير الجريدة ظفر الفتى بشيء طالما تمناه ، وهو أن يتصل بهيئة الطرابيش بعد أن سئم بيئة العمائم • ولكنه اتصل من بيئة الطرابيش بأرقاها منزلة وأثراها ثراء • وكان هو ، فقيرا متوسط الحال في أسرته ، سيء الحال جداً إذا أقام في القاهرة ، فأتاح له ذلك أن يفكر فيما يكون من هذه الفروق الحائلة بين الأغنياء المترفين والفقراء البائسين) (١) •

عاد طه حسين إلى الأزهر ولكن صفاء لم يعد • كان يحتمله احتمالاً حتى ينقذه الصيف من ضيقه وتبرمه من (الأزهر والأزهريين) ولم يعد يقبل على الدروس إقباله الأول المتطلع المتحفز إلى السؤال والمناقشة والمداعبة أحياناً ، بل كان النوم يلحقه في مجلسه أيا كان الأستاذ صاحب الدرس ، فيوقظه الطلاب « جادين أو هازلين » •



كانت الأجازه الصيفية فرصته الواسعة للقراءة المتنوعة الجدية والتفكير • وما أكثر ما كان يخلو إلى القراءة ويستغرق في التفكير • وفي هذه الفترة قرأ ترجمات فتحى زغلول عن الفرنسية والسباعى عن الانجليزية • • قرأ جورجى زيدان ويعقوب صروف والشيخ رشيد وقاسم أمين وكثيراً من آثار الأستاذ الإمام •

ثم ما لبث أن أنكر أجازاته أيضاً فقد تحولت أسرته عن مسقط رأسه إلى أعلى الأقاليم ثم إلى أقصى الصعيد بعد أن سبقها عائلها إليه • وكان الفتى الذى حفظ مدينته وحفظ طريقه فيها يتهيب المدينة

الجديدة إلى حد النفور ، وإن كان قد انتهى أمره إلى الاطمئنان إليها
ثم الكلف بها على الرغم مما لاقاه في طريقه إليها • وما لاقاه حدث يروى
فإنه من الأحداث التي تمس جرحه الكبير •

ركب القطار السريع مع الأسرة في منتصف الليل فبلغ بهم المدينة
الجديدة في الساعة الرابعة من اليوم الثاني • وكانت المدينة جديدة على
القطار أيضاً فلم يقف بها إلا دقيقة واحدة وكأنها للاستطلاع فقط •

وكانت الأسرة المكدسة في القطار جمعا وفيرا من الأبناء والنساء
بينهم حفنة من الأطفال وكومة متضخمة من الأمتعة • ولما لاحت المدينة
الجديدة للقطار والركاب تدافعت الأسرة في طريقها إلى الباب يحدو
كبارها ، الأطفال والنساء والمتاع أيضاً • وكل يهيئ نفسه للنزول حتى
إذا وقف القطار تواثبوا إلى الرصيف مخلفين في العربة ذلك الذي
أغلقت نافذاته فلم ير المدينة الجديدة ، ولم ير الطريق إلى باب القطار
ولم يره ، بدوره أحد •

وذعر الفتى تفترسه الوحدة والعجز والحيرة في جلسته اليائسة
بين الغرباء الذين لم يلبثوا أن أحسوا ما به فأخذوا يهددون ألمه
ويسكنون روعه حتى وقف القطار في أول محطة • فأخذوا بيده وأودعوه
مكتب التلغراف في عجلة ليلحقوا بالقطار •

واستقر بالأسرة المقام في دارها الجديدة بعد أن طافت بحجراتها
في جولة مستطلعة • ثم أخذ الشيخ مجلسه بين أبنائه وبناته يتحدث
إليهم بعد غيبة طويلة ثم جاء ذكر ابنه طه فذعروا واستطاروا • وفكر
الشباب في مكتب التلغراف فهرولوا إليه ليجدوا النبأ في انتظارهم •
إن أخاهم في المحطة المجاورة فأرسلوا إليه من جاء به (ردفا على ظهر
بغلة كانت تسعى هادئة مرة مهملة به مرة أخرى فتضيف في قلبه فرقا
إلى فرق وذعرا إلى ذعر) (١) •

ورد الفتى إلى أهله وسكن روعه وأمن من خوف ولكنه لم ينس قط مجلسه عند صاحب التلغراف وقد اجتمع إليه جماعة من موظفى المحطة (فلما رأوا عنده هذا الفتى أنكروا ثم عرفوا أمره ، فأظهروا العطف عليه والرقّة له • وقد رأوا شيخا ضريرا ، فما شكوا فى أنه يحسن قراءة القرآن أو يحسن الغناء • وهم يطلبون إليه أن يغنى لهم شيئا فإذا أقسم لهم أنه لا يحسن الغناء طلبوا إليه أن يقرأ لهم شيئا من القرآن • فإذا أقسم لهم أنه لا يحسن التصويت بالقرآن ألحوا عليه وأبوا إلا أن يسمعه • واضطر الفتى إلى أن يقرأ القرآن خجلا وجلا مستحييا ضيقا بالحياة لاعنا للأيام • وإذا صوته يحتبس فى حلقه ، وإذا الدموع تنهمر على خديه ، وإذا القوم يرفقون به وينصرفون عنه ويتركونه وحيدا أو كالوحيد حتى يأتى من يرده إلى أسرته) (١) •



وانقشعت سحابة لتطل فى الأفق غيرها • كان هذا العام مرحلة انتقال فى كل شيء • فأسرته انتقلت إلى أقصى الصعيد وأخوه سينتقل إلى مدرسة القضاء ، وابن خالته صفيه فى النجوى ، وزميله فى الدراسة ورفيقه فى الطريق ، التحق هو الآخر بدار العلوم •

وتحدث أخوه الشيخ فى الأسرة بتجميد حاضره ومستقبله بعد أن أقفر الربع من طلابه • لقد كان الأمل والهدف معا أن يظفر طه بدرجة العالمية من الأزهر • ولكن الآن ماذا عساه فاعلا بلا ساعد يتكىء عليه أو عين تقرأ له • • « أكبر الظن أنه لن يظفر بها » • وقهقهه من وراء الغمام القدر • • وابتسمت الأيام • • أمه وحدها هى التى بكت لأن طبيبتها صدقت نبوءة أخيه •

وكانت ليلة ثقيلة طويلة لقى الفتى فيها من نفسه عذابا شديدا ثم

أصبح لا يقول شيئاً ولا يقول له أحد شيئاً ، فقضى نهاره ثقيلاً طويلاً •
ثم أقبل عليه أبوه الشيخ مع المساء فمسح رأسه وقبله وقال له :
ستذهب إلى القاهرة ، وسيكون لك خادم خاص • هنالك أجهش الفتى
بالبكاء وأجهشت أمه بالبكاء أيضاً •

ومرة أخرى التقى بالقاهرة وقد اطمأن إلى رفيق حتى ليتخلف
أحياناً كثيرة عن الأزهر لينقطع إلى ذلك الغلام الصغير يقرأ له في الشعر
مرة وفي التاريخ أخرى وفي القصص أحياناً كثيرة •• كان يرتاح إليه
على الرغم من تعثره في القراءة التي كان يصلح معوجها لنفسه في نفسه •
ولقد كان لهذا الخادم مهمة أخرى • كان لسيدة « إرادة » • بغيره
يستطيع مرافقه أن يطلب إليه ما يريد • والدكتور طه يحكى أنه أراد
أن يترك صديقاً في بعض الطريق (ولكنه قد احتاط لذلك عامداً أو غير
عامد ، فأبى على أن أصطحب غلامى الأسود الصغير • واستطاع على
هذا النحو أن يخرجني من غير خادمي ، وأن يحتكم في أذني وفي رأسي
وفي رجلي كما أراد) (١) •

ولم يكن خادمه الأسود دليله إلى الأزهر وحده ولكن إلى الجامعة
أيضاً • كانت الجامعة قد أنشئت وذلك سنة ١٩٠٨ فرأى فيها الفتى
حلمه ، وعرف فيها طريقه ، وقر عندها شوقه الحائم •• (وإذا هو
يجد للحياة طعماً جديداً ، وإذا هو يتصل ببيئة جديدة وبأساتذة لاسبيل
إلى الموازنة بينهم وبين أساتذته في الأزهر) (٢) •

(١) أدب ص ٧٤ •

(٢) الأيام ج ٢ ص ١٨١ •

(٣) ١٨١ — ٢٨١

كان مبهوراً يخيل إليه أنه يسمع من المحاضرين في الجامعة الأعاجيب مع أنه لم يكن يسمع كما يقول (إلا أيسر الأشياء وأهونها) (١) .

وهكذا لم تعد له غاية في الربع بعد أن دخلت الجامعة حياته ، فانتقل بدوره إلى بيت جديد في درب الجماميز . وكذلك لم تعد له ، مع الجامعة ، غاية في الأزهر فأصبح يسعى إليه لماماً تحته لقيا صديق أو زيارة الشيخ المرصفي . (وفي الحق أن الفتى قد قطع الصلة بينه وبين الأزهر في دخيلة نفسه وأعماق ضميره ، ولكنه ظل مقيداً في السجلات) (٢) .



ولكن الأزهر شده إليه من جديد بفضل النظام الجديد للانتساب ، فإن صديقاً لأخيه كتب إلى المشيخة طلباً باسم طه لقبوله منتسباً نظامياً . وهكذا غدا طه الذي أريد له أن يظل بالريف ، طالباً بالجامعتين في وقت واحد ! الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية . ولعله كان يردد في نفسه وهو يجمعهما فيها ، قديماً إلى جانب جديد ، فخر مهيار بضم المجد من أطرافه . فقد كان لا ينقصه الاحساس بقدره منذ فرض احترامه ، صغيراً ، على أسرته في البيت ، وعلى قريته في الريف ، وعلى جирته في الربع . . ثم على الحياة والتاريخ .

وفي الجامعة سمع دروس أحمد زكي بك (باشا) في الحضارة الإسلامية ، ودروس أحمد كمال (باشا) في الحضارة المصرية القديمة ، ودرس أجناسيو جويدي Ignazio Guidi في أدبيات الجغرافيا والتاريخ . وجلس طه حسين إلى ليتمان ونلليانو وسانتلانا . وكان لدروس سانتلانا في تاريخ الفلسفة الإسلامية أثر عميق لا يمحي .

وقد صحب أستاذه سانتلانا إلى بعض دروس الأزهر فجلسا مرة

(١) أديب ص ٤١ .

(٢) الأيام ج ٢ ص ١٨١ — ١٨٢ .

إلى الشيخ سليم البشرى يستمعان إلى درس في التفسير • وكان موضوع الدرس الآية (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) • « سورة الأنعام » • فاعترض الدكتور طه على روح التفسير وصاح : إن هذا جبرية مطلقة • فرد الشيخ البشرى غاضباً : من أين تعلمت هذا الكفر ؟ من أساتذتك الإفرنج ؟ فهمس إليه سائلنا أن أسكت •

وحضر طالب الجامعة طه حسين ، بها ، الأستاذ ميلونى • وكانت دروسه في تاريخ الشرق القديم وخاصة تاريخ بابل وآشور وشومر ، كما حضر الأستاذ ماسينيون ١٩١٢ - ١٩١٣ عن الاصطلاحات الفلسفية (١) •



وكان يختلف إلى الجامعة مع طه حسين صديقه بالأزهر أحمد حسن الزيات أحد الثلاثة الذين دوى صوتهم في الأزهر وأثاروا غضبته ، كما كان أحد الثلاثة الذين استأثروا بمودة الشيخ المرصفى • وكان الشيخ المرصفى صديقاً حميماً للمستشرق الفرنسى (بلاج) الذى كان مفتشاً عاماً للغة العربية بالمدارس الفرنسية • فكان يطلب إلى الشيخ المرصفى أن يختار له أكفاء للتدريس بالمدارس الفرنسية فاختر تلميذه أحمد حسن الزيات فكانت هذه نقطة تحول لا فى حياة الزيات نفسه بل فى حياة صديقه طه أيضاً • فإن (بلاج) فى ذلك الوقت كان يترجم حكايات لافونتين ثم يعهد بها إلى مدرس اللغة العربية الجديد أحمد حسن الزيات — بعد أن حاز إعجابه — لينظمها • واشتدت حركة ترجمة بلاج فرأى أن يكافئ (الزيات) • فكلف دوزيتيه مدرس الفرنسية بمدرسة الخرنفش بإعطاء دروس فيها للزيات الذى كان يعود إلى رفيقه فيقرأ عليه ما تلقاه فتشرب ذاكرته ما يسمع ، من فرحة • ثم يتلقى الصديقان

(١) اقرأ كتاب (الى طه حسين) فى عيده السبعين •

معا دروسا أخرى على « لاتوش » أحد مدرسي مدارس برلينز لتعليم اللغات الحية • وهكذا تسنى لطفه أن يحضر دروس الأدب الفرنسى التى كان يلقيها الأستاذ لوى اكليمان فى الجامعة المصرية •

وطال ترده زما على الأزهر والجامعة معا لغاية فى نفسه •

(كنت أريد أن أكون شيخا من شيوخ الأزهر مجدداً فى التفكير والحياة على نحو ما كان يريد المتأثرون بالشيخ محمد عبده • استعين على ذلك بما أسمع فى الجامعة وما أقرأ من الكتب المترجمة ، وما أجد فى الصحف ، وما التقط من أحاديث المثقفين • فأصبحت وأنا أنشد انصرافا عن الأزهر ، ونفورا من دروسه وشيوخه ، وحرصا على أن أهجر مصر وأعبر البحر إلى بلد من هذه البلاد التى يطلب فيها العلم النواسع والأدب الراقى وتتغير فيها الحياة من جميع الوجوه) (١) •

وتحقق هذا المأرب بعد أن حصر فى الجامعة رسالة للدكتوراه فى « ذكرى أبى العلاء » • وقدمها فنوقشت بين يدى الجمهور فى ١٥ مايو سنة ١٩١٤ • فكانت أول إجازة علمية تمنحها الجامعة الوليدة فقررت إيفاده فى بعثة إلى فرنسا • وهكذا غدا الحلم حقيقة تبهر صاحبها والناس •

ولعل من أطرف وثائق الجامعة القديمة كما يقول الأستاذ سامى الكيالى ذلك الالتماس الذى قدمه إليها الطالب طه حسين لكى تقرضه خمسة عشر جنيها يشترى بجزء منها ملابس افرنجية بدلا من زيه الأزهرى ، ويسدد بالباقي أجرة الغرفة التى كان يسكنها ، استعدداً للسفر فى البعثة إلى باريس فصرفت له كما صرفت له المكافأة التى وقفها الدكتور علوى باشا ابتداء من عام ١٩١٣ على روح ابنه المرحوم

حسين علوى — وقدرها عشرة جنيهاً لمن ينبغ من طلاب الجامعة المصرية عن سنتى ١٩١٣ — ١٩١٤ نظراً لتفوقه فى الدراسة ونواله إجازة العالمية فى قسم الآداب بدرجات عالية جداً (٢) .



وعند عودته إلى مصر سنة ١٩١٩ عين أستاذاً للتاريخ القديم (اليونانى والرومانى) . واستمر فى هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥ تلك السنة التى غدت الجامعة فيها حكومية بعد أن كانت أهلية فعين الدكتور طه أستاذاً لتاريخ الأدب العربى فى كلية الآداب .

ويعتبر هذا المنصب بداية مرحلة فى حياة طه حسين . وفى سنة ١٩٢٦ أخرج كتابه (فى الشعر الجاهلى) الذى أحدث ضجة أذاعت اسم طه حسين وإن عمه منها رشاش . فقد لغت الصحف فى المعركة ، ولجت المجالس حتى أنزلت النيابة الستار بإصدار قرار يقضى بسحب كتاب (فى الشعر الجاهلى) من السوق .

ولكن الستار لم يسدل على هذه المعركة إلا ليفتح من جديد على أخرى وكأنها كانت فصلاً من رواية طويلة . . فعندما عين سنة ١٩٢٨ عميداً لكلية الآداب أثار هذا التعيين أزمة سياسية . حاربه وزير المعارف الوفدى لصلته بالأحرار الدستوريين فطلب إليه أن يستقيل ولكنه أبى أن يستجيب حتى يعين أولاً فكان له ما أراد . وعين يوماً وقع فى نهاره بعض الأوراق وقدم فى مسائه استقالته . وأتى من جديد ميشو الفرنسى ، عميداً .

وعادت كلية الآداب تتطلع من جديد إلى طه حسين وذلك فى سنة ١٩٣٠ — فوافق وزير المعارف الذى لم يلبث غير يومين حتى طلب إليه أن يستقيل من الحكومة ليضطلع برئاسة تحرير جريدة « الشعب »

(٢) اقرا (مع طه حسين) ص ٢٤ .

لسان حال حزب الشعب الذى أنشأه رئيس الحكومة اسماعيل صدقى باشا • ولكن الدكتور طه أثر العمادة على الصحافة فعادوا من جديد يلمحون باسم رئيس الحكومة فلم يثنه ذلك عن قراره • • ومرت العاصفة مخلفة آثارها الظاهرة والمطوية •



ولم يمحض على هذا الهدوء النسبى أكثر من عامين حتى واجهته الحكومة من جديد طالبة إليه أن تمنح كلية الآداب ، الدكتوراه الفخرية بعض السياسيين وهم : على ماهر وإبراهيم يحيى وعبد العزيز فهمى وتوفيق رفعت • ومرة أخرى قاوم الدكتور طه الرغبات القاهرة « سُموا بالدكتوراه أن ترتخص وتمنح لهوى » مع تقديره لهذه الأسماء • • ودعاه وزير المعارف « حلمى عيسى » آنذاك ، وخاطبه فى الأمر ولكن إصراره لم يهن وموقفه كالعادة لم يتغير • فلجأت الحكومة إلى كلية الحقوق مخلفة كلية الآداب التى يغالى بها • ولكن حلمى عيسى لم يصمت على مضمض كما فعل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ بل نقله فى ٣ مارس إلى وزارة المعارف فنفذ النقل ولكنه رفض العمل • وشنها حملة عاتية فى الصحف • وكانت ضجة فى الصحافة لها صداها فى الجامعة حتى تحرك صدقى باشا وحاول تطويعه ليتعاون مع حلمى عيسى ولكنه أبى ، للمرة الكم لست أدرى — أبى وطلب إليه بدلا من « التعاون » أن يعيده إلى منصبه فى الجامعة • ولم يطق صدقى الصبر هذه المرة فأوعز إلى أحد النواب أن يقدم استجوابا فى مجلس النواب أشعل الفتنة فيه وامتدت منه إلى الحياة خارجه فاصطنع صدقى العلاج للمشكلة الناشبة فأصدر قراراً فى ٢٩ مارس سنة ١٩٣٢ بإحالة الدكتور طه حسين إلى التقاعد •

وهنا لزم الثائر بيته دون أن يغمد قلمه فكان يكتب فى جريدة السياسة اليومية مجانا • وتولى رئاسة تحريرها فترة غياب الدكتور حسين هيكل •



وبعد سنة من هذه الحادثة أى فى مارس سنة ١٩٣٣ طلب إليه مصطفى النحاس أن يكتب فى جريدة ، كوكب الشرق ، مع صاحبها حافظ عوض فقبل • ولكنه ما لبث أن اختلف مع حافظ عوض لامتناعه عن دفع الغرامة عن أحد الكتاب • ولم يتردد فى الاستقالة من كوكب الشرق ثم اشترى امتياز جريدة « الوادى » وأشرف على تحريرها حتى ديسمبر سنة ١٩٣٤ إذ أعيد إلى الجامعة فى وزارة نسيم ، استاذاً فى كلية الآداب التى عين عميداً لها خلال عامين (مايو سنة ١٩٣٦) • واستمر فى العمادة ثلاث سنين (مايو سنة ١٩٣٩) • ولقد أعيد انتخابه ولكن الحكومة القائمة لم ترض عن هذه النتيجة فاضطر إلى الاستقالة من العمادة ليظل استاذاً • حتى بعد انتدابه مراقباً للثقافة فى وزارة المعارف حتى فبراير سنة ١٩٤٢ • وهو تاريخ مجيء الوفد إلى الحكم فعينه نجيب الهلالي وزير المعارف وقتئذ مستشاراً فنياً لوزارة المعارف ثم انتدبه مديراً لجامعة الاسكندرية فى اكتوبر سنة ١٩٤٢ ، واستمر فى هذين المنصبين حتى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤ (١) • وفى هذا التاريخ أحيل إلى التقاعد مرة أخرى فظل « متقاعدًا » حتى ١٣ يناير سنة ١٩٥٠ • فترة هدوء استمرت ست سنوات • •



فلما كانت سنة ١٩٥٠ (١٣ يناير) قلب طه حسين الصفحة إذ عين وزيراً للمعارف • فأحدث الثائر القديم ثورة فى التعليم إذ قرر مجانية التعليم الثانوى والتعليم الفنى منذ البداية • وامتد أمله إلى التعليم العالى فاستعصى عليه الملك وكأنه أحس نذر الخطر تزحف إليه من وراء هذا التغيير الجذرى • • وأذكى طه حسين من بين رماد الركود الجذوة المقدسة جذوة الروح المصرية حين تهب فجأة تصنع الأحداث وتأتى العظام • حول الكثير من المدارس الأولية إلى ابتدائية وأنشأ آلاف

(١) اقرأ كتاب الى طه حسين فى عيده السبعين •

الفصول وكأن أيامه الأولى قد استيقظت في نفسه ولم نذهب بعيداً وقد قالها طه حسين في بساطة الواصل من نفسه :

« اللهم اشهد أنى ما ذهبت قط إلى الجامعة أو إلى وزارة المعارف إلا كانت هذه القصة ملء قلبي ، وإلا ذكرت أنى كنت سعيداً حين تعلمت على حساب الدولة فمن الحق على أن أتيج بعض هذه السعادة الأكبر عدد ممكن من شباب مصر ولو استطعت لأحتها لهم جميعاً (١) » .

وظل طه حسين في وزارة المعارف كالنار المقدسة تصهر كل شيء وتجلو معدنه حتى شبت في القاهرة نار أخرى آثمة دمرت كل شيء ، حتى الحكم .

استقالت الوزارة واستقال طه حسين وكان الوقت ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وبعدها خلص طه حسين للانتاج الفكرى الخالص .



وهكذا عاش طه حسين صاحب رأى • وهو إذا آمن بشيء أو حتى بإنسان انتصر له ودافع عنه وفرضه فرضاً • وهكذا كان معارضا شديدا المعارضة • وهو معارض منذ سافر إلى القرية أول مرة وهو طالب بسيط في الأزهر ، فاستخفت به القرية وهى التى تحتفى بأخيه كلما شق دروبها بل تحتفى به غائبا فترفع الصوت فى السؤال عنه والاطمئنان عليه • فأذى ذلك نفسه فمضى ينقد كل شيء : دلائل الخيرات التى كان

(١) جنة الحيوان ص ٩٧ .
وقف كتاب (الفن فى حياتنا) للاستاذ فتحى غانم وقفة طويلة عند سر تعلق طه حسين بالتعليم . وعزا الى التعليم كل شيء فى حياته . والقول صادق فى جملة وان كنت اختلف معه فى التفاصيل . فقد كان المؤلف ينظر طول الوقت من زاوية واحدة مادية صرفه ثم يقصر الأقوال والأفعال قسرا على السير فى هذا الاتجاه تأييدا لرأيه الخاص .

يعتز بقراءتها والده ، ومجالس الشيوخ وامتد نقده إلى المحكمة الشرعية
نفسها .

وهكذا انتقم الصبي لنفسه ، وخرج من عزلته ، شغل الناس في
القرية والمدينة بالحديث عنه والتفكير فيه . وتغير مكانه في الأسرة ،
مكانه المعنوي إن صح هذا التعبير ، فلم يهمله أبوه ، ولم تعرض عنه
أمه وأخواته ، ولم تقم الصلة بينهم وبينه على الرحمة والإشفاق ، بل على
شيء أكثر وأثر عند الصبي من الرحمة والإشفاق . وانقطع ذلك النذير
الذي سمعه الصبي في أول الأجازة بأنه قد يبقى في القرية ، يقطع عن
الأزهر ويصبح فقيها يقرأ القرآن في المآتم والبيوت .



وكانت بداية لها ما بعدها فمضى يجادل شيوخه في الأزهر حتى خرج
من الأزهر عقب جدال . حتى السلطان نفسه عارضه فكان إذا غضب على
شيخ ، انتصر له طه حسين وأعلن انتصاره له في الصحف وسعى إلى داره
ولزم درسه فيها (لا حبا في علمه ولا تهالكا على شخصه ، ولكن تحديا
لذلك السلطان الذي كنا نراه جائراً متحكماً ولا نريد أن نذعن لجوره
ولا لتحكمه) (١) .



ولعل أهم وقفاته في معترك الآراء ، رأيه في الشعر الجاهلي ، ورأيه
في مستقبل الثقافة في مصر . وحديثه في هذا الكتاب خاصة عن الدين
واللغة ، وفصله بينهما وبين مصائر الأمم وتشكيل الوحدات السياسية ،
واستشرافه الدائب إلى مصر الأولى . مصر الفرعونية واعتزازه بنسبها

أساسا (١) نصدّر عنه مهما تقلّبت ظروف أو تبدّلت دول •



عاش طه حسين حر الرأى غاليا فى التجديد كما يقول صاحبه الأديب (١) • وقد يسفر طه حسين كدعوته إلى المصرية الخالصة ، وقد يعمد إلى الرمز • وكتابه (جنة الحيوان) يغلب عليه طابع النقد السياسى الملفوف فهو من هذه الناحية من نماذج الأدب الرمزى • ومن توابع الرمز ما تجده فى أدب طه حسين من ظاهرات مثل (تلميذ فتى) (وأستاذ شيخ) وسيدة (أدبية أريية) وهم وسيلته إلى النقد والسخرية •

ولكن حرية طه حسين حرية عقلية فإذا تجاوز الأمر العقليات والمعنويات تحفظ طه حسين الانسان وحافظ إلى حد التزمّت • فهو يكره

-
- (١) انظر كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) وبعض ما جا عقبه :
- من المحقق أن تطوّر الحياة الانسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لاتصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول • ص ١٦ •
 - فقد تخففت أوروبا من أعباء القرون الوسطى ، وأقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية ولا على تقارب اللغات والأجناس • ص ١٨ •
 - أن مصر فرعونية وستبقى فرعونية ويجب أن تبقى فرعونية •
 - أن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى •
 - أن المصرى مصرى قبل كل شئ ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلّبت الظروف •
 - لا تصدق ما يقوله المصريون من أنهم يعملون للعروبة ، فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم وستبقى كذلك •
 - أن الاكثريّة الساحقة من المصريين لا تمت بصلة الى الدم العربى ، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء •
 - لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم ، لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال •
- (١) أديب ص ٩٨ •

المجون ويقبّحه وينهيه في صورته المختلفة نهايات مظلمة • فالجئون
(يفسد المروءة ويذهب بنضرة الأجسام والنفوس) (١) •



وقد عاش طه حسين حياته يحاضر ويكتب في النقد والوصف والتراجم والتاريخ الأدبي والمقالة والقصة • وهو صاحب مدرسة ومنهج في النقد خاصة • وفي أدب طه حسين نوافذ لنا على الآداب الأجنبية وخاصة الأدب اليوناني ، وهو شديد الإيمان بهما بعيد التأثير • • • وقد لخص وترجم عنهما كثيرا من القصص والروايات التمثيلية والمذاهب الأدبية وعرف بكثير من أعلامها • فذهب الأدب الفرنسي بكتابه (لحظات) و (صوت باريس) اللذين ضمنهما من القصص والتمثيلات ما يحكى حياة فرنسا ويعكس صورة أدبها بخصائصه وسماته المميزة • كما ترجم عن الأدب الفرنسي كتاب (روح التربية) تأليف جوستاف لوبون Gustave Le Bon ، و (قصص تمثيلية) لطائفة من أشهر الكتاب الفرنسيين وغيرهما مما تسعه قائمة مؤلفاته بعد •

وذهب الأدب اليوناني بكتبه : (قادة الفكر) ، (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) ، (آلهة اليونان) ، وترجم عن أرسطو طاليس (نظام الاثنين) • ومن الأدب التمثيلي اليوناني ترجم مسرحيات : « الكترا » و « انتيجونا » و « اوديبوس ملكا » (١) •

وقد أثرت هذه الجهود في الترجمة والتعريف ، الأدب العربي الذي استأثر بأيامه • وعندما يصل الحديث إلى الأدب العربي تتعدد كتب طه

(١) جنة الحيوان ص ٨٦ •

(٢) بمناسبة الأدب اليوناني نشر الى ترجمة للدكتور طه حسين كتبها يوناني دكتور في اللاهوت وآداب اللغة العربية هو ، د . اوجين ميخائيليس نشرت في العدد الثامن من مطبوعات معهد الدراسات الشرقية لمكتبة دار البطريرك في الاسكندرية •

ففى سنة ١٩٢٦ فى جلسة مجلس النواب (١) برياسة مسعد زغلول
(باشا) صاح نائب (الأستاذ عبد الخالق عطية) :

(هو كتاب في الشعر الجاهلى ذلك الذى تضمن طعنا ذريعا على
الموسوية الكريمة والعيسوية الرحيمة وعلى الإسلام دين الدولة المصرية
بنص الدستور) •

ثم ندد النائب بشراء إدارة الجامعة الكتاب ولو بدعوى منع انتشاره • ثم ساند الشيخ مصطفى القاياتى فساق نصوصا كثيرة من الكتاب • ومن الطريف أن الشيخ بعد أن أطال في الاستشهاد ختم بـ_____انه قائل :

(إذا لم أطل بينكم الليلة في سرد النصوص الواردة في هذا الكتاب وذكر الكلمات الشنيعة التي لا تدل إلا على زندقة فلأننى لا أريد إدخال

(١) مضبطة الجلسة الخامسة والخمسين لمجلس النواب يوم الاثنين ٦ ربيع الاول سنة ١٣٤٥ الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .

الحزن على قلوبكم ولأننى لا أود أن أرى دموعكم تسيل جزعا على دينكم
وشرف دولتكم) •

وجاء دور وزير المعارف فاعترف بشراء إدارة الجامعة جميع نسخ
الكتاب وحفظها في مخازنها كما اتخذت الاجراءات اللازمة لمنع طبع نسخ
أخرى منه •

ولكن هذا الرد لم يرو غلة • فتقاطرت الاقتراحات :

— اقتراح بإعدام الكتاب كلية •

واقترح بإلغاء وظيفة صاحبه (وكأن الوظيفة هى الشخص) •

واقترح بإحالة المؤلف إلى النيابة العمومية وإقامة الدعوى ضده •

ولم يلبث النائب عبد الحميد البنان أن قدم بلاغاً إلى النيابة
العمومية للتحقيق مع الدكتور طه حسين (فيما كتبه طعنأ على الدين
الإسلامى) •

وقد انتهت هذه الجلسة الصاخبة بطرح الثقة بالوزارة كما انتهت
الضجة بإحالة الدكتور طه حسين إلى النيابة العمومية للتحقيق معه •

ثم عادت الضجة فرفعت عقيرتها من جديد ولما يمضى عام •

ففى مايو سنة ٢٧ أثار الموضوع محمود رشاد (باشا) • وفى
يونيه ٢٧ أثاره سعيد الروبى (بك) بلا طائل •

وفى ٢٩ يونيه سنة ١٩٢٧ أثير الموضوع على يد النائب عبد الحميد
سعيد الذى طالب بإبعاد الدكتور طه عن الجامعة ومحاكمته إدارياً وكان
يعضده فى المناقشة سعد زغلول •

وفى ٥ مايو سنة ١٩٣٠ أثار الموضوع الأستاذ عبد العزيز الصوفانى
ودارت حوله مناقشة حادة دون جدوى •

وقد انبثقت عن الكتاب دراسات من مختصين بقصد تقويمه .

ففى سنة ١٩٢٧ ألفت وزارة المعارف لجنة من أساتذة اللغة والدين وهم : الشيخ محمد عبد المطلب والأستاذ الشيخ محمد حسنين الغمراوى (بك) والأستاذ أحمد العوامرى (بك) وطلبت إليها أن تقدم تقريراً عما إذا كان قد ورد به ما يمس الدين الإسلامى .

فانتهت اللجنة إلى إدانة الكتاب .

وقد جر الشعر الجاهلى إلى مهاجمة كتاب الدكتور طه (حديث الأربعاء) سنة ١٩٣٢ . ومن الطريف أن النائب النائب على هذا الكتاب

—الدكتور عبد الحميد سعيد — ضم إلى مخاوفه الكثيرة من آثار الدكتور طه حسين ، خوفه من جمال أسلوبه ! باعتباره جذاب خادع خلاب يؤثر فى الناشئ المسكين (١) .

وأدت هذه الأزمة إلى إحالة الدكتور طه إلى التقاعد .

* * *

وفى هذه المحنة المطبقة ارتفع صوت العقاد الحر الجرىء يدافع عن الدكتور طه حسين كما لم يدافع عنه أحد . لم يثنه حملة سعد زغلول — الذى كان العقاد يكبره — على الكتاب مع الثائرين عليه .

وقف العقاد يدافع عن حرية رأى ، وحرية البحث العلمى ، وعن حرية الإنسان . تحت قبة البرلمان فى مجلس الشيوخ وسط بلبلة عاصفة لا تعرف مغبتها .

(١) محضر الجلسة التاسعة عشرة لمجلس النواب يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٥٠ الموافق ٧ مارس سنة ١٩٣٢ .

ولكنه ، قوياً ، كشأنه دائماً لم يُبَال • وكشأنه ، نبيلاً ، لم يدخل حقيقة العلاقة الشخصية أو الفكرية بينه وبين طه حسين بل ارتفع على الخصومات والمودات واختار الطريق الأليق به وهو طريق الحق وإن كان وعراً مشكلاً •

ومن كتب طه حسين في الدراسات الأدبية (من حديث الشعر والنثر) ، (من بعيد) ، (حديث الأربعاء) •

وقد (أدب) الدكتور طه ، التاريخ العربى فى كتابه (على هامش السيرة) الذى نزع فيه إلى الوصف التصويرى والقصصى •

ومن كتبه الذائعة (مستقبل الثقافة فى مصر) وله : (ألوان) (مع المتنبى) ، (حافظ وشوقى) ، (فى الصيف) ، (جنة الحيوان) • وفى باب القصة :

(شجرة البؤس) و (دعاء الكروان) •

له الكثير مما يحسب للأدب المصرى •

ويؤثر الناس فى الشرق والغرب ، من بين كتبه جميعاً كتابه (الأيام) الذى حرصت اللغات على نقله إليها ولكن طه حسين يرى رأياً آخر • سأل أحد الصحفيين عن أقرب كتبه إلى نفسه فقال : إن الكتاب الذى أحبه وأثره لا يعجب الناس وهو كتاب « أديب » • وإعجابى به يرجع إلى أننى وصفت فيه كثيراً من شؤون حياتى الخاصة ، وما كان يحيط بها فى أوائل هذا القرن الذى نعيش فيه • لقد تحدثت فيه عن الجامعة القديمة ، وعن سفرى إلى أوروبا • وهى ذكريات أحبها وأثرها • صنعت هذا الكتاب على أن ما فيه تخیلات مما يخطر فى مخيلات الكتاب • والحقيقة أنه ليس فيه شئ من التخیل ، بل هو مجموعة من الحقائق • ولكن الناس معجبون بكتاب (الأيام) •

ومن الطريف أن طه حسين كان ينظم الشعر في مسـتهل حياته الأدبية • ومن شعره هذا قصيدته التي سماها (ليت للحب قضاة) والتي نشرت بجريدة (مصر الفتاة) ومنها :

شف قلبي ما يعـانى	من تـبـارـيح الهـوى
يعشق الحسن ولكن	ليس يحظى بالوصـال
أنا من وصل حبيبي	بين صد ونـوى
من عـذـرى من بخـيل	ضن حتى بالخيـال (١)

أحسب الأمر رياضة شعرية وإن كان الدكتور طه في نشره عرفنا بعزيزة وأمينه ، وزوجة المفتش التي لم تبلغ السادسة عشر ، وفرند التي عرفه بها مثلنا صديقه الأديب ولكن هذه كلها في شرعة الهوى نسائم لطيفة تسرى فيكون منها رَوْح وريحان ثم تمضى بها الحياة فلا تخلف منها إلا ذكرى عاطرة ولكنها عابرة • أما حبه الكبير الباقي فقد كان معه ، في فرنسا ، على موعد باركته شريعة الله •

ويبدو أن نزعة الشعر عاودته بعد غيبة طويلة فقد بدأ مقال الغانيات بهذا المطلع المنغوم :

- من أين أقبلت يا ابنتى !
- من حيث لا تبلغ الظنون • •
- ماذا تريدان يا ابنتى ؟
- أريد ما لا تقدرون • •
- كيف تقولين يا ابنتى ؟
- أقول ما لا تصدقون !
- أسرفت في الرمز يا ابنتى • •

— بل ما لكم كيف تحكمون !

وينظر الشيخ حوله فلا يرى من يحاوره ، وينكر الشيخ نفسه لولا شكوك تساوره • فقد رأى شخصها الجميل ، تظله هذه الغصون ، ولم يزل صوته الضئيل ، يثير في نفسه الشجون • وكانت الشمس قد تولت كالأمل الخائب الكذوب ، وظلمه الليل قد أظلمت ، كاليأس (إذ يغمر القلوب) •



وبعد فهذه قصة حياة أو صورة حياة أما « فن الصورة » فموضوع يجد فيه الدارس سمات فنية للتسجيل والتحليل ما اشتملت عليه •
والصورة عند طه حسين تعتمد على **الحركة والتفصيل والتنظيم والمقابلة والتضاد** •

ولأمر ما يهتم طه حسين بالوجه خاصة كل قسمة فيه : الجبهة والعين والأنف والشفة والصوت فهو مرة (ضئيل نحيل) ، ومرة محطم (لا يكاد السامع يسمعه حتى يستحضر إناء من الزجاج وإناء من الفخار قد أصابه شق يسير فهو لا يرسل الصوت إذا مس إلا حدثنا بهذا الانحطام) (١) •

ما أبعد الفارق بين هذا الصوت وصوت (خديجة) (٢) •

وطه حسين لا يكل من الغوص في التفصيلات • ولو صحب شخصا

(١) جنة الحيوان ص ٤٧ — ٤٨ •

(٢) (كان صوتها اذا ما تكلمت ، رخصا عذبا صافيا ممثلا لا تكاد الأذن تسمعه حتى يحضر في النفوس هذا الوقت القصير بين انطلاق الفجر في ظلمة الليل كأنه السهم ، واشراق الشمس على الأرض حتى تملأها جمالا ونورا)
المعذبون في الأرض ص ٤٦ • (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١٢٥٠) (١٢٥١) (١٢٥٢) (١٢٥٣) (١٢٥٤) (١٢٥٥) (١٢٥٦) (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٥٩) (١٢٦٠) (١٢٦١) (١٢٦٢) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٦) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٦٩) (١٢٧٠) (١٢٧١) (١٢٧٢) (١٢٧٣) (١٢٧٤) (١٢٧٥) (١٢٧٦) (١٢٧٧) (١٢٧٨) (١٢٧٩) (١٢٨٠) (١٢٨١) (١٢٨٢) (١٢٨٣) (١٢٨٤) (١٢٨٥) (١٢٨٦) (١٢٨٧) (١٢٨٨) (١٢٨٩) (١٢٩٠) (١٢٩١) (١٢٩٢) (١٢٩٣) (١٢٩٤) (١٢٩٥) (١٢٩٦) (١٢٩٧) (١٢٩٨) (١٢٩٩) (١٣٠٠) (١٣٠١) (١٣٠٢) (١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (١٣٤٢) (١٣٤٣) (١٣٤٤) (١٣٤٥) (١٣٤٦) (١٣٤٧) (١٣٤٨) (١٣٤٩) (١٣٥٠) (١٣٥١) (١٣٥٢) (١٣٥٣) (١٣٥٤) (١٣٥٥) (١٣٥٦) (١٣٥٧) (١٣٥٨) (١٣٥٩) (١٣٦٠) (١٣٦١) (١٣٦٢) (١٣٦٣) (١٣٦٤) (١٣٦٥) (١٣٦٦) (١٣٦٧) (١٣٦٨) (١٣٦٩) (١٣٧٠) (١٣٧١) (١٣٧٢) (١٣٧٣) (١٣٧٤) (١٣٧٥) (١٣٧٦) (١٣٧٧) (١٣٧٨) (١٣٧٩) (١٣٨٠) (١٣٨١) (١٣٨٢) (١٣٨٣) (١٣٨٤) (١٣

من أشخاصه يوما كاملا فإنه لا يننى يفصل في وصفه حتى حين يذهب إلى النوم .. إنه يتبعه ويتتبعه فلا يدعه حتى يستسلم للنوم (٣) .

ويذكرنى هذا بالدكتور محمد كامل حسين فقد سمعت منه رأيه في أدب الأكفاء المكفوفين .. إنهم في رأيه فئتان :

• فئته متحديه كبشار وطه حسين .

وفئة هادئة مسلّمة كالمعري وإن بدأ متحديا يلعب الشطرنج ويقول :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وعزم ونائل

ثم آخض إلى واقعه فإذا باللغة هى وحدها دنياه ... هى مجال علمه وتفكيره وتفوقه فعكف عليها وألزم نفسه فيها بما لا يلزم للتميز مادام لا مجال للتمايز خارجها ...

وفى لزومه مالا يلزم ، لون من الرهينة والصبر والعكوف ... وهى صفات دينيه ...

يظلمه من يراه ملحدا .

أما الفئة المتحدية فعلمها : بشار الذى عبر بالصورة ، وطه حسين الذى يصر على وصف الألوان والحركات والقسمات .. حين كان المعري يختار المعنويات .

وريشة طه حسين فى رسم الصورة كريشة رسام الكاريكاتير تخدم **المبالغة والسخرية والإطراف** . ومن طرائف قوله (أقبل فحيا ثم تقدم يسعى حتى إذا بلغ مكانه جلس وكأنه الكتيب المنهال فكان الناظر إليه يسأل نفسه لأول وهلة أيرى انسانا جالسا أم يرى كومة من الرمل قد استخفى فيها شخص ضئيل لا يكاد يظهر منه إلا تقاطيع وجهه

(٣) اقرأ وصفه لسير الليل . جنة الحيوان ص ٨١ .

ضئيلة غائرة خليقة ألا تثرى • • لولا هذا الصوت الذى يخرج منها
ضئلا نحيلاً ، ولولا هذا الشر الذى يتطاير من عينين صغيرتين لا تفتح
عنهما الجفون إلا فى بطاء بطىء وثقل ثقیل كأنما تشد بخيط قد ركب
فى قفاه ، وتقام شخص من ورائه يجذبه متكلفا بين حين وحين (١) •

وهذه « مشية » :

(رشبق الحركة كثير الاضطراب لا يعرف السعى الهادى ولا المشى
المطمئن وإنما كان يجرى على الأرض أو كان يجرى فوق الأرض ، كأنه
شئ من هذه الحيوانات الصغيرة الخفيفة التى ملئت نشاطا وقوة وحياة
والتي تريد أن تطير فى الجو لولا أن الله لم يرزقها جناحين) (٢) •

وهذه (جلسة) لا تكف هى الأخرى عن الحركة !

(ولم تكن هذه حاله إذا انتقل من حيز إلى حيز فحسب ، وإنما
كانت هذه حاله أيضا إذا استقر فى مكان وأقبل على عمل من الأعمال •
فقد كان متحركا دائما مضطربا دائما ، لا تكاد العين تلاحظه إلا رأت
شيئا فى شخصه يتحرك ، فوجهه ملتفت مرة إلى يمين ومرة إلى شمال •
ورأسه يرتفع حيناً أو ينخفض حيناً آخر ، ويداه تذهبان وتجيئان ،
ورجلاه تداعبان الأرض مداعبة متصلة ، ولسانه لا يكاد يستقر فى فمه
وإنما هو متحرك ببعض القول) • (٣)

حتى (الشخص المعنوى) متحرك مضطرب !

« ولم يكن شخصه المعنوى أقل حركة واضطرابا من شخصه
المادى • فقد كان عقله مفكراً دائماً ، وكان قلبه متوثباً دائماً • وكان
انطلاق لسانه فى فمه مصوراً دائماً لهذا العقل الذى لا ينى فى التفكير ،

(١) جنة الحيوان ص ٢٩ •

(٢) جنة الحيوان ص ٣٠ •

(٣) جنة الحيوان ص ٣٠ •

ولهذا القلب الذى لا يفتر عن الشعور « (١) •



وهو فى تصويره يستعين بالحركة ناطقة وصامتة نشيطة وساكنة أكثر مما يستعين بالألوان لأن الحركة قد تنبع من النفس فتدرك دون حاجة إلى الحس المباشر • فإن قبض الحيوية فى نفس الفنان قديرى بالخيال ، وبالتصوير ، وبقدرة الخلق الموهوبة له مالا يراه ذو العينين الواسعتين الذى يبصر ولا يرى أو قد يرى ولا ينفذ إلى أبعد من السطح (٢) •

وكاتبنا الحساس الذكى الإحساس ليس بحاجة إلى اصطناع الألوان بما فى مثل هذا الاصطناع من حرج • وهو فى غنى بوسائله الكثيرة فى التصوير والتعبير • إنك معه لا تتألم ولا تتذكر شيئاً بل تسعد معه وتسعد له حين كان الرافعى يذكر (النسيان) من شدة قرع الطبول فلا تشك لحظة فى أن بسمعه وقرأ يثوده وإلا فكيف يجوز أن يستعمل المسكين — وهو كبير المحصول اللفظى فى اللغة واسعه — فى الغزل الذى يحلو الهمس فيه والسرار ، الألفاظ : — دمدم — عاصفة — زلزال — مدمر — الرعد — انفجار — قنابل — مدفع !! (١)

والحركة فى صور الدكتور طه نشيطة دائماً حتى إذا آصت إلى قرار • وهنا تحضرنى صورة ، أقصد (لوحة) الجائعات يحضر أمامهن الطعام (أقبل من فى الدار من النساء ومن انضم إليهن من نساء القرية البائسات على الطعام مسرعات تتزاحمن بالمناكب ، ويتدافعن بالأيدى ،

(١) جنة الحيوان ص ٣٠

(٢) ومن صور الدكتور طه التى تعتمد على الحركة المدركة ، صورته تصور كلاماً أخف منه الخصام (الأم محنقة على ابنتها والفتاة نافرة من أمها لا يتصل بينهما حديث ولا تثبت عين أحدهما فى عين الأخرى ، إنما تتفاهمان بالإشارة أو الجمجمة • فإذا التقت أعينهما فما أسرع الاطراق الى راسيهما ثم ما أسرع ما تدعو حاجة مرتجلة منتحلة أحدهما الى أن تولى مدبرة لتناى عن صاحبته فلا يكون بينهما نظر ولا حديث •) دعاء الكروان ص ٣٠ •

(٣) كتاب (دراسة فى أدب الرافعى) — للكاتبه — ص ٨٣

ويتزاجرن باللفظ واللحظ ، ويرتفع في أثناء ذلك منهن دعاء لصاحب الدار أن يوثق الله حزامه ، ويعلى مقامه ، ويصرف عنه الداء وينصره على الأعداء ... حتى إذا استدارت الجماعة حول الجفان قل الكلام ، وقرت الأجسام واضطربت الأيدي وعملت الأفواه (١) •

هنا تبدو الحركة قارة هادئة ولكنها تنم عن عنف كالهدوء الذي يلي العاصفة هذه المرة مثل (وقرت الأجسام) • ويؤيد هذا (الهدوء الصاخب) قوله واضطربت الأيدي وعملت الأفواه •



وأرق ما يكون طه حسين حين يعبر عن ليل البصر تعبيرا شفافا ملؤه الحنان •

(عليه من مظاهر الشيخوخة هذا الشعر الذي وخطه شيب وهذه التجاعيد التي تظهر في جبهته ، وهذه التجاعيد الأخرى التي تمتد حول أنفه من يمين ومن شمال ، وهاتان العينان اللتان لا تتفرج عنهما الجفون إلا في شيء من الجهد حتى يخيل إلى من يراه وقد أغمض جفنيه وتحدث أو تحرك أنه إنسان يحيا من وراء ستار) •

ثم يمضى الدكتور طه في تفاصيل دقيقة لقسمات الوجه لست أدري من أين واثته إلا أن تكون صورا مترسبة في ذاكرته منذ الطفولة أو صورا مطبوعة من قراءاته الواسعة (٢) •

وهاتان الشفتان المنفرجتان اللتان لا تجتمعان إلا في شيء من العناء سواء تكلم صاحبنا أو لبث صامتا ، وهذا التهدل والترهل في وجهه

(١) دعاء الكروان ص ٣٤ — ٣٥

(٢) لشد ما يذكرني الصف عند الدكتور طه بكتابه (مع أبي العلاء في سجنه) حيث يقول (... واقتنع أنا مما يجدون بما يبلغني من رقة الهواء ونقاء الجو وصفائه وبما يحمله النسيم من العرق ، وبما يلقي في نفسي من أوصاف لا تحقق لها شيئا ولكنها تثير فيها كثيرا من الخواطر والمعاني وضروب الخيال) ص ١٢ •

الضخم ، وجسمه الذى يريد الشحم أن يكسوه فلا يستطيع ، وهذه الحركات البطيئة المتكسرة والمتعسرة التى تخيل إلى من يراها انها تصدر عن مجموعة عصبية قد شملها الفتور وأخذ يشبع فيها الفناء • • (١)



والصورة عند الدكتور طه لها أبعاد وفيها مسافات :

(وهذا التنفس السريع الذى يتبع بعضه بعضا فى أناته ، كأنه تنفس المكودود المجهود والذى يسمعه القريب عن مصدره والبعيد عنه كأنه يخرج من أنف كثرت فيه الأعشاب فهو لا ينفذ من بينها إلا نفوذا عسيرا) •

وصور طه حسين أو أغلبها صور غريبة لا تقع عليها العين فى طريقها كل يوم بل يخيّل إليك أن صاحبها النقطتها من أماكن خاصة بطريقته الخاصة • وهى حتى بعد أن عمل فيها تبدو (غلطة من غلطات الطبيعة وفلطة من فلتات الدهر ، ووهما من أوهام الظروف) (٢) •



وطه حسين إذا رسم شخصية حدثك عن ماضيها واضطرابها فى الحياة وتطوراتها وتطور انفعالها حتى تطور النوم • فسمير الليل (يبلغ سريره فيلقى نفسه عليه إلقاء ويستسلم للنوم استسلاما ، وما أكثر ما كان يقبل على السرير وهو يبغضهما أشد البغض ، ويمقتهما أقبح المقت ، ولكن لابد مما ليس منه بد • على أن النوم لا يلبث أن يطبق عليه اطباقا ويضمه ضما عنيفا ثقيلًا قصيرا أيضا) (٣) •



(١) جنة الحيوان ص ٤٧ — ٤٧ .
(٢) أقرأ (جنة الحيوان) ص ٧٥ — ٧٧ .
(٣) جنة الحيوان ص ٨١ •

ولفن الصورة في أدب طه حسين معرض كبير حافل فيه للأزهر قسم قائم بذاته تحت عنوان (الأيام) • ومن أبرز صور هذا القسم صورة صحن الجامع العتيق يجمع أنماطا من الناس وألوانا من الأصوات ففتى يقرأ القرآن ، ومتهجد مستغرق في سبحاته ، وأستاذ آخذ في درسه بينما يندو إلى حلقة طلابه مهولين تتساقط عليهم كلما دنوا منه أسماء ينبع بعضها بعضاً ، تسبقها (حدثنا) ، وتفصل بينها كلمة (عن) •

وصور الشيوخ في حديثهم وضحكهم ولازماتهم في الضحك والحديث بل في شرابهم وطعامهم •

تكاد ترى في هذا الركن من معرض طه حسين الشيخ عبد الحكم عطا وهو (يكلف نفسه في الفهم والافهام جهداً عظيماً وعناء ثقيلاً • حتى إذا بلغ منه الجهد غايته رفه على نفسه بهذه الجملة يوجهها إلى طلابه بين حين وحين في لهجة منياوية عذبة مضحكة : « فاهمين يا سيادى ؟ » (١)

والشيخ الشنقيطى الحافظ الراوية وقصته مع (عمر) التى شغل بها وشغل الناس وتعرض بسببها لكثير من الشر والألم • كل هذا من أجل رغبته فى إثبات أن « عمر » مصروف لا ممنوع من الصرف ! وإصراره على هذا إصرار جاليليو على أن الأرض تدور •

والشيخ المرصفى ، وكان الفتى طه حسين يؤثر درسه على غيره من الدروس ، ومنزله المتهدم الخرب القديم فى حارة (الكراكى) بباب البحر والدكة الخشبية الضيقة الطويلة العارية المستندة إلى حائط يتساقط منه التراب •• هذه الدكة التى كانت مجلس الأستاذ وتلاميذه الذين كانوا يستارون سيرته بقدر ما يطيقون فهو على الضنى والاملاق لمترفع متعفف يحسبه الجاهل ، غنيا ، من الاستغناء والاستعلاء والوقار ،

قويا ، من الصبر والقناعة والدعة ، وهو الذى (ينفق الأسبوع أو الأسابيع لا يطعم إلا خبز الجراية يغمسه فى شئ من الملح) (١) •

وفى معرض طه حسين صور طريقة (للربع) حيث كان يعيش •
فهناك صورة المائدة المستديرة (الطبلية) وقد جلس إليها الصبى طه حسين مطرقا إلى الأرض محنى الظهر كأنه القوس (ويده تذهب وتجىء فى أناة وخوف واستحياء بين هذا الرغيف قد ألقى أمامه على المائدة ، وهذا الطبق (من الفول) قد قام بعيدا عنه فى وسط المائدة • ويده تصطدم بهذه الأيدي الكثيرة المسرعة التى تهوى لترتفع ، وترتفع لتهى ، وتنزح الطبق فى أثناء ذلك نزحا • والصبى معجب بذلك منكر له ، لا يكاد يلائم فى نفسه بين هذا التهاك على الفول والمخل ، وذلك التهاك على العلم والدرس وما كانت تعرف به هذه الجماعة من النجابة والنشاط وحدة الذكاء) (٢) •

وصورة طه حسين نفسه يرد نفسه عن الأكل وهو يشتهي ، ويحرم الشاى وله رغبة فيه لأنه (كان يجلس بين الطاعمين خجلا وجلا ، مضطرب النفس مضطرب حركة اليد • لا يحسن أن يقطع لقمته ، ولا يحسن أن يغمسها فى الطبق ، ولا يحسن أن يبلغ بها فمه • ويخيل إلى نفسه أن عيون القوم جميعا تلاحظه ، وأن عين الشيخ خاصة ترمقه فى خفية ، فيزيده هذا اضطرابا • وإذا يده ترتعش ، وإذا بالمرق يتقاطر على ثوبه ، وهو يعرف ذلك ويألم له ولا يحسن أن ينتقيه) (٣) •

حتى إذا خلا إلى طعامه أتى عليه كله • وأغلب ظنى أنه يعوض حرمانه وحرشته فى الأكل كسائر الناس • وإن ذهب إلى أنه كان يفعل

(١) الأيام ج٢ ص ١٦٦ •

(٢) الأيام ج٢ ص ٢٥ •

(٣) الأيام ج٢ ص ٥١ — ٥٢ •

هذا (مخافة أن يَبْقَى منه شيء ويعود أخوه ويرى ذلك فيظن به
المرض ، أو يظن به الحزن • وكان أبغض شيء إليه أن يثير في نفس أخيه
هما أو قلقا ••) (١) •

صورة طه حسين يتفزع في الظلام في الغرفة القديمة المشققة
الجدران فكانت الحشرات وصغار الحيوان تنوشه أو هكذا يخيل إليه •
(وكانت هذه الحشرات وهذه الصغار من الحيوان كأنما وكلت بالصبي
إذا أقبل الليل عليه وهو قابع وحده في ذلك الركن من أركان الغرفة فهي
تبعث من الأصوات الضئيلة ، وتأتى من الحركات الخفيفة السريعة حيناً
والبطيئة حيناً آخر ما يملأ قلب الصبي هلعاً وروعاً) (٢) •

فإذا أقبل أخوه وحده أو مع أصحابه فأضىء المصباح انقطعت هذه
الأصوات والحركات كأنها لم تكن • وكان الصبي من أجل هذا ومن أجل
أشياء أخرى غير هذا لا يجرؤ على أن يذكر من أمر هذه الأصوات
والحركات شيئاً • وأيسر ما كان يخاف إن تحدث ببعض ذلك أن يفسه
رأيه وأن تظن بعقله وبشجاعته الظنون • فكان يؤثر العافية ويكظم
خوفه من الحشرات وصغار الحيوان • (٣) •

صورة طه حسين يثير في نفسه آذان العشاء أملاً قصيراً يتبعه يأس
طويل •• أملاً في إضاءة المصباح يهدد وحشته ويضيء وحدته (المنكرة) ،
ويأساً من الأُنس والنوم • فقد كان أخوه يضيء المصباح ريثما يضع
محفظته في مكانها ويطمئن على صحتها ، ويأخذ ما يحتاجه من الغرفة ،
ويلقى إلى الصبي الخريز الوسادة المعهودة ، واللحاف (ثم يطفىء
المصباح وينصرف ويغلق الباب من ورائه ويدير فيه المفتاح ، ويمضى وهو
يظن أنه أسلم الصبي إلى النوم وإن كان لم يسلمه إلا إلى أرق متصل
مخيف) •

(١) الأيام ج٢ ص ٣٨ •

(٢) ج٢ ص ٢٩ •

(٣) ج٣ ص ٣٩ •

ويعود أخوه وقد ارتوى من الطعام والشراب ومؤانسة الصحاب
فيوقظ المصباح ويدع الصغير وقد حسب أنه (مغرق في نوم هادئ ، لذيذ ،
وما ذاق الصبي في حقيقة الأمر نوما ، وإنما انتظر جزعا فزعا
عودة أخيه) (١) •

ويزيد في بؤس الصبي ، وحزنه على نفسه أنه لا يستطيع أن
يتحرك من مجلسه حيث يوضع كأنه خلق بلا إرادة ••• وهو مرید • فقد
كان يكره ويأنف أن يراه أحد المارة متردد الخطى متعثر السير متهيب
الطريق • كان إذا همَّ بشيء ••• أى شيء خيل إليه أن الدنيا كلها
شفاه تهمس وعيون تلمز وأيدٍ تهمز وأصابع تشير •

ولو أن هذه الصورة حزينة قائمة إلا أنها أجمل صور طه حسين
وأقربها إلى القلب الإنسانى حتى لتلمسه لمسا •



وفي معرض طه حسين صورة للحاج على الرزاز وقد بلغ أرذل العمر
ثم لا يتورع في مجلسه عن سقط القول وسفه الحديث وإن تكلف أمام
الناس التقى والورع •

وصورة طريفة للحاج على الرزاز وهو يؤاكل القوم ويراقبهم بعين
النسر ويتسقط أخطاءهم أو ورطات الشراة في نفس البطين فيقرع
الأشقياء بلسانه ويخزهم باللفظ المسنون (منبها هذا إلى أنه بخدع نفسه
عن قطعة البطاطس بقطعة اللحم ، ومنبها ذاك إلى أنه يسرف على نفسه
وعلى أصحابه بما يغترف في لقمته الغليظة من جامد الطعام
أو سائله) (٢) •



(١) الأيام ج٢ ص ٣٩ — ٤٠ •

(٢) الأيام ج٢ ص ٥٠ — ٥١ •

وحب طه حسين للتفصيل في الوصف يجره أحياناً إلى الإطالة بل إلى الإمعان فيها .. نجد هذا في قصة (صالح) أولى قصص كتابه (المعذبون في الأرض) وسأحل هذا بعد قليل .

وعلى ذكر كتاب (المعذبون في الأرض) نقول إنه يضم صور القرويين والموظفين وصغار التجار والمرضى والكادحين ، في سخرية مرة من المجتمع عازياً إلى الفقر والحاجة (انتشار الوباء في غير مشقة ، وانتشار الفساد الخلقي وانتشار الرشوة ، وانتشار السرقة ، وتقطيع الصلات بين الناس ، وانتشار الظلمة في الضمائر والقلوب ، وانتشار اليأس حتى من روح الله ، وانتشار الذلة والمسكنة والهوان ، وانتشار الاذعان للظلم والاستسلام للعسف والانقياد للاستبداد والاستخفاف بالحرية والكرامة ، والازدراء لكل ما يجعل الإنسان إنساناً فضلاً عن الازدراء لكل ما يجعل الإنسان إنساناً متحضراً ممتازاً — كل هذه الآفات والمخازي ليس لها مصدر إلا هذا الشقاء) (١) .

وسخرية طه حسين سخرية تجربة بليت الحياة والناس سخرية حزينة لا سخرية ضاحكة .. إن تحليله لكلمة (إلى اللقاء) (٢) تؤيد هذا ولكنه أصبح يتلقى المودات والعداوات بالرضا لأنها جميعاً تعطيه ثقة بالنفس فهي (دليل على أن له في نفوس هؤلاء الناس جميعاً مكانة ما ، فإن الحب والبغض أوضح آيات التقدير) .



وطه حسين يخدم فيما يخدم حين يصور ، التناقض والمقابلة ، ولا أقصد بالطبع المقابلة المعهودة في علم البديع أي المقابلة اللفظية ، وإنما أعني المقابلة في الوجوه والصفات .. المقابلة في الشخصيات فهو

(١) المعذبون في الأرض ص ١٥ .

(٢) كتاب (في الصيف) ص ٥ — ٦ .

يضى على (خديجة) حلل الحسن حين تذهب محبوبة أمها بالدمامة كلها !
وفى (شجرة البؤس) جعل من ابنتى خالد أعجوبة فالأولى
(سميحة) آية الملاحاة والأخرى (جناار) لعنة القبح كأمها وشوكة فى
روض الجمال •

وقد خدم المقابلة كثيراً فى (دعاء الكروان) فصورة (الرجل
الذئب) ص ١٤٣ تعتمد على المقابلة فى الشعور واللفظ وعلى السرعة
فى الحركة النفسية والحركة الظاهرة • وعلى هذا الأساس اعتمدت صورة
المرأة اللعوب (ص ١٤٤) التى تدنى وتقصى وتعطف وتصدف وتلين
وتتقسو وتعذب وتشفق •

وفى (دعاء الكروان) رسم الدكتور طه للبنت الموعودة بالخطبة
صورة قائمة على المقابلات فى المظهر وحقيقة الشعور • فصاحبها تصطنع
غير ما تحس ، وتتكلف غير ما تشعر (١) •

وأحيانا يخدم المقابلة فى الصورة وفى الأسلوب معا فقد رسم صورة
للبنائسين المترفين إذا أقبل كل على طعامه ، تجمع الجمال والقبح فى
مكان واحد فى تواز لا يلتقى فيه النقيضان (أ) فما أبعد ما بين هذه الأيدى
الغليظة الخشنة قد تقلص جلداه وتقبض وهى تغوص بما فيها من الخبز
غوصا فى القصاع فتصيب منها ما تستطيع ، وما بين تلك الأيدى الرقيقة
الناعمة المترفة التى لم تكن تمتد إلى الأطباق إلا هينة ، والتى لم تكن
تمس ما فى الأطباق إلا بهذه الأدوات التى يعرفها أهل المدن خاصة ، بل
يعرفها المترفون من أهل المدن خاصة !

ما أبعد ما بين هذه الأفواه الفارغة التى يلقي فيها الطعام إلقاء على
عجل فلا يكاد يستقر فيها حتى تزدرده الحلوق ! وكأن الطبيعة لم تودع
هذه الأفواه حسا تجد به لذة ما تأكل وما تشرب ، وإنما اتخذتها طريقا

(١) انظر دعاء الكروان ص ١٠٨ •

إلى الحلو ثم إلى الأجواف ، وما بين تلك الأفواه الصغيرة الضعيفة التي لم تكن تفتح إلا بمقدار والتي لا تلتهم ولا تلتقم ولا تنتهي بما فيها إلى حلو تزدرد ، وإنما تطيل المضغ وتستمتع بما يمسه من الألوان ، ثم تنتهي به على مهل إلى حلو تسيغه في أناة ورفق ، كأنما الأكل فن من الفنون لابد فيه من الروية واصطناع المهل والأناة ! (١) •

وهكذا ترى جانبيين وبعدين وعميقين تتقابل فيهما المحسوسات تتقابل الأضداد الذي يزيد الخطوط حدة •

وهناك

فهنا

— أيد خشنة تقلص جلدها وتقبض	— أيد ناعمة رقيقة مترفة
— تغوص غوصاً في القصاع	— تمتد إلى الأطباق الهينة
— وأفواه فاغرة تزدرد الطعام	— أفواه صغيرة تشبه مضمومة تطيل
— لا استشعار للذقة	— المضغ وتستمتع بما يمسه من ألوان

وهو يخدم في الصورة التصاد من حب وبغض وأمل ويأس ووعيد وخوف وشهوة وزهد وقرب وبعد (٢) •

وهو غالباً لا يحدد صوره بالأسماء فيقول (بيت من بيوت الريف) وما به حاجة إلى التحديد لأن الصورة تكيفها أشياء (ثابتة) •• تكيفها عوامل جذرية حتى لتصلح أن تكون نموذجاً في بابها يتكرر ولا يختلف •

(١) دعاء الكروان ص ٣٥ •
(٢) انظر ص ١٤٤ دعاء الكروان •

أما ظاهرة التفصيل فإن عملية الإملاء ، ترفدها حافظة واعية ماسكة لا يتسرب منها شيء فهي تترخر بالكثير من التفاصيل وقد مرنت على الاختزان دون أن يشقتها سيل المرئيات •• كل هذا أمد صورته بحشد حاشد من التفاصيل • والمثل عندى أسوقه فى صورة بيت من بيوت الريف الذى تبسط فى تصويره فى الصفحات من ١٢٠ — ١٢٤ من دعاء الكروان •

وعملية الإملاء تقف أيضاً وراء **ظاهرة التكرار** فالعين تسارع إلى اللفظ المعاد فتمحوه ولكن الأذن تستطيع الترجيع ولاسيما الأذن الطروب التى سمعت القرآن ووعته ، وأشربت موسيقاه طفلة • وفى القرآن ، لأغراض بلاغية ونفسية تكرر يعذب على التردد • وطالما ردد أديبنا القرآن وطالما سمعه مرددا •



ومن أدوات الدكتور طه فى التصوير : **الجمال القصيرة السهلة الموقعة** فى كثير من الأحيان • وبمناسبة التوقيع أقول إنه فى صورته يعتمد كثيرا على الصوت حتى ليلونه فيقول (صوت أبيض) • وهو يرفعه ويخفضه ويمطه ويقصره ويجعله مؤذياً فى السمع ويرسله أغنا طروباً •

والدكتور طه حسين موسيقاه موسيقى العاطفة •• واللفظ عنده يستخدمه لإبراز العاطفة • وفى هذه الموسيقى يكمن السر فى قدرته على الاستهواء والإقناع ، المؤقت على الأقل •• إنه يستطيع أن يأخذ القارئ إلى جانبه إذا رضى أو كره • وهو أقرب ما يكون إلى القلب حين تصدق عاطفته وتلمس تأثره • والعاطفة عنده على غلبتها مترنة لا بكاءة ولا تمثيلية •

وهو كاتب خفيف الظل تسرى عذوبة روحه إلى لفظه •• أو لعلها عذوبة اللفظ وخفته فى الحركة والايقاع يضافى على روحه • فقصته (شجرة البؤس) الموضوع قائم ولكن سخريته فى تعليقه على الأحداث

والناس تشيع الابتسام إن لم تبعث على الضحك • فأبو خالد (ونظراته
التي كان يلقيها) إلى زوجه المغيظة و (جهده الصالح) ، حتى الشمس
أراد الدكتور طه أن يداعبها فوصفها بأنها (تسعى إلى الغرفة في استحياء
ثم يزول عنها الحياء قليلا وإذا هي تغمر الغرفة في جراءة أشبه شيء
بالوقاحة (١)) •

وقصة شجرة البؤس تصور القيم والعادات التي تحكم أهل الريف •
تصور تحكم (الشيوخ) وكراماتهم الموهومة ، في الناس ، حتى يبلغ بهم
الوهم أحيانا أن يجعلوا منهم دولة في الدولة في حياتهم وبعد الحياة حتى
ليحج أهل القرى ابتغاء الثواب (للشيخ) ! لا لأنفسهم (١) •

كما صور الريف في كتاب (دعاء الكروان) وقابله بالمدن في طراز
البيوت والأثاث وأسلوب العيش ومستوى الناس وطرائق التفكير
والتعبير • وأبرز ما في هذا الكتاب جبروت المرأة التي لم يقتصر تصويره
لها على (آمنة) البطلة ، (أو سعاد) ، وإنما صورها تاجرة ، عرافة ،
سيدة ، وتابعة ، كائنة ذات تدبير حتى أطلق في الكتاب أكثر من صيحة
استغاثة : (يالقوة النساء) ص ١٤٤ (ومتى عجزت المرأة عن أن تبلغ
من المكر والكيد ما تريد ؟) ص ١٢٨ •

انه يعتقد في جبروت المرأة واستعصائها على القهر (فهي لا تغلب
إلا إذا أحبت ولا تقهر إلا إذا أرادت ، ولا تذعن إلا إذا رغبت في
الإذعان) ص ١٤٩ •

المرأة في قصة (دعاء الكروان) « سيطرة » « وهيمنة » تنسحب حتى على الأقوياء فهي سند للبوليس وعين ، وهي ساحرة كاهنة تستل الأسرار من خباياها في الصدور • وهي فاتنة قادرة على اللعب برؤوس الرجال وقلوبهم • وعندما شبت المعركة بينها وبين الرجل في القصة كانت أقدر منه على التحكم في نفسها وأعصابها ، وأضبط منه لأهوائها ، وأقوى منه في التمثيل ، وأروع في تكييف الموقف وتخيديم الابداء والإخفاء • كانت تجذبه وتلقيه ، وتنشره وتطويه • وتحرمه وتمنيه ، وتطمعه وتزدرية • كانت متحكمة مالكة زمام نفسها وزمام الأمر كله حتى سلم المسكين في النهاية وألقى سلاحه ثم جاءها كما تقول (ماثلا بين يدَي يَتلطف ويترفق ثم يستعطف ويستجدي ثم هذا هو جاثيا بين يدَي كأنه يتقدم إلى الصلاة ، ثم هذا هو باكيا في صمت ثم هذا هو مجهشا بالبكاء) • ص ١٤٦ •

ويزداد العجب إذا علمت أن الرجل في القصة مهندس شاب وسيم غنى مترف والمرأة في القصة خادمتة ! • • خادمة يائسة شقية تتقاذفها أمواج الحياة المتلاطمة ولا مرفأ لها ترسو عليه أو تركن إليه • تطاردها الأتسباح والرعب كله عبر ماض تعيس قاس أسود لا ثية فيه تشبه النور !!



ويمثل أسلوب الدكتور طه بلاغة الإسهاب وكأنه يتحدى بهذه البلاغة التقليدية : بلاغة الإيجاز • ولكنه الاسهاب الذي لا يورث ملالة أو سأم بل لعله يروق لك بقدر ما يخذلك عن نفسه فتحسه قدرة من قدرات الكاتب تعينه على مد أبعاد الصورة وتوسيع آفاقها • إن العبارة عند طه حسين كاللحن المميز لا يخطئه السامع بين الألحان (وكذلك أنفق أبو العلاء نصف قرن من حياته يواجه هذه الخواطر إذا أصبح ، ويواجهها

أثناء الليل إن أبطأ عليه النوم ، ولعله يواجهها أثناء النوم إن صورتها له الأحلام (١) •

أو بعبارة أخرى : لقد ملكت « الخواطر » على أبي العلاء نفسه • ولكنها قدرة طه حسين على الاستهواء حتى ليحلو لك أن تدور معه أو وراءه حتى إذا خلصت من أسره وقرأته للنقد لا للمتعة راعتك الحقيقة فتبتسم منها وتبتسم لها وتبتسم أيضا من نفسك • هذا المضمون سهل المنال ولكن السر في هذه الهالة حوله ••

وأسلوب طه حسين بهذه الخاصية مدرسة كثير تلاميذها وبعضهم يحسب أنه على تقليده لقادر وما أكثر ما يحاولون وإنما : يصنع الصانعون وردا ولكن وردة الروض لا تضارع شكلا

مؤلفات طه حسين

- ١٩١٥ — ذكرى أبى العلاء
- ١٩١٩ — آلهة اليونان
- دروس التاريخ القديم فى الجامعة المصرية — نشرت فى صحيفة
الجامعة المصرية من عام ١٩١٩ — ١٩٢٤
- ١٩١٩ —
- ١٩٢٠ — صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان
- ١٩٢٥ — قيادة الفكر
- ١٩٢٥ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية
- رسالة الدكتوراه التى قدمها إلى السورىون سنة ١٩١٧ وقد
ترجمها الاستاذ محمد عبد الله عنان •
- ١٩٢٥ — حديث الأربعاء
- ١٩٢٦ — فى الشعر الجاهلى
- ١٩٢٧ — فى الأدب الجاهلى
(الكتاب السابق بعد الحذف والإضافة)
- ١٩٢٩ — الأيام (الجزء الأول)
- ١٩٣٣ — فى الصيف
- ١٩٣٣ — حافظ وشوقي
- ١٩٣٣ — على هامش السيرة (الجزء الأول)
- ١٩٣٤ — دعاء الكروان
- ١٩٣٥ — من بعيد
- ١٩٣٥ — أديب

- ١٩٣٥ — الحياة الأدبية في جزيرة العرب
وهذا الكتاب طبع مرة أخرى سنة ١٩٥٨ في « ألوان »
- ١٩٣٥ — مع أبى العلاء في سجنه
- ١٩٣٦ — من حديث الشعر والنثر
- ١٩٣٧ — القصر المسحور بالاشتراك مع الأستاذ توفيق الحكيم
- ١٩٣٧ — مع المتنبى
- ١٩٣٨ — الحب الضائع
- ١٩٣٨ — مستقبل الثقافة في مصر
- ١٩٣٩ — الأيام (الجزء الثانى)
- ١٩٤٢ — (لحظات) جزآن
- ١٩٤٢ — على هامش السيرة (الجزء الثانى)
- ١٩٤٣ — على هامش السيرة (الجزء الثالث)
- ١٩٤٣ — صوت باريس
- وهو الذى طبع مرة أخرى سنة ١٩٥٦ بعنوان (من هناك)
- ١٩٤٣ — أحلام شهرزاد
- ١٩٤٤ — شجرة البؤس
- ١٩٤٥ — جنة الشوك
- ١٩٤٥ — فصول في الأدب والنقد
- ١٩٤٥ — صوت أبى العلاء
- ١٩٤٧ — عثمان
- (الجزء الأول من الفتنة الكبرى)
- ١٩٤٨ — رحلة الربيع
- ١٩٤٩ — المعذبون في الأرض
- ١٩٤٩ — مرآة ضمير الحديث

- ١٩٥٠ — الوعد الحق
١٩٥٠ — جذة الحيوان
١٩٥٢ — بين بين
١٩٥٣ — على وبنوه
(الجزء الثاني من الفتنة الكبرى)
١٩٥٥ — خصام ونقد
١٩٥٦ — نقد واصلاح
١٩٥٨ — من أدبنا المعاصر
١٩٥٩ — مرآة الاسلام
١٩٥٩ — من لغو الصيف
١٩٥٩ — من أدب التمثيل الغربى
١٩٥٩ — أحاديث
— الشيخان
١٩٦٠ (أبو بكر وعمر بن الخطاب)

كما حقق الدكتور طه (نقد النثر) لقدامة بن جعفر بالاشتراك مع
الأستاذ عبد الحميد العبادى سنة ١٩٣٣ •

وشرح (لزوم ما لا يلزم) لأبى العلاء المعرى بالاشتراك مع
الأستاذ إبراهيم الابيارى — العدد رقم ١٣ من مجموعة ذخائر العرب
الجزء الأول ١٩٥٥ •

كتب مترجمة

وترجم الدكتور طه :

- الواجب : تأليف جول سيمون Jules Simon
ترجمه عن الفرنسية بالاشتراك مع الأستاذ محمد رمضان ١٩٢٠ — ١٩٢١
- نظام الاثنيين : تأليف ارسطو طاليس • ترجمه عن اليونانية ١٩٢١
- روح التربية : تأليف جوستاف لوبون ترجمه عن الفرنسية ١٩٢١
- قصص تمثيلية : تأليف جماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين ١٩٤٢
- أندروماك لراسين ١٩٣٥
- من الأدب التمثيلي اليوناني : سوفوكليس
ترجمة مسرحيات : « الكترا » و « إياس » و « انتيجونا »
و « أوديبوس ملكا » ١٩٣٩
- زاديغ أو القدر عن فولتير ١٩٤٧
- أوديب شيوخس — من أبطال الأساطير اليونانية ترجمة
عن أندريه جيد ١٩٤٧

ما ترجم من مؤلفاته

١ — « الأيام » الجزء الأول :

1. E. H. Paxton : An Egyptian Childhood, the Autobiography of
Taha Hussein. London 1932. إلى الإنجليزية

2. Taha Hussein : Le Livre des Fours, Souvenirs d'enfance d'un
Egyptien. Paris 1934. إلى الفرنسية

3. Kabiluk, Atamara. وترجمتها إلى العبرية كابلوك وأتمارا

4. Tsingtin. وترجمتها إلى الصينية

5. Krackovsky Dny وترجمتها إلى الروسية بعنوان :

6. Taha Hussein : Barndomsaribyn. Internationella Bokklubben.
Lidingo, 1956. Inledning och oversatining : Carl Elof Svenning.

وترجم إلى الفارسية • ولخص الدكتور اسماعيل أدهم كثيراً من
فصوله إلى الألمانية والتركية •

٢ — « الأيام » الجزء الثاني :

ترجمة جاستون فييت ونشرت ترجمته مع ترجمة لوسرف للجزء
الأول في مجلد واحد بعنوان :

Taha Hussein : Le Livre des fours. Traduit par Jean Lecerf et
Gaston Wiet. NRF, Gallimard, Paris 1949.

• وترجمة كراشكوفسكى إلى الروسية وظهرت الترجمة سنة ١٩٦٠

٣ — « دعاء الكروان » : إلى الفرنسية

Taha Hussein : L'Appel de Karawan. Traduit par Reymond Francis.
Paris, Denoel, 1947.

٤ — « شجرة البؤس » :

L'arbre de la Misère. Traduit par Gaston Wiet, dans Revue du Caire.
إلى الفرنسية

٥ — « أديب » •

Taha Hussein : Adib, ou aventure occidentale. Traduit par Amina et Mounis Taha Hussein, Le Caire, 1960.

٦ — « مستقبل الثقافة بمصر » :

ترجمة ملخصة بعنوان :

Taha Hussein : The future of Culture in Egypt. Translated from the Arabic by Sidney Glazer. Washington, 1954.

٧ — « الوعد الحق » :

ترجمه إلى الفارسية أحمد آرام بعنوان : « وعد راسته » تهران
سنة ١٣٣٠ هجرية شمسية في ١٦٤ ص •

٨ — « على وبنوه » :

ترجمه إلى الفارسية أحمد آرام بعنوان : « على عليه السلام
ودوفرزند زركوارش طبع في تهران سنة ١٣٣٣ هجرية شمسية • في
٢٨٤ ص •

وترجمه إلى الأوردية بروفيسور محمد منور دايم — بعنوان
« الفتنت الكبرى » طبع في لاهور بغير تاريخ • في ٥٢٢ ص •

بين الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد

يهوى الأدب العربى المقابلة بين الألفاظ ، و يهوى أصحابه الموازنة بين رجلين ملأ أدبهما الدنيا وشغل الناس •• هما الاستاذ العقاد والدكتور طه حسين • وكثيرا ما تحصر المقارنة نفسها فى زاوية أو تختار السير فى طريق مسدود حين تبدأ من النهاية ، فتسأل أيهما أقوى ؟ وهو سؤال لا يصح أن يكون وسيلة أو غاية • فالبحث الموضوعى الشامل فى وجوه التلاقى والتباين يملك وحده الجواب أو يفضى إليه أو على الأقل ، يدنى منه • فاذا توخينا (الموضوعية) وتحرينا الدرس وصلنا الى عدة نتائج :

الاستاذ العقاد والدكتور طه حسين كلاهما تيار فكرى جديد فكان العقاد أحد ثلاثة كونوا مدرسة الديوان (١) التى ثارت على الشعر التقليدى الغارق فى المدح والذم والفخر ، وثأرت لكرامة الانسان فى الشاعر ••• ثارت على وحدة البيت أو بيت القصيد ورأت القصيدة وحدة متكاملة • وكما انصب نقد العقاد على شوقي ، ونقد المازنى ، على حافظ • نقد دكتور طه حسين ولكن حافظا وشوقيا فى كتابه (حافظ وشوقى) •

(١) هذه المدرسة حركة تكونت من الاعلام الثلاثة الاستاذ عبد الرحمن شكرى والاستاذ عباس محمود العقاد والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى سنة ١٩١٠ بينما الديوان لم يصدر الا سنة ١٩٢٠ وكانت هذه المدرسة عند مولدها تسمى (مدرسة المذهب الحديث) ولكن التسمية « مدرسة الديوان » جاءت بعد نشر الديوان .

بل إن الدكتور طه حسين خرج على الإجماع وتمرد على الإمارة
وقال في خطابه بمسرح الأزبكية عام ١٩٤٥ :

(ضعوا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء : اسرعوا
واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه) •

وابتسم بعض الخبثاء وقالوا إنه يبياعه بإمارة الشعر لتخلو له
إمارة النشر •• ولكنها فكاهة مصرية أكثر منها حقيقة فما بالعقاد
أو د • طه حسين حاجة الى المقايضة الأدبية وكلاهما في دولة الأدب
مكين ، ومن نفسه على يقين •

على أن الدكتور طه لم يطلق الحكم بلا بينة ولم يرسله ، وهو
رجل الأدب ، بغير علم •• ولم يترك الموقف غامضا بل قال :

(تسألونى لماذا أومن بالعقاد في الشعر الحديث ، وأؤمن به
وحده ؟ وجوابى يسير جدا ! لماذا ؟ لأننى أجـد عند العقاد ما لا أجده
عند غيره من الشعراء •

••• ثم لماذا أيضا أومن بالعقاد ؟ لأن العقاد ليس مقلدا ،
ولا يستطيع أن يقلد • ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية
العقاد فوق الفساد •

خذوا ما شئتم من دواوين الشعراء المعاصرين ، الذين أكبر منهم
كثيرين ، وأحب منهم كثيرين ، أنا واثق أنكم لن تمضوا في قصيدة حتى
تذكروا شاعرا من المتقدمين ، أو أن تذكروا شاعرا من الغربيين المحدثين ،
ولكن انظروا في العقاد خذوا بيتا من العقاد ، أو قصيدة أو مقطوعة
فلن تروا إلا العقاد) •

— كلاهما اهتم بالفرد فدافع العقاد عن حرية الانسان ، ودافع
طه حسين عن حق الانسان في العيش والتعليم •

— كلاهما اهتم بالفرد فثار على الجمود ارتفع العقاد على التبعية
حتى في العقيدة ففكر لنفسه ومر كالغزالي بمرحلة الشك ووصل
بنفسه لا بالتلقين ، الى اليقين •

— وثار دكتور • طه على قداصة الأدب الجاهلي وشك فيه وشكك •
ومع دفاع العقاد عن العربية ، إلا أنه كرجل فكر وحرية
وجماليات ، دافع عن الدكتور طه في الأدب الجاهلي ، التزاما
بالدفاع عن الحرية •

ثم تنفرج زاوية اللقاء ليغدو كل منهما على طرف •

فمن اهتمام العقاد بالفرد واعتداده بالتالي ، بنفسه لم يهو
الترجمة لأن المترجم في رأى الناس هو الرجل الثانى وهو معنى
لا يطيقه العقاد ••

— لم يترجم الا مجموعة قصصية ثم عدل وان كان أشرف على
مسلسلة لفرانكلين •

ولكن دكتور طه ، حبه للأدب اليونانى والأدب الفرنسى
جعله يترجم عنهما كثيرا •

— التقيا في كتابة القصة ثم انفرجت نقطة الالتقاء مرة أخرى إذا لم
يكتب العقاد إلا قصة واحدة ووحيدة (ساره) وهى قصته هو
وقصة حبه ولكن د • طه كتب « شجرة البؤس » و « دعاء

الكروان » وكتب مع الحكيم « القصر المسحور » عن
شهرزاد ... الخ •

كلاهما كتب في الاسلاميات بدءا بالرسول الكريم ثم بالصفوة من
صحابه وبين هذا تناولا أحداث التاريخ الاسلامى •

وكانت الاسلاميات في الأربعينات ظاهرة أدبيه دينية فقد كتب
قبلهما الدكتور هيكل (في منزل الوحي) ، (محمد) •

ولكن الدكتور طه في كتابه (على هامش السيرة) **أدب التاريخ**
أما العقاد في عبقرياته الإسلامية فقد فلسف التاريخ ومنطقه بحركة
الذهن عنده وهى قوية قادرة ، وقدرة المناقشة لديه التى تخدم المقابلة ،
والمضاهاة ، والعلم ، والأفعال اليومية ، بل تخدم الزمن نفسه
بما تعين عليه أحداثه قبل ظهور السيرة وبعدها ثم تناول الشخصية من
جميع جوانبها النفسية للنفاذ الى موطن التفوق • ووجه القوة هنا عند
العقاد في **قوة الصفة عند البطل** حتى تغدو خصيصة أقوى من الامتياز
التقليدى المقترن بها عند الناس •

ومرة أخرى يلتقيان :

كلاهما ترجم لحياته أى كتب سيرته الذاتية فضمنها العقاد كتابيه
(حياة قلم) وكتابيه (أنا) •

وضمنها طه حسين كتابه : الأيام •

كلاهما احتفل بالكروان ذلك الطائر المصرى الذى لم يلتفت اليه
الشعر المصرى الذى ساير عشاق البلبل وإن لم يره الشعراء أو نادرا
ما رأوه حتى ليعجب العقاد قائلا (من العجيب أنك لا تقرأ صدى

للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان في
أجوائنا المصرية من شمال وجنوب) •

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البابل وأشباهها
على قلة ما تسمع في هذه الأجواء !

فكأنما العامة أصدق شعورا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى
بالكروان ولا يلقبونه بالبابل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون
بما يعرفون •

بدأ العقاد بأن نظم في الكروان عدة قصائد بل أهدى اليه ديوانا
هو ديوانه (هدية الكروان) •

ثم كتب د • طه حسين قصة (دعاء الكروان) الذي صدرها بهذا
الإهداء المطبوع :

(الى صديقى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

سيدي الأستاذ :

أنت أقمت للكروان ديوانا فخرهما في الشعر العربى الحديث ،
فهل تأذن لى أن اتخذ له عشا متواضعا في النشر العربى الحديث ، وأن
أهدى إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص) •

وبعد هذا يتوهم بعض الناس أنهما قطبان متنافران وليس هذا
من منطق الأمر فالصحراوات نفسها لا تخلو من واحسات تنعم بالراحة
وتفنى بالظال •

ولا يعنى هذا بالطبع أنهما التقيا على طول الخط بل كثيرا

ما تعارضنا واختلفنا في الرأي والاتجاه ••• بل كان بينهما ما بين المتعاصرين والمتنافسين من حساسيه ولكن كلا منهما كان يعرف قدر صاحبه • يقول الدكتور طه حسين الذى كان يحسب للعقاد الحساب كل الحساب •

(لنا نحن النقاد مع العقاد مواقف يا لها من مواقف ••• نختصم فيها حول المعنى اختصاما مرهقا عنيفا ، ونختصم معه فى اللفظ اختصاما نضيق نحن به ويضيق به الناس ولكننا حين نختصم معه فى معنى أو لفظ أو حين نشتط عليه فى النقد ، لا نزيد على أن نعترف له أنه الشاعر الفذ ، ولولا أنه الشاعر الفذ لما خاصمناه) •

ويقول فى موضع آخر (لقد هاجمت العقاد فى غير موطن من مواطن الخصومه ، خاصمته فى السياسة وخاصمته فى الأدب ، وخاصمته فى السياسة والأدب أيضا • ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد فى نفسى • وما أظن أن بين لدات العقاد وأترابه ومعاصريه من يقدره مثلما أقدره أنا وأكبره • وليس يعيننى أن يكون رأى العقاد فى كرايى فيه •• والذين عاصروا خصوماتى للعقاد يذكرون من غير شك أننى أثنت على أدبه فى جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين الوفد والدستوريين كأعنف ما تكون الخصومات ، وقد كانت الحرب سجالا بينى وبينه • ولم يمنع ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم فى مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على حربا) •

وعلى ذكر الحرب ، العقاد وطه حسين كلاهما عنده طاقة **الصمود**

والقدرة على التحدى •

فالعقاد فى ٢٣ يونيه عام ١٩٣٠ فجر قنبلتين فى البرلمان • هدد الملك فؤاد بتحطيم أكبر رأس تهدد الدستور •

كانت صيحته مفاجأة حتى لحزبه حزب الوفد حتى استتكرها بعض

نوابه ...

وكانت صيحته علامة كبيرة سرت بعدها اليقظة وسارت المظاهرات
ودخل العقاد السجن وكان مريضا يتوقى البرد والحر ولكنه بعد تسعة
أشهر فى القيود والبرد والحر ، خرج يقول :

وكنـت جنين السجن تسعة أشهر وها أنا ذا فى ساحة الخلد أولد
عدائى وصحبى لا اختلاف عليهم سيعهدنى كل كـما كان يعهد

وبالصلاية نفسها كانت وقفة طه حسين فى الجامعة حين أرادت
الوزارة الاعتداء على استقلالها بالتدخل فى اختصاصات عميد كلية
الآداب ... طه حسين ويقف الى جانبه مدير الجامعة لطفى السيد •

طراز فذ من الرجال تنجبه مصر فى كل جيل لا تعقم أبداً •

والعقاد وطه حسين فيهما من شخصية مصر ظاهرتان أخريان :

الأولى : كلاهما زرع نفسه على طريقة مصر فى زراعة الأرض
باستنبات النبات ، وزراعة الفكر باستنباط المعانى ، وزراعة الصخر بتشكيل
الحجر ونقشه وتلوينه •

الأخرى : الارتفاع فوق الأحداث

فارتفع العقاد على المرض •

وارتفع د • طه على العاهة •

العقاد وطه حسين بعد هذا كله تعارضا •

تعارضا واحتدم بينهما الخلاف حول المدرسة الإنجليزية فى الأدب

والمدرسة الفرنسية •

وتعارضاً حين تعصب العقاد للثقافة العربية ومن شواهد هذا كتابه (اللغة الشاعرة) وتعصب الدكتور طه للثقافة اللاتينية وتعصب مرة أخرى للفكر اليوناني وكتب كتابه (قادة الفكر) وترجم عن المسرح اليوناني ، وترجم عن الأدب الفرنسي الذي تأثر به تأثراً واضحاً •

• تعارض العقاد والدكتور طه في اللون السياسي •

فالعقاد بدأ وفدياً ثم خرج على الوفد •

والدكتور طه بدأ خصماً للوفد ثم انضم إلى الوفد وصار من وزرائه •

العقاد وطه حسين اختلفا في النظرة إلى المرأة فالعقاد سلط عليها منطقاً واعتداد الرجولة فيه حتى نظمه قوم ، بنثره ، في سلك أعدائها ••• وإن كان « شعره » يتغنى بها ويقبل منها الوجه والكفين •

أما الدكتور طه ففنان يرى في المرأة قوة خطيرة • كما في قصته دعاء الكروان (١) •

الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين متباينان في أسلوب الكتابة وأسلوب الشخصية :

في أسلوب الكتابة العقاد خير من تتمثل عنده دقة اللفظ العربي ومطابقته للفكرة ••• الكلمة عنده قفاز محبوبك ولو أنه أمد له في الاتساع نصف نمره لأراح بعض الناس ولكنه يأبى لأن المسألة عنده تتصل بطاقة

القدرة ولهذا لا يتذوقه إلا متخصص وإن كان هذا لم يمنعه من أن يقول
مثل هذه الخفقات الشاعرة في يسر وسهولة عذبه :

صفحة الجو على الزر قاء كالخدد الصـقيل
لمعة الشمس كعـيين لمعت نحو خـليـل
رجفة الزهر كجسم هزه الشوق الدخيل
حيث يـممت مـروج وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشيء إنما العيش جميل

هنا بلغت السهولة والبساطة مبلغا جعلت الأبيات على غزارة
مشاعرها غزوية بريئة طفلة •

والدكتور طه جمال أسلوبه في قدرته على الاستهواء حتى ليتأتى له
تسحيرك بالمعنى الواحد يزفه اليك في حفل من الأسباب والترسل
ويحلو لك أن تدور معه أو وراءه حتى إذا خلصت من أسره وقرأت
المقال للنقد لا للمتعة راعك أن المضمون سهل المنال ولكن السر في هذه
الهالة حوله • ويحسب الكثيرون أنهم على تقليده قادرون وما أكثر
ما يحاولون ••• وإنما :

يصنع الصانعون وردا ولكن وردة الروض لا تتضارع شكلا

أما أسلوب الشخصية فالعقاد رفض الوظيفة وقيودها حين تقلب
الدكتور طه في الوظائف حتى بلغ الوزارة •

العقاد كاتب صومعه حين كان الدكتور طه رجل مجتمع وصاحب
أسلوب وأستاذ جامعة ورجل دولة • أستاذ يشرح ويفصل ويطوِّف

ويطوّف ويربط وينقد ويعرض ويستوزر ويحـكم ويتمتع بهالات
وشيات • الدكتور طه حسين مع هذا كله وبهذا كله **أسـنـاذ متخصـص** •
ولكن العقاد بغير هذا كله موسوعي تجاوز اهتمامه الأدب الى العلوم
والفنون في وثوق ورسوخ شيد به المشتغلون بها على أعلى مستوى •

الدكتور طه استاذ أدب ورجل دولة •

والعقاد رجل فكر وراهب صومعة وشاهد عصر وطرّاز عبقرية
وتفرد شخصية •

أحمد حسن الزيات :



مولد الرسالة — قصص وطرائف — لجنة التأليف
والترجمة والنشر — دور الزيات في الرسالة — مدرسة
الرسالة — الرسالة ومولد توفيق الحكيم الأدبي —
الرسالة تحتجب — سفارة الرسالة في الدول العربية
— موقف الزيات من القصر الملكي وموقفه معه — مقال
(غلاخون وأمراء) مقال (ليس بعد الدين وازع)
مقال (الامتيازات والدين) — مصادرة الرسالة —
النائب العام الأديب — صاحب الأدب الأخضر —
نشأته — تعليمه — الزيات والأزهر — الزيات
والمستشرقين — الحقوق الفرنسية — الزيات في
فرنسا — صاحب رسالة وصاحب دعوة — الدعوة
الى اصلاح الأزهر — الدعوة الى اصلاح المجتمع —
مهاجمة الاقطاع ورعوسه — صور ساخرة — مهاجمة
الشيوعية — القرية في أدب الزيات — صور ولوحات
— الزيات يصف نفسه — حبه الأول — كتبه

مولد رسالة

في يوم ١٥ يناير سنة ١٩٣٣ كانت آلات المطبعة تدور دورات سريعة حاسمة ووراءها أيد كثيرة تتلقف الصفحات المحبرة وتطويها هي الأخرى في سرعة حاسمة أيضاً • فما إن بلغ النهار متوع الضحى حتى أهلت على دنيا الأدب مجلة جديدة قشبية الثوب مضيئة ، قسيمة الوجه وسيمة ، عربية الملامح أصيلة •• ولكنها لم تجر على عادة المواليد في البكاء أو الصمت فقد تكلمت وهي في المهد صبية • واستقبلت الدنيا باسمه متفائلة واستقبلتها الدنيا حفية متهلة •

ما أحق يوم النصف من يناير أن يسمى في تاريخ مصر يوم الفكر •• ففيه ولد أستاذ الجيل لطفى السيد ، وفيه ولدت مجلة الرسالة •

وصدر العدد الأول من الرسالة في عشرة آلاف نسخة ، فإذا بها تنفذ عن آخرها في مصر والسودان دون أن تلحق بها الدول العربية الأخرى فاشتد الطلب من سوريا والعراق على العدد النافذ • ولم تستطع الأعداد التالية على غناء فيها وروعة أن تنسيهم ذكره أو تلهيهم عنه ، فلم يجد صاحب الرسالة ندحة عن إعادة طبعه • وطبع العدد الأول مرة ثانية فكانت فاتحة عهد • فأخذت الرسالة تصدر في ١٥٠٠٠ نسخة • ثم ارتفع الرقم إلى ٢٠٠٠٠ نسخة حتى إذا أهل العام الهجري في مسرى الأيام صدر عدد الرسالة الممتاز في مطلع السنة الهجرية في ٣٠٠٠٠ نسخة • قد يبدو هذا الرقم أمراً عادياً الآن ولكنه في ذلك الوقت كان رقماً قياسياً خاصة بالنسبة إلى المجالات •



ولولد الرسالة قصة • وكم من قصص في حياتها وأحداث • أما قصة المولد فتبدأ بعد عودة الزيات من العراق • كان الرجل موعوداً قبل سفره إليه بأستاذية الجامعة المصرية • وكانت الجامعة الأمريكية قد

سبقتنا إلى اجتذابه • ففى سنة ١٩٢٢ اختارته رئيساً للقسم العربى بها • وسرعان ما سارت له بها سمعة طيبة •

وفى سنة ١٩٢٦ بعد مضى عام على عودة الزيأت من فرنسا بعد حصوله على ليسانس الحقوق من جامعة باريس ، طلب الدكتور طه من لطفى السيد الذى أصبح مديراً للجامعة أن يستدعى الأستاذ الزيأت للتدريس بها ، ومعنى هذا من وجهة نظر الروتين أن يلتحق الزيأت بالجامعة بدرجة خامسة حين كان فى ذلك الوقت رئيس قسم بالجامعة الأمريكية ويتقاضى سبعين جنيهاً شهرياً فرفض بالطبع •

وفى هذه الأثناء أى سنة ١٩٢٩ انتدبته شخصياً حكومة العراق ليضطلع بتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية فى بغداد لمدة ثلاث سنوات •

وزكىّ أستاذ الجيل سفر الزيأت إلى بغداد ليكون مبرراً أمام المالية حتى يشغل فى مصر درجة أستاذ بعد عودته استناداً إلى ماضيه فى التعليم ومناصبه •

ومكث الزيأت فى بغداد ثلاث سنوات ١٩٢٩ — ١٩٣٢ هى خير أيام حياته عرف فيها كل رجالات العراق • وعرف فيها النجاح والمجد ، فقد ألقى عدة محاضرات أحدثت دويماً هناك فى المحيط الأدبى •

وعلى مجد الشهرة وبريق المجد لم ير الرجل تجديد العقد موفياً بعهده للطفى السيد • وكان أن حضر إلى مصر وإذا به يجد الدكتور طه قد فصل من الجامعة من أجل كتابه (فى الأدب الجاهلى) ، واستقال لفصله لطفى السيد •

لقد ترك الزيأت الجامعة الأمريكية على الرغم منها • ولكنه لا يرى العودة إليها الآن • أما الجامعة المصرية فقد أقفرت ممن كان مطمع النظر أو معقد الرجاء •

وكان لقاء بين الأستاذ الزيات والدكتور طه وجرى حديث للأدب ما دار فيه .. حاول الأستاذ الزيات إقناع الدكتور طه بإنشاء مجلة أدبية في وقت كانت المجالات الهزلية تحتل السوق بعد موت السياسة الأسبوعية . وأبدى الدكتور طه مخاوفه . ولأدع الوصف للزيات يصور على طريقته هذا اللقاء :

في ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٣ زرت أخى طه حسين في داره بالزمالك . وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد أن أغلقت دار المعلمين ببغداد . وكان هو قد أنزل عن كرسيه في كلية الآداب من جامعة فؤاد .

فقلت له بعد حديث شئى من أحاديث الذكرى والأمل :

ما رأيك في أن تصدر معاً مجلة أسبوعية للأدب الرفيع ؟

وقال :

وهل تظنك واجداً لمجلة الأدب الرفيع قراء في مجتمع ، ثقافة خاصته أوربية ، وعقلية عامته أمية ، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون — إذا قرعوا — إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة ؟

فقلت له : لعل من بين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطى تطلب الجد فلا تجده ، وتشتهي النافع فلا تناله .

فقال وهو يهز رأسه ويمط شفثيه : حتى هذه الطبقة ، إن كانت ، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع ، فإذا ما ألح عليها ، لا تلبث أن تسأمه وترهده فيه .. والمثل أمامك في السياسة الأسبوعية .

فقلت له : ربما كان لإقبال القراء على (السياسة الأسبوعية)

ولإدبارهم عنها سببان آخران غير التغيير والسأم •• كانت هذه المجلة أول ما صدرت قوية غنية خصبه فأصبحت حاجة ، ثم اعترأها ما يعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضلة •

فقال لى بعد نقاش طويل : أنت وشأنك •• أما شأنى فهو المقال الذى أكتبه والرأى الذى أراه •

وكان يظهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكانوا بهذه المظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد (١) •

وهكذا أصر الأستاذ الزات على خوض التجربة متكفلاً بتكاليف الإصدار • وكأن قراره ارهاص بأمر عظيم • وكان أن خرجت الرسالة إلى الحياة سنة ١٩٣٣ تعمل عمل الرسائل فى بث الوعى وجمع الشمل وتوحيد الصفوف وإشاعة معانى الخير والحق والجمال ترسلها مع الضوء شعلة الأدب التى رفعتها اليد المهمة على طريقنا عشرين عاماً •



ومن قصص المولد قصة طريفة ضحكت منها القاهرة وتندر بها الناس ••• فإن الخطاط الذى عهد إليه أن يعلن المولد على الجدران نظر فى الإعلان الذى كلف بكتابتة فإذا به مسطور على هذا النحو (مجلة الرسالة يحررها الزيات وطه حسين) • وعرت الخطاط هزة أمام الاسمين الكبيرين • ورأى من سوء الأدب أن يكتبهما بلا ألقاب عرفها الناس لهما • فتطوع الرجل الطيب ، بإضافة الأستاذية تأدباً وكرامة • فكتب مجوداً : (مجلة الرسالة يحررها الأستاذين الزيات وطه حسين) •



وكانت (قفشة) تلقفتها مجامع عاصمتنا الكبرى واحتشدت لها

قدرتنا التقليدية على التفكه والدعابة فكان هذا خير إعلان عن المجلة الجديدة مد لها في الظهور ومكّن لها من الرواج .

وسارت الأيام ...

وبدا لحزب الوفد أن يعين الدكتور طه في جريدة (كوكب الشرق) .
وكان رئيس تحريرها أحمد حافظ عوض ، ثم خاطبوه في شأن الزيات .
فقبل نيابة عنه . وما درى أن الزيات يهوله هذا الأمر إشفافاً على
المجلة الوليدة التي أحاطت بمولدها الأمانى وحف بها الرجاء .

— أما كان أجدر بنا أن نتشاور في مثل هذا الأمر ، من أجل الرسالة
التي أحسن الشعب استقباليها والتي يتهددها اشتغالنا بسواها ..

— ولكنى قبلت نيابة عنك ..

— إذن نعرض المسألة على إخواننا ..

وكان الزيات يعنى أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر .
وحدث أن أيد هؤلاء رأى الزيات . فترك الدكتور طه الرسالة مغضباً .
واضطلع بها وحده الأستاذ الزيات يعاونه كوكبة من أرباب الأقلام
وأهل الفكر .

ثم أخذ الدكتور طه يكتب في جريدة الوادى ولكنها لم تلق النجاح
المنشود .. وفي الوادى هاجم الدكتور طه الأستاذ توفيق الحكيم هجوماً
عنيفاً تحت عنوان (أخلاق الأدباء) هدد بقطع الصلة بينهما .

ولما كانت الرسالة قد شهدت مولد توفيق الأدبى وعرضت تقديم
طه له فقد نشر الزيات فيها مقال الدكتور طه ليعرف قراء الرسالة
النهاية بعد أن عرفوا البداية على صفحاتها . فأحرق ذلك الدكتور طه

وهاجم الأستاذ الزييات أيضا في الوادى تحت العنوان نفسه (أخلاق بعض الأدباء) • فرد عليه الأستاذ الزييات رداً مهذباً ولكنه على صقله لا يخلو من قسوة تحت عنوان (بين أسلوبين) وكان ذلك سنة ١٩٣٤ •

وكانت هذه المقالات من المعارك الأدبية التى لها دوىّ فى ذلك الحين • وقد شغلت رأى العام الأدبى طويلا فى حينها •



كانت الرسالة فى ذلك الوقت تطبع ١٥ ألف نسخة توزع منها فى مصر بين ستة آلاف وسبعة آلاف نسخة والباقى تستوعبه البلاد العربية •

وسارت السفينة بين تيار مثرات وريح رخاء • ثم ارتطمت بصخرة أخرى • فنقد آثار المرحوم الدكتور أحمد أمين موضوعاً من لون جديد • • • كتاب الحف الأول فى مجلة الرسالة لم لا يعتبرون مساهمين فيها ؟ لم لا تشكل لجنة تحرير من أحمد زكى وفريد أبى حديد ومحمد عوض محمد وأحمد أمين والزييات ، ويحدد للزييات مرتب معلوم ، ثم تخصم التكاليف ويقسم الباقى بعد هذا على أعضاء لجنة التحرير هذه ؟ • •

وحين يتعلق الموضوع بالمال تكثير النذر وتتأزم الأمور • ولكن الزييات واجه الموقف بحكمة ورحابة نفس فرضى الوضع الجديد وأفسح له •

وسارت سفينة الرسالة فى هذا التيار سنة ثم كف أحمد أمين عن الكتابة فيها وآخرون • • • (١) وبقي على عهدا أو عهد صاحبها الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ فريد أبو حديد • • وظل يكتب فيها من وقت إلى آخر الدكتور محمد عوض محمد ، بل بلغ من وفاء الدكتور عزام

(١) اقرأ مقال (بلغنا العدد الالف) فى « وحى الرسالة » ج ٤ ص ٧٥ •

للمرسالة أن وقف قلمه عليها وهواه .. لقد ظل الدكتور عزام بعد احتجاب الرسالة من دون الناس أجمعين يعمل لعودتها هنا وهناك . وكأنه حين تقاصرت دون بغيته الأسباب أثر أن يحتجب معها فخلت منهما دنيانا حتى لم نعد نراها أو نراه .



وحدث في هذه الأثناء أن أنشأ الأستاذ أحمد أمين مجلة (الثقافة) ووراءها جمع من لجنة التأليف والترجمة والنشر .. ووقف راء الرسالة العالم العربى كله فابتسم لها الحظ ، وتدفق عليها المال ، ومدت لها الأيام في العمر فعاشت عشرين عاما متجاوزة عمر المجالات الأخرى . فقد بلغت الثقافة خمسة عشر عاما بالكاد وأفلت - الباقيات بين عشية وضحاها .



وكانت مجلة الرسالة في عهدها الأول تنتقل بين المطابع ، فكانت تطبع أول صدورها في مطبعة الاعتماد ثم في مطبعة الرغائب في شارع محمد على ، ثم في مطبعة عبد الرحمن .

وفي سنة ١٩٣٥ اشترى صاحبها مطبعة ، بل ارتفعت باسمها عمارة في عابدين وملاّت الرسالة حياة صاحبها فكانت مطبعتها تحتل الدور الأول ومكتبها يشغل الدور الثانى حين اتخذ الزياد بيته في الدور الثالث ليكون مع المطبعة والمكتب في ملأ واحد .

والحقيقة أن الزياد في هذه الفترة - ولم أقول هذه الفترة - ظل الزياد عمر الرسالة يقوم بمهمة معلم الانشاء .. كان يراجع موادها كلها ويصححها بل يعيد كتابة الكثير منها . كان يكفيه من معظم أصحاب المقالات استقامة المعنى أو سلامة الموضوع .. اما الصياغة .. اما الأسلوب فعليه وحده يقع عبؤه راضياً بل مختاراً . فقد كان في استطاعته أن يقصر عمله على لمسات يشيخها هنا وهناك ، ولكنه هو

الذى وطد نفسه على إعادة الصياغة من جديد كلما تعثر الأداء أو قصّر الانشاء أو عطل الأسلوب •

لم تتعد بالزيت همته عن شيء يهدى للرسالة • لم يفت في إصرار الرجل إلا مصلحة الضرائب التى تطوح بتقديرها حتى فرض فى أولى شطحاته على المجلة ٢٤٨٥٥ جنيهاً فلجأ إلى لجنة التقدير فنزل الرقم إلى ١٢٦٠٧ جنيهات • بالتقدير الجزافى أيضاً • ولم يرتد الحجز عن المطبعة والدار وفاء للدين المزعوم • فلم يكن للزيت ندحة عن دفع الآلاف المفروضة أقساطاً • ثم رفع قضية سنة ١٩٤٧ فصلت المحكمة فيها سنة ٥٥ • ومن الطريف أن الحساب أسفر عن حق الزيت فى ٦٠٠ جنيهه تؤدى له ، ولكن قعد بها إلى اليوم ، الأداء •

بداية النهاية :

كانت الحرب العالمية الثانية حرباً على الناس وعلى الرسالة • فحين صعب استيراد الورق وصعب التوزيع فى الخارج ، هبط الطبع والتوزيع إلى ٠٠ رء نسخة ، حين زادت التكاليف • وكما يشتد الظلام تواتت النذر واحترف الكتاب الكبار ، وخذلت اشتراكات وزارة المعارف • ولم ترفد من الحكومة اعانات ، ولم تسعف من الشركات اعلانات •

وظلت الرسالة وسط هذا كله كالشمعة يحيط بها هوج الريح وحلك الليل ، ثم تضىء ، يؤخر انطفاءها بذل نفر قليل من الكتاب يكتبون لها بلا أجر :

كالدكتور عزام والعبادى وفريد أبى حديد وأحمد زكى ، وإقبال الناشئين عليها ولهفتهم على النشر فيها لقاء الظهور فقط •

ومن عوامل صمودها ملكها للمطبعة التى اشترتها كما أسلفنا فى

وقت كان سعرها فيه رخيصا فكأنها استهلكت ثمنها وأصبحت تطبع
مجانا .

وكان صباح .

واستيقظ الناس على صوت حيى هادىء عربى اللسان بايغ البيان
رخيم النغم يتهدج من حزن ويتهدى فى تأثر .. وسرى فى الأسماع
هاتفاً : الرسالة تحتجب (١) .

والناس بين مصدق ومكذب فإذا بالصوت يؤكد من جديد : « نعم
فى هذا الوقت الذى نشأ فيه لتوجيه الارشاد وزارة ، ولتنمية الانتاج
مجلس ، ولتعميم الاصلاح خطة ، تسقط (الرسالة) فى ميدان الجهاد
الثقافى صريعة بعد أن انكسر فى يدها آخر سلاح ، ونفذ من مزودها
آخر كسرة ، فكأنها جندى قاتل اليهود فى فلسطين على عهد فاروق ،
أو فدائى جاهد الانجليز بالقناة فى حكومة فاروق . ولكن فاروقا دال
ملكه وزال حكمه فبأى سبب من أسباب الفساد يؤتى المجاهد من جهة
أمنه لا من جهة خوفه ، ويقتل بيد شيعته لا بيد عدوه ؟

تموت الرسالة اليوم فى ضجة من أناشيد النصر فى مصر ، وأهازيج
الحرية فى السودان ، فلا يفتن إلى نزعها هاتف ولا يصغى إلى أنينها
منشد .. ومن قبل ذلك بشهر ماتت أختها (الثقافة) . وكان الناس
يَوْمئذ فى لهو قاصف من مهرجان التحرير ، فلم تبكها عين قارىء ، ولم
يرثها قلاب كاتب ، كأن عشرين سنة للرسالة ، وستة عشرة سنة للثقافة
قضتها فى خدمة الأدب والعلم والفن والاسلام والعروبة لم تهين
لهما مكانا فى الوجود ، ولم تنتشئ لهما أثرا فى الخواطر .. وكان هاتين
المجلتين اللتين أنشأتا فى أدب العصر مدرستين نشئ فيهما جيل ،

(١) أعلن صاحب الرسالة احتجاجها فى مقال نشره بالاهرام فى ٢٣
فبراير سنة ١٩٥٣ تحت عنوان (الرسالة تحتجب) .

وابتدأت بهما نهضة ، واجتمعت عليهما وحدة ، لم تكونا إلا ورقا مما ينشر في الطريق للاعلان ، يجيء به الموزع وتذهب به الريح •

وعلى أثر هذا المقال كتب العقاد وطه والمدنى وسامى الكيالى فى رنة حزن بالغ ولهجة لوم شديد •

وهكذا احتجبت الرسالة فى ١٥ فبراير سنة ١٩٥٣ بعد أن حاول صاحبها مساندتها (بالرواية) فما استطاع • فاثارت باحتجاجها ومقالة صاحبها فيها مناحة قامت ولم تقعد ، وهى وان هدأت حدتها وسكنت دعوتها ظلت تتجدد أنا وتجد وتتراخى حيناً وتفتقر ، بل تستحيل إلى خمود •• فكانت عروض الجهات الثقافية الرسمية بروقاً خائباً تومض ثم تختفى •

وظهرت مجلة أدبية أخرى تحاول أن تقتفى أثرها وتعمل عملها وتغنى غنائها ، ولكنها على امكانياتها احتجبت ولما يمض عليها ثلاث سنوات •



ولكن المعانى التى أشاعتها الرسالة لم تحتجب • فقد كانت مجلة منهج محدد الغاية ، وخطة مبلورة المضمون ، وطابعاً واضح الشكل •• حتى لكانها ولدت •• وعاشت من أجل :

— إحداث ثقافة أدبية خاصة تعتمد على وصل الشرق بالغرب وربط القديم بالحديث •

— بعث الروح الاسلامى النبيل متوسلة إلى هذا بالدعوة إلى إصلاح الأزهر ومحاربة الخرافات وإحياء تراث الشرق والغرب وإعلاء ثقافة عربية متحررة •

— ثم العناية بالأسلوب •

وكل هذه المعانى نشأت من طبع الزيات صاحب الرسالة •• إنها
ميوله الخاصة •



لقد كان أدباء البلاد العربية ، قبل الرسالة لا يكاد يعرف بعضهم
بعضا فجاءت الرسالة وربطت البلاد وأهلها •• وصلت بعضها ببعض
بما كتبت عن الأدب العربى فى كل بلد عربى فى تواصل وجدية ووفاء •
فكانت سفارة متنقلة بين أقطار العروبة وكانت للوحدة الحاضرة نقطة
الابتداء • فقد مهدت الرسالة للقومية العربية بما نشرته من أدب كل
شعب •

لا بل إن السفارات مجتمعة لم تعمل عمل الرسالة • واحدة •
لقد سافر على أمين إلى الشرق بعد احتجاج الرسالة وعاد يقول :
« لو أن الحكومة أغلقت سفاراتها فى الشرق وأبقت على الرسالة
لكان خيرا لها وأجدى عليها » •

لقد سقطت مجالات عدة فلم يشعر بها أحد اما الرسالة فكان
احتجاجها كارثة أدبية أثارت الأقلام والناس •

لم تترك الرسالة بلدا عربيا إلا دخلته دخول المرموق يعامل
بالإعزاز ويستقبل بالتجلة • ولا غرو فقد كانت المجلة الوحيدة التى
يقرؤنها ويكتبون فيها حتى لقد كان السوريون يُسمون يوم الثلاثاء الذى
كانت الرسالة تصل اليهم فيه ، يوم الرسالة ولا يقول قائلهم يوم
الثلاثاء •

كما كان الأديب من كتاب الرسالة عندما يزور بلدا عربيا ،
لا يميزونه باسمه بل بهذه الصفة فكان كتاب الرسالة فى هذه الظاهرة
كأهل بدر •

كانت الكتابة في الرسالة شهادة للكاتب ترفع من اسمه وتعالى
بين الكتاب مكانه .



كانت الرسالة مدرسة ربت جيلا ، وربطت شعوباً ووصلت بلادا
ووثقت علائق . ورفعت مشاعل وأشاعات معاني ، وعرضت حضارات ،
وبثت دعوات ، ونهجت سبلا ، وأوضحت .. مناهج ، وشرعت للبيان
وسائل ، ونشرت له رسائل ورفعت أعلاما .

في هذه المدرسة تربي ومنها خرج : دريني خشبة ، وعبد المنعم
خلاف ، ومحمد عبد الله عنان ومحمود شاکر ومحمود الخفيف وعلى
الطنطاوى وأنور العطار (نثرا وشعرا) وعبد الحميد يونس وعباس
خضر (الذى كان مصححا في الرسالة) وأنور المعداوى ورشاد رشدى ..
ووديع فلسطين .

ومن الشعراء : عبد الرحمن شكرى ، وأحمد رامى ، وعلى محمود
طه ، وإبراهيم ناجى ، والهمشرى ، والعوضى الوكيل ، وطاهر أبو فاشا ،
وأحمد عبد المجيد الغزالي ، ومحمود حسن اسماعيل ، وأحمد الزين ،
ومحمود غنيم .

ومن شعراء الأسكندرية : عبد اللطيف النشار وعثمان حلمى .

ومن شعراء مدرسة أبولو : الشابى والتيجاتى اللذان انضموا مع
الهمشرى إلى أبى شادى .

ومن شعراء العراق الذى قصر نشر شعره على الرسالة . كما
كان الرصافى ينشر فيها من وقت لآخر .. وأفسحت الرسالة لقلم المرأة
مكانا فيها فأذاعت من الأسماء : سهير القلماوى ، أسماء فهمى ،
زينب الحكيم ، وداد سكاكىنى ، وداد صادق عنبر ، جميلة العاليلى ،
وغيرهن .

بل إن الرسالة أظلت : أحمد أمين ، ومحمد عوض محمد ، فريد

أبو حديد ، وأحمد زكى • حقا لقد كتبوا قبل الرسالة • فكتب فى مجلة السفور الزيات وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق وعبد الحميد العبادى وفريد أبو حديد وأحمد زكى • ولكن (السفور) هذه كانت مجلة أسبوعية لا تتجاوز أربع صفحات ، ولم تكن بالمجلة السيارة الواسعة الانتشار فلم تذع لهؤلاء الذين فتحنا عيوننا عليهم • ووقر فى نفوسنا احترامهم ، شهرة : ولم يدو لهم فيها صيت وإنما ظهوروا فى الرسالة ، وبها •

وغير هؤلاء أظهرت الرسالة الكاتب الإسلامى مصطفى صادق الرافعى ولم تكن كتاباته قبلها ذات شهرة •

وللرسالة يدين الأدب ، ونحن من ورائه ، بكتابنا توفيق الحكيم • فالرسالة هى التى أعلنت مولده الأدبى • والرسالة هى التى أخرجت كتابه « أهل الكهف » • وصاحب الرسالة هو الذى اقترح عليه كتابه النفيس (يوميات نائب فى الأرياف) (١) •

وكثيرون ما فتئوا يذكرون العنوان الرفيع ذا الأدب الرفيع (من برجنا العاجى) • بل إن (توفيق) بعد أن صارت له شهرة وطار له صيت ظل يلقب طويلا بصاحب البرج العاجى •

ومالى أعدد الأسماء •• هل هناك أديب قرأه الناس فى حياة الرسالة لم يكتب فيها أو يستظل بها أو يشتهر من ورائها ؟

وسارت بهم وساروا وكان أشد الكتاب لصوقا بها :

الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور زكى مبارك والأستاذ مصطفى عبد الرازق والأستاذ العقاد والأستاذ المازنى والأساتذة ساطع الحصرى

(١) نشر مسلسلا فى مجلة (الرواية) أخت « الرسالة » عام ٣٧ •

ومحمد اسعاف النشاشيبي ومحمد عبد الله عنان ومصطفى صادق الرافعي •



لقد كلفت الرسالة صاحبها نفسه لكتابة المقال وهو قصصى النزعة •
وعند الكثرة الكاثرة هو أكتب كتاب المقالة الأدبية المثالية (١)
ولولا الرسالة لظل الزيات مدرساً ومؤلفاً •• كان من المحتمل أن ينقطع
للتدريس والتأليف الأدبي والترجمة • لقد فجرت الرسالة ينيابيعه فسجل
فيها تجارب حياته وأحداث عمره وأتراح قلبه وأفراح أيامه •

وقد اختار كما يقول : « هذا النوع من الصحافة المجاهدة
المستشهادة » ووقف بالرسالة على الأعراف بين آخر النقص وأول
الكمال ، يأخذ بيد الأدنى ليصعد ويثبت أقدام الأعلى ليستمسك ، ثم
يدفع المرتفع صعوداً في السماء ليكون باستعداده أقرب إلى الحق المطلق
والخير المحض والجمال الكامل •

وقنع من المشايعة أن يصحبه في هذا الطريق من تهيئهم فطرمهم
السليمة لبلوغ الغاية منه • وهم بحكم الندرة في الكمال والكرم قلة •
ومن السهل القريب أن تصلح القلة لتصلح الكثرة ، وأن ترفع الخاصة
لترفع العامة • وليس وراء القلة مال يبتغى ولا جاه يرتجى ، وإنما سبيل
المال والجاه لمن أرادهما ، العامة يستميلها بالتهريج ، والسياسة يستغلها
بالدجل ، والحكومة يستدرها بالملق • والعدة إلى ذلك يسيرة المنال :
حنجرة صلبة تخطب • وبراعة مداينة تكتب ، ونية فاسدة تملئ •
ولو أرادت (الرسالة زهرة الحياة الدنيا لعرضت ضميرها للبيع وقلمها
للإيجار • ويومئذ تتحول أكداس الورق في مطبعتها العجيبة من أوراق
طبع إلى أوراق نقد •

ولكن الله الذي حبيب في سبيله إلى المجاهد الأول الاستشهاد وليس

(١) اقرأ مقال (أحمد حسن الزيات) للاستاذ جمال الدين الالوسي مجلة
(المورد) المجلد السابع العدد الثالث ١٣٩٨ — ١٩٧٨ •

فى مزوده إىلا حفنة من سويق ، أو قبضة من تمر ، حبب إىلى (الرسالة)
الجهاد فى الميدان المجدب الموحش ، ولا عدة لها إىلا الصدق والصبر
والزهد المتظفر بنصر المجاهد إذا فاز ، أو بأجر الشهيد إذا قتل) •

* * *

نسبة (الجهاد) إىلى الرسالة لىس من تعبير البلاغة وإنما هو من
شواهد التاريخ ووقائع الحال • فقد تهددت الرسالة السلطات ،
وصادرت الرسالة أكثر من مرة ••• الحكومات • ولعل الكثرىن يذكرون
مقال الزيات المدوى فى الرسالة « فلاحون وأمرء » على إثر إهانة
الأمىر عمرو ابراهىم الأحىد الأعضاء المصرىن بنادى محمد على
وعنجهىة صاحب السمو الذى شاء أدبه وولأؤه لمصر التى رفعتهم أن
ىقول : (الفلاحىن ما ىدخلوش الكلوب) • وبلغت الكلمة الصفىقة صاحب
الرسالة فكتب مقاله : (فلاحون وأمرء) •

وفزع السادة الأمرء وذهب جمعمهم إىلى محمد محمود (باشا)
فنظر الىهم فى شموخه المروف وقال لهم بملء فمه •• بملء تعصبه
لقومه ، بملء اعترازه بأهله :

أنا معه ••

وصكت الكلمة الأسماع السمىكة المصمتة ، وارتج على أصحابها ،
ولكن « محمد محمود » لم تقف ثورته فذهب إىلى القصر مهتاجا ، وأرسل
بعدها إىلى الزيات وأمر بزيادة اشتراكات المجلة •

كما وقف وراء الزيات من رجال الصحافة ، مصطفى أمىن الذى
حكم علىه بالحبس ستة أشهر مع وقف التنفيذ •

ومرة أخرى ىرتطم صاحب الرسالة بالقصر فى مقالة (لىس بعد
الدىن وازع) على إثر زواج فتحة من رىاض غالى • وفزع القصر
لولا أن توسط فى الأمر محمد حسن ىوسف وكىل الديوان وقتئذ •

* * *

وتاريخ الرسالة وصاحبها من القصر يبدأ قبل هذا بكثير • يبدأ حين صودرت الرسالة لأول مرة في عهد فؤاد • فقد حدث أن رسب أحد المجاورين في الأزهر ممن ينتسبون إلى جنوب افريقية • فجاء أبوه الأزهر وأخذ يكيل للمعهد العتيق السباب • وتفاقم الأمر حين وردت إشارة من دار المندوب السامي بنجاحه • • • وما للمندوب وما للأزهر ؟ وانتفض الرجل الهاديء الحيى الطبع ، الدمث القلم والخلق ، ولكن الأمر كان أكبر من حلمه فكتب مقاله (الامتيازات والدين) • ولم يقف بالهجوم عند المندوب وحده بل هاجم من يديرون الخد الأيسر من قومنا • وكان الظن بشيخ الأزهر ألا يكون بين صفوفهم • • وأحنق المقال الشيخ الكبير والقصر فطلبوا إحالة الكاتب للنيابة • • وطلب النائب العام صاحب الرسالة وخاطبه في الأمر • • وكان النائب العام وقتئذ لبيب (باشا) عطية وكان أديبا متذوقا ، • وسأل النائب ، الكاتب عما إذا كان يستطيع الاتيان بشاهد يؤيد الحادثة موضوع المقال • ؟

وواضح أن النائب الأديب كان يلتبس مخرجا لصاحب الرسالة • للرجل الذى استولى مقاله عليه حتى أعاد قراءته مرات • ولكن الزيات كان يعلم أنه ليس هناك من يجرؤ أن يدلى بهذه الشهادة • ولم تغب عن النائب المجرب الوسائل فأوحى إلى شيخ الأزهر وزكى الابراشى أن هناك تكتلا بين العلماء ضدهما ، وأن الأمر له ما بعده وأن من الخير أن يسحبا الشكوى • وانصاعا لظاهر الحال •



وهكذا كانت الرسالة بين المجالات ، قمة شامخة • مبدأ وهدفا وأسلوبا ووسيلة وغاية ، ولا أحاج هنا بالهلال والمقتطف والكتاب وما إلى هذا مع تقديرى لها جميعا وما أدت ، فقد كانت اهتماماتها فردية أو محدودة • كان (الهلال) يعنى بالتاريخ ، (والمقتطف) يحتفل

بالعلم و (الكتاب) ، يحتقى بالأدب وإن لم يكن له غرض معين ، كما أن (الثقافة) هي الأخرى لم يكن لها طابع خاص مميز •

أما (مجلة الكتاب المصرى) فقوامها الترجمة • وفى ركاب هذه المجالات المحدودة مجالات أخرى أصدق ما يقال فى وصفها أنها فقاقيع تظهر لتختفى بعد عددين أو بضعة أعداد على الأكثر • وكأنها ولدت لتعلن أن الثبات للمبدأ ، والبقاء للأصلح ، والاستمرار للأقوى ، والرجحان للأكرم •



وفى ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٣ عادت الرسالة ثانية إلى الظهور ولكن وسط ظروف كثيرة لا تعين على تواصل أو بقاء •

وبعد الرسالة أقف عند تاريخ صاحب الرسالة حتى يتكامل التاريخان وتلتقى السيرتان •• كما التقتا فى الحياة على دعوى ، وفى الفن على أدب ، وفى الهدف على رسالة •

صاحب الرسالة

أما صاحب الرسالة أو صاحب الأدب الأخضر فقد نشأ الزيـات في
حـضن الـريف — ريف الدقهلية عند كفر دميـره الـتى يـجـدها من الشرق
والـغرب السهول الخـضر والمـروج الغين فنشأ بحـكم البيئـة مطبوعاً على
الألوان والألحان • وأدب الزيـات فيـه من خـلق القرية وعليه طابعها
فهو ودود عفّ شـفّ رفـاف كالنـسائم، أريـحى كالشـمائل ، ملون كالـأصائل ،
أصائل القرية في أمسيات الربيع •

وأدب الزيـات فيـه من القرية شـجـاها وآلامها وهو ساحة دعوها
وإشـكالها وهو مجلى مناهـا وآمالها •• يصف الفلاحين كمن كابد ،
ويدافع عن الأجراء كمن عانى وشقى : و (وحي الرسالة) بأجزائه
الأربعة للريف فيه أثر ظاهر وللـفلاح بين موضوعاته أكبر نصيب •

مولده :

ولد في الثاني من ابريل سنة ١٨٨٥ في كفر دميـره القـديم مركز
طلخا مديرية الدقهلية الأبوين من كفر الدميـرة وإن كانت الام من أرومة
حجازية حيث كانت عائلتها تعيش بالمدينة المنورة ثم هاجر جدها الى
مصر • واستقر في طلخا وكان يطلق عليها عائلة المدنى •

أما أبوه فينتهى نسبه الى الشيخ مجاهد في نبـروه وله مقام فيها •
وقد كان أبواه قرويين متوسطى الحال يعيشان على الزراعة
كسائر أهل القرية التى لا يملك فيها أحد من الأرض شيئاً • فقد كانت
طلخا مركزاً للاقطاع يملكه من الغرب باشا (البـدراوى) ، ومن الشرق
أمير (عمر طوسون) • وبينهما الفقر والبؤس • ولهذا صدى كبير في أكثر
ما كتب في الرسالة مما يدور حول الفقر والفقراء ولمسقط رأسه أكثر من
صورة في كتاباته (اقرأ مقال نصيب قريتي من الثورة) •

- وهو الابن الثالث لأبويه بين خمسة من الاخوة وأختين •
- وكان لوالده نزوع أدبي فقد كان يكلفه بأن يقرأ له القصص الشعبي • (اقرأ مقال أول ما تعلمت الأدب) جريدة الشعب •
- أما أمه فقد أثرت فيه بخلقها ورجاحة عقلها • كانت في غاية الذكاء راوية محدثة عن الاسرة والبلدة •
- وكان إخوته جميعاً يشتغلون بالفلاحة — ماعدا واحدا درس بالأزهر وتوفي — ولعل ملازمة أسرته للأرض وارتباطها بها هو السر في احساسه المستمر بالأرض ووعيه لمشاكلها •



دخل أحمد الكتاب في الخامسة من عمره وظل به حتى بلغ الحادية عشر • وفي هذه الأثناء أتم القرآن الكريم حفظاً وتجويداً وكان فقيه الكتاب (الشيخ حسن) يعتمد عليه في كتابة الأحجية لحسن خطه كما كان يقرأ له القصائد الدينية لضعف بصره (اقرأ مقال الشيخ حسن « كتاب وحى الرسالة ») •

وعندما فرغ من الكتاب أرسله أهله الى رجل آخر في الدقهلية في بلد اسمها الربع فجودله القرآن وعلمه القراءات السبع في سنة •

وعندما كان في الثانية عشر من عمره مرض بالمalaria • وحين كان في دور النقاهة بدا له أن يسبح في بحر شبين قريباً من الشاطيء • وعلى الرغم من هذا أشرف على الغرق لضعفه • ولم ينقذه إلا رجل من أهل البلد معروف كان يدعى الشيخ بيومي مد له يده وأنقذه ثم أركبه زورقاً عاد به • وكان الشيخ بيومي هذا يشتغل بالقراءة والزراعة في وقت واحد •

ولم تترك هذه الحادثة روايتها في نفسه فلم يكف بعدها عن السباحة •

وفي هذه المرحلة من عمره انتقل الى الأزهر في القاهرة • وكان سنه وقتئذ بين الثانية عشر والثالثة عشر •

وفي الأزهر عُرِف عنه ميله الى الأدب حتى لقد كانت دراسته للأدب وعلوم العربية من نحو وبلاغة وعروض وبيان أكثر من جانب الفقه •

وقد نشأ ميله الى الأدب من قراءة القصص الشعبي وكثرة حفظه للأشعار حتى تهيأ له أن يقول الشعر محاكاة لما في القصص منه •

ولم يكن شعره موزوناً • كل ما فيه انه مقفى • • واشتهر في بلده بالشعر حتى أن العمدة — وهو أحد أقاربه — كان في المناسبات يطلب إليه أن يقول الشعر •

وأنس الوالد في ابنه هذه الموهبة فعمل على تقويته بأن اشترى له ديوان المتنبي فكان أول شاعر في حياته حفظ له شعراً •



ولم يكن الأدب ، شعره ونثره ، في ذلك الوقت يدرس في الأزهر أو حتى يعترف به كانت الدراسة فيه لغوية وفقهية ، والعلوم كلها عقلية ونقلية •

وهذا الى الأدب مثله رفيقاه طه حسين ومحمود زنائي • وكان الثلاثة ينشرون بشائر أدبهم في صحف ذلك العهد اليومية والاسبوعية • كان للزيات شهرة في النثر حين اشتهر طه بالشعر ومحمود زنائي بالرواية • يروى الكثير من النوادر والأشعار حتى لقب بالزمخشري حين أطلق على (الزيات) اسم ثعلب صاحب كتاب الفصيح ، وعلى (طه) اسم المبرد •

وعلى ذكر الأدب والأزهر تخايل الكاتب صورة الشيخ محمد عبده •
فهو أول من أدخل درس الأدب في الأزهر يظهره رجالان هما الشيخ
محمد محمود الشنقيطى والشيخ سيد المرصفى •

وقد حضر الزيات ، الشيخ محمد عبده ، حين كان يدرس فى الرواق
العباسى • كان ناشئاً مأخوذاً بسحر بلاغته ولكنه درس على الشنقيطى
المعلقات ، وعلى المرصفى المفضل للزمخشري ، والحماسة لأبى تمام ،
والكامل للمبرد ••

وقد حدث فى هذه الأثناء أن كان الشيخ المرصفى يدرس (الكامل)
للمبرد وفيه خطبة للحجاج منها قوله : (ماذا يطوفون إنما يطوفون برمة
وأعواد) • قاصداً قبر الرسول بالبقيع • وارتفعت أصوات تتنادى بكفر
الحجاج من أجل هذا التطاول • وتميز من بينها صوت معتدل فالزيات
وطه والزناتى قالوا لا داعى للرمى بالكفر • إن أحدا لا يمارى فى إن
الرسول بشر • فالحجاج لم يكفر وإنما أساء الأدب •• وشاعت قولتهم
بين أرجاء الأزهر وتلقفها خصومهم الذين أشاعوا أن الثلاثة كفروا
ووافقوا الحجاج فيما كفرته من أجله الجمهرة • وهنا قامت ضجة ارتفعت
على إثرها شكوى الى شيخ الأزهر وكان فى ذلك الوقت الشيخ حسونة
الذواوى •

وعقد لهم مجلس محاكمتهم مكون من الشيخ حسونة والشيخ
محمد بخيت مفتى الديار فى ذلك الحين • وأصدر المجلس حكمه وكان
قاضيا ، فقد حكم عليهم (بالقطع) وهو اصطلاح معناه قطع اسم
المحكوم عليه من الأزهر أى شطبه من سجلاته وطرده •

وهذه السنة التى صدر الحكم فيها هى بالذات السنة التى تقدموا
فيها للامتحان لنيل إجازة التدريس •

ولم تطل فترة الطرد من الأزهر فهى لم تمتد أكثر من أسبوع

طافوا فيه بدور الصحف يتظلمون من الحكم فلم يجدوا نصيراً إلا في أستاذ الجيل لطفى السيد • وكان يومئذ رئيس تحرير الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة • فدخلوا عليه مكتبه بسرّاي البارودي وأفضوا بشكواهم • فخاطب الشيخ حسونة في أمرهم • وقبل الرجل شفاعته فيهم وعادوا الى الأزهر •

ولكن لم يجد الثلاثة بداً من ترك الأزهر بعد أن أيقنوا أن لا بقاء لهم فيه • وخرجوا الى الشارع لا يتبينون لهم هدفاً واضحاً • فكانوا يختلفون الى مسجد الحسين تارة وحيناً الى مسجد المؤيد أما سحابة النهار فكانوا يقضونها في دار الكتب يدرسون ويعكفون على الأسفار • فقرءوا الأمالي والأغاني والحماسة ودواوين الشعراء الفحول وغير هذا من أمهات الكتب • حتى إذا أنشئت الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ سارعوا الى الالتحاق بها • كانت الدراسة بالجامعة مساء تستغرق ساعتين من الخامسة حتى السابعة • فلم تغير كثيراً من برنامجهم اليومي فظلوا عكوفاً على دار الكتب صباحهم حتى إذا حل المساء اتخذوا طريقهم الى الجامعة •

تتلمذوا في الجامعة على نلليو وجويدي وسانتلانا وليتمان • • وكانت الجامعة في أول عهدها جل أساتذتها من المستشرقين الذين استعانت بهم للتدريس بها • • •



كان الشيخ المرصفي صديقاً حميماً لمستشرق فرنسي كان مفتشاً عاماً للغة العربية بالمدارس الفرنسية وكان هذا المستشرق اسمه الفرير بلاج وكان دائماً يطلب الى الشيخ المرصفي أن يختار له ، أكفاء ، للتدريس بالمدارس الفرنسية • • وفي سنة ١٩٠٧ اختار له الشيخ المرصفي ، تلميذه أحمد حسن الزيات •

وذهب الزيات الى عمله بمدرسة الخرنفش وهو لا يعرف طريقة

التدريس ولكنه حاز إعجاب المفتش بلاج الذى كان يترجم حكايات لافونتين ويعهد بها الى الزييات مدرس العربية الجديد لينظمها كما سبقت الاشارة •

واشتدت حركة ترجمة بلاج للقصص الفرنسى حين استوثق من الزييات الذى كان يعيد صياغة جميع ما ينقله بلاج الى العربية (١) كان الزييات يصب مترجمات بلاج فى القالب العربى الأصيل • ومن آثاره فى هذا الميدان كتاب (بحر الآداب) وهو خمسة أجزاء للمطالعة وكتاب سفينة النجاة (فى النحو) ، وسفينة البلغاء (فى المعانى والبديع) : وقد ساعد الزييات فى هذين الكتابين الشيخ سيد الشايب •••

حقيقة أن الحقيقة أن تسجلها •••



وقد استمر الزييات مدرسا بالخرنقش من سنة ١٩٠٧ إل سنة ١٩١٤ وفى هذه الأثناء أيضا كان يدرس بالجامعة المصرية •• وكان يتعلم اللغة الفرنسية •• وقد أعانته الفرنسية كثيرا أثناء دراسته بالجامعة حتى حصل على أجازة اليسانس سنة ١٩١٢ •

وفى سنة ١٩١٢ اقتضت ظروف الزييات أن يشتغل بالتدريس • وكانت أمنيته التدريس فى دار العلوم المجال الوحيد للتدريس فى ذلك الوقت ولكن حال بين الزييات وبين دار العلوم ضعف نظره الذى أورثه إياه رمد أصابه فى طفولته •

وفى سنة ١٩١٤ أخذ الزييات يدرس اللغة العربية لطلبة البكالوريا بمدرسة الإعدادية الثانوية • وقد أثرت هذه المدرسة فى حياته بل فى حياة

(١) كافأ (بلاج) الزييات على عمله بتعليمه الفرنسية على النحــو الذى أورده فى ترجمة الدكتور طه حسين •

الشعب فقد جمعت صفوة منهم المازنى والعقاد وأحمد زكى وفريد أبو حديد وغيرهم •

وظل الزيات مدرساً بالاعدادية من سنة ١٩١٤ حتى ١٩٢١ •
ولما اندلعت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ كان عمادها طلبة المدرسة
الاعدادية والمدرسة الإلهامية ومدرسة الحقوق الخديوية •

من هذه المدارس الثلاث خرج طليعة الثورة ومنهم تكونت اللجنة
التنفيذية للطلبة وعددها ٢٥ طالبا ثم تحرك الأزهر والمدارس الثانوية
والابتدائية وجموع الشعب كلها تباعا ••

وهنا نقف لنتبين دور الزيات فى الثورة • وكان دورا مستترا وإن
يكن فعالا ، فقد كان يكتب المنشورات السرية التى كانت تصدرها الجمعية
التنفيذية للطلبة •



وفى سنة ١٩١٨ كلف ثروت باشا — رئيس الجامعة وقتئذ —
سكرتيه فريد الرفاعى بالبحث عن كتاب يمدون جريدتى مصر
والاستقلال وكان يحتضنهما • فلجأ الرفاعى الى طه والزيات ومحمد
المرصى فقبل طه والمرصى • أما الزيات فقد رفض ابقاء على مركزه
بالاعدادية ، والاكتفاء به ، وضنا بالمخاطرة فى الانضمام الى معارضة
مكروهة من الشعب •



انتهت الثورة المصرية • وفى سنة ١٩٢٢ اختارت الجامعة الأمريكية
الأستاذ الزيات رئيسا للقسم العربى بها بمرتب قدره ستون جنيها مصريا
وسرعان ما سارت له بها سمعة طيبة •

وظل الزيات بالجامعة الأمريكية من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٩ •

وفي سنة ١٩٢٢ دخل الحقوق الفرنسية وكانت الدراسة بها ليلية ومدتها ثلاث سنوات ، أمضى منها سنتين في مصر والثالثة في فرنسا « حيث امتحن هناك وحصل على ليسانس من كلية الحقوق جامعة باريس سنة ١٩٢٥ • وبذلك يكون الزيات قد حصل على الليسانس مرتين •

١ — ليسانس الآداب من الجامعة الأهلية (المصرية القديمة)
سنة ١٩١٢ •

٢ — ليسانس الحقوق الفرنسية من باريس سنة ١٩٢٥ • وخيره فيما أكسبه من معلومات فحسب إذ أن طريقه أدبي •



وفي طريقه الى فرنسا استبدل في الباخرة الزى الأفرنجي بالزى الأزهرى ولم يعد اليه بعد ذلك ••

وبعد عودته تزوج للمرة الثانية سنة ١٩٢٦ فقد تزوج للمرة الأولى سنة ١٩٠٢ من إحدى قريباته وأنجبت منه بنتا سماها (سعاد) عاشت سنتين ثم توفيت • ولحقت بها أمها بعد زواج دام سبع سنوات • وقد أنجب من زواجه الثانى رجاء سنة ١٩٣٣ عقب عودته من العراق وفي سنة ١٩٣٤ ولد له علاء •



وهو يحسن من اللغات « الفرنسية » التى بدأ يتعلمها سنة ١٩١٧ • وهو يعتقد أن محب الاطلاع تكفيه لغة واحدة حية توفر له الروائع العالمية فى كل اللغات بما هو مترجم اليها منها • ولئن يتقن المرء لغة واحدة فى رأيه بعد لغته بالطبع خير من التوزيع بين لغات كثيرة يلوکها ولا يحسنها • وهكذا كانت الفرنسية ناهذته الى العالم الغربى •

وقد حاول أن يتعلم الانجليزية ولكنه أفلح معتقدا أنه مجهود

ضائع • لا سيما بعد أن سافر الى أوروبا فلم يجد صعوبة إذ استطاع بالفرنسية وحدها أن يتفاهم في أى بلد حل فيه •



والزيات رجل هادئ معتدل لا يسرف في شيء مطلقا فهو بعيد عن الإفراط والتفريط ، بعيد عن الهزات وخاصة الهزات المالية ليسر حاله • أما شبابه فلم يخل بالطبع من عاطفة متأججة (١) •

أما الحادث الذى زلزل كيانه فهو موت ولده رجاء الذى ولد له سنة ١٩٣٢ وهو على أعتاب الأربعين وعلى خلاء بيته من البنين والبنات وملاؤ الطفل الذى أقبل على شوق ولهفة ، حياته دفئا حلوا وأملا واعدأ ثم اختطفه الموت فى عامه الخامس • ريع والده وكان الأب يحس الثكل بعاطفة مضاعفة عاطفة الوالد وعاطفة الفنان • • وطفق قلمه يسح كعينه باكيا • • رجاء •



أما الحادث الآخر الذى هزه فهو فقد كتابه (العراق كما رأيته) • لقد كتبه فى مدة إقامته بالراق • كان كل ما حوله جديدا يوحى • الناس والمكان والأخلاق • وكان كتابه مجموعة الانطباعات الأولى التى لا تتكرر بالقوة نفسها والتأثير نفسه •

وعندما عاد الى مصر سنة ١٩٣٣ وأراد طبعه صادف أن نزل القاهرة فى ذلك الوقت الزعيم العراقى ياسين الهاشمى واطلع على الكتاب • • لقد قرأه فى ليلة وباركه ولكنه أوصى صاحبه أن يترىث بعض الشيء فى نشر القسم السياسى منه • وعاد الزيات بالكتاب الى بيته فإذا بتجارب

(١) أقرأ مقاله (رجلان وامرأة) فى كتابه وحى الرسالة •
و (كتاب) (غرام الأدباء) لعباس خضر •
ومقال الأستاذ الزيات (الغرام الأول فى القرية) •

مجلة الرسالة تنتظره • كان من دأبه مراجعتها كلها بنفسه فوضع الكتاب بجانبه وانشغل بتجارب الرسالة وهو في أثناء هذا يلقي بالبروفات على الأرض •• وعندما دخلت الخادم تجمع فضل الأوراق كما اعتادت لتلقى بها في القمامة كان من بينها أصول كتاب العراق !!

والعجيب أن الزييات قضى سحابة يومه كله لم يتذكر الكتاب — أياما بعد هذا • وفي يوم بعيد تذكر الكتاب وطفق يبحث عنه في كل مكان في البيت دون أن يعثر عليه • وأخيراً تذكر كل شيء ! أيقن أن الخادم طوحت به ، غير عامدة ، مع أوراق البروفات • وأسقط في يده •• ولكن ماذا يعمل •• لقد انتهى كل شيء ••

وذهب الكتاب ولم ينشر منه إلا بضع صفحات مثل مقال (حديقة في بغداد) •• إنه يذكر منه كثيراً ولكن كتابته مرة أخرى شيء آخر ••



ومن الأحداث التي تأثر بها في حياته إصابته برمد في طفولته ترك على كلتا العينين سحابة لعبت دوراً كبيراً في حياته وكيفت مستقبله فقد حرّمته من دخول دار العلوم وحرّمته تولى أى وظيفة حكومية فاضطر إلى أن يشق طريقه في العمل الحر ، وهو طريق وعر يستأدى صاحبه العمل في تواصل وصبر ودعوب ••

على أنه يحس هذا الضعف الآن إذ يعوقه عن القراءة بالقدر الذي ينبغي لمثله والذي يتمناه • فقد اعتاد أن يفهم بعينه حين درج طه وألف أن يفهم بأذنه • والزييات من أجل هذا لا يستطيع التركيز لو قرأ له •

وكان الزييات يهوى أن يكون مدرسا فلم يستطع التدريس إلا في المدارس الحرة بسبب هذا النقص ، هذا حين كان رفقاؤه كلهم في وظائف محمودة ترفع إلى الشهرة وتدفع إلى الظهور والازدهار والانتاج

أيضاً • أما الزيادات فقد كان من هذه الناحية كالعقود كلاهما لا سند له من حكومة أو جاء •• اشتغل بالتعليم والصحافة والتأليف • صاغ نفسه بنفسه من يدرى لعله لو كان نظره سليماً لكان قعد عن الكفاح واستسلم إلى الرتبة والروتين الحكومي فهو بطبعه لا يعمل إلا ومن ورائه حافظ يستحقه •• من يدرى •



وفي سنة ١٩٣٣ أنشأ مجلة الرسالة •

ومولد الرسالة كان آخر عهده بالوظائف فقد تفرغ لها واكتفى بها يستثنى من هذا المناصب الشرفية أو المناصب التي لا التزام فيها يكبل صاحبه •• ونستطيع أن نعرض بعامه للأعمال التي تقلدها الزيادات :

١ — التدريس بمدرسة الفرير من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩١٤ •

٢ — من سنة ١٩١٤ — سنة ١٩٢٢ كان مدرسا أول بالاعدادية الثانوية •

٣ — عمل بالجامعة الأمريكية من ١٩٢٢ — ١٩٢٩ رئيسا لقسم اللغة العربية •

٤ — بعد هذا اتصلت أسبابه بالعراق حيث كان استاذاً بدار المعلمين العليا ببغداد من سنة ١٩٢٩ — سنة ١٩٣٢ •

٥ — من سنة ١٩٣٣ — سنة ١٩٥٣ كان للرسالة •

أما المناصب الشرفية فأولها :

عضوية المجمع اللغوي من سنة ١٩٤٨ إلى ١٩٦٨ •

عضوية لجنة النشر بالمجلس الأعلى منذ نشأته وهو عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، كما عمل الزيادات مديرا لمجلة الأزهر ورئيسا للتحرير شهورا في سنة ١٩٥٣ •

وقد استقال منها وفاء للشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر الذى استقال فى ذلك الوقت • وكان الشيخ عبد المجيد هو الذى أسند اليه الادارة ورئاسة التحرير • ثم عاد الى مجلة الأزهر فى عهد الشيخ شلتوت منذ فبراير سنة ١٩٥٩ •

ومن وجوه نشاطه الأدبى أنه :

- عضو فى المجمع العلمى العربى — دمشق
- عضو فى المجمع العراقى — بغداد
- عضو فى لجنة التأليف والترجمة والنشر

عضو فى لجنة وضع كتاب تاريخ الأمة العربية الذى تخرجه وزارة التربية والتعليم فقد ناطت به وضع التاريخ الأدبى للعصر العباسى الثانى والثالث أى تاريخ العرب فى بغداد والقاهرة وقرطبة فى ٢٠٠ سنة •



وشقت الرسالة طريقها صعدا ولاقت منذ ولادتها سنة ١٩٣٣ حتى احتجاجها سنة ١٩٥٣ نجاحا كبيرا •

لقد دعا الزيات على منبر الرسالة الى الوحدة بين العرب والى الجامعة الاسلامية والى بعث الاسلام الصحيح ••

دعا الزيات الى اصلاح الأزهر (١) وتخليصه من المضمضة بالألفاظ الاصطلاحية والجمجمة بالجمال المعقدة على أنها العلم والأدب • وهى دعوة طبيعية من الزيات أحد ثلاثة ثاروا على نظم التعليم الأزهرية فى شبابهم (٢) • نعا على الأزهر فقداه المرونة البصيرة فبقى على حاله كما

(١) وحى الرسالة • ج ٢ ص ١٨٣ •

(٢) انظر : وحى الرسالة • ج ٣ ص ١٧٧ — ١٨١ •

كان في العصور الوسطى • المرونة التي توجهها سنة الحياة ولا يكون بدونها اصلاح ولا تطور • ولم يصب الأزهر بهذا الجمود إلا لأنه فقد هذه المرونة ، فلم ييال فعل الزمن في الدنيا وفي الناس (لذلك لم يعلم التاريخ جامعة من جامعات الأرض بقيت في القرن العشرين على ما كانت عليه في القرون الوسطى غير الأزهر) (٣) •



كما اتخذ الزيادات سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ من السياسة وأحداثها على مسرح الحياة المصرية موضوعا للكتابة • فمقاله (نهاية مأساة) على أثر ضيق مصر بالمعاهدة ثم مقال (ماذا بعد هذا ؟) ثم مقال (سبعون عاما) ثم مقال (فدائيون وأناثيون) •

حتى إذا هبت الثورة سح بمقالاته (تجلدا يا قارون) (ثورة فيها ربح النبوة) ، (نصيب قريتي من الثورة) ، (من عهد الى عهد) ، (مهرجان الحرية) •

وله مجموعة أحاديث سجلها في ختام الجزء الرابع من (وحي الرسالة) بعنوان (الأدب والثورة) تضم المقالات :

- ١ — علاقة الأدب بالثورة •
 - ٢ — كيف مهد الأدب للثورة •
 - ٣ — كيف تسنى للأدب أن يجمع الشمل ويمهد للثورة •
 - ٤ — أهو جوع الروح أم جوع الجسد •
- ومجموعة أخرى (حياتنا الفكرية بعد الثورة) •



وهكذا نرى (الزيادات) صاحب رسالة وصاحب دعوة •• أما الرسالة

فجامعة للبيان والثقافة الرفيعة وإشاعة القيم العليا في الفن بين طلابه وأساتذته على السواء • وأما الدعوة فجامعة لإصلاح المجتمع بمحاربة الجهل والفقر والمرض بالتخطيط • • والتشريع والكتابة وعرض النماذج والصور والاستتفار والتنفير ، والاغراء بالتحرك ، والتحذير من الجمود والجحود والطمع والاثرة والغضب والبغى •



وكتاب الزيات الأول (وحى الرسالة) دعوة متصلة ضد الغنى الفاحش • دعوة متصلة لبقاء المجتمع وإعادة تنظيمه على أسس سليمة تتبع من أديان الشرق ونظم الغرب • وقد وضحت معالم هذه الدعوة حين ولدت وزارة الشؤون الاجتماعية فانقل الزيات من فن المقالة الى منهج العمل وخطة الإصلاح • أو بعض هذه الخطة المدارس الشعبية الليلية واشترط الامام بالقراءة والكتابة لطلاب الرخص للسعى أو لخدمة ، وتكليف هذه المدارس في الريف ، وأحياء المدن لتكون وحدات اجتماعية لتقوية المدارك وتهذيب العادات وتنظيم المعيشة وتدبير الصحة (١) •

وبعض هذه الخطة سن القوانين لحماية العامل والفلاح من صاحب المال ومالك الأرض ومكافحة البطالة بتيسير سبل العمل للعامل ، وتدبير رأس المال للصانع ، وتمصير المعامل والمصانع والمتاجر والمصارف والشركات يداً ولساناً ليحل الوطنيون فيها محل الأجانب (٢) •

وكانت مثل هذه الدعوة في مثل تلك الأيام ضرباً من الفدائية أو طلب المحال •



(١) أنظر وحى الرسالة ج ٢ ص ١١١ .
(٢) أنظر وحى الرسالة د ٢ ص ١١٥ .

وقد هاجم الزيات الاقطاع هجوما عنيفا ومن مقالاته التي كان لها دوى في ذلك العهد مقال (فلاحون وامراء) ومقال (يارياح الخريف • هبى) في ١٥ / ١٠ / ٩٥١ وهو ثورة عارمة • ومنه : (هبى يارياح الخريف هبى • هبى واقلقى ذلك النبات الدنىء الذى يتطفل على أشجار الوادى فيتغذى على أصولها ، ويتسلق على فروعها ، حتى إذا أدرك الهواء والضياء والرفعة ، التف بعساليجه وكلاليله على أعاليها التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا تنسم ، ويشل حركتها فلا تميمس ، ثم يقول مشيرا بأطرافه الرخوة الى كل عابر ، أنظر أأست أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ؟ وإذا لم يسخر الله لى الشجر فكيف أنمو ، وإذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو !) •

ومن مقال (هبى يا رياح هبى)

(هبى يا رياح الخريف هبى ، هبى واقشعى هذا السحاب المتراكم الذى ارتفع ارتفاع الدخان وانتفش انتقاش العهن ، فحجب الشمس ، وحصر الأفق ، وأحر الأرض ، ثم لا نجد من وراءه مطراً يدفع الجذب ، ولا ظلا يمنع الحرور) (١) •

* * *

والزيات الذى يطربنا غناؤه إذا وصف أو صور كان في نقده الاجتماعي صوتاً راعداً يقرع الأسماع الصم • ولم يخش في نقده أحدا فقد نقد الأمراء ورئيس الوزارة (٢) • ووزارات المعارف والصحة (٣) وأطباء المستشفيات الحكومية (٤) كما نقد مجلة الشئون الاجتماعية (٥) ووزارة الشئون الاجتماعية نفسها (٦) •

(١) وحى الرسالة ج ٤ ص ٤٤ — ٤٥ •

(٢) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٢١ •

(٣) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٢٤ — ١٢٥ •

(٤) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٢٧ •

(٥) وحى الرسالة ج ٢ ص ١١١ — ١١٢ •

(٦) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٠٨ •

لقد ربطت الزيادات بين الدين والتضامن الاجتماعي • ومن صرخاته في هذا الشأن قوله : (هيهات أن يكون في الأرض إيمان مادام في الأرض فقر فإن أسباب الفقر محدودة من الطمع والشح والأثرة • وهذه الخلال السوء لا تطمئن عليها نفس مؤمنة) (١) •

وهو يرى الفقر سبب الاستجداء والاستخذاء والجريمة والرزيلة •



وتوسع هجوم الزيادات فثار على طغيان الحاكم وطغيان الأدب وإذا علمت أن هذا حدث سنة ١٩٣٤ علمت إلى أي مدى كان الرجل يحمل أمانة النقد والدفاع عن هذا الشعب •

نقد الحكم والسلطات في مقال (عهد وأى عهد) ٢٦ / ١١ / ١٩٣٤ ومقال (ضحايا الحكومة والأوقاف) •

نقد البيروقراطية (٢) وحارب (الصدقة الجاهلية) (٣) التي تحسب البر في بناء السبل والاضرحة وفي الوطن (الفقير الذي لا يجد القوت والمريض الذي لا ينال الدواء ، والجاهل الذي لا يستطيع التعلم ، والجندي الذي لا يملك السلاح) •

ندد بهجرة القرية وأنانية الملاك هواة المدن (٤) كما ندد بالرشاوى من (الخراف والسمن والفاكهة) التي يملكها باشا القرية •

نقد النيابة والنظام البرلماني (٥) •

حتى أقاصيصه كانت نقدا اجتماعيا كقصة (جلاد الشيطان) (٦)

(١) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٢٠ •

(٢) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٥٦ — ١٥٧ •

(٣) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٨١ •

(٤) وحى الرسالة ج ٢ ص ٢١٤ •

(٥) وحى الرسالة ج ٢ ص ٢٣٥ •

(٦) وحى الرسالة ج ٤ ص ١٧٦ •

وقصة (سيدنا الشيخ حسن) (١) وقصة (الغرام الأول) (٢) وقصة
(في سبيل الأرض الطيبة) •



وهو بقدرته الراسخة على التعبير والتلوين كان يوفر لنقده
العبارات المثيرة الباقية مثل (إن بين أبناء الذهب وأبناء
التراب أطباقا من اللحم والشحم والحديد والأسمنت ترتد عنها أصوات
الضارعين أصدااء خافته) (٣) أو قوله (ثوروا على الفقر قبل أن يثور)
« ١٥ يناير سنة ١٩٥١ » أو قوله (شق الله هذه الأثسادق المنفوخة
ياسادة) (٤) •

كما كان يوفر له **الصور الساخرة المرورة** مثل لوحته (ناخب
ونائب) ووجود هذه الصورة في الجزء الثانى من (وحى الرسالة)
لا يزهدى فى نقلها هنا لتعزز ما ذهبت اليه وتفصح عما أكون قد
عجزت عنه : (بين غداة وعشية أمسى غنينا الطافح عضوا بالتركية فى
مجلس النواب • والفوز بالتركية معناه امتناع المنافس لا انقطاع
النظير ، وخلو الميدان لا بطولة الفارس • ومع ذلك نصب البك السرادق
وقدم — الحلوى ، وتقبل التهنئات وسمع بأذنيه الطويلتين القصائد
العور والخطب البتر فى الاشادة بالكفاية العالية فيه ، والثقة العالية
به ، والخير المرجو منه • والريف شعراء وخطباء كعصافير الحصاد
تقع فى الجرن ولا تقع فى الروض ، وترقزق للحبة ولا ترقزق — للزهرة ،
وتكرر أغرودتها الواحدة ولا تقصد بها معنى غير فرحتها هى بسعة البيدر
وضخامة العرمة •

(١) وحى الرسالة ج ٤ ص ١٩٠ .
(٢) وحى الرسالة ج ٤ ص ١٩٩ .
(٣) وحى الرسالة ج ٢ ص ٢٣ .
(٤) وحى الرسالة ج ٢ ص ٢٥ — ٢٧ .

وكان البك وحده هو الذى صدق هذه التفاعيل العروضية (سخرية)
فانتفش انتفاش الديك ، وراح يعد ويمنى ، ويعدد ويمن ، ويفخر
ويفیش ، ويزعم أنه باجتهاده وجهاده سيجعل المجلس ييسط الأرزاق
ويطيل الأعمار وسيضمن لكل ناخب فى دائرته قصراً فى الدنيا وقصراً
فى الجنة (١) .

ويقول (اقبل البك على المهنيين يوزع عليهم تحياته الشريفة فلما
أعدناها على ترتيبه خرجت لحسن حظ الأدب منظومة فى هذا البيت .
أهلاً وسهلاً ، طيبون ، وحشتنا سلمات ، ازيك ، وكيف الحال (٢))
وهى صورة لاذعة السخرية من الانتخابات المزيفة . ولها غزده
أشبه (٣) .



ولم تكن دعوة الزيات مجرد إثارة وعى وشحن النفوس الغافلة بل
كان له منهج للمدينة ومنهج للقرية .

فقد دعا إلى سن القوانين لحماية العامل والفلاح من صاحب المال
ومالك الأرض ، كما دعا إلى تمصير المعامل والمصانع والمتاجر والمصارف
والشركات ، كما دعا إلى إعادة تخطيط القرية على نمط يكفل لها الشمس
والهواء والجمال والذوق والراحة . وتفاصيل هذا كله يمكن الرجوع إليه
فى الجزء الثانى من وحى الرسالة . ولكن دعوته هذه بأبعادها المختلفة
كانت تستمد من الديمقراطية السلمية خطتها . وقد هاجم الزيات

(١) وحى الرسالة ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) وحى الرسالة ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) انظر (وحى الرسالة) ج ٣ ص ٣٠٩ .

الشيوعية الهدامة في مقاله (الشيوعية على المصطبة) (١) فهي (لا تسوى بين الخلق في الغنى والحرية ، وإنما تسوى بينهم في الفقر والعبودية) .

وقد سخر من الشيوعية في موضع آخر حين قرر استحالة المساواة المزعومة — فشمول العلم أمر تقتضيه الفطرة وتجيّزه القدرة ، ولكن شمول الغنى شيء تأباه الطبيعة ويمنعه العجز .. (ومادام الناس مختلفين في الذكاء والقوة فلا بد أن يختلفوا كذلك في النفوذ والثروة ، والتفاوت في الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر في الطبيعة ونظام مسلم في الدين) (٢) . وهنا التمس الأديب المصلح الحل في سن القوانين التي تحفظ حق الوطن والمجتمع في مال الأغنياء بالضرائب التصاعدية وبإشاعة الأغنياء العلم والخير ، بالمدارس والملاجئ والمستشفيات كالشعوب الكبيرة في إنجلترا وأمريكا (٣) :

لقد أرادة الزيات في دعوته الإصلاحية أن يعالج الفقر بعلاج الاسلام له (٤) . والاسلام (عالجه بالسفارة بين الغنى والفقر على أساس الاعتراف بحق التملك والاحتفاظ بحرية التصرف فلا يدفع مالك عن ملكه ، ولا يعارض حر في إرادته إنما جعل للفقير في مال الغنى حقا معلوما لا يكمل دينه إلا بأدائه ذلك الحق هو الركن الثالث من الاركان الخمسة التي بنى عليها الاسلام . فلا هو فرع ولا نافلة ولا فضلة) (٥) .

وفي وحى الرسالة تعميق لمشكلة الفقر من خلال تكييف النفسية المصرية ، وثورة على القناعة الزائفة في الفقير لأنها تقتل طموح النفس (لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش ، وما أيسر ما يجد قرشين

(١) انظر (وحى الرسالة) ج ٣ ص ٣ ص ٣١١ .

(٢) انظر (وحى الرسالة) ج ٢ ص ١١٣ .

(٣) انظر (وحى الرسالة) ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) فصل الزيات هذا العلاج تفصيلا في الجزء الثاني من وحى الرسالة ص ٣٢٤ — ٣٢٩ .

(٥) وحى الرسالة ج ٢ ص ٣٢٦ .

فى اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف • ومتى حصل المرء من بلده على الكفاف والراحة والأمن ، نشأ فى نفسه فضيلة القناعة الزائفة • والقناعة فى الفقير كالثروة لـدى الغنى ، كلتاهما تقتل طموح النفس وتسكن قلق الروح وتتخذ نشاط القريحة ، وتحمل الرجل على الرضى بالدون والتسليم بالواقع (١)

وعلى هذا النمط حل نفسية الفلاح ونظرته إلى الحياة (٢) •
وكم من صورة رسمها الزيأت للقريّة المصريّة فى ماضيها وحاضرها (٣) •



اذكروا إذا جاء دور الأدب فى إذكاء النهضة ودفع التطور وإشعال الثورة هذه الصورة التى تلفح نارها النيام الذين يرون المعتصب المتأبه المتأله فيقولون بلهجة المؤمن الراضى : (آمنت بالله ، ولو لم يستحق ما هو فيه ، لما كان الله عز وجل يعطيه) •

وهنا يصرخ رجل الأدب ، المصلح •
(وأقسم ما أعطاه الله ولكنه هو الذى أخذ •• وما كالتن ليستقيم فى ميزان العدل أن يعطى الرى انسان حتى يطفح ، ويمنعه انسان حتى يلتهب) •

ويمضى الزيأت فى تشريح الواقع :
(أعرف فى بعض مراكز (الغربية) عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة •• إنما هم أجزاء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة

(١) ج ٢ ص ١٣٧ — ج ٢ ص ١٢٥ •

(٢) ج ٢ ص ٣٦ — ٣٧ •

(٣) ج ٢ ص ٢٢٤ ج ١ ص ٢٢٠ ع ج ٢ ص ١١٧ ، ج ١ ص ١٩ •

لرجلين كسائر الرجال ، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدهر
ولا لنفسيهما عظمة الله ، إنما هما فمان تملأهما المضغة ، ومعدتان تكظهما
الأكلة ، ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ونفسين كجوف الرمل
لا يرتوى ، فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهباً يكتنز ،
وقصوراً تشاد وسلطاناً يرهب ، وقطعاناً تسعى ، ومراكب تطير ، ورغائب
تبتغى ، ولذائذ تنال ، وأوسمه تناط ، وألقاباً تكتسب ، ثم لا تدركها
بهؤلاء العبيد رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة .. وهما
لا يتركان لفلاحيهما المساكين ما يمسك الروح ويستتر البدن ، ثم يلزمانهم
أن يؤدوا أجرة الأرض ونفقة الإدارة قبل أن يأكلوا ، فإذا أوف الزرع
أو رخص السعر وعجزوا عن الوفاء ، سلطا عليهم النظار والمحضرين
فأخذوا الدور التى يأوون إليها والبهائم التى يزرعون عليها ، وخلفوهم
فرائس للمرض والفاقة ، لا يجدون وسيلة للطب ولا حيلة للجوع . فإذا
فزعوا إلى فضل الأمير والباشا زم بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على
هذا الهوان والقذر ، ولعلـه ساعتئذ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجل
عرف جواده (١) .

لقد أطلت الاستشهاد هنا لان أى وصف لن يبلغ من عكس السخرية
والوخز ما تبلغه الحقيقة الادبية أو قد يحمل على المبالغة فى اشادة
التلميذ بالأستاذ .

ومضى الزيات فى تشريح الأغنياء ، فعلة حب الباشا للمستنقعات أن
نفقة ردمها على حسابه ، وحجة بغضه للمدارس أنها تصرف الأطفال عن
العمل فى أرضه .

ومن عباراته اللاسعة :

(إن أرباب الحكم والتشريع والتنفيذ هم من سلائل النعمة وكناز

المال ، فلا يخطرون ببالهم الفقر ولا يحطبون في حبالهم الفقير • وهم يظنون إذا محـ الاحسان الفاقة ، ونفى التعليم الجهالة ، أنهم لا يجدون الخدم ولا يملكون العبيد • والجاه من غير أذلاء يرمقونه زفه من غير نظارة ، والمال من غير فقراء يعبدونه ملك بلارعية (١) •



وكتابة الزيات عن القرية والفلاح كتابة إنسانية ذكية فهو لم يكتف بالمطالبة بحقوقه المادية المشروعة بل دعا إلى إشعاره (الإنسانية) و (الآدمية) • دعا إلى إثارة (القلق الروحي) في نفسه فإن (هذا الفلاح لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره ، إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه • فإن صاحب الذوق يبني الدار الجميلة ويخط الحديقة البهيجة ، أما فاقدته فخليق به أن يجعل القصر زربية والبستان مزبلة (٢) •

حتى كلاب القرية رسم لهم صورة لطيفة فكهة زاد في قيمتها ، تخديمها في وصف المجتمع الإنساني •

(عندنا في دارنا الريفية عصابة من كلاب الحراسة مختلفة الأسنان والألوان والجنس تعيش في حال مدنية عجيبة : في الليل تتعاون على النباح وتتساعد في الهجوم ، فإذا لمح أحدها سواد إنسان أو ريح ذئب استتبها جميعا واستعداها جميعا ، لا تسأله ماذا نبج ولا لماذا عدا • وفي النهار تربض متقابلة في ظلال الشجرة ، أو تترقد — متجاورة على قش الرز ، تتهارش حيناً ، وتتفلى حيناً والصغير يعمد إلى الكبير فيعضه وهو هادىء مستسلم ، والضعيف يجروء على القوى فيركبه وهو وادع مستكين •

ثم هذبناها فتهذبت ، ودربناها على النظام فتدربت وألقى في روعها

(١) ج ٢ ص ١٩ •

(٢) ج ٢ ص ٢٢٥ •

أن تأخذ بطرف من مدنية الكلاب الأوربية فأحسنت لثم الفم وأتقنت ملق العين وأجادت بصبصة الذيل ثم أسرفت في الرقة وأغرقت في الظرف حتى ليكاد كل كلب منها أن يقول : **ضعوا على رأسى قبعة** •

تلك حال كلابنا ما دامت خارجة من سلطان البطن عاليه وسافله ، فإذا قدم اليها الكلاب وجبة الغذاء ، أو عشر أحدها على عظمة في حواشى الفناء انقلب — التراحم قسوة ، والتعاطف جفوة ، والتهارش حربا ، والتفلية عضا ، والمدنية وحشية ، والايثار أنانية • فالأم تنكر ولدها ، والأخ لا يعرف أخاه ، والطعام الوافر المختص والمشارك تتنازعه المخالب الحداد والأنياب العضل ، فيخرج بالخطف من فم إلى فم ، وينتقل باللقف من يد إلى يد • والكلاب الضعاف والجراء الصغار يقفن منكمشات على بعد ، يسألن بالحق ويتوسلن بالقرابة فلا يرين إلا النظر الشرر ولا يسمعن إلا الزئير المهدد ، حتى إذا غاب الطعام فى الأجواف ، ولعقت الألسن آثاره على الخراطيم ، أشبعت الأم على ولدها وأقبل الذكر على أنشاه وعطف الأخ على أخيه ، وعادت الى الكلاب حياتها المدنية من مرح الهراش وحنان التفلية وألفة النباح (١) •

ولا أحسب كلاب قرية كفر دميـره بدعا فى هذا الشأن فما هى إلا مثل (للمتـمدنين) من بنى آدم •



والزيات الذى قام قلمه بعملية تعرية للقرية المصرية لىسمع صوتها أهل القبور ، هو عينه الذى غنى لها أعذب الغناء • وفى أدب الزيات من القرية صور ولوحات تردك إليها وتعطفك عليها وتصلك بها وتسرح خيالك فيها • ففى جمع القطن يرش قلمه النغم على أطراف الحقل وبين خطوط الزرع حتى لتخال من الوصف أن كل شىء فى القرية موقع : خطو

أسراب فتيات الجنى ، وأهازيج العرائس في طرقات القرية • وضحكات الصبايا في الأزقة المطلولة • فإذا أفضى بهن الطريق إلى أعلى الحقل حين بأصواتهن الرخيمة الشادية شجيرات القطن وقد انعقدت على أوراقها أكاليل الحباب وسال على أطرافها رضاب الندى ، ومشين في أخاديد الأرض منحنيات على الفروع الموقرة بالثمر الغالى في لباقة ويضعنه في خفة وهن يتفكهن بالنكات ويتروحن بالأغاني ويتساررن بالمنى ، ثم في طفول الشمس يمرحن كالغزلان ويصدحن كالعصافير •

هذه صور لها نظائر فصورة (العيد في القرية) (١) صورة متحركة وتشهد حركتها حين (يقوم العمدة في أهل حارته فيزورون الحارة الأولى ، فيهنئون ويجلسون ريثما تدار القرفة وتوزع السجائر • ثم يقومون جميعا إلى الحارة الثانية فالثالثة فالرابعة وهلم جرا إلى آخر البلد ، وكأما مروا بحارة صاحبهم أهلها إلى الأخرى حتى تجتمع القرية كلا آخر المطاف لدى العمدة فيقضون في جلسة أكثر اليوم) (٢) •

صورة طريفة ملونة حين يأتي دور الشباب والأيفاع (فيطوفون زمر البيوت يهنئون الصبايا وأيديهن لا تزال في الطعام فيطبعن بالقبلات الخلية على الخدود البرنزية خاتما رقيقا من (الصلصة) ويرسمن بالأنامل المخضبة على الثياب البيض طغراء جميلة من الدسم • ثم ينصرف بعد ذلك الشباب إلى لعب الكرة في ساحة الجرن ، ويذهب الأطفال إلى الأراجيح على أشجار القرعة) (٣) •



ومن صور الريف : (لحية بيضاء) (٤) — وهذه الصورة نقد للمجتمع

(١) ج ١ ص ١٠٥ — ١٠٧ •

(٢) ص ١٠٦ •

(٣) ص ١٧ •

(٤) ج ٢ ص ١٢٨ — ١١٩ •

الانسانى الريفى ، ولوحة القرية السمراء فى تباشير الفيضان (١) ، ولوحة
(الريف فى الخريف) (٢) •• والريف فى أمشير (٣) وليالى الحصاد (٤)
وصورة للفقيه الفيلسوف (الشيخ منصور) (٥) ، وملاك القرية فى
الانتخابات (٦) •

ولوحة لشاعر الربابة (٧) ولوحة (الكاتب العمومى) (٨) ولوحة
مجتمع (السميعة) (٩) فى حفلات الغناء (٩) وحفلة راقصة (١٠) وحفلة
مترفة (١١) وصورة من صور المجتمع المترف (١٢) •

وصورة للقهوة (١٣) وصورة أخرى للقهوة (١٤) فيها نقد للمجتمع ،
فقد نفذ من حديثه عن القهوة الى الحديث عن المجتمع (فكل طبقة من
طبقات المجتمع صورة من صور القهوة نشق عليها الحديث ونعمق فيها
البحث) •

وصورة لبولاق (١٥) •

(١) ج ١ ص ١٥١ •

(٢) ج ١ ص ٤٠٣ •

(٣) ج ١ ص ٤٢١ •

(٤) ج ١ ص ٤٢٣ •

(٥) ج ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢٣ •

(٦) ج ٢ ص ٣٣١ •

(٧) ج ١ ص ١٧٦ •

(٨) ج ١ ص ٣٢٩ •

(٩) ج ٣ ص ٣٠٢ •

(١٠) ج ٢ ص ٩٢ — ٩٣ •

(١١) ج ٢ ص ٩٣ •

(١٢) ج ٢ ص ١٦٥ — ١٦٦ •

(١٣) ج ٢ ص ٢٨٩ •

(١٤) ج ٢ ص ٣٠١ •

(١٥) ج ٢ ص ٩٢ •

ومن المدينة قطاع الموظفين (١) وطبقات الموظفين (٢) كما رسم مجتمع المدينة في رمضان في مقال (الراديو والشاعر) (٣) •



وهكذا وقف أستاذنا الزيات وراء الرسالة يعلم — فيها وفي آثاره الأدبية الأخرى — أجيالا في مصر وفي غيرها •• يعلم ويستنهض ويوجه ، ويدعو ، ويصور ••••• ويطوف بقلمه في أنحاء الوطن المصري والوطن العربي • وكل بلد ينطق العربية قد عرف الزيات منذ ظهر كتابه «تاريخ الأدب العربي» فقد كان هذا الكتاب مقرا في جميع هذه البلاد • وقد تناوله بالتحليل المستشرق بروكلمان •

وقد طارت شهرة الزيات في حياة الرسالة كل مطار حتى بين المستشرقين في فرنسا وانجلترا وإيطاليا وألمانيا على أثر صدور ترجمته لآلام فرتر ورفائيل •

فقد كتب المستشرقون للرسالة مثل « جب » وكتبوا عنها مثل « نيكسون » •

وقد كتب المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس كتابة مستفيضة عن آلام فرتر منوهاً أنه سُر منها بأكثر من الأصل على أن الترجمة تكاد تكون حرفية

وممن كتبوا عنه من العرب الأستاذ الكردي على ، في مجلة المجمع العلمي بدمشق بعد صدور كتابه آلام فرتر ، كما كتبت عنه في سوريا جريدة (الأيام) ، وفي العراق : جريدة البلاد وجريدة الزمان ومجلة الحاصد وغيرها في بيروت والقاهرة •

وفي مصر كتب عنه الدكتور طه حسين في السياسة اليومية بمناسبة كتابه (تاريخ الأدب العربي) •

(١) ج ١ ص ١٦١ •

(٢) ج ١ ص ٢٤١ •

(٣) ج ١ ص ١٧٥ •

وكتب عنه الاستاذ العقاد وعبد العزيز باشا فهمى فى الرسالة
بمناسبة صدور كتابه (دفاع عن البلاغة) * والأستاذ فرید أبو حـدیـد
فى مجلة المجتمع ومقالته فیـه هـى خطبة استقباله بمناسبة انضمامه إلى
عضوية الجمع *

كما كتب عنه حسین البشبيشى سبع مقالات فى مجلة مصر العليا
وكتب عنه عباس خضر فصلا كبيرا فى كتابه (غـرام الأدباء) ودرینى
خشبة فى المجلة الجديدة *

على أن الزيـات كالمزنى ، قد كتب كثيرا عن حياته وخاصة فى آخر
الجزء الأول من وحى الرسالة وفى كتاب (هذا مذهبى) الذى صدر عن
دار الهلال ، ومقاله منشور بالجزء الرابع من وحى الرسالة ، وفى مقاله
(رجلان وامرأة) * حتى القصص فى وحى الرسالة قصصه هو ما عدا
قصتين هما : ١ — وضاح الیمن ٢ — بهيرة *



والزيات صاحب مدرسة من تلاميذها صفوة الكتاب فى البلاد
العربية * والزيات صاحب أسلوب أصیل فى العربية وإن لم يتأثر
بطريقة معينة فى الكتابة * إنه يختلف عن كتاب العربية فى الترادف *
فهو ينفر من الترادف والحشو والتطويل والفضول حتى ما كان منه للتحسين
أو التحلية * واللفظة عنده تنزل من العبارة فى مكانها الأصیل بحيث
يتعذر حذفها أو تبديلها حتى لقد أعلن « روفائیل بطنى » شيخ الأدب
والصحافة فى بغداد فى جريدة « البلاد » عن جائزة لمن يدل على لفظة
فى غير ما وضعت له * ولم يحدث أن ظفر أحد بالجائزة *

وهو كثير التوليد للألفاظ والمعانى *

وعلى ذكر الألفاظ أسجل طرفا من براعة القدرة عند الزيـات فى
هذا المضمار مما تختص به كتاباته وكان هذه الألفاظ لتفرده بها واشتقاقه

لها وتطويعه إياها قد انتقلت ملكيتها من اللغة إليه • بعض هذه الألفاظ
قوله :

أبدر الهلال • ج ٢ ص ٢٣٤

أعصى في الشركة ج ٣ ص ٣١٩

له في كل شركة أعضاء

قلم لا يتقلم

مهر الغناء والرقص

فلان يتمزى على زملائه (أى يظهر المزية) •

متأبه (من الابهة) ج ٢ ص ١٠

يداهى في رأى مداواة ج ٤ ص ٤٦ •

تأتى الفتيات فرادى وثنى ج ٤ ص ٢٠٢ •

* * *

وفي حياة الزيات ، شخصيات أثرت فيه ومن هؤلاء في حياة
الزيات من المعاصرين :

* الشيخ المرصفى فقد أثر في تكوين ذوقه الأدبى واللغوى •

* أما من القدامى فقد تأثر :

ببديع الزمان

وأبى حيان

كان يؤثرهما لفصاحتهما كما كان يؤثر من حيث البلاغة لا مرتين ،
وجوته من الغربيين فترجم عنهما ••

ولكن أسلوب الرجل يختلف عنهم جميعا • كان يقرأ لهؤلاء ويتمثل
ما يقرأه دون أن يحاكيه •• فله دراية واسعة بعلوم العربية التى يعرفها

معرفة أصيلة كما أن الطبيعة زودته بالذوق الموهوب المعد لحسن الاختيار .



وأبرز ما في أسلوب الأستاذ الزييات ازدواج الجمل ووزن الكلمات بدون سجع (١) . والازدواج لون من الموسيقى أو حسن التنسيق في الأسلوب . والقرآن الكريم حافل به مثل قوله تعالى : (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) .

ولقد وضح الآن السر في وصفى لأستاذنا الزييات بأن أسلوبه أصيل في العربية . إن الازدواج عنده يستشرف إلى هذا المستوى الأعلى مثل قوله : (نقاسمه هم العمل ، وتساهمه دعة المنزل) (٢) .

أذكر له عبارة يصف بها مستورى الحال ظاهراً ، استهلها بوصف القرآن الكريم لأمثال هؤلاء ثم يكمل فقال (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف أقوياء من الصبر) . وهو نمط يعلو كثيراً على ما تقع عليه عند الحريرى من الازدواج المسجوع مثل قوله في إحدى مقاماته يصف خطيباً : « هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » .

ولعل خير وصف لأسلوب الزييات كتابه : « دفاع عن البلاغة » فقد كان — قصد أم لم يقصد يصف خصائص أسلوبه .



كما وصف الزييات نفسه في (وحي الرسالة) في معارض شتى ومن خلال هذا الوصف نتبين مذهبه في الحياة وهو مذهب يتميز بالاسـتقامة

(١) قد يعرض لقارىء (وحي الرسالة) أحياناً سجعة مقصودة مثل قوله (تعصف بهما المنون كما تعصف ريح الخريف بالورق الجفيف) ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) وحي الرسالة ج ٢ ص ٤٦٨ .

والوضوح * (نهج لى هذا المذهب وألزمى إياه طبع حرر مسالم ، فأنا منذ حملت نصيبى من أعباء الحياة أحاول أن أستقل فى عملى عن إرادة الغير ، واستغنى بقدرتى عن معونة الناس ، فلم أضع يدى ولا عنقى فى أغلال الوظائف الحكومية ، ولم أصعد صعود العليق على أكتاف الطوال من ذوى السلطان والحكم ، وإنما اضطربت فى مجالى الحيوى طليقاً من كل قيد إلا قيد الخلق ، مستقد عن كل عون إلا عن الله . بذلك سلمت نفسى من رذائل الوظيفة فلا جبن ولا رياء ولا ملق ، وبرئت حياتى من نقائص التبعية ، فلا خضوع ولا إغضاء ولا ذلة) (١) .

سلمت حياته على الفضول والوصول وحب الظهور والدعوى فهو يعيش فى عزلة ويعمل فى صمت ، ويمشى فى قصد ، فلم يدخل فى حزب ولم يقف على منصة ولم يظهر فى جريدة .. (لذلك) « عشت لين الجانب سليم الصدر لا أدخل فى جدل ولا أشارك فى مرء ولا ألجج فى منافسة . وكان من جدوى ذلك على أن الله وقانى عذاب الحسد وكفانى شر العداوة وجعل ما بينى وبين الناس قائماً على المجاملة والمساهلة والود » (٢) .

ولكن العزلة والمساهلة وكره الظهور لم تحل بينه وبين الجهاد الوطنى إذ نادته دواعيه . فقد أسهم مصرياً مثقفاً فى ثورتى مصر فكان فى الأولى (جندياً مجهولاً أكتب المنشورات السرية للطلبة وأنا مدرس فى « المدرسة الإعدادية » ، وكتب فى الأخرى وطنياً معروفاً أوقف الوعى القومى وألهب الشعور الوطنى وأنا محرر فى مجلة « الرسالة » . ومع نلك قلما عرفنى زعيم أو رآنى حاكم . ومعرفة الزعيم أو رؤية الحاكم كانت يومئذ من أحاديث المنى وهواجس الأحلام ، ولكن أكثر الأمنى ضلال وأكثر الأحلام وهم) (٣) .



(١) وحى الرسالة ج ٤ ص ١١٨

(٢) وحى الرسالة ج ٤ ص ١١٩

(٣) وحى الرسالة ج ٤ ص ١١٩

وأديبنا ولوع بالجمال (سبيلا إلى الخير ودليلا على الحق) فهو يوفره لنفسه في اللباس والطعام والمسكن والأثاث كما يوفّره لنفسه خلقاً رضيّاً ولفنه أسلوباً ندياً •• وأجمل ما يوصف به الجمال وصفه لمذهبه في الحياة (والمذهب طريق تذهب فيه فإذا لم يكن له من الجمال شجر يحنو على جوانبه بالظل ، وزهر ينسم على أفيائه بالعطر وحاد يرفه على سالكيه بالنغم ، كانت الحياة بأساء من غير نعيم ، وصحراء من غير واحة) (٣) •

وفنيته وحبه للجمال في نسقه الأعلى تلمسه في حديث شبابه • تستطيع أن تقول وماذا في حديث الشباب •• انه معروف ولكن أديبنا ، فتى ، كان •• يستهويه في طراءة السن مالا يستهوى الحداثة والغضارة • كانت تجذبه لطافة الروح وتشده قوة الجاذبية وتأسره حلاوة الصوت • وعند الفنان نعتبر هذه الصفات جوامع الحسن وعواليه وان لم تجمع صاحبها معها (براءة التكوين وصفاء البشرة ونضارة البدن) • ولا أريد أن أتحدث عن محابه أو أحبابه فقد سبق الحديث إليها (١) ولكني أريد فقط بهذه المناسبة أن أسجل أجمل « كده » سمعتها •

أنته « نور » فدار حوار كالسرار :

— أهلا وسهلا سلامة عينيك يانور ، (وكأني أسمعه يقول سلامة النور) فقالت نور ويدها ترتجف في يدي وصوتها يتهدج في أذني :
الله يسلمك عاوزه أحط أطره

— فدخلت بها المنظرة وأجلستها بجانبى على الكنبه ورفعت هي العصا عن عينها فاذا جفناها ملتهبان قليلا • فسألتها عن سبب هذا الالتهاب فقالت إنها حكتهما بالتوتياء الخضراء فالتهايا •

(١) اقرأ (غرام الادباء) للاستاذ عباس خضر •

فقلت لها وقد فطنت إلى ما رمت إليه •

— ولماذا ؟

— كده

— كده ليه ؟

— أهو كده (١)



وللأستاذ الزيات ثمانية كتب مطبوعة :

تاريخ الأدب العربي :

ألفه سنة ١٩١٦ وقد فصل في مقدمته الظروف التي دفعته الى كتابته • بدأ فيه بالعصر العباسي وعصر المماليك • والعصر الحديث ثم أضاف إليه كثيرا سنة ١٩٢٠ وأخرجه في صورته النهائية • وقد قرر هذا الكتاب في جميع البلاد العربية لنظراته في النقد وحسن أسلوبه •

طبع ٢٤ طبعه • وقد كتب كثيرون عن هذا الكتاب ونال شهرة واسعة • واستهدى هذا الكتاب كثير من المؤلفين فعلى نمطه ألف كتاب الوسيط •

الكتاب الثاني : آلام فرتر :

وقد شرح أسباب ترجمته له في الجزء الأول من وحى الرسالة وقد استغرقت ترجمته سنة ١٩٢٠ وطبع فيها أيضا •

الكتاب الثالث : روفائيل :

ترجمه سنة ١٩٢٥ وهو في فرنسا • وهناك زار كل الأماكن التي كان يجلس فيها لامارتين مع جوليا وتحت هذا التأثير ترجم القصة •

(١) وحى الرسالة ج ٣ ص ٢٠٥ •

وقد استغرقت ترجمته سنة توزعته فيها الدراسة والأعمال ..

طبع سنة ١٩٢٥ بعد عودته ..

كما ترجم الاستاذ الزيات (محاضرات الفلسفة) للاند ..

الكتاب الرابع : في أصول الأدب :

ألفه بعد عودته من بغداد . وإذا كان وحى الرسالة يبين اتجاهاته في الحياة ورأيه في الأدب والاجتماع فهذا يبين محصوله في الأدب .

وفي كتاب أصول الأدب بحث جديد لم يطرق في وقته وهو تاريخ ألف ليلة وليلة . فقد حاضر فيه سنة ١٩٣٢ في بغداد قبل أن يطرق الموضوع في مصر . وقد أخذت البحث دائرة المعارف الإسلامية ونشرته وظلت صحف سوريا والعراق شهرا تنشره تباعا كما نشرته كاملا مجلة المجمع العلمي بدمشق ونشرته في مصر مجلة المعرفة .

وقد أذاع هذا البحث شهرته ووطد مكانه في البلاد العربية .

والبحث الثانى الجديد فى الكتاب هو (العوامل المؤثرة فى الأدب) وقد استقادت من هذا البحث وزارة المعارف فى كتاب (تاريخ الأدب) المقرر على مدارس الوزارة .

وقد تكلم الكتاب عن أصول النقد والقصة والرواية والفن القصصى والمسرحية وهى أبحاث جديدة فى حينها .. وقد أخذ الزيات أبحاثها من الأدب الفرنسى وقعدها تقعيدا عربيا . إذ لم يكن عندنا أصول مقررة معلومة لهذه الأشياء . وهذا الجزء من الكتاب كان مهيا لأن يكون كتابا مستقلا ثم أضافه صاحبه إلى كتاب (أصول الأدب) الذى هو فيما عدا هذه الأبحاث محاضرات ومقالات ألقيت ونشرت أصلا فى الصحف ..

وقد طبع الكتاب سنة ١٩٣٤ .

الكتاب الخامس : دفاع عن البلاغة :

وقد دفعه الى تأليفه الفوضى الأدبية السائرة وتطاول الكتابات الدارجة إلى أن تكون أدبا أو انحدر الأدب إلى الكتابة الدارجة • وقد رسم في هذا الكتاب خصائص أسلوبه بالذات ودافع عنه •

وقد سبق له نشر فصوله في الرسالة ثم جمعه منها •

الكتاب السادس : مختارات من الأدب الفرنسى (قصائد وأقاصيص)

تم تأليفه على مدى (الرواية) فقد ترجم جزءا كبيرا كان ينشر تباعا عندما أصدر (الرواية) ليدعم الرسالة ثم جمعه فكان منه هذا الكتاب •

الكتاب السابع : وحى الرسالة :

وهو تجارب الكاتب ومشاهدده وانفعالاته بالحياة وانطباعاته فيها وتتسم بالصدق والتجربة • والكتاب به تراجم حية لبعض العلماء والساسة والشخصيات •

يعتبر زمن تأليفه عشرون سنة هى بضعة من عمر الكاتب أودعها مشاعره واختباراتهِ واتصالاته ويقع الكتاب فى أربعة أجزاء •

الكتاب الثامن : (فى ضوء الرسالة) وهو :

ألوان من الأدب والتاريخ ويعتبر امتداداً لوحي الرسالة إذ جمع فيه الأستاذ الزياد كتاباته فى الشعب والجمهورية والهلال والرسالة الجديدة والأزهر وهى مجموعة الصحف التى طفق ينشر بها بعد احتجاب الرسالة • صدر ١٩٦٣ •

كان الأستاذ الزياد يحتشد فى سنيه الأخيرة لكتابة :

١ — كتاب يسميه (ذكرى عهد) • وقد كتب معظم ذكرياته فى وحى

الرسالة ولكنه كان يريد أن يزيد عليها ويضيف إليها ويخرجها في شكل منظم بين دفتي كتاب •

٢ — عبقرية الإسلام : على نحو ما فعل شاتوبريان في كتابه (عبقرية المسيحية • كان يريد أن يكتب عن الإسلام لا من حيث النظم والمعاملات ولكن من حيث الروح والطابع •• إنه يريد لكتاب « عبقرية الإسلام » أن يكون دينياً أدبياً •

وشارك الأستاذ الزيات بالكتابة في المجالات العربية :

الهلال — مجلة مجمع اللغة العربية — مجلة المجمع العلمي السوري — مجلة العربى الكويتية •



وقد نال الأستاذ الزيات جائزة الدولة عام ١٩٥٣ عن كتابه (وحي الرسالة) تقديراً لأدبه وفضله • وقد جاء في تقدير اللجنة له وتقديرها عنه • (أنه مقالات متفرقة في مختلف شئون الثقافة والأدب يجمعها ، أنها تحمل طابع مذهب فنى واحد مثله المؤلف عملاً في ضروب إنتاجه المختلفة ودافع عنه نظراً في بعض كتاباته وعلى الأخص في كتاب « دفاع عن البلاغة » ويقوم هذا المذهب على ركنين وهما :

أولاً : العودة بالبلاغة العربية إلى طابعها العربى الأول الذى يتمثل في نهج البلاغة وكتابات (ابن المقفع و (الجاحظ) وأضرابهم ، الذى يتجلى فيه الإيجاز ورصانة الفواصل وقصرها وتصفية اللفظ •

وثانياً : تطعيم الفكر العربى الحديث بآثار الفكر الأوروبى وروائع الآداب الغربية عن طريق الترجمة ، وبذلك يساير الأدب العربى ركب الحضارة المعاصرة • وقد أسهم المؤلف في هذا بترجمته لبعض الآثار الغربية مثل ترجمة آلام فرتر • فاذا ضممنا إلى هذا جهد المؤلف في الدراسة الأدبية وفي تاريخ الأدب العربى تجمع لنا من كل أولئك إنتاج جدير بالتقدير والإجازة •

لجنة جوائز الدولة للآداب • محضر الجلسة السادسة ١٨/٦/١٩٥٣ •

كما نال الأستاذ الزياد جائزة الدولة التقديرية ••

ونال الأستاذ الزياد وسام النيل ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى •

* * *

أما بعد فإني أكتب هذه الترجمة لحياة عريضة وفي سمعى يدوى
التصفيق الحار العريض الذى استقبل به إخواننا السوريون فى مهرجان
الشعر الثالث فى دمشق ، صاحب الرسالة ، وهو فى طريقة إلى المنبر فى
تواضع العالم ودماشة الفنان وسراوة الإنسان وهالة العظيم •• ودمعت
عيوننا نحن المصريين •

رسائل صاحب الرسالة

فى ٢٣ فبراير من عام ١٩٥٣ احتجبت مجلة الرسالة وكان ادباء البلاد العربية قبلها لا يكاد يعرف بعضهم بعضا فجاءت الرسالة وربطت البلاد وأهلها •• وصلت بعضها ببعض بما كتبت عن الأدب العربى فى كل بلد عربى فى تواصل وجدية ووفاء • فكانت سفارة متنقلة بين اقطار العروبة • وكانت **للوحدة الحاضرة نقطة الإبتداء** •• فقد مهدت الرسالة للقومية العربية بما نشرت من أدب كل شعب •

لا بل إن السفارات مجتمعة لم تعمل عمل الرسالة ••• واحدة • لقد سافر على أمين إلى الشرق بعد احتجاب الرسالة وعاد يقول :

(لو أن الحكومة أغلقت سفاراتها فى الشرق وأبقت على الرسالة لكان خيرا لها وأجدى عليها ••) •

احتجبت الرسالة فى الخمسينات واحتجب صاحب الرسالة فى

الستينات (١٢ يونيو سنة ١٩٦٨) • وقتئذ عرفت له جهاده وريادته الأدبية فى صفحة كاملة من صحيفة الأهرام • لقد كان استاذًا لاجيال الرسالة كان لى أبا روحيا • كان يقول انه لم يرزق بنتا فوهبه الله على الكبر بنتا تستار سيرته ، وتشتار جناه •• وانه لحظ كبير من توفيقات الله لى فى حياتى ، كتبتى له مقدمة كتابه العظيم (دفاع عن البلاغة) تحقيقا لرغبته وهى رغبة رائدة بدورها فقد جرت العادة أن الأستاذ ، يقدم للتميذ لا العكس •

كان المغفور له الشاعر عزيز ابازة دائما يقول لى : أن طلب الزيات صاحب الرسالة ، منك كتابة مقدمة لكتابه ، أكبر من أى دكتوراه ••••• إنى لو سئلت أمنية فى حياتى لتمنيت أن يطلب إلى الزيات مثل هذا الطلب •• **كتابة مقدمة للزيات ، أمنية الأديب** •••••

من رسائل الزيات رسائل من قارئات له فى العالم العربى يكبرن

أدبه ويقدرن فضله ففتاة عراقية تكتب اليه على استحياء في أول الرسالة ثم تختتمها بقولها في عفوية شديدة (تجد صورتى طيا تقديرا واعجابا) • وقد جرت العادة أن يستهدى المعجب صورة لا أن يهديها •

ورسالة أخرى من قارئة عربية تقول : (أنت قاسى — الصواب قاسٍ يازيات ولكننى معجبة بقسوتك حتى •• فهل تستطيع أن تترجم ذلك كما ترجمت رفائيل ؟) •

ومن الطريف أن القارئة العراقية تسمى أدبه في رسائلها « حسن يوسف » • إشارة إلى جمال يوسف الذى أذهل صديقات امرأة العزيز فقطعن أيديهن بدلا من التفاح •

ولكن فى الثلاثينات كان يحدث كثيرا أن يداعب الأدباء بعضهم بعضا بكتابة الرسائل على لسان فتاة وهمية فهل الرسائل العراقية حقيقة أم خيالا ؟

حقيقة واحدة استطيع أن أوكدھا ، وجودھا بين رسائل الزيات ولا علينا من شخص كاتبھا ••

ورسالة من (مى) تهنئه بعام جديد للرسالة الغراء وتحديثه حديث أدبية عن الترجمة ومصاعبها لنقول فى نهايتها (لك أن تتصرف فيها « الترجمة » تغييرا وتصحيحا كما تشاء) ••• ما أرقھا •

ورسالة من الأديب العربى الأستاذ انور العطار يدعوه فيها أمير النثر فى هذا العصر (يا من جدد انغامه ، وأسس ، وأبدع أحكامه حتى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وما أشاع فيه من سحر) •

وفى هذه الرسالة يروى الأديب العربى عن الرئيس شكرى القوتلى أن زائرا زاره فى داره بالاسكندرية يحمل اسم الزيات ولقبه • وكان الرئيس

شكري القوتلى لم ير أديب العربية الكبير ، فأكرم وفادة الزائر وأولم على شرفه وليمة سخيّه ، حضرها الشاعر الأديب الزركلى • وفى ختام الحفلة قام صاحب الفخامة وودع الضيف وداعا حافلا ظنا منه أنه الزيات الكبير • وبعد أن انصرف اقترب من الرئيس شكري ، الأستاذ الزركلى وقال : (ليس هذا هو الزيات) فقال له : يكفى أن يعلم أننا احتفينا به لأنه يحمل اسم الزيات ولقبه •

وكم تكرر هذا الالتباس مع آخرين ••• كان الزيات بالرسالة مدرسة أدبيه ••• وكان الزيات بقلمه سفارة مصرية •

بين رسائل الزيات رسالة له من الاستاذ العقاد سنة ١٩٤٦ فيها عتاب يفيض رقة ، وفيها وداد كان يعمر قلبيهما معا •••

تقول الرسالة العقادية (الأخ الجليل •• شفاكم الله وقواكم •• وعجل بعودكم الى مكتبكم المشوق اليكم • واننى لو لم استعظم حقى عند الرسالة كما استعظم حقها عندى لما راجعتكم فيه ولا عتبت من أجله • ويسرنى أنه حق مصون وأن أراكم قريبا على ما تحبون وتحياتى الأخوية لكم إلى اللقاء) •

ورسالة أخرى عاتبة ولكن من الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فيها حسياسيته المفرطة وطريقته التى لا تخلو من طرافة على جديتها المفرطة أيضا :

• (شيخنا الاستاذ الجليل) •

كان مثلى عندكم ضيف طال مكثه عند قوم فذكروا له المحطة : ولم يدعهم يدلونه على موقع شباك التذاكر) •

ورسالة من الأديب العراقى طه الراوى تكشف عن موقف كبير للأستاذ الزيات من أديب عراقى كبير •

وبين رسائل الزيات وأوراقه الأدبية مخطوطه لشوقي فيها قصيدة طويلة بخط يده — يكشف كثرة المشطوب في المخطوطة عن حساسية شوقي الشديدة في اختيار الألفاظ — في وصف الطبيعة والناس ومن أبياتها في وصف الفضاء :

فتنتهم وجـ...وهه	واستخفتهم الصور
وشـ...جاهم سـكونه	بالعشـايا وبالبحر
لا تلمهم فأنمـا	قائد الأنفس الفطر
كل نفس لها هوى	كل نفس لها وطر
كل حسن ومنظر	فيهما للهوى نظر

هذه القصيدة وضعها الأستاذ الزيات في ظرف كتب عليه : (أثر من آثار شوقي بك) •

وكتب إليه سائل : أيهما أصح كلمة (تقويم) أم كلمة (تقييم) ؟ أم أن الكلمتين صحيحتان ؟

وهو كما يبدو سؤال يخامر الكثيرين • ولهذا أورد اجابة الأستاذ الزيات التي نشرها في العدد ١٠٢٩ من الرسالة (نقد العمل الأدبي معناه تقويم عوجه بالاداة الصالحة وتقييم مادته بالوزن الصحيح • وأداة الناقد بهذا المعنى ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة • وهو بهذا الاعتبار يشارك المشرع في صدق التمييز ، والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم) •

وأمر النثر كما يسميه أدباء العرب سألته سائل عن الشعر (الجديد) فكان جوابه (أن في هذا الضرب من النثر أحيانا شاعرية تأتية من لطف خياله ، وعذوبة لفظه ، لا من حسن نسقه ، وموسيقية وزنه • وهو اذا تم ذلك وقليل ما يتم ، لا يخرج عما سماه البلاغيون بالنثر المزدوج

أو المسجوع أو المفصل ... والشعر اذا خلا من الوزن والقافية كان على طريقة الشعر العبرى كتنشيد الانشاد وسفر أيوب ... وذلك هو الشعر الحر . فاذا التزمت فيه القافية دون الوزن كان من النثر المسجوع أو (لا يروزيه) كما يسميه الفرنج وهو عندهم عجيب . وذلك ما تراه في كلام الكهان والحكماء والخطباء في العصور الأولى وفي كلام الأدباء في سائر العصور .. حتى هذا العصر .

فاحياؤه في هذا الثوب المرقع ، رجعة الى الوراء عشرين قرنا على الأقل . وتسميته بالجديد تسمية لا يقرها التاريخ ولا يؤيدها الواقع .. فلا هو شعر بالمعنى الخاص لخلوه من الموسيقى ، ولا هو جديد لخلوه من الابتكار) .

وأخيرا في أوراق الاستاذ الزيات مشروع لتيسير النحو بوضع معجم جديد سماه (الرائد الصغير) يكون سهل التناول قاصرا على المستعمل المأنوس من الألفاظ والتراكيب ومضى يضع الأمثلة لما يؤخذ وما يحذف .

لقد رثى الاستاذ الزيات ، الأستاذ العقاد بقوله : (ذهب العقاد الكاتب الشاعر الأديب العالم كما يذهب المطر ويبقى الربيع) .

وهي عبارة لا أجد أبلغ منها — وكان رجل البلاغة وحاميها — في وصف الزيات بعد العقاد .

لقد ذهب المطر وبقي الربيع . مطر زكا عليه في مجلة الرسالة ، النبات ، وأخصب الموات ، وأمرع الجديد

(يهتف) إن ربيع الطبيعة فصل في السنه يمضى ، ويبقى ربيع الأديب ،،

توفيق الحكيم



مولده — أسرته — دوره في ثورة سنة
١٩١٩ — مسرح عكاشة — سفره الى أوروبا
— عالم جديد — كتب أثرت في تفكيره —
عودته — وظائف في حياته — جرمان مارتان
— كتب لها تاريخ : عودة الروح . شجرة
الحكم . تأملات سياسية . مشكلة الحكم
— صراعه مع الحكومة — مسرح توفيق
الحكيم — أسلوب الحكيم له قصة —
الصورة مدار فن توفيق الحكيم — وحدة
الأدب عند توفيق الحكيم — امتزاج العامية
بالعربية في أدبه — توفيق الحكيم والمصرية
— قصص أفكار وقصص شخصيات —
توفيق الحكيم والمرأة .

ولد (حسين) توفيق الحكيم في الاسكندرية في حى محرم بك سنة ١٩٠٢ وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة محمد على ثم المحمدية بالقاهرة ثم دمنهور الابتدائية ، والثانوية ، بالاسكندرية رأس القين ، ثم العباسية الثانوية بالاسكندرية ثم القاهرة حيث حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٥ من مدرسة الحقوق بالقاهرة .

ولما كان والد توفيق من رجال النيابة والقضاء فقد حرصت الأسرة على أن ينهج توفيق نهج والده . ولكنه إلى الأدب أميل وبه أعلق . وعشق مع الادب الموسيقى والمسرح والتمثيل . . وشجذت ثورة سنة ١٩١٩ مواهبه الفنية حتى لقد وضع أول مسرحية له ١٩١٩ وكان اسمها (الضيف الثقيل) . وكانت حوادثها تدور حول الاحتلال البريطانى . وقد رفضت السلطات القائمة وقتذاك السماح بتمثيلها . قد قبض على توفيق الحكيم أثناء ثورة سنة ١٩١٩ وحقق معه وأعمامه على أثر ضبط منشورات بمنزلهم .

وفي ثورة سنة ١٩١٩ خالج توفيق نظم الشعر والزجل بل عالج التلحين ! ومن أزجاله التى وضعها ولحنها ما كانت تردده الجماهير دون أن تعرف صاحبها .



ومضى توفيق على الرغم من معارضة الأسرة في طريق المسرح فكتب لفرقة عكاشة رواية (العرائس) التى مثلتها سنة ١٩٢٤ . وهى أول رواية له مثلت . كما مثلت له فرقة عكاشة مسرحيته (على بابا) وهى من نوع الأوبريت وهى فى بعض أجزاءها زجل عامى . وظلت الفرقة تمثل له من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٦ فأخرجت له « خاتم سليمان » ثم « المرأة الجديدة » .

وقد سار توفيق على الطريقة المألوفة فى مسرح عكاشة . وكان مؤلفو ذلك العهد لذلك المسرح هم الشيخ يونس القاضى وعباس علام

وسليمان نجيب وابراهيم رمزي ومحمد عبد القدوس وبيديع خيرى وعمر عارف صاحب رواية (هدى) وغيرهم ... وكان هذا هو الوسط الذى يعمل فيه توفيق ولو لم يقدر له السفر ، لما خرج من هذه الدائرة إلى أن يبلغ العمر مداه •

لقد ضاق والداه بانصرافه إلى الأدب المسرحى فأرسلاه إلى فرنسا أملا فى تحقيق أمنيتهما بالحصول على الدكتوراه فى القانون ، وبعدا به عن وسط المسرح الذى تأبى الأسرة المحافظة أن ترحب به أو تشجع على الاندماج فيه فى ذلك الحين •



كلما رأيت (توفيق الحكيم) سمعت فى نفسى همس سؤال : أتراه لو لم يقدر له السفر إلى أوروبا فأين كان مكانه الآن ؟ وما هى إلى هنيهة حتى أسمع همس جواب • • هناك بين رجال القضاء بصفة أساسية فإن تبقى للأدب من جهده شئ فمشاركة من وقت إلى آخر بكتابة مسرحية على نحو ما كان يفعل فى أعقاب الثورة •

وهذه السفرة يعتبرها توفيق الحدث الذى غير مصيره • • غير مفاهيمه • • فتح عينيه على قيم جديدة للأدب والحياة • فما كان ليخطر بباليه قط أن الأدب يحتاج إلى اطلاع واسع عميق • إلى دعائم يرتكز إليها • فلما نهدي إلى أوروبا — وكان من الممكن ألا يفتح عينه عليها إطلاقا لولا رغبة والده فى إبعاده مؤقتا عن الوسط المسرحى مؤملا له أن يتأهب للدكتوراه فى باريس لعل دراستها تعطفه على القانون وتثريه حبه فيقبل عليه من جديد — فلما بلغ توفيق أوروبا وجد نفسه فى باريس أمام حضارة هالته حتى لم يملك نفسه من الدهشة والإعجاب • لقد راعه أن ما نسميه فى مصر مسرحا إنما هو فى أوروبا قسم نابذ من أقسام الأدب وحين يعنى المسرح فى أوروبا لونا رفيعا من الفن ، ينظر إليه فى مصر على أنه خروج على الأدب « قلة حياء » فكتابه (شخصيته) لا يطاولون الأدباء ولا يحسبون عليهم •

وهى نظرة لا تخلو من عذر فقد كانت مسرحياتنا — إذا استثنينا مسرحيات شوقي — لا فن فيها • على أن (شوقي) حتى سنة ١٩٢٦ لم يكن قد كتب مسرحياته بعد — فقد قابله توفيق الحكيم لأول مرة في باريس سنة ١٩٢٦ • وأفضى إليه شوقي أنه بسدد كتابة مسرحية عن كليوباترة • وطلب إليه أن يدلّه على المسرحيات الشعرية الفرنسية التي كتبت عن كليوباترة • وحدث أن (شوقي) قال له في خلال اللقاء أنه حضر في غيبته بعض مسرحيات عكاشة وقيل في ذلك الحين أن المؤلف في باريس وتساءل شوقي : أتكونه ؟

وطرب للسؤال توفيق الحكيم حتى خف للبحث عن مسرحيات كليوباترة في الفرنسية • ولو أن « شوقي » سافر قبل أن يواليه الحكيم بطلبته •



على أن « شوقي » حين أخذ يصدر المسرحية ، أدخل القوم المسرحية الشوقية في الشعر لا في الأدب المسرحي • • وكأنهم ضنوا على المسرح بشوقي حين تجد الأدباء في أوروبا أو معظمهم مسرحيين • ففي فرنسا كورنيه وراسين وموليير ، وفي ألمانيا جيته وشيللر ، وفي إنجلترا شكسبير • • وأفاق توفيق الحكيم على صوت في نفسه يهتف به : لماذا يحتقر أبى المسرح ؟

لماذا يحتقر قومي المسرح ؟

لماذا نمارسه كعمل مخز ؟

لماذا لا يكون الأدب المسرحي أدبا عميقاً أصيلاً يشرف به صاحبه كما يشرف الكتاب بالأعمال الأدبية الأخرى ؟

وأصر أمرا ليس إلى مردله من سبيل • لقد قرر توفيق الحكيم أن يدرس (في الفرنسية) الثقافة الاغريقية التي ولدت أساتذة المسرح

مثل سوفوكليس وهيروقليدس وأشييل وأرسطوفان •• قرر أن يدرس هوميروس والالياذة •• وعندما أراد أن يدرس أعلام المسرح اليوناني أيقن أن لا بد من معرفة الفلسفة إذ عرف أرسطو المسرحية وسواها •• بل لا بد من معرفة فن النحت الاغريقي •

وأقبل توفيق على كتاب (فلسفة الفن) للكاتب هيبوليت تى ، وكتاب (تاريخ الفن) للكاتب سالمون ريناخ وعلى ضوئهما استشرف الى متحف اللوفر فغاص فى قاعاته وآثاره وأسلمه هذا الى العصر الرومانى الى عصر النهضة • فمضى متتبعا كل عناصر التفكير • ذلك أنه أيقن أن معنى الثقافة التى يجب أن يتروود بها الأديب وفق المفهوم الأوروبى هو أن يحيط ويتفهم ويتذوق كل آثار النشاط العقلى الإنسانى من فلسفة وأدب وفنون مختلفة من موسيقى وعمارة ونحت على مدار العصور بل يراد له ويجب أن يكون له الإلمام ببعض مظاهر العلم الحديث ونظرياته • وكذلك كان توفيق يحاول جاهدا أن يتفهم شيئا عن اينشتين فى كتب ليست بالغة التخصص • وإن خير كتاب فى هذا الميدان ترك فى نفسه أثرا كبيرا ووسم تفكيره هو عمل كبير من ثلاثة أجزاء للعالم الرياضى (هنرى بوان كارييه) اسمها على التوالى : العلم والفرد ، التفكير والعلم ، العلم والمنهج •

ومع أن هذه الموضوعات لا تهم الأديب فى التأليف الأدبى أو القصصى أو المسرحى إلا أنها أعطت « توفيق الحكيم » القدرة على التفكير فى الأشياء التى يدرسها والتطور فى الفكرة القصيرة وتنميتها قدرا من النمو •• وهنا يبدو فضل الأدباء المتصلين بعلوم ومعارف أوسع من مجرد المهنة الأدبية •• وبمثل هذا بز الجاحظ الأصمعى فى الأدب العربى القديم ، والأمثلة كثيرة •

وعلى ذكر الجاحظ يحق لنا أن نشير إلى (كتاب المحاسن والأضداد) •
لقد قرأه الحكيم مرات • وعاش الكتاب مع الأديب طفولته وشبابه •
ومن يجلس إلى مكتب توفيق الحكيم تلمح عينه كتاباً قديماً مكتوباً عليه
(سنة أولى ثانوى - حسين توفيق الحكيم) إنه بعينه كتاب المحاسن
والأضداد ، والكتب كالناس أعمار ••

وهذا الكتاب له عليه تأثير معنوى لا لفظى فحسب فهو ممن
يتأثرون بالكتب من الناحية الفكرية أكثر من الناحية اللفظية • تأثر
بمنطق الجاحظ وتفكيره • إن كتاب (المحاسن والأضداد) يصور كل فضيلة
ورذيلة من زاويتين متضادتين فالشجاعة أو الكبرياء أو حتى الجمال أو
الكرم لكل صفة منها ناحيتان •• لقد أثر هذا الكتاب فى حياته حتى لقد
غدا ينظر إلى كل شيء من جانبيه دون أن يستبعد به جانب واحد ••
أصبح كما يقول لا يؤمن بمعنى مطلق بل يضع كل شيء على مجهر
الحقيقة كالجاحظ ومن ثم يرى ضرورة اتصال شبابنا صلة وثيقة بالأدب
القديم لا من الناحية التعبيرية على أنه مجرد نماذج لفظية كما يتوهم
الكثيرون ولكن من الوجهة العقلية فقد كان القدماء يعالجون بعض المسائل
بطرق لا بد لنا أن نتفهمها لأن بعضها يفيدنا •

وقد انعكس هذا الأثر على أدب الحكيم • فإن المتأمل فى قصصه
وكتبه لا يجد فيها فضيلة مطلقة أو رذيلة مطلقة أو إنساناً خيراً ١٠٠٪
أو شريراً ١٠٠٪ • وقد تبلور هذا الأثر حتى كان منه كتاب توفيق
(التعادلية) •

لقد فرض كتاب (المحاسن والأضداد) نفسه بنفسه عليه حين قرأ
كثيراً غيره بقصد الدراسة وتأثر بها ولكنه تأثر مقصود • تأثر (بشكسبير)
و (مولير) و (وجوته) و (ترلنج) و (ابسن) و (وبراندل) •



وحين آمن توفيق بهذا وعمل له كان له ما أراد فإنه حين كتب في طوره الجديد (أهل الكهف) للمسرح لم تكن هناك صعوبة في إدخالها في نطاق الأدب قبل أن تعرف المسرح • رأى فيها الأدباء حتى من ترمت منهم نسباً يصلها بالأدب والفكر • وغدوا يرون في المسرح رأياً جديداً فلم يعد تابعاً للشعر بل أضحي بدون ارتكاز عليه ، مجرد نشر في قالب مسرحي • أضحي بهذا الصفة وحدها أدباً له اعتباره •

وهنا يبدو لتوفيق أو للحقيقة وجه قد يكون غير ماثل ألا وهو زيادة المسرح العربى • إنه هو الذى أعطى المسرح اعتباره الذى يتمتع به فى الأدب العربى دون سند من الشعر إنما بالنثر وحده • لقد احتل شوقى المسرح ولكن مسرحياته كانت تستمد قيمتها — فى عين المشاهد — من القصيد • كل هذا كان وراء سفر توفيق الحكيم إلى أوروبا • وسبب آخر يقول به الأستاذ نجيب محفوظ (لأنه كان يعمل فى اسمى التهيئات وهى القضاء فقد منح الفن والأدب ، الشرعية الاجتماعية) •



وعاد توفيق إلى مصر وعمل بالنيابة المختلطة بالاسكندرية لمدة عام من سنة ١٩٢٨ إلى ١٩٢٩ ثم انتقل بعد هذا إلى القضاء الأهلى لمدة خمس سنوات منتقلاً بين طنطا ودمهور ودسوق وفارسكور وايتاى البارود وكوم حمادة • وترك هذا انطباعاته طليه فكان كتابه (يرميات نائب فى الأرياف) ثم كتابه (ذكريات الفن والقضاء) أو (عدالة وفن) • وترك توفيق النيابة وعمل مديراً لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف ثم مديراً للإرشاد الاجتماعى بوزارة الشؤون الاجتماعية •

وانتقله من الريف إلى القاهرة هو الحدث الثانى الذى كيف حياته وإن لم يبلغ فى تأثيره شأو انتقاله من مصر الى أوروبا • • فالانتقال الثانى لو أنعمنا النظر هو نقطة تحول كاذبة فلو لم تحدث فى وقتها لحدثت فيما بعد فإن ارتطام ظروف الأديب بأعباء القضاء كان لا بد له أن يحدث أثره ويسلمه فى النهاية إلى الأدب الذى خلق له •

واستقال توفيق من وزارة المعارف واشتغل بالصحافة في أخبار اليوم • على أن اتصاله بالصحافة كان سابقا على أخبار اليوم فقد كتب وهو بالمعارف كثيراً في (مجلتى) •

وعادت الوظائف فشدت إليها « توفيق الحكيم » فعمل مديراً عاماً لدار الكتب ، ثم عضوا متفرغا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ثم مندوباً للجمهورية العربية في اليونسكو سنة ١٩٥٩ وعاد إلى مصر في مارس سنة ١٩٦٠ بناء على طلبه •



لقد كان يَرجى لتوفيق أن ينال الدكتوراه في القانون ثم شاء القدر أن يضع في طريقه (جرمان مارتان) رئيس لجنة الاقتصاد السياسى في الدبلوم الأول • وكان الرجل قد جاء مصر من قبل لرأس تحرير جريدة (مصر المعاصرة) • وغادر مصر وقد رسبت في نفسه فكرة سيئة عنها تطوع بدسها عليها أجنب المحاكم المختلطة الذين خالطهم مارتان فترة وجوده • ولم ينس • فحين وقعت عينه على الطالب المصرى توفيق الحكيم بادره بالسؤال •• انت مصرى ؟ وكانت لهجته غير ودود أوجس منها توفيق خيفة في نفسه •• وحدث أن صدق حسه وأصاب حدسه فلم يكتب له النجاح المألوف ترى هل كان الرسوب شرا ؟ هبه حصل على الدكتوراه كزملائه حتى غير اللامعين منهم ، فما الذى كان سيحدث ؟ كان توفيق سيصبح أستاذا في الجامعة ينصرف إلى تدريس القانون والتأليف فيه •• إذن أين كان يولد كتابه : (نائب في الأرياف) •



عاش توفيق الحكيم في مصر •• عاش فيها وعاش أحداثها • ومن هذه ، الأحداث الكبرى في مطلع حياته ومطلع كفاحها المستعمر ، ثورة سنة ١٩١٩ • بدأت هذه الثورة بداية مفاجئة للجميع حتى لأصحابها

أنفسهم ولو أن الحوادث تعنى أنها كانت تختمر في الوعي اباطن للشعب دون أن يدرك انه سيأتى اليوم الذى ينفجر فيه بعمل ظاهر إيجابى .. وكانت مصر كلها قبيل الثورة تضيق بالاحتلال وتتمنى زواله • وكان زعماءها في ذلك الوقت لا يعرفون مصير الوضع السياسى الحقيقى للبلاد بعد انتهاء الحرب الأولى وهزيمة تركيا التى كانت تربطها بمصر اعتبارات شتى • وإذا بالثورة تتدلع فجأة كطبيعة الانفجارات • وكانت الشرارة التى سرت في الركام المرقوم هى نفى سعد زغلول وصحبه • وعرفت المدارس الاضراب وتوالى الانقطاع عن الدراسة وترك هذا الانبثاق الوطنى انطباعاته على الشباب المصرى في ذلك الحين فإن توفيق الحكيم ، الشاب ، لم ينظم قصيدة غرامية في تلك الفترة بل كان قصيده كله يتأجج حماسة وإن لم يكتب له النشر والذيع وقتئذ في زحام شوقى وأنداده ، كما كتب الأناشيد الوطنية وسار في المظاهرات وأطلق الرصاص فيها .. سافر مرة الاسكندرية فسمع نشيداً يردده طلاب المدارس هناك وهم منتظمون في مظاهرة كبيرة .. وإذا به من تأليفه وتلحينه .. ملكته الدهشة .. كيف انتقل هذا النشيد من القاهرة إلى الاسكندرية ؟ هل ركب معه القطار ؟ .. ولكن الثورة حينذاك كانت تلتهم كل شىء وكانت الفكرة أو الكلمة تلقى في القاهرة ، فتراها بعد ساعات في القطر المصرى •

* * *

عاش توفيق الحكيم ثورة ١٩١٩ بكل أحداثها بكل أيامها وخفق لها وأثر فيها مع الشباب وتأثر بها فكان كتابه (عودة الروح) انطباعة كبيرة من انطباعات الثورة ، إنه قصتها كاملة •

هناك صور يصورها الأديب وتظل صوراً في ذاتها .. صور للدراسة أو الفن حتى ولو وجدت في الحياة • وهناك صور يرسمها الأديب تنبض بالحياة بل تمتد حياتها كما تشاء أصالتها وحركة الفن فيها وتمضى في التاريخ الإنسانى شخصيات خالدة يتمثل القارىء نفسه فيها مثل

(فرتر) مثلا • ومثل هذه الصور قد يكون أثرها مدمرا أو خيرا حسب نوعها ولكنها على الحالين شخصيات حية موجهة فعالة • ومن هذه الشخصيات « محسن » في عودة الروح •

لعل قيمته أنه لا يكرر • وأحسب « توفيق الحكيم » نفسه لو أراد كتابته الآن لما استطاع أو لعله يكتب شيئا آخر • إنه كالزهرة التي إذا لم تقطفها في وقت معين فقدت قليلا أو كثيرا من نضارتها ، حين كتب جوته (فاوست) في أربعين سنة دون أن تفقد تماسكها وترباطها وقوتها • لأن (فاوست) تعتمد على الفكر وغير هذا الأعمال الفنية التي تتبع من الشعور إن الأمر مختلف جدا • • إنه يذكرني بكيتس • • كان شعره ربيعا أزهر ، كان شبابه ربيعا أخضر • خلق كالربيع وللربيع فلما أحس أنه لا يعطى إلا في الربيع اخترم في شرح الشباب وفروعة العمر وطراءة الصبا وكأنه خاف أن يفقد معناه • • نكهته • • طعمه فأثر أن يموت • • وهكذا رامبو • ولم يعيش إلا من استطاع أن يكيف نفسه مثل جوته •

ومضت ثورة سنة ١٩١٩ وأعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ورأى توفيق بحاسة الفن وعوده بالديمقراطية سرايا • وأيقن أن ما يلوح به إنما هو ديمقراطية مزيفة ولم يهدأ الفنان بل راح يصور هذا في كتاب (شجرة الحكم) ، وكتاب (تأملات سياسية) • وأحست الحكومة بدورها أن وزراء الأكمة ماراءها فاقترحت حكومة محمد محمود سنة ١٩٣٨ عن طريق مجلس الشيوخ وكان رئيسه محمد محمود خليل ، أن يحال توفيق الحكيم إلى مجلس تأديب كما هاجمه الوفد الذي يمثل المعارضة في جريدته (المصرى) شهرا وكان الظن به ألا يفعل • ولكن الوفد بغريزة الدفاع عن النفس رأى في هذا العمل الأدبى حربا على النظام وكلهم يلتقون عنده إذ هو هذا النظام سلمهم إلى الحكم هنا لم يعارض الوفد الحكومة بل أملى لها •

ثم عدلت الحكومة عن مجلس التأديب تقادياً لما يثيره دفاع المحامين من لغط ، ونكوصاً أمام تهديد بعض أعضاء مجلس التأديب بالوقوف إلى جانبه .

رأت للحكومة رفته ثم أقلعت لما قد ينجم عنه . . وأخيراً اكتفوا بخمسة ١٥ يوماً من مرتبه وكان وقتئذ مدير تحقیقات وزارة المعارف . ولم تستطع هذه الهزات أن تغمد قلمه أو تطامن من حدته فكتب في سنة ١٩٣٩ مسرحية (براكسا) هاجم فيها فساد الديمقراطية الذي يؤدي إلى الدكتاتورية وسيطرة القوة .

وقد بنى توفيق هذه المسرحية على أساس مسرحية أرسطوفان (مجلس النساء) . وما كان (أرسطوفان) إلا سلماً أو ستارة تخفى وراءها والرقابة مضروبة سنة ١٩٣٩ . فقد صدر توفيق الحكيم عن ذاته فانطلق بعد البداية يصور بيئتنا نحن بمشاكلها ومخاوفها المتوقعة في ثلاثة فصول .

ولما كان من المزمع طبعها باسم (مشكلة الحكم) فقد رأى توفيق الحكيم أن الاسم يوجب بحث الحكم كله بجميع ألوانه ومنها الملكية . . وفي سنة ١٩٤٠ أكمل الكاتب تصوير باقى ألوان الحكم ومنها الملكية في ثلاثة فصول أخرى ولم ينشرها بالطبع .

وفي سنة ١٩٥٤ طلب بروفيسور فارنباك ترجمتها إلى الفرنسية فوافق الحكيم . وظهرت المسرحية في الفرنسية باسم (مشكلة الحكم) سنة ١٩٥٤ .

وقد مثلت هذه المسرحية لأول مرة في دمشق .

كان توفيق الحكيم في هذه المسرحية يرى فساد الديمقراطية مسئولا عن فساد الملكية . . مسئولا عن كل شيء .

أقد تناول توفيق الحكيم قضية الديمقراطية وشرعية اختيار الشعوب

في عدة مسرحيات ... وفي أخريات الستينات كتب (بنك القلق) كان حاضر الوعي لا غائبه .

ومسرح توفيق الحكيم (ذهني) فمعظم رواياته تقوم على فكرة عميقة يتوصل الكاتب إلى إبرازها بالصور والأشخاص . وهو حين يعالجها في إطار إنساني عام لا يدخل في حسابها الجماهير التي تستهويها الموضوعات القرية المنال .

وكما سبق ج ولز في « آلة الزمان » عصر الفضاء .

فعل الحكيم في مسرحية « رحلة الى الغد » التي يستشرف فيها الحكيم إلى الكواكب النائية فوصل إلى كوكب بعيد قبل الصعود العلمي إلى القمر بعدة سنوات .

وأسلوب الرجل القصاص له قصة فقد عاش فترة يبحث عن أسلوب . كان في حيرة من أمره كيف يكتب . وحين كان يبحث عن أسلوب كانت في باريس ثورة عقب الحرب الأولى للبحث أيضا عن أسلوب . وكان لسان هذه الدعوة يتردد عليه كثيرا لفظ (السريالية) . ومن الطريف اننا حين أخذنا نردد هنا اللفظ بعد سنوات عميق كان قد اُستنفد هناك (بطل) .

بدأ توفيق أولا يكتب شعرا فرنسيا على طريقة السريالية . وعندما بدأ يكتب القصة النثرية وجد نفسه أمام تجديدات في الأسلوب وقف أمامها مضطربا أي الطرق يسلك . ثم عاد إلى مصر وحيرته قائمة وعلى لسانه مازال عالقا السؤال نفسه كيف أكتب ؟ وفي يوم خطر له أن الأسلوب الحقيقي لا يأتي إلا عندما ينسى الانسان كلمة « الأسلوب » ويكتب ما يريد . أن يقول بدون افتعال . عند ذلك يكتشف نفسه . إن الذي يبحث عن أسلوبه وهو يكتب كالذي يبحث عن خطوته وهو يسير لا بد لمثل هذا الباحث أن يتعثر بينما السائر على طبيعته تصبح مشيته (شخصية)

يعرف بها • ولكن الانطلاق على السجية لا بد أن يسبقه بالطبع اطلاع واسع على أساليب الأعلام وعلى حركة الفن عندهم ••

فكتابات توفيق الحكيم بعد هذا ليس فيها أى رغبة فى اصطناع أسلوب إنها كالإمضاء خاصة بصاحبها • فالمرء لا يستطيع أن يرجع أسلوبه إلى أحد لأنه تأثرات فكرية لا لفظية • وهو لم يحاول المحاكاة إنما حاول الاقتناع فحسب • اتصل بكتابه المفضلين اتصال حب وتفهم •• عاش معهم حياتهم •• غاص فى تجاربهم ومع هذا ينسى وجودهم تماما عندما يمسك قلمه وإن ظلوا فى ضميره ، حتى غدا النسيان جزءا منه •

ومن الطريف أن (توفيق الحكيم) عندما كان تلميذا فى الثانوى حفظ كثيرا للظهور فى مباريات التلمذة والحدثة ثم جاء النسيان المطبق بعد البكالوريا حتى أنه لا يكاد يذكر الأبيات بلفظها وإنما بمعناها فقط دون اللفظ ماذا حدث ؟ هل هضم محصوله هضما كاملا أحاله إلى صورة أخرى كما يستحيل الطعام بألوانه إلى دم مثلا ؟

والأسلوب فى أدب توفيق الحكيم يختلف حسب الموضوع فهو فى القصة طويلة أم قصيرة والتمثيلية والمقالة التصويرية أقرب إلى الصورة •• وأحيانا يكون حوارا تصويرياً مثل (شجرة الحكم) أو (حمارى قال لى) ، وأنا يتخذ شكل مذكرات إذا كان الموضوع رسائل مثل (زهرة العمر) أم مقالات فكرية مثل (تحت شمس الفكر) •• ان القوالب عنده كثيرة وأسلوبه يتشكل وفقا لها لكنه فى جملة أسلوبه تصويرى يعطيك صورة حتى لما يمكن تجسيمه من العواطف أو الأفكار • فعندما أراد توفيق الحكيم أن يكتب فى السياسة لم يتخذ المقالة أداة له وإنما استعان بالصورة فكانت مسرحية (شجرة الحكم) •

ولكن سيطرة الصورة هذه عليه ماسرها ؟ إن المقتضى لتاريخ حياته يلمح أن أول مظهر من مظاهر الفن عنده كان « التصوير » كان فى الثامنة من عمره حين هوى التصوير والموسيقى فاندفع إلى العوالم وأمسك الرق

في حلقته (إقرأ عودة الروح) • ولعل هذه النزعة تعزى فيما تعزى اليه إلى أن التصوير والموسيقى لا يحتاجان إلى أداة فنية كالأدب الذى يستأدى صاحبه توافرا على القراءة ثم اصطناع الكتابة • • حين يكفى التصوير النظر ثم الإعجاب ويكفى فى الموسيقى السمع ثم الطرب • ومن ثم انصرف توفيق الحكيم إلى التصوير والموسيقى • ولكن الطاقة الفنية عنده لم تقض وطرها • • فحاول رسم الحيوانات فى المدرسة الابتدائية ثم التمثيل فى فرقة الشيخ سلامة حجازى — وهنا تلمح أن الموسيقى قد أسلمته إلى التمثيل — والفرق المتقلة فى الريف ونحن إذا تأملنا الرسم والتمثيل وجدناهما من الفنون المصورة •



كان هذا شأن توفيق الحكيم حتى عرف القراءة • وهنا فقط تحدت طاقته الفنية وإن ظلت الرواسب الفنية الأولى عالقة بقلمه ، فإن قراءته وكتاباته إنما هى تمثيل أى شئ فى صورة • « فحين يخاطب العقاد العقل • • الفكرة — وهو من قوته يريد لها أن تصل فى قوة بنفسها إلى العقل — نجد (توفيق) يعطى الفكرة فى موكب من الصور فيه أشياء كثيرة مألوفة فتبدو سهلة وقد تكون صعبة • والمرء مع العقاد أحد اثنين فاهم عنه يأخذ منه كل شئ أو مرتج عليه يخرج من عنده خالى اليد ويستحيل أن يكون مع العملاق بين بين ولهذا ينقسم الناس إزاءه فريقين : راض عنه معظم له وفريق ساخط متهم • وهو بدوره يقسمهم قسمين : مدرك للقيم يتابعه وجاهل بها يجافيه • وعلى العكس من هذا توفيق الحكيم كان من مضار (الصورة) أن (توفيق) قد يحسب عليه قراءهم فى الحقيقة لم يفهموه ولم يفتنوا إلى غرضه قصارى ما وصلوا إليه السطح • • القشرة • وعبثا تحاول الأخذ بيد الواحد منهم • إنه مقتنع تماما أنه نفذ إلى مداخل الكاتب والفكرة معا • • فإذا تحدث توفيق الحكيم عن (صينية البطاطس) زعموا أنه بجانب المرأة المثقفة أو يؤثر عليها على الأقل ، الطاهية ، حين يقصد الرجل ألا تنتكر المرأة لوظائفها الأصلية أو تستعلى عليها فإن الإنسان رجلا أو امرأة يقاس بإمكاناته وما تعين عليه هذه الإمكانيات •

إن الصورة مدار فن توفيق الحكيم : فإذا تحدث صور ، وإذا تفاهم معك فبالصورة ، أما إذا كتب فقد بلغت الصورة أوج كمالها • إنه حين أراد التعبير عن فكرة الزمن اختار لها (أهل الكهف) أى صورة • من الأدباء أعلام لهم (فورم) لغوى بلاغى كالأستاذ الزيات أو الدكتور طه وإنما الفورم عند توفيق بهاء • • • فخامة • • صورة غنية هيئة فن • • أو بلاغة • •

إن توفيق الحكيم مغرم بالصورة يرسمها حتى لنفسه • زعموه عدوا للمرأة وهو صديقها فلم يشأ أن يكذب هذا الزعم فى الثلاثينات • إنه فى ذلك الوقت يخدم الشهرة على الأقل • • وقد كان •

إن المرأة فى أدب توفيق الحكيم طويلة القائمة من ذكاء ومضاء وصلابة وإصرار وقوة شخصية تتمثل فى « شمس النهار » و « شهرزاد » و « بهانه » فى يا طالع الشجرة •

كما رسم توفيق الحكيم لنفسه صورة البخيل وراح يؤكد لها للناس ويعمق خطوطها من وقت إلى آخر ليستريح فلا يقطع عليه سراحته أو سباحته طلاب حاجة أو أدياء الحاجات •

نال الدكتور محمد كامل حسين جائزة الدولة التقديرية • فاستحضر توفيق الحكيم ورقة تلغراف تهنئة وكتب عليها تهنئة طويلة تقدر بجنيهين غير أنه أرسلها مع ساعى الأهرام إلى عيادة الدكتور كامل حسين الذى دهش لكنه لم يصدق ، بسهولة هذا الكرم التوفيقى الذى يبلغ حد الإسراف • • ولاح له خاطر • • فطلب أن يرى حامل البرقية • • وهذا قهقهه ضاحكا • • •

أذن البرقيه لم تتكلف غير تذكرة اتوبيس • ولما تقابلا فى المجمع توقع توفيق الحكيم الشكر الجزيل على برقيته فإذا بالدكتور كامل حسين يكاشفه بسر البرقية فأغرق فى الضحك •

يقول الدكتور كامل حسين : لقد استطاع توفيق أن يجعل من بخله ، طرفة خفيفة الدم •

عند طه تستطيع أن تقع على اللفظ .. العيارة .. الموسيقى وعند
الزيات حفل حافل منها ولكن عند توفيق خط سير .. تدبير .. تكتيك ..
هدف .. فلسفة .

وفي أدبنا الحديث مدارس عرف بها أصحابها وتوفيق أحد هؤلاء
ولكنه أيضاً يختلف عنهم . فالعقاد صاحب مدرسة الفكر ، والزيات صاحب
مدرسة الأسلوب ، وطه صاحب مدرسة النقد ، ولكل منهم تلاميذ ومريضون
يتطلعون إلى شخصياتهم . هي شخصية آسرة حتى ليحاول هؤلاء التلاميذ
تقليدهم . وكثيراً ما يحدث أن يكون التقليد مضحكا وإنما مدرسة توفيق
مدرسة متشعبة .. إنها غير متميزة محددة بل هي مدارس متشعبة
زوايا ..

فبعد (عودة الوح) طلع علينا أدبيننا نجيب محفوظ بقصصه ذي
الملامح (البلدية) . ومن (الرباط المقدس) تخرج إحسان عبد القدوس
وإن كان قد اقتصر على زاوية واحدة وتوسع فيها .
ووراء (شهرزاد) سارت (شهرزاد) أخرى من عمل باكثير .
وظهر أدب التمثيليات القائمة على الأساطير كما ظهر في الأدب بعد سنة
٣٣ ، الأسلوب التصويري تملأ له كتابات توفيق الحكيم .

وتوفيق الحكيم لا يتذكر الأسماء وإنما يذكر الإنسان بصورته حتى وإن
كان عهده به سنى الطفولة الأولى .. إن عدساته بصرية فهو بحفظ الملامح
والمشية والحركة دون أن يذكر الاسم ، هل السريكمين في حبه للعزلة
وإيثاره لها ؟ فهو يراها منبع التفكير حتى ليعد الذي أمضاه وحده من حياته
أكثر من مجموع الأوقات التي أمضاها مع الناس . هل هي الوراثة فقد
كان والده من طائفة المناطقة فلم يحدث أن عرفت له حياة صاخبة .
وقد يقول قائل : وولعه بالمرح ماذا فيه من العزلة ؟ ولكن المسرح عنده
لا يتجاوز فترة العرض فهو يراه ثم ينطوى على نفسه من جديد .
حتى المجتمع الذي صورته إنما رآه من خلال عمله أو ظروف حياته .

والإنسان عادة إنما تظهر طبيعته بعد العمل فإن العمل يجمع أو يتساوى فيه الناس حيث التواجد في ميدانه ولكن بعد العمل يختلف التصرف وتختلف تبعاً له الدلالات والأحكام .

إن السنوات منذ سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤٥ تعتبر في حياة توفيق الحكيم عزلة حقيقية . والأدب العربي مدين لهذه الفترة بكل ما جاد به توفيق الحكيم . وهو انساني النزعة رصد ما يربو على عشر مسرحيات لمحاربة الحروب داعياً إلى انسانية العلم أى تسخيرها لحساب السلم لا لحساب الحرب .

والأدب توفيق الحكيم جملة ، ميزة خاصة يكاد ينثرد بها تلك هي وحدة هذا الأدب . فهو كالبنيان أو الهرم لا تستطيع أن تستغنى عن أصغر حجر فيه دون أن تظل به . فمؤلفات توفيق الحكيم يكمل بعضها بعضاً ويتجاوب بعضها مع البعض (فعنان) في (الخروج من الجنة) ما هي إلا شهرزاد عصرية تحاول أن تجعل زوجها خلقاً جديداً . وأهل الكهف وما فيها من الرحلة الزمنية أعيدت في شكل عصرى في مسرحية (رحلة إلى الغد) ولحاحات من مسرحية (لو عرف الشباب) التي مثلت باسم (عودة الشباب) .

وهناك ظاهرة تستأهل الوقوف عندها هي ظاهرة امتزاج العامية بالعربية عنده خاصة في الحوار .

والعامية بدورها لها في أدب توفيق الحكيم (قصة) . فقد كان في مطلع حياته الأدبية يتعمدها ، تأكيداً للمصرية وامعاناً في تحري رسم البيئة المحلية . لقد كتب سنة ١٩٢٦ وكان وقتئذ في باريس ، عن العوالم والمحيطات والرقاقة وكلام السيم هل كان هذا تعبيراً عن الشوق إلى مصر أم لأن هذه الصورة بالذات لا توجد هكذا إلا في مصر ؟ (كتاب عوائيم الفرج) .

وكانت (المصرية) غريقا يصارع تيارات مختلفة فالترك والبدو والانجليز وغيرهم كلهم كان يزاحمها في أرضها • وقد أحس هذا الكاتب إحساسا عميقا فحاول في (عودة الروح) انقاذ عواطفنا بألفاظها • فالعامية في بواكير انتاج توفيق الحكيم كانت تأتي في السياق بالسليقة حين يصطنعها الشباب الان على سبيل (المذهبية) زاعمين أن صنيعهم مذهب أدبي جديد •

وتوفيق الحكيم يكره عملية الانشطار • لعلها تضايقه • إنه يفضل للزجل أن يكون عاميا خالصا أو للموضوع أن يكون عربيا خالصا • انه لا يحب التعصب للعامية أو للعربية بل يود لكل منهما أن تسير في ميدانها الذي تتألق فيه ويكون الحكم بينهما السليقة الفنية الدقيقة وحدها لا التمذهب ، فحين تقتضى هذه السليقة الفنية ، العامية ، فلا بأس من استخدام العامية •

وهذا المبدأ أو هذه الظاهرة واضحة في أدبه من حيث المضمون • فأدبه إما قصص أفكار وإما قصص شخصيات • ففي عصفور من الشرق كان معنيا بفكرة هي : روحانية الشرق و « مادية الغرب » • هذه الفكرة كانت همه كله في القصة كلها ومن ثم طغت عنده على كل شيء لم يعد يحفل ببائعة التذاكر ولو أن القصة كانت مقننة متوخية الفن القصصي وحده لنتبع حياة هذه الفتاة إلى النهاية واتخذ منها مادة للاضافة في العرض والتشويق • ولكنه كان ممتلىء النفس والواعية بفكرة • يطرت عليه فسخر لها العمل الفني كله حتى لم يعد كل شيء إلا وسيلة لها • وحين يكون الكاتب صاحب فكرة أو صاحب دعوة معينة يجب ألا يحاسب على سواها أو يقتصد في حسابه على الأقل • ولكن النقاد عندنا نصبوا ميزانا واحداً للكاتب وأعمله كلها دون اعتبار لمرامي الخفية • لقد كان توفيق الحكيم في (عودة الروح) مثلاً ، راسم الشخصيات •• (حنفى •• زنوبة •• عبده • الخ) • وكل شخصية من هؤلاء تستطيع أن تجد لها في أي وقت في البيئة

المصرية ولكن السادة النقاد حتى في هذه القصة أخذوا عليه أن جعل
الاشادة بمجد مصر على لسان مفتش الرى الانجليزى ورجل الآثار الفرنسى
وكان الظن (بالاشادة) أن تأتي على لسان الأشخاص المصريين في
الرواية . ولكنه رأى رأيا آخر أن يشهد بالفضل الأعداء وأن تنطلق
الشخصيات المصرية خفيفة بسيطة كما هي في الحياة . . . وكأني به يتساءل
كيف يتفق أن تفكر زنوبه مثلا مثل هذا التفكير العميق أو كيف تتأتى هذه
المعاني لعبده . . . ولكن النقاد أو أغلبهم . . . لا يعايشون الكاتب . .
لا يصادقونه . . . لا يستشعرون أحاسيسه . . . مشاعره . . . مرامييه .



وحياة الفنان توفيق الحكيم صورة أخرى من فنه كأنها صيغت على
مثاله هي الأخرى . حياة مرسومة مبنية كالهرم أو كأدبه ولهذا لا تتغير
بسهولة ، حتى المرأة التي طوعت الكثيرين لم تغير خط سير الفن عنده . .
بل إنها لم تستطع أن تدخل عليه محرابه إلا بعد تصريح بطيء آذنها
بالدخول . . ففي سنة ١٩٢٩ حاول أهله تزويجه مادام قد صار وكيلا
للنيابة فعارض رغبتهم لأنه كان في صميم التكوين الفكرى . . في
صميم تحقيق ذاتيته الفنية ولا يريد لها أن تنحرف أو ترتبك . . فلما
انصبت هذه الحياة في القالب . . قلبه الفتى حتى لم يعد يخشى عليها
أى مؤثر تزوج بعد أن أطمأن على نفسه . . اطمأن على يومه وغده من
من ناحية الفن . . لقد نفذ برنامجه الحاشد أو معظمه . . هنا كان
لابد له أن يتزوج حتى لا تجف حياته . . وكأني به كان يريد أن ينتعش
فغير المنظر . . وهنا أيضا تبدو سيطرة « الصورة » عليه . . إن الزواج
في وقته المعلوم من حياته كان صورة أخرى . . منظرا آخر .

إذن نستطيع أن نقول بل إنى أوقن أن (توفيق الحكيم) لم يكره
المرأة كما شاعت صحفنا أن تصوره بل إنه كان (سارحا عنها) .
ولكن المرأة لم تغفل لحظة عن (توفيق الحكيم) . . قرأته متأدبة . .
وتصدت له ناقدة . . وأخيرا أسرته زوجة : فهل له من فكاك ؟ . .
هيهات يا أبا اسماعيل . .

- ١٩٤٠ — حمار الحكيم
١٩٤١ — سلطان الظلام
١٩٤٢ — تحت المصباح الأخضر
١٩٤٢ — بجماليون
١٩٤٣ — من البرج العاجي
١٩٤٣ — سليمان الحكيم
١٩٤٣ — زهرة العمر
١٩٤٤ — الرباط المقدس
١٩٤٥ — رصاصة في القلب
١٩٤٥ — شجرة الحكم
١٩٤٩ — الملك أوديب
١٩٤٩ — قصص توفيق الحكيم
١٩٥٠ — مسرح المجتمع
١٩٥٢ — فن الأدب
١٩٥٣ — ذكريات الفن والقضاء (عدالة وفن)
١٩٥٣ — عصا الحكيم
١٩٥٤ — أرني الله
١٩٥٤ — دقت الساعة
١٩٥٤ — تأملات في السياسة
١٩٥٤ — حماري قال لي
١٩٥٥ — التعادلية
١٩٥٥ — إيزيس
١٩٥٦ — المسرح المتنوع

١٩٥٧	— الصفقة
١٩٥٧	— رحلة إلى الغد
١٩٥٨	— الأيدي الناعمة
١٩٥٨	— لعبة الموت
١٩٥٩	— أشواك السلام
١٩٥٩	— أدب الحياة
١٩٦٠	— السلطان الحائر
١٩٦٢	— ياطالع الشجرة
١٩٦٣	— الطعام لكل فم
١٩٦٤	— رحلة الربيع والخريف
١٩٦٤	— سجن العمر
١٩٦٥	— شمس النهار
١٩٦٦	— مصير صرصار
١٩٦٦	— الورطه

وقد ترجم من هذه المؤلفات ما يربو على العشرين إلى الانجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والاسبانية والألمانية والسويدية .

ومسرحية (أهل الكهف) نشرت في كتاب عام ١٩٣٣ فلاقت نجاحاً كبيراً وافتتحت بها الفرقة القومية أولى مواسمها عام ١٩٣٥ .

وتوفيق الحكيم مثلت رواياته على مسارح أوروبا وقام بتمثيلها بعض أكابر ممثلي العالم ومنهم السير جون جيلجود .

وقد منح توفيق الحكيم أرفع وسام في الدولة وهو « قلادة الجمهورية » تقديراً لما أسداه إلى الأدب والفكر من ذات نفسه . كما منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب .

عبد الوهاب عزام



الإسلام والعروبة — أول من عمل في مصر
على إنشاء الدراسات الشرقية — أول من
علم الفارسية والتركية — عزام والشاعر
محمد عاكف — عزام والشاعر محمد اقبال
— الشنوبك بلاؤه في ثورة ١٩١٩ — كتاب
القرية — الأزهر — القضاء الشرعي —
الجامعة المصرية — جامعة لندن — التدريس
بكلية الآداب ثم عمادتها — جامعة بغداد —
وزارة الخارجية — عزام الوزير — السفير
— مدير الجامعة — المؤتمرات الدولية —
المجامع العلمية — اللغات : التركية .
الفارسية . الأردية . الانجليزية . الفرنسية
— كتبه وأبحاثه — عزام الإنسان — عزام
الأب — من خطابه الشخصية .

هناك في بلدة الشوبك الغربى من أعمال مركز العياط في مديرية
الجزيرة ولد عبد الوهاب عزام في أول اغسطس سنة ١٨٩٤ (١) •
كان الدكتور عبد الوهاب عزام في حياته صاحب رسالة ظل عمره
يعيش لها ويحيا بها ويدعو إليها ولما قضى مات عليها • وكانت رسالته
وهو : الإسلام والعروبة • كانا قبلته مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا
ومناضلا • كانا شغله الشاغل مقيما ومرتحلا فهو في مصر يجمع القلوب
عليهما في الآثار الأدبية عربية وشرقية • وفي بلاد العربية يجوب البقاع
ويحقق الأمكنة ويقف بالمعالم التاريخية يسجل عن الطبيعة ويعكف على
الكتب فسد مأرب وسرق عكاظ ومواطن الذكريات من الجزيرة العربية
معالم دراسية مشهودة في آثار عبد الوهاب عزام العالم الأديب •

* * *

والدكتور عبد الوهاب عزام رائد من رواد الحركة الفكرية المصرية فهو
أول من عمل في مصر على إنشاء الدراسات الشرقية وأول من علم الفارسية
والتركية وآدابهما في الجامعة •

وهو أول من قدم إلى العرب شاعر الإسلام محمد عاكف فأتاح
له منبر الجامعة ووصله بطلابها محاضرا • وأذاع شعره على صفحات
الرسالة •

وبعد الشاعر التركي العظيم قدم رجلنا عبد الوهاب عزام إلى
العرب ، والمسلمين الشاعر الفيلسوف المؤمن كما كان يدعو ، شاعر
باكستان محمد إقبال •

* * *

وبلدة (الشوبك) مسقط رأس عبد الوهاب عزام لها قصة طريفة ،

(١) ذكر الدكتور زكى المحاسنى في مجموعة محاضراته عنه أن ميلاده
كان سنة ١٨٨٤ ولكن الاستاذ مجد الدين عزام شقيقه - قال بالتاريخ الذى
ذكرته أى سنة ١٨٩٤ •

فالعزامية عرب ينحدر خط هجرتهم من الشمال (١) وكلما حلوا ببلد سموه (الشوبك) اسم موطنهم الأصلي * ففرع آل عزام في الاردن بلدتهم «الشوبك» في شرق الاردن وفرع عزام في الشرقية بلدتهم الشوبك شرق بندر الزقازيق وفرع عزام في الجيزة بلدتهم الشوبك في العياط ويدعوها على باشا مبارك (شوبك الجيزة) ويعرفها بأنها (قرية من مديرية الجيزة بقسم ثان موضوعة على الشاطئ الغربي للبحر الأعظم في شمال ناحية مزغونة بنحو ألفين وخمسمائة وخمسين متراً في الشمال الشرقي لدهشور بنحو أربعة آلاف وخمسمائة متر * وأغلب مبانيها باللبن وبها زاوية للصلاة وبدائرتها نخيل * وكانت في السابق في البر الشرقي فأكلها البحر فانتقلت إلى البر الغربي (٢) *

وفي ثورة سنة ١٩١٩ كان لبلدة الشوبك دور بارز لم تخطئه عين الإنجليز فأوسعوا أهلها قتلاً وتعذيباً سجلته عليهم لجنة الوفد المركزية باسم واقعة الشوبك والعزيرية * وكان مأمور الضبط في ذلك الوقت الاديب دسوقي أباطة *

وحين داهم الجنود الإنجليز الشوبك ونشروا الرعب فيها أبلى عبد الوهاب عزام في مكافحة الطغيان بلاء حسناً ، وألف مع بعض المثقفين من أبناء القرية جماعة تنتشر وقائع الاحتلال وترسل منشوراتها إلى شتى أنحاء العالم * وحاول الاستعمار أن يوقعه في حبائله ، فداهم منزله وضبط لديه مسدساً وكان هذا كافياً لأن يتقرر الحكم بإعدامه *

على أن أحد الطرابلسيين من أصدقاء أسرة عزام كان يتمتع بالحماية الإيطالية وقت أن كان لهذه الحماية شأن كبير *

(١) لفظة شوبك في التركية معناها (البية) فهل كان موطن أسرة عزام في شمال سورية عند الحدود التركية ؟ وهل يرجح هذا الفرض وجود فرع للعزامية في شرق الاردن ؟
(٢) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ١١٤ ط الاميرية .

وفي يوم المحاكمة تقدم هذا الصديق إلى المحكمة العسكرية وأكد أن المسدس يخصه هو وقد نسيه في منزل عبد الوهاب عزام و • ولم يملك الاحتلال إلا أن يقضى — على كره منه — ببراءته •

ويبدو أن هذه الواقعة التي لا تنسى في حياة الأفراد ، لم تشب صفاء نفسه فقد سئل مرة أن يكتب عن الجلاء في وقت لو سئل الكتابة أشد الناس حلاًماً فلا بد أن يبتدره استغزاز المستعمر وما أكثر استغزازه ، ولكن الدكتور عزام حين كتب عن الجلاء لم يفارقه هدوء العالم أو سمة الحكيم ، على ولائه الطبيعي لوطنه وإيمانه الراسخ به وحبه العميق له • لقد كتب الدكتور عزام بعد أن شرح القضية المصرية : (إن انجلترا تربح بهذا الجلاء ولا تخسر شيئاً ، تربح الوفاء بالوعد ، والخضوع للحق ، وتكسب قلوب المصريين والعرب كلهم • • والمسلمين من ورائهم ، ولها الخيار في أن ترضى لنفسها الربح أو الخسارة ، وأما مصر فلا خيار لها فإن استقلالها وكرامتها ومكانتها بين البلاد العربية والإسلامية كل هذا يؤدي حتماً إلى الجلاء وهي ظافرة به قريباً إن شاء الله •

إن الزمان لا يرجع القهقري ، والأمة الحية العزيزة ، لا تتردد عن وجهتها • ومصر خاصة قد حشدت كرامتها وعزمها وقلوبها ، ولن يردّها عن غايتها شيء ومن ذا يرد السيل إذا هدر أو من ذا يرد على الله القدر ؟ (١) •

عفة في اللسان والقلم كانت أجلى سماته •



سعى عبد الوهاب طفلاً إلى مكتب القرية شأن لداته من أقطاب الرعيل الأول في طفولتهم فحفظ القرآن الكريم وتهاياً للأزهر الذي وصله أبوه (٢) به فأقبل على العلوم الدينية واللغوية وأخذ مجلسه من شيوخه متقبلاً حافظاً • تكمل ما سمع وتعمقه ، قراءاته الكثيرة الواعية •

(١) مخطوط اطلعت عليه في مكتبته •

(٢) كان والده الشيخ محمد حسن عزام عزيزاً في قومه وعضواً بمجلس الشورى •

وانتقل من الأزهر إلى مدرسة القضاء الشرعى وكانت وقتئذ مدرسة حديثة تجمع طرفا من علوم الدين والـدنيا فدرس بها عبد الوهاب إلى جانب الدين واللغة ، التاريخ والجغرافيا . . . والرياضيات وبعد تسع سنوات منحه شهادة العالمية وكان ذلك سنة ١٩٢٠ •

ولما كان أول خريجها فقد عينته مدرسا بها • وفى هذه الأثناء دخلت حياة مصر الجامعة المصرية القديمة فتطالع إليها مع أهل الطموح عبد الوهاب عزام فنال الليسانس فى الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣ وهنا اختير مستشاراً دينياً للسفارة المصرية فى لندن فلم تقعد به همته فى مقامه الجديد فاتجه إلى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن وظفر سنة ١٩٢٧ بدرجة الماجستير فى اللغات الشرقية وكان موضوع رسالته (التصوف فى رأى فريد العطار) •

وعاد إلى مصر بعدها فانتظم فى سلك هيئة التدريس بجامعة القاهرة مدرسا فاستاذاً مساعداً سنة ١٩٣٤ بعد أن أحرز درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢ وكان موضوع رسالته شاهنامة الفردوسى • ثم أستاذاً للأدب العربى سنة ١٩٣٩ ثم رئيساً لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية ثم عميدا لكلية الآداب سنة ١٩٤٥ فمديرا للجامعة بالنيابة سنة ١٩٤٧ •

وفى هذه الأثناء انتدب مرتين للتدريس فى جامعة بغداد •

وتطلعت إليه وزارة الخارجية فنشبت به الجامعة • فقد قرر مجلسها فى ١٩٤٧/١١/٣ أن الجامعة (لا يمكن أن تستغنى عن حضرة الدكتور عبد الوهاب عزام نهائيا وإنما يوافق المجلس على ندب سيادته مؤقتا لمدة ثلاثة شهور يعود بعدها للجامعة) فلم تملك وزارة الخارجية إلا ندبه فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ للقيام بأعمال مندوب فوق العادة ووزير مفوض لمصر بالمملكة العربية السعودية • ثم ندبته سفيرا لمصر بالباكستان سنة ١٩٥٠ ثم سفيرا لمصر بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٤ • وملا

هذا المنصب حتى أول أغسطس سنة ١٩٥٤ وهو تاريخ بلوغه سن الإحالة من وجهة النظر الوظيفي • وهنا اختاره الحجاز مؤسساً ومديراً للجامعة التي أنشأها بالرياض سنة ١٣٧٧ هـ فخلص لها حتى اختاره الله الأكرم جوار نقى السيرة باقى الأثر •

وعاد إلى مصر عبد الوهاب عزام للمرة الأخيرة أو عادوا به إليها ليوسدوه ثرى غاليا ، اليه وحده يسكن المصرى الجوّاب بعد طول المطاف

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ استقبل مسجد عزام بطلوان العائد المسجى يطاف به فى كل حين وتقام إلى جواره الصلاة ويتلى على ضريحه القرآن ترتيلاً •



كان عبد الوهاب عزام شريف الحياة كبيرها •• وقد عرف وطنه قدره كما عرفت أوطان أخرى أنزلته منها رفيع المكان فجلب اسم عبد الوهاب عزام فى الجامعات العلمية والمؤتمرات الأدبية والفكرية • مثلاً مصر فى الشرق والغرب وسفر لها وتكلم باسمها وشرف بها كما شرفت به •

انتخب الدكتور عبد الوهاب عزام عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية (سنة ١٩٣٤) •••

وانتخب الدكتور عبد الوهاب عزام عضواً بالمجمع اللغوى فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ • واختير الدكتور عبد الوهاب عزام عضواً فى مجامع سوريا والعراق وإيران التى قلدته الوسام العلمى من الدرجة الثانية سنة ١٩٣٥ ، كما قلدته حكومة لبنان وسام الأرز الوطنى من درجة كمندور سنة ١٩٤٧ ، ومنحته جامعة (دكا) بالباكستان الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٥٢ • أما المؤتمرات فقد سمعت مصر من خلاله ورأتها فيه ندية كريمة بالغة الأثر •

مثل الدكتور عبد الوهاب عزام جامعة القاهرة في مؤتمر العيد الألفى للفردوسى سنة ١٩٣٤ ، ومؤتمر بروكسل سنة ١٩٣٨ ، والاحتفال بأبى الطيب المتنبى في بغداد سنة ١٩٣٦ ، ومؤتمر أبى العلاء المعرى بدمشق سنة ١٩٤٤ ، ومؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات المجتمعة في جامعة البنجاب بمدينة لاهور سنة ١٩٥٧ • وكان رئيسا للمؤتمر وممثلا لجامعتى القاهرة والرياض معا • وقد جلى فيه حين تحدث عن (تحدى الأفكار الحديثة والآراء الاجتماعية للجماعة الاسلامية) •

وهكذا أتاحت له شخصيته العلمية والأدبية ومكانته في قومه ، الرحلة إلى كثير من البلاد في الشرق والغرب خاصة البلاد العربية وتركيا وإيران وباكستان والهند مما أتاح له بدوره أن يللم بلغات كثيرة بل يحسن غير قليل منها قراءة وكتابة وأدبا •



كان عبد الوهاب عزام يجيد التركية والفارسية والأردية والانجليزية والفرنسية •

وبهذه الإجادة سفر لمصر مع السفارة السياسية السفارة العليا كما يسميها الأستاذ العقاد حين كتب مقدمة ديوان الدكتور عزام « المثنى » : (وكان لدراسته الفارسية والأردية أثر في تقريبه ثقافتها يحسب من سفارات الأدب التى تعاون فيها العلم والعمل • ومن هذا التقريب الذى لم يسبق إليه ، تعريفه قراء العربية بتاريخ الرباعية في الآداب الفارسية والعربية ، فهو أوفى ما كتب بلغتنا في هذا الموضوع) •



ولم تقف إجادة الدكتور عبد الوهاب عزام للغات الشرق والغرب وإدراكه العميق لحضارتيهما عند حدود الثقافة الخاصة للفرد ، بل

تجاوزت هذا المعنى على رفعته ، إلى ما هو أعم وأشمل وأنفع فألف الكتب ونقل الآثار وعرف بالرجال وراى الأماكن وحقق المواقع •

جمع الله فى لسانه ، كما يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف فى رثائه ، (السنة العرب والفرس والترک والهند أعظم أمم الحضارة الإسلامية • فكانت داره نادیهم وموائده قراهم ، وكان موضع ثقته وإعزازهم وسفير بعضهم إلى بعض ، وترجمان التعارف والأخوة بينهم كالرحم الواسلة الموصلة فيهم وكالفكرة والعقيدة الموحدة لهم فى زمن أصاب المسلمين فيه داء الاقوام من النعرات القومية والوثنية الاقليمية والمنافرات الشعبوية والمنازعات على أشجار الأرض من وطنهم الإسلامى الواحد بعد أن كان الإسلام قد اطفأ فى قلوبهم جمرات العصبية الجاهلية وأحيا فيها روح الوحدة الانسانية • فكانت حياة عبد الوهاب عزام سياحة مستمرة بالروح الواعية فى عوالم الفكر والجسم والرحلة فى فجاج أرض العروبة والإسلام يصل بينها العلاقات المقطوعة ويثبت فيها الركائز المزعزعة ، ويوقظ الغافلين ويعلم الراغبين ، ويأخذ لنفسه زادها من المعرفة والأخوة ثم يعطيه أئمة دروساً ومقالات وخطبا وقصائد وترانيم وكتباً فى أدب البعث العربى للنهضات الإسلامية الحديثة) •

كان علامه •• وكان امامه •••• وكان الوسط الذهبى وضعا وموضعا • وقد نقل عنه الأستاذ مصطفى السقا أسماء كتبه ومضامينها (١) من مذكرة كتبها الدكتور عزام بنفسه قبل وفاته جاء فيها :

١ — الرحلات الثانية (٢) :

(طبع فى القاهرة لأول مرة سنة ١٩٥١) وهى فصول تضمنت وصف ما رأيته فى أسفارى فى جزيرة العرب وبلاد أخرى وأرسل مع الرحلات

(١) صحيفة اليمامة العدد ٢١١ الصادر فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٠ .

(٢) للدكتور عبد الوهاب عزام (الرحلات الأولى) •

الثانية ، الأولى ، للاستئناس بها ، وقد نشرت الحالات الأولى سنة ١٩٤٧ ، وأعيد طبعها سنة ١٩٥٠ واشتملت الطبعة الثانية على فصول جديدة •

ومن الطريف أن اهتمامه بتسجيل رحلاته كان منصرفا أكثر إلى رحلاته الشرقية والعربية وكأن هذه البلاد بيته فهو به أعلق وأشد احتفالا •

٢- وكتاب الشوارد :

(طبع في كراچی الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣) وهو خطرات سنة كاملة بدأتها في الحجاز ، وختمتها في باكستان خمس وستون وثلاثمائة خاطرة ، كل واحدة في صفحة على حده • وقصدت فيها إلى مقاصد منها دعوة النشء إلى الحياة الكريمة الطاهرة الأدبية وتبصيرهم بالفضائل العالية ، وحضهم على الاستمسك بالنظام والطاعة ، ورفعهم عن مستوى العيش الذليل ، إلى مستوى الحياة العزيزة والسمو بهم إلى كل مقصد روحي عال ، والتعالى بهم عن كل مطمع مادي شامل •

٣- كتاب النفحات :

(طبع في القاهرة للمرة الأولى هذه السنة) وفيه خاطرات ثلاثة رمضانات ، في ثلاث سنوات متتابعات • وأرجو أن يكون فيه براءة للشبان من أدواء ، وعصمة من الشيوعية والاباحية وما إليها من آفات هذا العصر •

خاطرات الشهر الأول :

مقالات منشورة مرسلة والخاطرات الثانية منظومة كلها ، والثالثة مسجوعة ، تنتهى كل واحدة منها ببيتين من الشعر ••• هى إلى قيمتها الأدبية في النظم والنثر تقصد إلى إشراب النفس حب الخير والحق والجمال والنظام ، وتنفيها من الدنيا والصغائر •

٤ — ومنظومة اللمعات :

(طبعت مع رسالة المشرق لأول مرة سنة ١٩٥١ في كراچی) وهى منظومة فيها زهاء ستمائة بيت أهديتها إلى الشاعر محمد إقبال اجابة لبعض دواوينه • وهى منظومة بدع فى اللغة العربية فى الموضوع والأسلوب •

٤ — وديوان رسالة المشرق :

(ترجم من اللغة الفارسية وطبع سنة ١٩٥١ فى كراچی لأول مرة) •

وهو ديوان للشاعر الفيلسوف الكبير محمد إقبال المتوفى سنة ١٩٣٨ جواب لديوان المغرب الذى نظمه الشاعر الألمانى الكبير جوته • فى الديوان رباعيات وقصائد فى فنون شتى ، تعد من أسمى ضروب الشعر فى الأمم كلها • ترجمته نظماً • وذلت له اللغة القوافى على غرابة موضوعاته فى اللغة العربية وبعد كثير من معانيه عما ألفه الشعر العربى •

وأرجو أن يكون ثروة جديدة فى أدبنا وفاتحة لهذا الضرب من المنظومات المعروف فى اللغات الإسلامية •

٦ — وديوان ضرب الكليم :

(ترجم من اللغة الأردنية ، وطبع الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ فى القاهرة) وهو ديوان للشاعر نفسه ، فيه نظرات فى الحياة والاجتماع والفنون والآداب نظرات فلسفية تبين عن فلسفة إقبال الذاتية وتطبيقها فى مظاهر الحياة كلها •

٧ — وموقع عكاظ :

(طبع فى القاهرة أول مرة سنة ١٩٥١) • كان أدباء العرب ومؤرخوهم فى اختلاف على موقع سوق عكاظ • وذكر الأدباء المعاصرون مواضع فى الحجاز زعموا أن السوق كانت تجتمع فيها • وقد جمعت ما فى كتب

الأدب والتاريخ عن سوق عكاظ وذهبت إلى الطائف في يولييه ١٩٥٠ وطبقت النصوص على ما كان يقع إلى الشمال الشرقي من الطائف غير الأمكنة التي ظن الباحثون أنها عكاظ • لم يبق مجال للشك ، ولا مساع للاختلاف في أن المكان الذي عينته هو موضع عكاظ •

وقد نشرت في هذا بحثا ألحقت به مقالين لأستاذين نجديين وافقا على رأيي ، بعد أن أعلنت به ، وحاضرت فيه ، في مؤتمر الثقافة العربية الذي اجتمع في الاسكندرية صيف ١٩٥٠ •

٨ — وكتاب الأوابد :

(الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ في القاهرة) مقالات ومنظومات تقصد إلى ما أقصد إليه في كل كتبي ، من رفيع الأسلوب الأدبي في اللغة العربية وتيسيره وإعلاء المستوى الروحي والخلقى • والاعتزاز بأنفسنا والاعتداد بتاريخنا في نفوس شبابنا •

وقد زيد في الطبعة الثانية التي طبعت في خلال السنوات الخمس الأخيرة نحو ثلث الكتاب ، والثلثان طبعا من قبل فلا ينطبق عليها شرط الجائزة الأدبية ولكني أقدم الكتاب للاستئناس به •

٩ — وكتاب محمد اقبال :

سيرته وفلسفته وشعره :

ألفته للتعريف باقبال في العالم العربي وليكون مقدمة لقراء دواوينه الفلسفية التي ترجمتها الدولة إلى العربية • وقد تولت طبعه حكومة باكستان في القاهرة •

١٠ — ومن الكتب القديمة التي نشرتها كتاب « الورقة في تاريخ الشعراء » لمحمد بن داود بن الجراح أحد وزراء الدولة العباسية • وقد طبع من نسخة مخطوطة عثر عليها في إيران ولا يعرف لها نظير في العالم •

وشارك في تصحيحه عبد الستار فراج من موظفى المجمع • وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٣ •

١١ — والمثنائى :

وهو رباعيات فلسفية وأخلاقية • (صدرت سنة ١٩٥٤) وهى ثلاثمائة رباعية وقد أثر أن يسميها « المثنائى » لا الرباعيات حتى لا تقترب فى الموضوع برباعيات الخيام • إذ نظمها كلها فى التأمل الدينى فضلا عن فروق فنية يراها • • على أن « المثنوية » عنده تتألف من بيتين •



وذكر الدكتور يحيى الخشاب (١) من مؤلفاته :

- ١ — مدخل الشاهنامة العربية للبندارى ، ١٩٣٢ •
 - ٢ — التصوف وفريد الدين العطار ، ١٩٤٥ •
 - ٣ — مهد العرب ، دار المعارف ١٩٤٦ ، ١٩٥٥ •
 - ٤ — الأدب الفارسي بالاشتراك مع يحيى الخشاب ١٩٤٨ •
 - ٥ — ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام • بغداد ١٩٣٦ ، والقاهرة ١٩٥٦ •
 - ٦ — نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، مطبعة المقتطف ١٩٣٨ •
 - ٧ — المعتمد بن عباد (ظهر بعد وفاته سنة ١٩٥٩) •
- كما أضاف الدكتور يحيى الخشاب إلى مترجمات راجلنا الدكتور عبد الوهاب عزام :

- ١ — فصول من المثنوى (عن الفارسية) ١٩٤٦ •

(١) مجلة كلية الآداب المجلد التاسع عشر الجزء الأول مايو سنة

١٩٥٧ • (زينبنا قليله ليهنا ننا • زينبنا زينبنا ننا ننا ننا ننا)

٢ — جهاز مقالة ، عروض (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب ١٩٤٩ •

٣ — اتحاد المسلمين لجلال نوري (عن التركية) بالاشتراك مع الأستاذ حمزة طاهر ١٩٢٠ •

٤ — مقتطفات كثيرة من الشعر الفارسي والشعر التركي نشرت في مجلة الرسالة وغيرها •

٥ — ديوان الأسرار والرموز ، اقبال مطبعة المعارف ١٩٥٦ (١) •
وقد عكف على ترجمته ، سنة كاملة •



ومن بحوث الدكتور عزام مما نشرته له مجلة المجمع اللغوي ، بحث ألقاه في الدورة الرابعة عشرة بعنوان (صلات اللغة العربية باللغات الإسلامية) ، وبحث ألقاه في الدورة الخامسة عشرة في موضوع :

« أسماء العشب والشجر في بوادي العرب » وبحث في الدورة السابعة عشر بعنوان (الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة العامية المصرية) وبحث في الدورة التاسعة عشرة بعنوان (الألفاظ العربية في اللغات الإسلامية غير العربية) •

وقد أشار الأستاذ مصطفى السقا إلى بحوث أخرى متتابعة في أدوار انعقاد مؤتمر المجمع اللغوي ابتداء من الدورة الثانية والعشرين إلى دور الانعقاد في سنة ١٩٥٩ وكان موضوع بحثه فيه عن الشعر النجدي المعروف بالشعر النبطي في جزيرة العرب •

(١) ارسل الشاعر « اقبال » في ختام منظومته الثانية من ديوانه (الأسرار والرموز) خطابا الى المرأة المسلمة يناجيها :
(يا أمينة على الشرع المبين • ان أنفاسها حياة الدين)

- ومن أبحاث الدكتور عزام •
- التصوف في الشعر الإسلامي (صحيفة الجامعة المصرية) يناير
وأبريل سنة ١٩٣٣ •
- أوزان الشعر الفارسي (نشر بمجلة كلية الآداب) ١٩٣٣ •
- نظرات في سنن المسلمين في كتابة التاريخ (نشر بمجلة جامعة
الرياض) ومن جهود الدكتور عبد الوهاب عزام في ميدان
النشر :
- ١ — الشاهنامة التي نقلها إلى العربية ، البنداري سنة ١٩٣٢ •
- ٢ — ديوان المتنبي ١٩٤٤ •
- ٣ — مجالس السلطان الغوري ١٩٤١ •
- ٤ — كلية ودمنة ١٩٤١ •
- ٥ — رسائل صاحب بن عباد بالاشتراك مع الدكتور شوقي
ضيف ١٩٤٧ •



وصاحب هذه الجهود الموصولة المرموقة كان يأبى عليه تواضعه
إلا أن ينتظمه ، وهو الوزير والسفير والعميد والأستاذ والأديب والشاعر ،
وما أكثر ألقابه وصفاته ، صف واحد في الصلاة مع خدم السفارة •
وتغلبت نفسه الصافية بهذه البساطة ويتعمق مظهرها (وجاوزت هذا
الظاهر الجميل المتناسق إلى ما هو أعظم •• إلى التناسق الباطن في الفكر
والروح ، والخلوص من الصور المختلفة والجزئيات المتعددة إلى المعنى
الذي لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يختلف فيه فكر ولا قلب •• اتصال
هذه الأرواح بالله الواحد ، وانتظامها بالقوانين الشاملة المنتزلة من الله
الواحد ، لينظم الصور المتفرقة ، معنى واحد ، وتجمع الوجهات المختلفة
وجهة واحدة) •

وقد عبر عن هذا المعنى شعراً :

قد تساويننا جميعاً	حين قمنا للصلاة
وركعنا وسجدنا	فاستوت منا الجباه
إنما نحن سواء	عما شـرع الإله
جمعتنا واجبات	وحقوق في الحياه
غير أننا في غنـون العيـ	ش ما فينا اشتباه
من ذكـى وغـبى	وأخـى جـد ولاه
ذاك مأـور وهـذا	أمر فينا وناه
ذاك محـروس وهـذا	حارس يرعى حماه
ذاك مخـدوم وهـذا	خادم ييغى رضاه
وإذا حققـت فالخـ	ادم مخدوم سواء
كلهم مولى ولكن	قيل مولى وفتاه

والدكتور عبد الوهاب عزام الأب كانت كتاباته إلى أولاده نموذجاً
رئعاً من الأبوة أو طرازاً بديعاً من الرسائل :

كتب إلى ابنته (مى) وهو سفير بالباكستان :

بنيتى مى :

السلام عليك وعلى الأولاد والأسرة كلها •• جاءت رسالتك التى فيها
التلبية والدعاء والله يتقبل : وجاءت رسالة أخرى فى حاشية رسالة
الوالدة • فلك شكر آخر •

وأكتفى اليوم بأبيات كتبتها جواباً للتلبية •

لببيك يا مية إذ لبيت أسمعتنى يا مى إذ ناديت
إلى ضفاف السند قد أسريت سمعت فى اليقظة والمنام

* * *

يا أم طارق حماك الله والله رب طارق يرعاه
يحفظه مبلغاً مناه يصحبه السعد على الأيام

* * *

بيبك أم حاتم ووائل يرعاهما الرحمن للفضائل
يرعاهما فى أحسن الشمائل للبر والخير ، مدى الأعوام

* * *

يا أم رضوى سعدت أيامك وتم فى رضوى غدا مرامك
وتم بالسعد عليك عامك ودمت فى سعد لكل عام
امضاء

والسلام إلى أن أكتب مرة أخرى :

وفى المرة الأخرى كتب إلى مى :

عزيزتى مى :

سلام الله عليك وكل عام وأنت بخير .

جاء كتابك عيداً يذكر بالأعياد ، ويحيى الذكريات وأقول ماقاله

شاعر فارسى فترجمته الى العربية :

للناس عيد يجىء يوماً بكل عام ولا يزيد
وأنت عيدى كل يوم أراك فيه لى عيد

ومن كتاب له لمى يترقرق حنانا عذبا كالنيل :

سلام لينة ملء الحنان	وملء القصيد وملء الخطب
سلام لينة تهدى الرياح	شذاه إلى من نأى أو قرب
تعطره نفحات الحجاز	بعطر الدعاء وعرف القرب

* * *

وحج أول حجة سنة ١٩٣٨ وكان يدعو : (يارب نسنى هالة
وأعطنى هالة) وهالة التى يريد أن ينسى ذكرها هى ابنته السابعة
فلم يعقب الدكتور عزام ذكرا • وفيها نظم هذه الأبيات التى يرق فيها
أحلى ما تكون رقة الآباء رحمة وحبا حين يترجم حديث زوجته إلى ابنته
شعرا فيرتفع الحديث اليومى إلى حدث أدبى يحلو على التردد •

أرى الوقت قد حان فى ساعتي	فهاتى لى المشط يا هالتى
امشط شعرك رفقا ولينا	أزين بالتاج هذا الجبينا
وأنشد للمشط حلو النشيد	كأن بشعرك أوتار عود
ويعبث بالشعر هذا الهواء	فيسرى طروبا بهذا الغداء
صنعت لحسنك ثوبا جميلا	يدى أحسنت فيه عرضا وطولا
أراه عليك ككم الزهر	وكالهالة ازدان فيها القمر
جميل عليك فيامهجتى	تعالى تعالى خذى قبلتى
وهاتى كتابك يا مؤنسة	وسيرى سريعا إلى المدرسة

أمى وكيف أقوم بحق الدعاء

أنا وردة غرسها من يديك	فهذا الجمال يعود إليك
أنا زهرة أنت نورتها	أنا روضة أنت نضرتها
ياذنك أمى إلى المدرسة	أسير فمدرستى مؤنسه

وفي سنة ١٩٤٠ هـ تف ابن أخيه بفتياته : (ماما جابت بنت) فخرج
من بين ضيوفه وقد بلغه صوت البشير فقال :

الحمد لله هالة * وقال فيها :

ليـلة القـدر أتتـنا	معها مـولد هـالة
بـارك المـولد شـهر	بـارك اللـه هـلاله
نعم اللـه تـوالـت	كـيف نـوفـى شـكر هـاله
كـيف أحـصى كـل حـين	فـضـل ربـى ونـواله
أبو هالة	

وكتب سنة ١٩٥٩ إلى ابنته فاطمة :

بنيتي العزيزة فاطمة ...

أدعو الله أن يديم عليك العافية ويحوطك بالسعادة ويحقق فيك
الأمل ، ويقرن حياتك بصالح العمل ، ويجعل مستقبلك كفاء ما نرى فيك
من خلق جميل ، وأدب رفيع ، وجد ونشاط أمين .

لفاطمة الحسناء في الدين أسوة بفاطمة الزهراء خير الفواطم
لك الدين والأخلاق والعلم حلية وهذى على الانسان أجدى المغانم

* * *

وخرجت نوار طفلة إلى حديقة البيت وحدها فنبحتها الكلاب
فعادت أدراجها وهي تبكي خائفة فنسجت شاعريته الحنون هذه القصة
أبياتا :

نبح الكلاب ، نوار ، في جنح الدجى فاستعبرت من نبهـن نـوار

لا تغضبى فالكلب ينبـح دائماً وتسير فى أفلاكها الأقمار (١)
وسارت نوار .. وغدت عروسا ، فأماً ، يستقبل الوالد المتحنن
وليدها بهذه الأبيات :

جاء البشير مبشرا	بالخير ما أحلى سماعه
بمحمد فى يوم مولد	أحمد رب الشفاعة
عوذته باسم الرحيم	يحوطه فى كل ساعة
تاريخه حفظ العلى	محمدا فتحي رفاعه

وذهبت إليه يوما أميمه تطلب إليه أن يشتري لها حذاء فلم يمر هذا
الطلب العادى الذى يتكرر كل يوم بين الأبناء والآباء من غير شعر :

وارحمة لحذاء كان يحملنى	فصرت أحمله رثا قد انقطعا
كنا نروح ونغدو ولا يفارقنى	فى الجد والهزل نمشى صاحبين معا
داويت بالنعل بعد النعل جلده	أكثر فى صفحته الخيط والرقعا
واليوم لابد لى من أن أفارقه	ما حيلتى وعلاجى فيه ما نفعا

وهكذا كان رجلنا عبد الوهاب عزام بين بناته يفرد عليهن من رحمة
جناحا ويغدق عليهن الحب غمراً تصير فيه الأفعال شعراً ويغدو معه
الشعر تحببا وتديلاً • لقد بلغ من حبه لهن أنه كان يقول (وددت لو كان
لى أربعون بنتا أناسب بهن أربعين بلدا) •

(١) من الطريف أن « نوار » شبه لها فقد كان أولاد عمها يختبئون لها
وراء شجرة وعندما مرت بهم ، قلدوا فى عبث الصبيان ، نباح الكلب ،
مداعبة . وقد أطلق الدكتور عزام ، عليهم ، فى بيتيه « الكلاب » مداعبة
لهم أيضا أو مجارة لظن طفلة نوار .

كان رقيقا منعما مع زهراته وكان رقيقا متلطفا مع أمهن ينظم
خطواتها شعرا تترج فيه الفكاهة العذبة ، بالعذوبة المتفككة •

قلت الشتاء فهاتى موقد النار فأقبلت تتهدى ربة الدار
جاءت بنار لو ان الله خص بها أهل الذنوب لما خافوا من النار



وكانت هالة تحرص على تقديم القهوة بعد افطار رمضان وتستأثر
بها • وكانت تستمع إلى أسمار منها قصة شيخ الأرناب وهى قصة طويلة
بدأت فى جـدة ، واستؤنفت فى كراچى ولم تنته • وكانت تكتب ما تسمع
ثم تصور حوادثه فأهداها قصيدته :

إلى هالة

أهالة ان شط المزار فإننى
حديثك عندي والخيال يطيف بى
ولكننى ، والحق ، أشتاق قهوة
ترفينها بعد الطعام ولا يرى
وأشتاق من (شيخ الأرناب) مجلسا
وخطك ما أمليه صنعة كاتب
وتصوير ما سطرت تصوير حاذق
لأذكر صفا للأرناب قائما
يكاد من الإتقان يبصر راعيا
وجمعا دعاه للصلاة مؤذنا
فليتك عندي كى أتم حديثها

إليك ، على نأى الديار قريب
له فى خيالى جيئة وذهوب
يضوع شذاها ، من يديك تطيب
لغيرك فيها شركة ونصيب
أحدث فيه ، والخيال خصيب
وضحكك منه ، والحديث عجيب
يزيد بيانى روعة ويجيب
يصلى منيى ، من رآه ينبى
ويسمع منه للخشوع وجيب
وأحسن فيه قارىء وخطيب
فذلك تحديث إلى حبيب

وإلى (هالة) أهدى نشيد السحر تكميلاً لقصص رمضان :

نشيد السحر

يا نايـم اسـمـع وانـهـض هـيـا فاطـعـم واطـعـم
واسـبـق إلـى الخـيـر الزـمـن ما فـاز إلـا من بـدر

* * *

أهـجـر لـخـيـر نـومـكا وابدأ بـخـيـر يـومـكا
وارصـد لـبـر صـومـكا ما صام إلـا من يـيـر

* * *

الليـل يـجـدو زهـره والـصـبـح يـيـدى زهـره
والـكـون يـفـشـى سـره فاقـرأه في لـوح السـحر

* * *

هـذا الظـلام الدامـس يتـلـوه صـبـح شامـس
فابـسـم لـه يا عابـس واستـقـبل الصـبـح الأغر

* * *

العـيـش بـحـر زاخـر المـرء فـيـه عابـر
بـالنـجـاح فـيـه ظافـر من جـد فـيـه ومن صـبر

النفحات ص ١٠٤

* * *

لقد عبر الدكتور عزام بحر الحياة ظافراً من دنياه بالذكر العاطر
ترويه الأحاديث وتحفظه الصفحات فنا وعلماً وأدباً وحكمة ، تزول
العروض وتحول المظاهر ، ويظل باقياً كل ما أودعه ، الكتب ، عبد الوهاب
عزام .. الإنسان الفنان العالم الأديب .

كان عزام ترتيلة في تدينه ، وكان عزام ، ترنيمه في أدبه وشعره
ونثره وكان عزام صفوا أعذب مايكون الصفاء في إنسان ... وكان عزام
صفوا أعمق ما يكون الاستماع إلى معزوفة الكون الكبرى فما يلبث أن
يتهدى مسترسلا ويتربل متهديا ، هاديا ، صافيا ، نقيا •

[رب هل رتل البراهمة إلا فرقانك ؟ وطلبوا في الكهوف إلا عرفانك
وهل انفتحت عن بوذا زهرة الكنج إلا لذكرك ؟ وهل هجر العالم إلا لوجهك
وهل أملى كونفشيوس إلا تعاليمك ؟ وهل أراد زرادشت إلا ذكرك ؟ وهل
ضمن كتابه إلا حمدك ؟ يا خالق الجن والإنس من سواك يحمي
الخليقة بظلالك وهدايتك ؟]

بهذه السبحات من مواجد الروح ، استهل عزام كتابه (الأوابد)
وسماها « مناجاه » •

أثرانا لو وعينا هذه الابتهالة من ابتهالات التأمل الندي في زحمة
الصراع ، أما كانت منجاة لنا من الزيف والحيف ومن ثمرات كثيره لا تبلى
من نفوسنا مواطن الإقناع ؟

وعلى سماحته ودمائته ، وتصوفه وتلطفه •• كان يثور للظلم
ولا يكتفى بالثورة بل يتجاوزها إلى الردع • ومن « مثانيه » :

صاح ما الحر من يثور على الظلم وشارت لحقها الأقوام
إنما الحر من يسير الى الظلم فيصميه والأنام نيام

كان متصوفا على طريقته ••• كان تصوفه خلوصا للحق ، وحبا
للجمال ، وشغفا بالفن ، وانسراحا رويا للفكر دون عزوف عن الدنيا
أو زهد في طبيعتها مما أباحه الله للإنسان ، وأتاحه للمؤمن دون حرج •

كان كريم المظهر والمخبر •• أنيق الملبس والمسكن ، متترف الروح
والعيش في غير سرف أو صلف •

إنه متصوف بفطرته •• متصوف بثقافته ••• متصوف بدينه وقد كان
يرى أن الانسان من الصفاء والنقاء بحيث يلهم صادقى الايمان به من
كرائم المعانى فى أسلوب التصرف والتصوف والسلوك ••• والدليل عنده
« عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، و « عبد الله بن عمر » « على بن ابي
طالب » كرم الله وجهه بل من جاءوا بعدهم مثل « الحسن البصرى »
و « سفر الثورى » و « رابعة العدوية » •

وآيات التصوف الإسلامية تتمثل له فى الآيات :

[الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح •]

والآية [هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم] •

الآية [والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله •]

الآية [واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول

بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين] •

الآية [الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتذكرون فى

خلق السموات والأرض] وما يكون التصوف إلا أن يكون إيماننا بنور النور

وأنه ليس كمثله شىء فكل شىء محدد والله بلا حدود ••• إليه وحده تتجه

الأفئدة وتعزو الوجوه يعبدده المؤمن فى خراعة وصمت وتفكر فيما خلق •

وهكذا كان تصوف عبد الوهاب عزام • كان تصوفه لونا من التأمل

الندى الغنى أو صمت الكبرياء والامتلاء بالمعانى والمواجد والمشاعر •

يسمع مادحي الرسول فيقول :

قد سمعنا من القصيد ثناء وعلى الدف والطبول غناء
كل هذا على سنائك غبار حجبوا بالضجيج ذاك الضياء
غلب الوجد ما دحيك فصاحوا وتعالى زفيرهم والأنين
ونظرنا الى سنائك حيارى يعلن الصمت وجدنا والسكون

ويذكر الناس رباعيات الخيام ، ويغفلون عن مثنى عزام لأنهم إلى التخفف أميل تلك المثنى التى نظمها وهو سفير مصر فى الباكستان بكل ما فى شفافيته من نفاذ ولعل ملايسات النظم حدث بالنقاد فى ساحة الأدب ، أن يعزوا « المثنى إلى تأثره ، بإقبال » .. والحقيقة أنه تماثل فى النزعة لا شية فيه تشبه التأثر أو التأثير .

لقد أهدى عزام الى فيلسوف باكستان إقبال ، منظومته « اللمعات ، اعتزازا به وإعازا له ... ومع مكان اقبال عنده ، ومكانته من نفسه ، لالتقائهما فى الفكر الإسلامى ، فإنه فى « المثنى » كان يعبر عن نفسه ، ويصدر عن شعوره ، وينبع من روحه . إن السليقة كما يقول استاذنا العقاد فى مقدمته للمثنى ، (هى التى أوحى إلى شاعر المثنى فى نظمها لا التقليد لإقبال فى منظوماته) .

لم يقلد الدكتور عزام ، الشاعر « اقبال » مع حبه له حتى أنه وهو سفير مصر فى باكستان كانت تتحلق حوله ، فى داره الندوة .. عن أدب اقبال حتى سمى مردييه (دراويش اقبال) (١) .

(١) عندما اشتدت حركة الفدائيين المصريين سنة ١٩٥١ فى القناة ،

ومع هذا كله كان عزام نسيجا وحده • وقد حسم عزام نفسه ، الموقف
في هذه الكلمات التي أراها ومضات :

[يؤسفنى أن بعض النقاد وضع أدبى وأدب اقبال في ميزان
المنافسة وجهدوا أن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن • وهذا عمل لا يليق
بالأدب الفسيح الذى يخاطب النوع الإنسانى كله •••• لأن في ساحة
الأدب العالمى يقوم الشعراء وأولو الفضل في منبت واحد من الاخوة
الإنسانية • ويقىنى انى ومحمد اقبال عاملان للصدق والجمال في
الأدب ••• ونحن نلتقى حيث يقدم القلب الإنسانى والعقل إلى عالم
الإنسانية أجمل هداياهما وأروعها] •

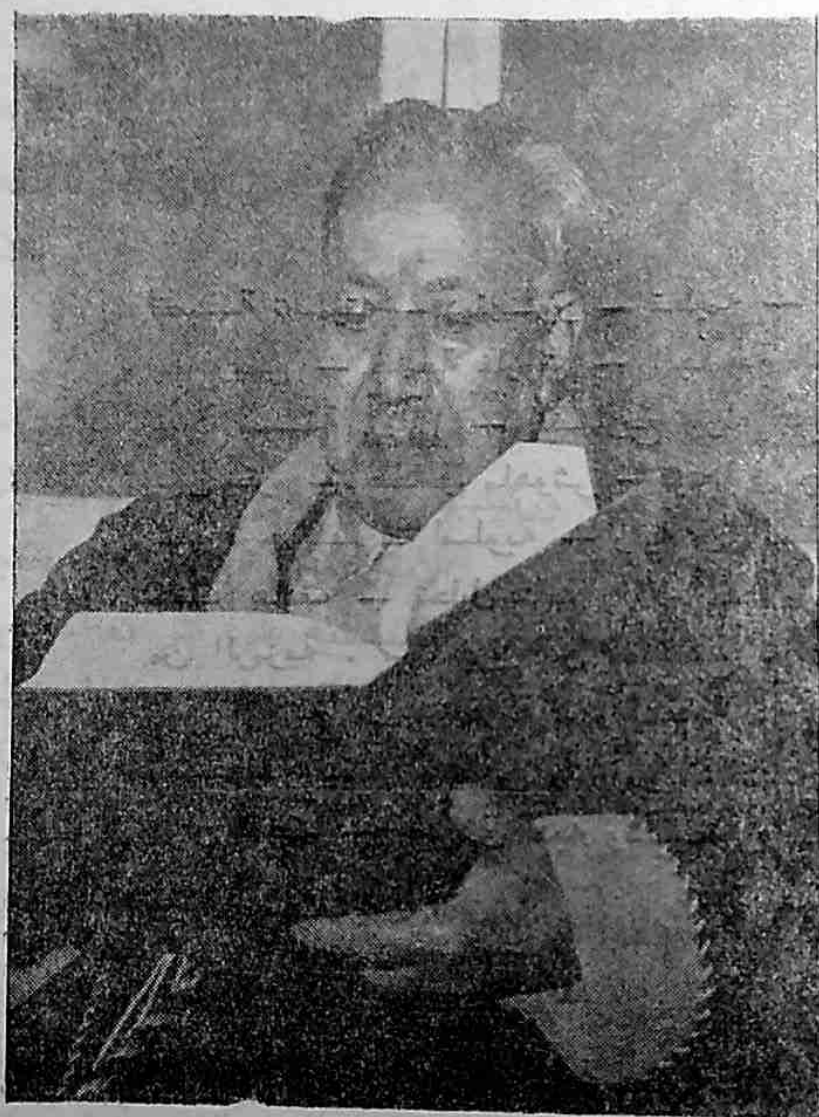
بهذه الدمثة رد عزام على ناقديه •

كان عزام خيرا كله وكان أملا آملا •• وأدبا متفائلا •• تلك نفحة من نفحاته
قليل : ليل مظلم ، قلت اذكروا في ظلام الليل إشراق الصباح
قليل : غيم معتم ، قلت انظروا رب نجم من وراء الغيم لاح
والخير عند عزام غلاب حتى في قصيدته عن « ابليس » فقد
جعل النصر للخير ممثلا في الدين ••• فلم يملك ابليس مع المؤمنين إلا
الارتداد خاسئا وهو حسير ••• نهاية كل إبليس •

تقدم هؤلاء الدراويش في مظاهرات كبيرة في باكستان تأييدا لمصر حتى اشتكى
السفير البريطانى الى عميد السلك السياسى هناك فقال السفير المصرى الدكتور
عزام : وهل انا الذى أخرجت المظاهرات في لاهور وفي العراق وفي الهند •
أن الذى أشعل المظاهرات يعرفه الانجليز جيدا وهو « السياسة
الانجليزية » •

أدور لهم حول حصن حصين من الدين والخلق قد شيدوا
فمالى الى ساحه مدخل ومالى الى برجيه مصعد
ولم أر فى سورهِ ثلْمه تمد الى القوم منها ، يد
هذا حين تناول الشيطان ، من الأدباء أعلام « كالعقاد » و « جوته »
ولكن من زوايا أخرى •

محمد فريد أبو حديد



قصة تسميته — دمنهور — تعليمه — اشتغاله
بالتدريس — جامعة فاروق — الجامعة الشعبية —
ثورة سنة ١٩١٩ — التاريخ وراء أدبه — كتاب
عمر مكرم — جحا في ماهوش — جحا في جامبولاد —
كتب ترجمها — أسلوبه — رأيه في الأسلوب —
كاتب هادف — تحليل كتاب (آلام جحا) : سخرية
من الرمزية . سخرية من التفاصيل . سخرية من
شعر المديح . سخرية من الدعاية . ألوان من
السخرية . نقد اجتماعي وتاريخي . نماذج بشرية .
ألوان الحكم — مصر في أدبه وشعوره — فنان

توجت جائزة الأدب سنة ١٩٦٤ أحد أدباء الطليعة الأستاذ « محمد فريد أبو حديد » . الرجل الكبير الذى وقف حياته كما يقول الأستاذ الجليل أحمد أمين ، على دراسة التاريخ ، وبخاصة تاريخ مصر ، فهو خليق بأن نعيش فى تاريخه اليوم علما من الأعلام .



ولد محمد فريد أبو حديد أول يوليو سنة ١٨٩٣ بمدينة القاهرة بحى عابدين . ينحدر جده الأعلى لأبيه من الجزيرة العربية وقد لاذ بمصر فى الحركة الوهابية مع آخرين جاء ذكرهم فى الجبرتى منهم أحمد سلامة النجارى . وفى مصر اشتغل بالتجارة بين القاهرة والاسكندرية .

أما والده فقد خلفه أبوه صغيراً فتعلم التعليم السائر حتى كبر والتحق بوظيفة فى الدائرة السنية ورئيسها يومئذ فريد باشا والد زعيم الوطنية المصرية محمد فريد . وقد سمي الأب ابنه (محمد فريد) تيمنا به ثم حدث فى طفولته أن حلت الدائرة السنية على أثر تفاقم ديون إسماعيل ورفقتوا موظفيها بعد أن أنقذوهم مكافأتهم ومن هؤلاء والد الأديب محمد فريد . ولكن الفترة التى قضاها الرجل فى الدائرة السنية أكسبته خبرات فى الزراعة حتى حذقها فلم يتردد عند خروجه منها فى الاشتغال بالزراعة . فاشترى مع أخيه أرضا للاستصلاح فى البحيرة . وانتقلت الأسرة إلى دمنهور المدينة التى جرت فيها أحداث قصته (أنا الشعب) حيث أدخل محمد فريد المدرسة الابتدائية ومنها نال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية ثم مدرسة المعلمين العليا التى تخرج منها سنة ١٩١٤ .



وفى سنة ١٩١٤ أعلنت الحرب العظمى الأولى واستحكمت الأزمة وتأزمت العلاقة بين والده محمد فريد وعمه للمرة الثانية وانتهى الأمر بأن انفصلا . وقد كان لخذل عمه ، أباه ، مرتين ، أثر كبير فى نفسه حتى (م ١٩ — قمم أدبية)

بلغ من عمق احسناسه به أن كتب في هذا كتابا سماه (صحائف من حياة أو مذكرات المرحوم محمد فريد) يعنى نفسه مبالغة في تصوير هذا الأثر وكأن هذا الخذلان قد قضى عليه •

وحين خرج والده سنة ١٩١٤ من هذه الأزمة النفسية والمادية معا محمطا قفل باب التعيين على خريجي المعلمين العليا • وكان محمد فريد خالى الذهن من وسائل السعى في الحياة بل كان خريجوا المعلمين بعامة لا يكلفون أنفسهم مهمة التفكير في هذا يقينا منهم أن الوظائف الحكومية تنتظرهم انتظارا • فقد كانت مدرسة المعلمين في ذلك العهد مرموقة عالية الصيت • كان مجرد الانتماء اليها تركية تفتح لصاحبها باب العمل حتى ولو كان راسبا أو لم يستكمل دراسته بها •

وانتظر محمد فريد انتظارا سلبيا وإذا بصديق يعرض عليه أن ينضم معه إلى شركة أزمع الخريجون تأليفها في مدرسة القاهرة وكان صاحبها فيظى الذى اتفق مع أعضاء الشركة على أن يقوموا بتسديد جميع تكاليف المدرسة ، ودفع مبلغ له نظير الادارة ثم يقتسم المدرسون أعضاء الشركة الباقي • وكانت صفقة خاسرة إذ كان حصاد عامهم كله ٣٦ جنيها لكل منهم أى بمعدل ثلاثة جنيهات في الشهر •

ومما يذكر أن هذه الشركة كان من أعضائها :

الشاعر احمد رامى — محمود حمزة الذى صار مفتشا أول بالمعارف —
ابراهيم نظيم (مراقب) — محمود فهمى (مستشار) — محمد صفوت
(استاذ بدار العلوم) — محمد صالح العفيفى •



وكانت أسرة محمد فريد لا تزال في دمنهور وفتاها وحده في القاهرة • وقد جاءه أحمد زكى (الدكتور أحمد زكى) يوما وحثه على الانضمام إلى الاعدادية • وكان الحزب الوطنى قد أنشأ المدرسة الاعدادية احتجاجا على تعسف الحكومة مع الطلاب فقد ألف لجنة سماها

(لجنة اصلاح التعليم وتعميمه) • وهذه اللجنة اختارت حى الظاهر
مقرا للمدرسة الاعدادية •

وفجأة وجد محمد فريد مرتبه يقفز إلى ١٨ جنيها ذهباً بعد أن كان
ثلاثة جنيهاً ••

في الاعدادية مكث محمد فريد ثلاث سنوات (سنة ١٩١٥ —
١٩١٨) كانت تجربة كبرى وتربية عظيمة له •



وكان محمد فريد وأخوه يسكن مع بدران (الاستاذ بـدـران)
وإخوته وفي يوم تلقى برقية • وهرع الفتى إلى بلدته ليجد والده
مصاباً بالتهاب رئوى •• لم يرحم الرجل شيخوخته •• لقد ظل يعمل
ويكافح حتى آخر سنيه •• فقد استأجر أرضاً كبيرة تبلغ ٢٨٠ فداناً
من وقف الخزان • وبدأ يؤجرها سنة ١٦ — ١٧ وأثر المجهود والسن فيه
فضلاً عن أن الالتهاب الرئوى كان يعد في أيامه مرضاً خطيراً • توفي على
أثره •

وقد مضى على وفاته الآن أكثر من أربعين عاماً ولكن « محمد فريد »
إذا طافت به ذكراه أو سئل حديثه ، شجيت نفسه ونشج صوته ، وانهلكت
عيناه • لقد كان في نظره قديساً مجاهداً • إن (محمد فريد) يقول إنه
من أكثر الشخصيات التى أثرت في حياته •

والشخصية الثانية التى أثرت في حياته كانت شخصية أمه • كانت
أمية لا تقرأ ولا تكتب ولكنها كانت على جانب كبير من الثقافة المكتسبة
بالذكاء والفطرة المستعدة والقدر الموروث • كانت في بيت علم تلتقى مع
عبد العزيز البشرى في أرومة واحدة • وكانت تحفظ من القرآن والأحاديث
والأمثال ما يصقل صاحبه •

ما وقف ابنها يوما موقفا بين المصلحة والواجب إلا اختارت له ما يعلى مروءته ويرفع إنسانيته •• وقد توفيت في التسعين •

* * *

في سنة ١٩١٨ عمل بمدرسة وادى النيل •

وفي سنة ١٩١٩ عينته وزارة المعارف في مدرسة ابتدائية في بنى سويف ظل فيها حتى سنة ١٩٢٢ ، وان ضاق بها فقد كان من أشد شباب عصره حماسة في الاحتجاج على لجنة ملنر •

وفي سنة ١٩٢٠ انتسب إلى مدرسة الحقوق الخديوية •

وفي سنة ١٩٢٢ ترك بنى سويف إلى القاهرة وكانت في نيته أن يعتزل التعليم بعد تخرجه من الحقوق ليعمل بقسم القضايا في الأوقاف • ولكنه عين بمدرسة الأمير فاروق بروض الفرج التابعة لقسم مدارس الأوقاف •

وقد مكث بهذه المدرسة ١١ سنة إذا استثنينا المدة من ٢٨ — ٢٩ التى عمل فيها ناظراً لمدرسة طاهر بك في الاسكندرية •

* * *

وفي هذه الأثناء نال ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٤ • ومدرسة الأمير فاروق هذه تمثل الخطوط الواضحة في حياته فإنه أثناء وجوده بها اتجه إلى الكتابة وأنتج وقتئذ :

١ — قصة ابنة الملوك طبعت سنة ١٩٢٤ ونفدت •

٢ — أوبريت ميسون العجرية وقد نفدت أيضا •

٣ — قصصا مدرسية منها •

(أ) مقتل عثمان طبعت سنة ١٩٢٥ •

(ب) تمثيلية سهراب رستم طبعت سنة ١٩٢٢ •

وهما من الشعر المرسل •

ولما عاد من الاسكندرية سنة ١٩٢٩ أصبح وكيلا لمدرسة الأمير فاروق أى بمثابة ناظر لها ولما تحولت سنة ١٩٣٢ إلى وزارة المعارف تحول معها •

وفي سنة ١٩٣٢ كتب قصته (خسرو وشيرين) وهى من الشعر المرسل وقد استوحاها من الشاهنامة •

وقد كان قريرا بمدرسة فاروق مستريحا إلى كل من فيها أساتذة وطلابا حتى أن الحمامة لم تعد تغريه مع استشرافه اليها فى ذلك الوقت خاصة بعد أن ترك بنى سويف سنة ١٩٢٢ مزمعا اعتزال التدريس •



وفى وزارة المعارف ساءت حالته النفسية والصحية فقد مرض مرضا شديداً بسبب خراج أهمل فأورثه التصاقا فى المفصل عاش يعانى منه •
وفى سنة ٣٦ — ٣٧ عمل مراقبا للمطبوعات فى وزارة الوفد الأولى •

وفى سنة ١٩٣٨ عاد إلى المعارف وظل بها حتى سنة ١٩٤٢ حيث عاد إلى الداخلية ثانية ولم يمكث بها إلا شهورا (من ٥ فبراير سنة ١٩٤٢ — ابريل سنة ١٩٤٢) كانت فترة عاصفة عاد بعدها الى المعارف للمرة الثالثة فكلف بإنشاء جامعة فاروق ثم انتدبته دار الكتب ثم نقل إليها وظل فيها من سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٥ • ثم أصبح عميدا لمعهد التربية العالى للمعلمين من ١٩٤٥ — ١٩٤٨ •

وفى المعهد العالى كتب كتابه : أزهار الشوك •

وقد كان المعهد آخر عهده بالطلاب والتدريس فقد ظل بعده يتنقل بين المناصب الادارية وقبل أن نعرض لها نذكر من تلاميذه فى دور التعليم التى عمل بها على اختلافها .

عمر طراف — عبد الفتاح محمد وكيل جامعة الاسكندرية — جمال
الشيال أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية — شفيق الصدر — سعيد
الصدر وغير هؤلاء كثيرون •

وفي سنة ١٩٤٨ أصبح مديرا لإدارة الثقافة ثم مديرا للتعليم
الثانوى سنة ١٩٤٩ •

وفي سنة ١٩٤٩ كتب قصة (الوعاء المرمى) وهى قصة سيف بن
ذى يـزن •

كما أضاف قصصا أخرى إلى كتابه (مع الزمان) صور فيها ما استجد
من أحداث حتى حرب فلسطين •

وفي سنة ١٩٥٠ صار مديرا للجامعة الشعبية ثم نقل إلى إدارة
مكافحة الأمية ثم نقل مديرا ثانيا للتعليم الأولى !! وهى أحداث ومعان
لم يكن وقعها هينا على نفسه أصيب سنة ١٩٥١ بالتهاب عصبى وظل في
بيته سنة • ولكن هذه الأحداث حفزته في الوقت نفسه إلى كتابة قصته
(أنا الشعب) التى نفس فيها عما كان يكابده من عنت واجحاف •
فالقصة فيها منه ملامح لا تخفى •



وتاريخ حياته ينم عن إنسان حساس عيوف فما هذه المصادمات
المتكررة إلا ثورات نفسية على ظلم لا يقره ، أو اعواج لا يرضاه ،
أو خسف لا يقبله • وكأن البركان الذى ثار فيه سنة ١٩١٩ لم يهدأ •



وثورة سنة ١٩١٩ تاريخ له عنده تاريخ فقد كان فيها شابا ملتهبا
بالحماسة — كالشعلة • كان يكتب المنشورات السرية وعرائض الثقة •
وكان يؤلب الجماهير على جنود الاستعمار •

وقد صادف وقت تخرجه إعلان الحماية على مصر وخرج وقتها المقطم الكريه يحمل عنوانا : بشرى أعلنت الحماية على مصر • فبكى هل هذا هو آخر المطاف ؟ كان الشباب المصرى فى ذلك الوقت ينتصر لألمانيا عدو عدوه : وكان يهيج تصريحات المسئولين الانجليز التى كانت تصور الشعب قطيعا •• قصاراه أن يطعم ثم يئساق •• فلما انتصر الحلفاء سنة ١٩١٨ ، منى هذا الشاب الواعى المتربص الحانق الذى يحفظ لهم تصريحاتهم المشنوءة ، بخيبة أمل محطمة لفه على إثرها يأس طاحن ويحكى محمد فريد أنه كان فى تلك الأزمة الكبيرة من أزمت نفسه ، وهى كثيرة ، كان فى هذه الأزمة دون غيرها يتمنى الموت ويتنادى به • وفاته فى اندفاع العاطفة أنه حريّ بأن يعيش بل هو أحرى بالحياة من أى وقت آخر •

ولكن هذه الظلال القائمة انحسرت سريعا وانطلق الشباب فى دفعة نفسية يصرخ فى وجه غاصبه سارق النعمة والأرض : اخرج من بلادنا ولم تذهب صيحته هباء فقد كان دويها أكبر من زوره وأقوى من تضليله وأعنف من ضرباته وهى العزلاء من كل سلاح •

وانتهت ثورة مصر أو ثورة ١٩ بتصريح فبراير سنة ١٩٢٢ • وهو وإن لم يكن الاستقلال تاما فهو خطوة بل خطوات •• إليه •• وحسب الحق أن ينال من القوة العاشمة هذا المنال على فرديته وتكثرها بالسلاح والرجال والمال والنصر •



ولم تطفئ الأيام هذه الحماسة فإن قصصه صور حية تنطق بها • وقد جاء فى تقرير لجنة الآداب سنة ١٩٥٢ عن قصة (الوعاء المرمى) التى فازت بجائزة الدولة أنها : (الحلقة الأخيرة من سلسلة من القصص الروائى بدأها فريد بك منذ زمن طويل واختص هذا اللون من الأدب بالنصيب الأكبر من نشاطه فى الكتابة والتأليف • وهو يستمد موضوعه من التاريخ

المصرى أحيانا كما هى الحال فى « عمر مكرم » و « أزهار الشوك » ،
أو من التاريخ والأساطير العربية كما جاء فى مؤلفاته : « الملك الضليل »
و « سيد ربيعه » و « عنقرة » ...

كما أن قصة (أنا الشعب) باسمها ومضمونها اعتزاز بالمصرية وإيمان
بها ... (فسيد) بطل القصة يمثل الشعب فى صبره وحلمه حتى إذا أرهقه
العسف والبغى انفجر كالإعصار يصيح إنى هنا ، أنا الشعب .. أنا السيد

(سيد) يمثل الشعب فى كفاحه وإصراره .. فى كبريائه التى لا تخذله
حتى على الحرمان وعنت الزمان .

(سيد) يمثل الشعب الذى (يخطب السادة وده فى دعاياتهم الانتخابية
ومن أجله ينشئون مقالات التمجيد فى الجرائد اليومية) ص ١٥٢
(أنا الشعب) .

وقد بدأ قصته (أنا الشعب) فى سنة ١٩٥٠ ثم انقطع عنها للمرض
ثم عاد فاستأنفها سنة ١٩٥١ وطبعت ١٩٥٢ .

وفى سنة ١٩٥٢ أصبح وكيلا مساعدا لوزارة المعارف .

وفى سنة ١٩٥٣ أصبح مستشار فنيا لها .

وفى سنة ١٩٥٣ هذه انتهت مدته بالحكومة فجددت لمدة سنتين
أى حتى سنة ١٩٥٥ .

وفى سنة ١٩٥٥ طلبته ليبيا مستشارا فنيا لوزارة المعارف بها . فظل
بها من سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٨ .

وجاءت ثورة سنة ١٩٥٢ خاتمة سعيدة لهذا القصة أو لعلها بداية
لقصة جديدة .

وقد ألف محمد فريد أبو حديد غير الكتب التى ذكرناها : —

١ — سيرة عمر مكرم .. ألفها سنة ١٩٣٧ حين كان مراقبا للمطبوعات بوزارة الداخلية وقد رمى بها إلى اظهار شخصية الشعب وكأنه بكتابتها يسهم فى بناء حياة ديمقراطية .

فقد (مرت بالبلاد سنوات مظلمة غشتها سحابة من الطغيان والظلم فكنت أجد تسليية وعزاء بأن أرى جهاد الشعب لإزاحة تلك السحابة الداكنة . وكنت أنصرف إلى التاريخ أطلع فيه أسود صحائفه لأطلع منها على روح الشعب المصرى النبيل وهو يناضل ويجاهد ، فكنت أجد من ذكرى ذلك النضال مشجعا ومناصرا . وكنت أستبشر بما أعقبه من النصر القديم فأطمئن إلى أن جهاد مصر الحديث سيسفر كذلك عن انتصار وفوز . وقد كان سميرى فى تلك المطالعات رجلا من رجالات مصر العظماء وزعمائها النبلاء ، وهو « السيد عمر مكرم » (مقدمة طبعة ١٩٥١ فى كتاب الهلال صفحة ١١) .

محمد فريد أبو حديد كما يقول عنه أستاذنا أحمد أمين (عنى أكثر ما عنى — لا بالملوك والامراء — كما فعل أكثر مؤرخينا — بل بالشعب وحركاته ونفسيته وحياته الاجتماعية وآماله الوطنية » واتخاذ السيد عمر مكرم محورا لكتابه أكبر دليل على هذا ، فهو ليس ملكا ولا أميرا ، ولكنه أحد أفراد الشعب ، وعظيم من عظمائهم ، يشعر بشعورهم ، ويأمل آمالهم ويقصدونه فى حوائجهم ويرجعون إليه فى خطوبهم فاتخذ المؤلف نواة نسج حولها تاريخ مصر فى هذا العصر خاصة تاريخ الشعب .. وتطورات ونظراته وآماله وآلامه) (١) .

وفى طريقه إلى لقاء عمر مكرم حيا أعلاما مصرية ارتفعت على طول الطريق . فالشيخ الحفنى ، وابن النقيب ، والشيخ على الصعيدى ،

(١) تقديم كتاب السيد عمر مكرم صفحة ٧ طبعة ١٩٥١ كتاب الهلال .

والشيخ الدرديرى أصـوات مصرية قوية ارتفعت فى مجلس الحاكم
فأنصت ، وحاجته فعدل ، وعارضته فأذن ، وتحدثته فنزل على حكمها
وأمن على رأيها وأصبح (الأمراء) يحسبون للشعب الذى خرج منه
العلماء ونبغوا فيه الحساب كل الحساب •

ومن عجائب الآثار كما روى الاستاذ فريد أبو حديد أنه (عندما
أشيع مجىء الحملة التركية لإصلاح الحكم فى مدة مراد وإبراهيم بقيادة
القبودان حسن باشا ، دعر الطاغيتان خوفا من أن ينتهز الشعب تلك الفرصة
فيثور مظهرا ما فى نفسه من الألم فحاولوا التقرب إلى زعمائه • وقد
وصف أحد من شهد ذلك العصر تذلل الأمراء بقوله : « فذهب إبراهيم بك
إلى الشيخ البكرى ، ثم الشيخ العروسى والشيخ الدرديرى • وصار يبكى
لهم وتضاغر فى نفسه جدا وأوصاهم على المحافظة وكف الرعية عن أمر
يحدثونه أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت فانه كان يخاف ذلك جدا » (١) •



هذا هو الشعب المصرى الذى كان يخشاه الحاكم وهو الذى زهد
فى الحكم (وظيفة) وسخر منه • ان الشعب المصرى يشعر فى قرارة
نفسه ان الدول التى تقلبت على عرشه ليست منه لحما ودما وللهذا
تساوت عنده الدول : الفاطمية والأيوبية الخ • • كلهم سواء لا يميز هذه
الدول عنده بعضها عن بعض الا العدل أو الاعتدال • ولعل طبيعة أرض
مصر كما يقول أديبنا فى كتابه (صلاح الدين الأيوبي) « طبيعة أرض
مصر الوادعة وطبيعة أهلها الميالين إلى المرح والبساطة والسهولة »
(ص ٨٥) طبيعة مصر هذه كانت تؤثر السلام على الحكم بحروبه
ومشاكله ومؤامراته حتى أن (عمر مكرم) حين سنحت له الفرصة لتولى
أمر مصر تردد فيها مما أخذه عليه فريد فى صدر كتابه « أمتنا العربية »
(تردد فى اللحظة الحاسمة وانكمش عن أن يخطو الخطوة التى كان ينبغى

له أن يخطوها فكانت غلطته الكبرى أنه اختار « محمد على » التركي إذ حسب أنه هو الذى يحقق للامة أمنها وحريتها • ولم يلبث السيد عمر الا قليلا حتى بدأت — الحقيقة تظهر له بعد أن أفلتت الفرصة من بين يديه فإن « محمد على » تنكر له ، « وللشعب » بعد قليل (ص ٩ •



بل فى طريقه إلى لقاء عمر مكرم حيّا (رجل الشارع) المصرى فالقصاب أحمد سالم حين اشتد عليه جابى الضرائب التركى (أراد القبض عليه بغير حكم شرعى مخالفا فى ذلك حقا كان أهل مصر قد اكتسبوه من قبل ألا يُمس أحد منهم إلا على مقتضى الشريعة ، فثار أهل الحسينية لذلك الاعتداء والتجأوا الى الشيخ العروسى (وكان الشيخ الدرديرى قد توفى إلى رحمة ربه) ، فقام الشيخ العروسى بأمر الوساطة فى شأن الشعب وانتهى الأمر إلى مشادة طويلة خاف الأمراء غيبتها ، فنزلوا عند إرادة الثائرين وعزلوا الوالى وولوا آخر بدله • ونزل الوالى الجديد من الديوان إلى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ورأى أهل مصر أن حقهم لم يضع ماداموا حريصين على المحافظة عليه (١) •

كان الأستاذ محمد فريد أبو حديد فى تكريمه للشيخ العالم عمر مكرم إنما يكرم الشعب فيه • فقد كانت قوة الشعب تكمن فى السلطة الدينية التى تعمل لها السلطة الزمنية الحساب كل الحساب • بل إن الشعب المصرى ثار حتى على علمائه حين حملوا إليه مشفقين ، بعد حملة دامية ، شروط الفرنسيين سنة ١٨٠٠ (فما كاد الناس يسمعون هذه الشروط حتى ثار ثائرهم ، و زادوا باستمرار القتال إذا كانوا لا يقصدون إلا الخلاص من العدو ، فأما إذا كان منتهى المفاوضة هى عودته للمدينة والبقاء بين ظهرانيهم فلا قبول لها ولا حرص عليها ولن يحكم بينهم وبينه إلا الفضال

المر إلى نهايته • وقد بلغ من حنقهم على تلك الأنبياء أن اعتدوا على الذين حملوها إليهم (١) •

إن قصة عمر مكرم دعوة جهيرة إلى الحياة الديمقراطية •

* * *

ومن سنة ١٩٣٧ — ١٩٤٥ تنفس في القصص الآتية :

- ١ — الملك الضليل •
 - ٢ — سيرة ربعة المهمل •
 - ٣ — زنوبيا ملكة تدمر •
 - ٤ — عنقرة •
 - ٥ — مع الزمان (وهى مجموعة قصص قصيرة تاريخية) •
 - ٦ — آلام جحا وهى جزءان •
 - (أ) جحا فى ماهوش •
 - (ب) جحا فى جامبولاد •
- وفى هذا الجزء صور حكم الوفد •

والى جانب هذا ترجم من الكتب والقصص :

- ١ — فتح العرب لمصر لبقتر (سنة ١٩٣٥) •
- ٢ — دعائم السلام (سنة ١٩٣٩) •
- ٣ — فن التعليم جليبرت هايت الامريكى (١٩٤٨) •
- ٤ — ما كبت لشكسبير وقد ترجمها سنة ١٩٥٦ — ١٩٥٧ وطبعها سنة

• ١٩٥٨

وفريد أبو حديد عضو في :

- ١ — رابطة التربية الحديثة •
- ٢ — جمعية المعلمين •
- ٣ — الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية •
- ٤ — مؤسسة التأهيل المهني •
- ٥ — رعاية الأحداث •

وقد نال محمد فريد أبو حديد جائزة الدولة في كتابه (الوعاء المرمى) سنة ١٩٥٢ • والكتاب قصة روائية استقى موضوعها من التاريخ العربى القديم يصف فيه استيلاء الأحباش على اليمن — وتصديهم لغزو الحجاز واسترداد سيف بن ذى يزن للكه منهم بمعاونة الفرس • وقد استطاع المؤلف بما وهبه الله من قوة الخيال وبراعة التعبير أن يصور العصر والمناظر تصويراً قوياً رائعاً •

ومع أنه أجاد كثيراً في مؤلفاته السابقة — فإنه بلا شك قد سما بكتابه الجديد إلى الذروة • وأبدى فيه براعة في التصوير وجمالاً في التعبير مما يحقق لهذه القصة مكاناً ملحوظاً بين القصص المصرى الحديث ♦♦♦♦

(تقرير لجنة الآداب لجوائز الدولة سنة ١٩٥٢) •

سألته مرة : ما أعز كتبك عندك ؟ فقال : ثلاثة في مرتبة واحدة :

- ١ — زنوبيا وهى تصوير لعصر يمثل حضارة عربية قديمة • وفلسفتها أن العرب منذ القدم ، قوة فعالة في محيطهم ، وأهم شخصياتها في نظره زنوبيا التى تمثل المرأة الذكية المتحررة ، ولوتجين الفيلسوف ، وأذينه المحارب • فى قصة زنوبيا ملامح من حياته فى أكثر من موضع • وقد كتبها تنفيساً عن واقع نفسى شبيه بجو القصة •

٢ — أنا الشعب ٣ — جحا في جامبولاد :

ومما يسترعى النظر ليس بينها (الوعاء المرمى) الكتاب الذى نال به جائزة الدولة • ولهذه عندى دلالة كبيرة فإن مقاييسه لا تخضع للجزاء أو المال وإنما لأسباب حرة من هذه الاعتبارات التى تكيف أحكام الكثيرين •

ومثل هذا رأى منه ، عليه طابع الفنان الذى يؤثر من كتبه ما ينبع من نفسه ونفّس عنها وسجل انطباعاتها وآراءها •

وقد صدر الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن عدة منابع ثقافية ففى مرحلة التكوين انطبعت نفسه على الكتب العربية القديمة وتمثيلات شكسبير ، ومقطوعاته الشعرية وقصص والترسكوت التاريخية • ومن قراءاته الأولى فى الأدب الغربى أعمال ديكنز وثاكرى • لقد عب كثيرا من الأدب الانجليزى خاصة فى عصر ازدهاره من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر •

وقد أفاده اطلاعه الواسع فى الأدب الانجليزى • وهو فى قصصه إذا أعجبته شخصية مشى وراءها فى الحياة وتركها تتصرف وهو يسجل فقط بدون خطة •• بدون بداية •• بدون نهاية •• وقد اتبع الأستاذ محمد فريد أبو حديد هذا الأسلوب الطبيعى فى (أنا الشعب) فان شخصية (سيد زهير) نحس معها أن الكاتب قد تقمصها • إنه يعيش فى شخصيات قصصه وفى عصورها التاريخية ، يعيشها وهو يفكر تفكيره الخاص الحاضر •



وبعض الناس يظنونه يفسر التاريخ ولكن الحقيقة شىء مختلف جدا • إن أغلب كتبه ملون بالتاريخ ولكن التاريخ فيها لم يقصد لذاته بل كان وسيلة إلى غاية أكبر ••• إلى هدف أبعد •• إن القصة التاريخية الخالصة عنده هى (ابنة الملوك) • وحتى هذه لو تأملناها من ناحية التأليف نجد

أنه كتبها وعاش أحداثها في الوقت الذي كتب فيه أيضا سيرة عمر مكرم وعاش فيها • وهو الوقت الذي تلا ثورة ١٩ بما صاحبها من صراع نفسى عنيف وقلق عاصف وشك في الأيام والمصائر ••• وهو شعور قاس تحداه الكاتب بالثقة في هذا الشعب • ثقة استمدتها من ماضية وسابق بلائه ، ثقة تمثلت في قصته (سيرة عمر مكرم) التى تحدثت عنها منذ قليل • ولو أنه في قصة (صلاح الدين الايوبى) لم يحدثنا عن دور الشعب المصرى في الحروب الصليبية ! وسرت معه في القصة بلا جدوى حتى بلغت موقعة « حطين » وتوقعت أنى وصلت إلى نقطة سيعمق كاتبنا عندها كفاح الشعب المصرى ولكنه لم يفعل ! كان البطل في القصة صلاح الدين ! ولولا مصر وطاقاتها البشرية والمادية طاقاتها في الرجال •• في الصبر •• في المقاومة •• في التضحية • في المال •• طاقات الموقع الفذ •• طاقات المكان •

لولا طاقات مصر في هذا كله ما استطاع صلاح الدين أن يقف وقفته أو يبلى بلاءه •• إن نور الدين في الشام لا يقل في المزايا الشخصية عن صلاح الدين ، ولكنه لم يستطيع أن يلعب على مسرح الحوادث دورا ذا بال •• وكذلك صلاح الدين نفسه حين كان في الشام • كلاهما لم يستطيع ، في وطنه الأصلي ، أن يؤدي • اذن هى مصر •



ومن قراءات حديثه • غادة الكامليا •• قرأها في الفرنسية وهو طالب بالمعلمين •• ومن الطريف انه كان مسافرا من القاهرة فاستعان بها على الرحلة فكان في بعض المواقع يخرج من بين الجلوس إلى طرقات القطار ليبكى من شدة التأثر •

ومن الكتب التى تأثر بها كتاب آلام فرتر • فقد ضاق بجوته أن يشغل قلمه الكبير ويشغل الناس معه بمسألة تافهة • رجل يحب امرأة متروجة ! أين هى من مشكلات الضمير العالمى أو صراع الحياة الانسانية بمفهومها الواسع •• إن للانسان هموماً أكبر من هذا بكثير •• وكان رد

الفعل الذى أحدثته هذه القصة أن حركت شجنه وأيقظت لواعج نفسه فكتب كتابه (مذكرات المرحوم محمد فريد) • فما دام جوته قد اعتبر هوى فرقر — مشكلة تستحق المعالجة وموضوعاً يكتب فيه فإن ما رآه كاتبنا من أحداث ووقائع أحق بالكتابة والتناول •

أما الأدب العربى فقد قرأ فيه أمهات الكتب العربية القديمة شأن الرعيل الأول •

كما قرأ التواريخ المعتمدة كلها واهتم بنوع خاص بكتب الرحالة الأجانب الذين قدموا إلى مصر فى القرن السابع عشر قبل الثورة الفرنسية فقد كان أكثرهم من الجواسيس الذين مهدوا للحملة الفرنسية وللاستعمار الغربى •



كان شباب ذلك العصر يحس نقصاً شديداً فى المكتبة العربية • كان يبحث عن أى شىء فكانوا يقرءون كتب جورجى زيدان • وكان المنفلوطى ظاهرة اجتذبتهم بما تشيعه من عاطفة وتنغيم • أما الكتاب الذى أثر فيه تأثيراً يذكره فهو كتاب عيسى ابن هشام •• إن مؤلفه فى نظره لم ينصف ولم ينل من التقدير ما هو أهل له • إن كتاب عيسى ابن هشام نظرات فى الحياة المصرية فى غاية العمق وفى غاية الوضوح يشيع فيها روح من الفكاهة عذبة كأعذب ما تكون الفكاهة فى الأدب العربى •

وهو يقرأ فى الإنجليزية التى يحسنها وفى الفرنسية التى نال قسطاً منها فى المدرسة وأخذ دروساً فيها على مسيو بيزياه Beziat ثم قواها عنده التحاقه بالحقوق حتى ليسهل عليه قراءة أى كتاب فيها دون تعثر أو استقصاء •

وقد تعلق أيضاً بدراسة اللغة الإيطالية ثم تركها سنة ١٩٣٠ على

أنه جدد صلته بها في ليبيا في الفترة التي قضاها بها • وفي ليبيا قرأ كثيراً بالإيطالية حتى الكتب الأدبية لا يعز عليه فهمها •

كل هذه الينابيع الأدبية سواء منها ما كان في العربية أو غيرها كيفت الأستاذ (محمد فريد أبو حديد) فنيا فجاء أسلوبه عربياً فصيحاً لا عجمة فيه وهو على سلامته سهل واضح شفاف يعتمد على الصورة كما يعتمد الرسام على الألوان في اظهار الأنواء والظلال والعتامات والجو كله •

وفي أسلوب (فريد أبو حديد) ترد ألفاظ عامية كلفظة (ودره) أى أهـدره — (ص ٥٣ كتاب آلام جحا) وفيه ألفاظ لغوية كلفظة (توقل) في الربوة صاعداً « كتاب عنقرة بن شداد » •

وقد جاء في تقرير لجنة جوائز الدولة جلسة ٣/٤/١٩٥٢ — أنه يحاول في كتابته أن يرد الاعتبار لكلمات عامية ويخلع عليها حلة جميلة) •

وهو يضمّن صورته المثل الشعبي فإن وراء مناجاة جحا بعد أن كسدت تجارته وأورثته الفقر — والتجارة فيها تسعة أعشار الرزق •

(أى رب ، هذا أنا ضربت في الأسواق ولم أعص مشورة القاضي • لم أقعد ولم أتخاذل ولكنى هذا عبدك لا أملك مالا ولا أجد رزقاً كأنما كنت في غيبة عند توزيع الأقسام) ص ٥٨ •

وراء هذه المناجاة المثل المصرى الشعبى الساخر (الغايب مالوش نايب) •

أقول هذا بمناسبة موقفه من أساليب مستحدثة تسوؤه • إن الأسلوب في رأيه أحد اثنين :

١ — إما أسلوب عربى •

٢ — أو أسلوب أعجمى وهذا الأخير ينقسم بدوره إلى قسمين :

(م ٢٠ — قسم أدبية)

* أعجمى ملتو أى عباسى ملتو *

* أعجمى سخيـف يقلد الأسلوب الأوروبى مع الفارق الذى يضم كل ما بين الشرق والغرب من فروق *

وغير هذا أو ذاك الأسلوب العربى الأصيل فهو بسيط سهل مباشر ، تشهد به معلقة امرئ القيس *

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت أزمعت صرمى فأجمل
أغـرك منى أن حبـك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

خطوط مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء *

إن البلاغة هى ترجمة الشاعر بالصور • الفرق بين الأدب والسوق هو أن الأدب وسيلة إلى التعبير بالصور الملونة الحية حين ينهال كلام السوق بلا فن بلا •• لون •• بلا لمسات تعلن عن ذوق صاحبه •

* * *

والقصة عند فريد أبو حديد تتبع من إعجاب كبير بشخصية تاريخية ، أو عيش طويل فى عصر تاريخى يملأ نفسه ويشبع حواسه ، أو تتبع من واقع نفسى يأخذ عليه طريقه فيتنفس فى وقائع التاريخ أو أحداث الحياة •

أما المواقف فهو يتركها تخلق نفسها بنفسها ، يتركها لأشخاص قصصه يحددونها فيتحركون ويعبرون بلا ضغط منه كما أشرنا •

وهو كاتب هادف فالقصة عنده تنفيس عن أزمة أو تصوير لمشكلة أو دعوة إلى شيء ••• القصة عنده وراءها فكرة وأمامها غاية ولها مغزى قد يستغل حيناً ولكن ما يلبث الواقع أن يفسرها بأحداثه ••• فعندما طغت الملكية فى مصر وأعوانها من استعمار واقطاع ••• واستشرى الفساد كتب

قصته (جحا في جامبولاد) و (وجحا في ماهوش) • والقصتان يجمعهما كتابه (آلام جحا) •

سأله أناس في حينه ، أين جامبولاد ؟ أين ماهوش ؟ فكان يجيبهم ساخراً : اسألوا بتوع الجغرافيا •

إن جامبولاد هي مصر وماهوش هي مصر • لتقع جامبولاد في أي ركن أو بقعة من خريطة الدنيا ما دامت تؤدي دورها في الكتابة عن مصر •



وهذا الكتاب من خير كتبه عندي إن لم يكن خيرها جميعاً حتى ليجدر بنا أن نقف عنده وقفة طويلة •

فقد حمل الكتاب من القيم والمفاهيم والدعوات الجادة ما يشكل مادة خصبة للدراسة والفن •

وقد بث الكاتب في غضون هذا الكتاب كثيراً من آرائه في الأدب والمجتمع والحكم والحياة والناس •

ففي (آلام جحا) يسخر أديبنا فريد أبو حديد من الأدعياء •• أدعياء الأدب والشعر « فأديب القصة » عجيب (عرف بالنبوع في الأدب بين لداته وتمكن منه الوهم فاعتقد أن الله قد وهب له من فضله ما لم يهبه لسواه • وجعل يسألني عن أسماء شياطين الشعراء ليختار له واحداً من بينهم ظريف الاسم كريم السابقة •

وكثيراً ما أفضى إلى بأمله في أن يكون كبير الأدباء في جيله فتأخذني الشفقة عليه فأهز رأسي صامتاً • فليمض كما شاء الله ولا حيلة في صرفة عن

وهمه ، والزمن وحده كفيل بحل مشكلات الحياة • إن تيار الحياة يحمل الإنسان في سبيله كما يريد هو ، لا كما يريد الإنسان • ولا عجب إذا كان ابنى يصبح كبير الأدباء في عصره فإنى رأيت العصر يسير من فساد إلى فساد • ولعل هذا الأدب المسوخ يكون في عصره آية الإبداع في أنظار أهله) • « آلام جحا » •

ولشد ما ينغص الأديب تطفل الأدعياء على مائدة الأدب • فالأدب مطمح كل هاو • لهذا ثار جحا عندما تبين رغبة ولده في أن يكون أديباً (إن كل صناعة أخرى وكل تجارة غير هذه المهنة أجدى على أى شاب يريد أن يحيا • فليكن طبيباً إذا شاء أو حجاماً أو منجماً ، فلن يزاحمه في صناعته إلا من كان له شىء من العلم بصناعته • فالناس يفتحون أعينهم ويسألون عن الطبيب قبل أن يسلموا إليه أبدانهم للعلاج ، ويسألون عن الحجام قبل أن يأذنوا له بأن يسيل الدم من عروقهم ، ويسألون عن المنجم قبل أن يعطوه أجره على تضليلهم • أو فليكن فقيهاً فإنها تجارة رابحة ولن يزاحمه فيها إلا من كابد مشقة الحفظ وأعمى عينيه من طول القراءة ، أو فليكن خبازاً فالناس لا يتدسسون بين الخبازين إذا لم يكونوا قادرين في صناعة الرغيف • فليكن أى شىء من هذا أو غير هذا لأنه عند ذلك يصير صاحب حرفة محدودة معروفة ، لها قيود وفيها أسرار تمنعها عن الدخيل وتحميها من الدعى • (ولكن لا يبلغن به السفه أن يدخل برجليه الى تلك الرملة الخوانة التى يسمونها صناعة الأدب) • « آلام جحا » ص ٢٨ — ٢٩ •

والأديب مغبون دائماً فأديبنا يعرفه متسائلاً : (من هو الأديب ؟ هو الرجل الذى لا يملك من حطام الحياة شيئاً) • (ص ٧٨) •

* * *

ويسخر من الرمزية المفرقة التى سادت فترة من فترات العصر الحديث فجحا يستغيث مما يقذفه على رأسه ابنه « عجيب » من عبارات

هؤلاء البائسين (فهو يتغنى بالضوء الذى يداعب أعطاف السماء وبالنشوة التى تتمشى فى الظلال الناعمة ، وبالسحر الذى يتموج فوق مجالى النبضات اللانهائية) « ص ٢٥ — ٢٦ » •



ويسخر الأستاذ فريد أبو حديد من التشديق والتقعر أو الذى يسمونه فى اللغة الفصحى : المعاظلة • فيرسم صورة لابن جحا يودعها رأيه فى هذا الصنف من الكتاب • (على أن ولدى قد فهم من الأدب القشور وغاب عنه اللباب • رأيته يوما يشتري ممجما ثم رأيتـه يقبل عليه كلما وجد فراغا فيحفظ من ألفاظه كل ما شذ واستعجم • وتعود بعد ذلك أن يستعمل تلك الألفاظ فى كتابته وحديثه • وولع بعبارات يجمعها فى قراءته من كل ما هب ودب من كتب هؤلاء المساكين المخذوعين الذين يحسبون أن الأدب لا يزيد على طمس المعانى والقضاء الألفاظ سحبا سوداء عليها تجعلها غامضة مبهمة • فاذا قرأ القارئ مثل هذه الكتب ولم يدرك منها معنى فلا يسمعه الا أن يتهم نفسه ويسىء الظن بفهمه ويدفعه اليأس الى أن يقول مع القائلين ان هؤلاء الكتاب من نوابغ الأدب) « ص ٢٥ آلام جحا » •

لشد ما يذكرنى هذا الكلام بالرافعى وسحابه الأحمر

وفى مجال السخرية من التقعر يسوق أدينا هذه القصة الطريفة فقد سقط ابن جحا فى البحر فأخذ يصيح :

— الوهس .. الوهس الوحى الوحى الجدار المتملس يحاور كفى وسراب الماء يداعب أنفاسى والهلاك المشمخر يراود أجلى •

يقول جحا : (وكان يريد الاستمرار فخشيت عليه وصحت به) :

— اخرس ، ما هذا الوهس وما هذا الوحى ؟ وما ذلك الذى يداعب ويراد ويحاور ؟

فرفع رأسه نحوى وقال متحديا :

لقد رأيت الوهس قبل سقوطى فى البئر ومعناه الجرى السريع •
وأما الوحى فمعناه العجل وأما الجدار المتملس الذى يداعب يـدى فهى
عبارة رائعة نقلتها عن الأديب الكبير وأراد المضى فى قوله فصحت به
مرة ثانية :

— دع هذا وقل لى أين الحبل الذى كان هنا على بكرة البئر ؟
فقال فى انكسار :

— هو الذى انقطع بى وأهوانى فى ثبج الـ •

فقاطعته قائلا : قلت لك اخرس ••

وتمضى القصة كقصة ذلك التركى الذى أصر على شـق البطيخة
بالمقص لا بالسكين حتى إذا قُذِف فى البحر جزاء عناده الجاهل الأحمق ،
غاص فى طريقه الى القاع السحيق ولكنه قبل أن يهوى لم يبق منه على
صفحة الماء إلا أصبعان تتحركان حركة المقص •



ورأى الاستاذ (فريد أبو حديد) فى الشعر الجديد من خلال قصة
جحا إنه شـئ لا معنى فيه ولا وزن له • ووالله لو كان ذلك شعرا لا استطاعت
كل عنز فى حقول ما هوش أن تكون شاعرة •

ولم تقتصر سخرية الكاتب على الشعر الجديد وحده بل سخر أيضا
من شعر المديح فقد كان تيمور كما وصفه جحا على الأقل له جبهة
(ناتئة وحاجبان مائلان صعدا وفمه أشدق يكاد اللعاب يسيل من جانبه
حتى إن جحا وقف ينظر اليه ويعجب من قدرة الله الذى جعل هذا سيـدا
للناس وما بى حاجة إلى المقارنة بين حقيقته ومدحه فجحا أيضا كفانى
مئونتها بوصفه الشعراء هذه المرة • كان منظرهم فى الحق مسلـيا ، إذ كانوا

يتمايلون ويهتزون ، وينظر كل منهم بمؤخر عينيه إلى الناس لقي أثر قوله في الوجوه •• مساكين هؤلاء ؟ جعلت كلما سمعت من أحدهم معنى أتأمله لأرى صدقه فاذا سمعت وصف جمال تيمور نظرت إلى وجهه •• وإذا سمعت وصف قوته صوبت بصرى في جسمه وصعدته ، وإذا سمعت وصف سيفه ورمحه التفت إليه لأرى هل معه من ذلك آلة ، فلم أجد من كل ذلك إلا كذبا وفرغ الشعر وهز تيمور رأسه مرتاحا وأذن للشعراء أن ينصرفوا ثم أشار إلى رجل قائم عند رأسه فانصرف وراءهم ولا أدري بما أمره أبعقابههم على الكذب أم بثوابهم على الرياء •• ولأمثال تيمور حرص على مثل هذه الأقوال المنمقة والصور المخترعة فهي تستقر في العقول فلا يزعزعها من بعد شيء •• ومثل هذه قد زيفت على الناس معنى العظمة ، وأفسدت معنى الكرم والعدالة ، وجعلت من العقلاء الأبرار عبيدا في الأغلال • وليست هذه أول مرة رأيت فيها أثر الألفاظ في الناس ، فقد كان الإنسان أسيرها (ص ١٦٦ •

سخرية من الدعاية التي تظل تكذب حتى تصدق نفسها ثم يصدقها الناس أو بعضهم على الأقل • وكم سخر من الدعاية في مواطن متفرقة من الكتاب • الدعاية التي تصنع من الحبة قبة والناس •• الناس قلما نجد فيهم من ينظر بعينه بل يسيرون على هدى آذانهم (اقرأ ص ١١٧) الدعاية التي تشيع الكراهية بين أناس لم ير بعضهم بعضا (اقرأ ص ١١١) •

والحق أن تيمور كان ذكيا — ولعلها الصفة التي لم ينتبه إليها الشعراء البلغاء — فقد طلب إلى جحا أن يعرفه حقيقة قدره فأجابه الشيخ الحكيم بعد تردد : (لا تصدق حرفا واحدا مما يقوله هؤلاء الذين يمدحونك فإنهم إنما يبيعون لك سلعة يعرفون أنك تحبها) (ص ١٦٩) •

إن جحا في حضرة تيمور يذكرنا بالأحنف في مجلس معاوية •• كلاهما كان رجلا •

في الكتاب ألوان من السخرية ..

سخرية من مجتمع الوظائف الذى يضح (الأذنان فى القمة)
(ص ١١٢)

سخرية من الشارات التى ترمز إلى الهيل والهيلمان كعمامة تيمور
(ص ١١٢)

سخرية من الرقابة التى تعد الأنفاس والخطى •

سخرية من الأزياء الرسمية

سخرية من المناصب فحين عرضت على جحا الوزارة كرتة الهم •

وفى هذه الصورة سخرية ممن يفرحون بالمناصب ويرون فيها مغنما
غافلين عن أوزار العمال وأثقال المظالم التى ترتكب باسم الوزير
أو الكبير ••

سخرية من صاحب الأعلام الخمسين التى تطيح كلمة منه بالرهوس
عن الأجساد •

سخرية من الأحكام فقد أدرك جحا (أن أقصى القضاة فى إيقاع
حد الخمر من ذاق لذتها وأحس سورتها) « ص ١٣٠ » •

سخرية من التمسح بذوى النفوذ والوقوف بالأعتاب •

سخرية من الجبروت ومن عباد الطاغوت •

سخرية من الذهب المطمور وأصحابه فإن قدورهم المختومة التى
فى باطنها الذهب لا تزيد على قدور مملوءة بالرمل أو الطين مادامت مقفلة)
(ص ١١٦) ومع هذا فهى عند أصحابها أعز من الولد وأحب من الوطن
(اقرأ ص ١٧٢) •

سخرية من أبطال الحروب الذين هم أفقر الناس إلى السلام •

سخرية من أصحاب الفلسفات والمبادئ التى تتبع مبادئهم من فشلهم وقلة حيلتهم .. فلسفة الحق التى كشفها المثل الشعبى بذكائه وفكاهته حين قال (قصر ديل يا أزعر) —

سخرية من شيخ ممن (يعتقد الناس فيه فكانوا يذهبون إليه طلباً للبركة وإن لم يأخذوا علماً) (ص ٣٦) •

وكم بين المتمسحين بالدين من أعداء للشرفاء • إن الدين وأهله منهم برآء ولكن • البسطاء يقبلون يدهم التماساً للبركة ، ياللسخرية •

فى الكتاب سخرية عامة من المشيخة والرموز والاشارات والكرامات فإن جحا حين اعتقدوا فيه الولاية والكرامة أراد انقاذهم من فتنة لا يعلم غير الله مداها فتعمد أن يظهر فيهم ببعض ما يكره ويعلن ما ينكر لعلهم يدركون أنه بشر يزل ويخطئ فإذا اجتهد فإنه إنسان ضعيف وإذا علمهم فهو مثلهم بشر سخيف ولكنهم (كانوا يرون آثامه تجلياً وحماقات رموزاً) (ص ١٧٥) •

سخرية من شقاء الشقى الذى يكدح ولا ينال • • ومن حظ الغنى الذى يظفر وما سعى • إنها ضريبة يدفعها البلاء المجهودون ليتفضل بقبولها السفهاء العاطلون •

سخرية من حقارة الذين يساومون صغار الباعة وفقراءهم على ما لا يساوى درهما • • على ليمونة •

سخرية من الحفلات الخيرية التى تتبارى فيها المظاهر لا الأعمال الخيرية •

قصة جحا مع القاضى والإوز سخرية من صداقة بعض الأصدقاء وحكمة بعض الحكماء (اقرأ ص ٦٠ — ٦١) •

سخرية من القلب الانساني نفسه ذلك القلب الذى يكتون الأشياء والصفات والناس بالألوان التى يريدها وفقاً لحالته التى يكون عليها من السخط والرضا والكره والحب •• فابنة السلطان التى عاش جفا عمره يتغنى بجمالها مطمحا غالباً بعيد المنال تبدلت فجأة فى عينه حتى لكانها مسخ من الخلق ، حين كان قلبه مفتونا بأخرى يخلع عليها ألوانه السحرية وكان أن اعتذر جفا عن الزواج من ابنة السلطان •

سخرية من الخوف فجفا يريد أن يشتري الطعام بالثمن أو بالمقايضة فيعز عليه فاذا أقبل (صاحب الريشة) سارع الناس فحملوا اليه الطعام أحمالا ناء بها ظهر جفا • وهكذا يساقون بالعصا أما الذى يتلطف معهم ويتلمس الوسيلة إلى مداخل نفوسهم لا يبيء منهم إلا بالخسران • ومن هنا جاء المثل المصرى الشعبى (فلان على رأسه ريشة) •

وتجربة جفا فى الأسواق سخرية من أخلاق الناس الذين يخافون ولا يستحون • ويفسر له صاحبه (على رأسه ريشة) هذا بقوله : (من أراد صلاح قوم أخافهم) •

منطق الحكم المطلق وهو منطق يرى فيه الاستاذ فريد أبو حديد غير قليل من الصواب ثم ما يلبث أن يفلسف هذا المنطق (فقد خلق الله فى الإنسان غرائز كثيرة **والخوف من أعجبها أسراراً** • فهو يتشكل فى شتى المظاهر كما يتصور الجنى فى صور الإنسان والحيوان • فالخوف يتخذ حيناً شكل الحب ، وقد يتخذ شكل الإجلال أو الولاء أو الأدب • وهو يحمل كل هذه الأسماء مع أنه ليس فى الحقيقة سوى الخوف • ولكن هذا الخوف لا يطغى على الطباع إلا إذا انعدم الحب الصحيح • والخير كله لا يكون إلا فى الحب ، ولا تكون الكرامة ولا الصلاح ولا الإنسانية إلا فى المحبة) •
(ص ١٩)

ولعل هذا من أروع ما جاء فى الكتاب من قيم •

وكم من صور فكهة رسمها جحا الساخر لعل من أطرفها صورته حين تظاهر بالموت ، ليفضح رياء الناس • ليقوم بعملية تعرية للأحياء • فالزوجة التى أذاقته الهوان فى حياته كانت تصيح قائلة (ياسبعى الخ) • ألوان من السخرية • سخرية من تكريم العظماء بعد موتهم حين لا ينفع التكريم ، وجحودهم فى حياتهم حتى لا تشفع لهم عظمة • سخرية من مشيى الجنائزات •

سخرية من الأتراك أصحاب القلائس العالية ، الذين يحسنون الانتفاش فى ملابسهم الزاهية •

إنهم مؤدبون ومن أدبهم أنهم يعتذرون للقتيل قبل ذبحه ! ياللرحمة ياللأدب (ص ٧٧ - ٨٠) •



حتى الطموح والجري سخر منهما المؤلف فى حديث جحا عن القمم الساحرة • • الساخرة التى ما إن بلغها جحا بعد طول تشوف وتلهف وتمن حتى سقط من الإعياء وخانته أنفاسه ثم كادت الخيبة تقتله إذ تلفت حوله فلم ير إلا صخوراً مثل الصخور وكهوفاً مثل الكهوف تماماً كما مر فى صعوده • وكانت القمة جرداء صماء كالحة باردة فسأل نفسه أين البهاء والرونق ؟ وأين الألوان الزاهية والأضواء الباهرة • • • أين ابتسامة القمم الساحرة ؟



وفى الكتاب نقد اجتماعى وتاريخى غفى جانبولاد (رسم السادة خطتهم على أن يجعلوا الذهب وقفا عليهم ، فكانت النتيجة أن الذكاء والعلم والأدب والخير والفضل لم يصبها منه شئ ، إذ لم تجعل لها قيمة فى خطتهم المرسومة) •

ومن وراء نقد مقاييس المجتمع الخاطئة فى تقدير الناس حسب (ذهبيهم) ، ينفذ رجل الأدب ورجل التعليم فريد أبو حديد إلى تقييم

حقيقى للقدرات والمواهب والأعمال سخر من خلال بيئته الوظيفية وسخر فيه رجل التاريخ من الدولة الأموية والدولة العباسية معا • (جعلت لإطعام الفقير وزن حبة من الرمل ، ولعيادة المريض وزن حصاة صغيرة ، فإن هذه من الواجبات التى لا ينبغى لأحد أن يطلب عليها الأجر • وجعلت لكتابة رسالة فى الأخلاق وزن حصاة كبيرة ، ولكتابة رسالة فى التاريخ وزن درهم لأنه سجل الأمم وهو يعلم الناس أن الحياة تقضى ولا يبقى على الدهر إلا الخير ، وأن الظلم مرتعه وخيم ، وأن العسف لا يقيم الدول إلا الى حين • وجعلت لكتابة القصة وزن أقة لأن القصة لا يقدر عليها إلا من وهب الله له من فضله • ولم يكن فى تقديري مبالغة فإن الخلفاء العظماء كانوا فيها مضى يجيزون الشعراء بمئات الألوف من الدراهم على أبيات فى المدح الكاذب أو فى وصف الخمر واللغو • فإذا أنا جعلت للقصة وزن أقة واحدة من الذهب ، لم أكن مغالياً • وجعلت لتعليم الناس قدراً كاملاً — نعم ، قدراً كاملاً فالتعليم يطهر النفوس ، ويبنى أساس المستقبل ويفهم الناس معنى الانسانية • فإذا خرج المعلم رجلاً كاملاً أضاف إلى الأمة ثروة لا تقدر بمال • وما كنت لأبخرس التعليم حقه وأنا أعرف قيمته ، ولن يضيرنى أن تيمور وطلبة جانبولاد لا يعرفون له قدره • فإن الحقائق لا يستطيع إدراكها إلا من يسمو بذكائه الى المعانى العليا) « ص ١٤٤ —

• « ١٤٥

وفى الكتاب طرقات كطرقات المعاول فالدمع الذى يثور فى العين مرة لا يضيع سدى ، واليد التى تمتد فتعنى وإن لم يكن فيها شئ من الذهب ، والكلمة الطيبة يجود بها القلب فتغذى الروح ولا يقاس بها عطاء من فضلات الغنى ، والمساكين المتعطشون إلى الكلمة الطيبة •

وكسدت تجارة جحا الذى اختار السجاد العجمى سلعة لنفاسته ونظافته فلا يأنف الحس منه وجماله الذى يرتاح الذوق إليه ، أو

لا يتعفف عنه أصحاب المروءة ولا يشتريه الا العظماء ولكن (العظماء قليلون) وقد فسد الزمان وضاعت بين الناس قيم الفنون (ص ٥٦ •



وفي الكتاب نماذج بشرية فالشيخ جمال الدين يمثل أنانية الانسان التى تبلغ أحياناً حد الوقاحة وقد تتجاوز المدى فتصير لؤماً وخبثاً يتنافس فيه الشيخ جمال الدين والشيخ عماد الدين ، والناس الذين يصطنعون الزهد فى لحم الثور ويختلفون الأسباب حتى إذا أباحه لهم جحا بلا مقابل تهافتوا عليه وطاب لهم •

وفي الكتاب ضحكة حزينة من (صمت العارفين) ذلك الصمت الثقيل الذى رأى جحا عذاب الجحيم أهون منه •

ولكن جحا الفيلسوف لا يترك هذه الظاهرة فى (جانبولاد) بدون تحليل • إن الباعة فى « جانبولاد » رجال (يستطيع أحدهم إذا شاء أن يدير ساقية بزنده ، ولكنهم كانوا لا يحملون من السلع إلا يسيراً لا يزيد ثمنه على دريهمات • ففهمت عند ذلك السر الخفى • فهمت كيف يرضى العامة فى جانبولاد بأن يقيموا فيها خاضعين ، ويضعوا ألسنتهم داخل أفواههم • فليس بهم من حاجة إلى الكلام لأنهم فى شغل عن ذلك بهم اقتناص الرزق الضئيل) ص ١١٥ •

وفي الكتاب حديث عن ألوان الحكم يغالى خاصة بحكم الفلاسفة مما يذكرنا بجمهورية أفلاطون (فإن الفلاسفة يعرفون ضعف البشرية وهذا يكفل لحكمهم الرحمة ، ويعرفون كرامة الإنسان ، وهذا يكفل التطلع والتسامى ، ويعرفون معنى الفناء وهذا يكفل لهم الاعتدال) • ص ١٧٦ •

ويبدو أن الأستاذ « فريد أبو حديد » قاسى من ضغط ناء به فى حياته الوظيفية فجعل يقول « إن الطغاة لا تعوزهم الحجج إذا شاءوا

التماسها • وياليتهم إذا إرادوا البطش اتجهوا اليه كما يتجه الضبع الى فريسته مكشراً صريحا لا يعرف مواربة ولا رياء ، ليتهم يفعلون ذلك فيبلغون العذر لأن هذا هو قانون الغابة ، ولا بأس فيه على القوى إذا سطا بالضعيف • ولكنهم يأبون إلا أن يتستروا وراء ما يقيمون من القواعد ويسمون ذلك عدلا « ص ١٤٩ •

ثم ما يلبث أن يقول : « أيها الأشقياء إذا اطلعتم على ما في قلوب الطغاة وهم يدوسونكم بأقدامهم لسركم ما تطلعون عليه • إنهم يخشونكم وأنتم صرعى ويعرفون ضعفهم وقوتكم » ص ١٥٣ •



لقد كتب الأستاذ فريد أبو حديد « آلام جحا » وهو مأزوم فهو يتنفس من حين لآخر • فمرة يثنى على « حماره » الذى يسميه « البطل الصامت » ويعدده أكرم من « كثير من هؤلاء الذين يحملونه أحمالهم ولا يتورعون عن إلحاق الأذى به ضرباً ووخزاً وشتما » ص ٣٥ •

ومرة يقول « ما أشد ضيقى بالحياة فى ماهوش وطنى ، فإنى لم أجد حولى فيه إلا جشعاً وظلماً • ولكنى أرحم هؤلاء الذين يظلمونى فإنهم جديرون بالثناء • وأى قيمة للحياة إذا هى خلت من الكرم والإيثار والمحبة والصدق ؟ إن الذين يفقدون هذه الاخلاق لا تبقى لهم فى الحياة فضلا تستحق الحياة ولكنى مع هذا قد كدت — أضيق بالحياة فى ماهوش » ص ٥٠ •



وبهذه المناسبة أقول إن ماهوش فى « آلام جحا » هى مصر • إن ماهوش هى مصر ذات النهر الذى تخفق له قلوب الموتى بله الأحياء • وقصة جحا مع صاحب البستان قصة الكثيرين فى مصر ذات

« البساتين » الفسيحة التى تمتد إلى مدى البصر عن يمين وشمال وفيها
من كل فاكهة ومن كل بقلة » ص ٦٨ •

وأهل ماهوش هم أهل مصر « هم إذا حزنوا غنوا ، وإذا فرحوا
غنوا ، وإذا باعوا أو اشتروا غنوا ، كل من أراد أن يعرض سلعة جعل
عرضها غناء ، وكل من أراد نداء جعل نداءه غناء » ص ٦٠ •

وأبو النور صديق جحا مصرى أيضاً • إنه طيب ، كريم ، يعطى بلا
منّ بل يحدث أحياناً أن يبدى نبهه ، اليد السفلى ، هى المتفضلة •

إن مصر تطل باسمه من خلال سطور وصفه لماهوش • إنها هى الجنة
الخضراء التى تبسم دائماً للصباح إذ تلقى عليها الشمس أول شعاعها
الذهبي ، ورأيت سماءها والسحب تزخرف أطرافها بنسيج سحري من
الفضة والذهب واللؤلؤ والياقوت • هذه السماء هى التى ملأت قلبى تسبيحاً
وعلمتني من المعانى ما تعجز عنه كتب الفلاسفة ومباحث العلماء • وألقيت
نظري على « نهر ماهوش » — رأيت — إذ تتحدر إليه الجداول
الصافية ، تتدفق من عيون رائعة باردة تنبع من قمة الربوة ثم تسير
في جداولها التى تلمع في مجاريها الحصباء كأنها الدرر انفرطت من عقود
الحسان •

هذه ماهوش لذة العين وبهجة القلب وشفاء الصدر أغادرها
وأهاجر منها لأضرب في الآفاق فناديت من أعماق قلبى « يانفس تجلدى
وياعين اغمضى ويافوؤاد التمس النسيان » ص ٧٦ •

إنها مصر التى لا يستطيع فراقها أحد إلا مغمض العينين إذ لا
يقوى على الفراق •

إنها مصر التى نسيته زمناً وهو مع النسيان « يستقبل السماء في
الصباح والمساء من أجلها بدعائه » •

إنه النيل الذى « تحقق له قلوب الموتى بله الأحياء » •

يارب السماء ، احفظ لنا مصر ناسية وذاكرة ، جاحدة — وماجدت —
أو وافية فإنها وطنى • ومعبدى •••



وفريد أبو حديد إذا فرغ من حديث جحا فى ماهوش انتقل إلى
« جانبولاد » • وجانبولاد أيضا هى مصر •• إن مصر تملأ عليه نفسه •
وإلا فهل هذا الوصف لخير أهل مصر ؟ إن الأهل « جانبولاد » عادة فى
تسمية حكامهم أسماء يخترعونها أو يحرفونها عن أسمائهم أو يفيضون
عليها بعض أفاويه من فكاhtهم • وأهل جانبولاد من أحلى الناس فكاhtة
وهذا مما حبيبهم إلى (فالفكاht أولى علامات الإنسانية • وهم يجدون
فى فكاhtهم ترفيها كثيرا مما يعانون من مشقات الحياة • وخواص
جانبولاد لا يخشون من عامتها شيئا هو أشد عليهم من هذه الفكاhtة
الحلوة اللاذعة) ص ١٠٢ •

ما من شك أن جحا فى ماهوش وفى جانبولاد إنما هو كاتبنا فريد
أبو حديد فى مصر • ولكن الشدة الطاحنة التى مر بها والتى أخرجت
هذه النفثات ما لبثت أن انفجرت فتسمحت بنفسه وانتهت إلى فلسفة
فى الحياة مريحة (لست ممن يتلمس العيوب أو يعد السقطات • علمتنى
الحياة أن آخذ الناس كما أراهم ، فهكذا خلقهم الله وهكذا أراد أن
يعيشوا • إنهم من طين الأرض لا يستطيعون أن يكونوا من ملائكة
السماء • وما أحرانا إذا رأينا العيوب أن يزيد عطفنا على أصحابها
ورثاؤنا لهم ، لأننا من البشر نحس ثقل الطين فى طبعنا • وأكرم ما
يستطيعه إنسان أن يملأ قلبه بالعطف على المخطئ والآثم لأن هؤلاء
أحوج إخوانه فى البشرية إلى عطفه • ومع هذا كله فالحسن والقبح أمران
يتوقفان على تقدير كل فرد ، وقد يكون الشيء حسنا فى عين إنسان فإذا
به نهاية القبح فى عين إنسان آخر) ص ١٠٤ •

إن عزلة الإنسان عملية تعرية للناس فجما حين لاذ بالشجرة واتخذ مجلسه فوقها امتلاً صدره بعيوب غيره (إذہ كنت أرى الناس يمرون تحتی وهم لا یفطنون إلى وجودی ، فیظهرون ما یبالغون فی إخفائه عن العیون ولا یتخرجون من كشف خلجات الضمائر) ص ٥٠ •

ولكن العزلة كل شيء لها وجه آخر مشرق فقد تنتهي بصاحبها إلى فلسفة الرضا بالواقع والتسامح معه « فقد خرجت من كل ما رأيته وأنا فوق الشجرة على حقيقة واحدة ، هي أن الإنسان جدير بالثناء ، وليس في ذنوب الناس ما يستحق العقاب •

لقد بدا لي وأنا فوق الشجرة أن الله خالق هذه الأكوان العظيمة لن يضيق بالعفو ولن يكبر على رحمته ذنب (ص ٥٠



وتتفاءل فلسفته فيهب بالأشقياء من بنى الانسان أن يلتمسوا الضحك كلما أحسوا بالرغبة في البكاء (التمسوا الضحك كلما شعرتم بدبيب البأس بين ضلوعكم ، فإن اليأس لا يلبث أن يذوب تحت نوره الساطع) ص ٩٦ •

ولكن جحا ، ساخطاً وراضياً ، فنان أصيل تستولى عليه الحديقة فينقل طرفه من عود إلى عود ومن زهرة إلى زهرة ويجد في تأمل المخلوقات عبادة أسمى من كل عبادة • فنان بالاحساس والتعبير تستوقفه قناة تخرج من ثنايا الكهف (فيها ماء صاف كأنه بللور مذاب ، ينساب جارياً وهو يغنى بخير يلذ للأسماع خافت يشبه التهافت بالضحك في مزاح العذارى • وكان يهبط إلى حوض من الصخر مهشم مصقول يلمع النور فوقه فإذا هو يبدو أخضر مثل قطعة من الزبرجد من أثر ما عليه من الطحلب الدقيق) •

وهنا ينسى جحا جوعه ويدندن بالغناء وقد اشتمله المنظر البديع
(من خريير الماء منساباً في جداوله ، إلى ريح الزهر المشتعل في خمائله الى
لون الورد الناعس في غلائله) ص ٨٥ •

جحا إنسان فنان حساس يرى السجادة الثمينة منسوجة من
(حرارة الأرواح ونشوة الأمانى ويرى زهورها كأنها استمدت من أشعة
الأصيل على أردية السحاب) ص ٥٤ •

جحا إنسان فيه ذكاء وفيه طيبة قد تتوسع فتصير سذاجه • وهو
عاطفى يلتصق بالأشياء ويصعب عليه الفراق ولو كان المفارق جدار ،
أو سور متهدم ، أو ساقية تتوح بغير دموع ، أو مربوط ثور أكل الناس
لحمه •

جحا إنسان عطوف يحب الحيوان ويطعمه بيده ويداعب الأغنام
كما يداعب ولده • وهو إذا اشتراها فنان يرخص فيها الثمن ويرى أنه
يعطى صاحب الشاة (حجر أصم ويأخذ منه حياة بديعة الخلق) ص ٥٦ •

فنان يرى في البياضة البسيطة من جلال الخلقة وجمال الصورة
وإبداع الهندسة ما لا يراه الناس • نعم للبيضة في عين جحا أقصد في
عين الفنان (هندسة عجيبة في شكلها ، ورونق رائع في جملتها • ليس في
الأشياء ما يدخل الفرخ على القلب مثل البياضة إذا وجدت في ركن بيت
الدجاجة ، كأنها عند ذلك كنز من الجوهر) ص ٥٧ •

يبدو أن جحا كان مصرياً ابن بلد •

جحا فنان يسمع حديث الصمت ويفهم لغة الدمع ويتفكه وهو
يدمى ، ومن الفكاهة المصرية ما ينبع من قلب جريح •



وفي الكتاب سبجات صوفية ينتزع فيها الإنسان (روحه) من قمقم

الطين .. من الجسم الذى يجبس روحه . سبحات تنطلق فيها الروح العملاقة فى رحاب الأفق المضى حيث يجلو النور ، الروح ، ويحل الحق فى كيان الإنسان فيملؤه قدسية .. هناك تهيم الروح وتكشف الغطاء عن الأسرار وتتلبس بحقائق الأزل الأول فلا اللفظ لفظ ولا الحس حس (بل الكون أنا وأنا الكون) ص ١٢٠ •

ولعل هذا يفسر نظرة جحا إلى الحب والصدقة فهو إذا أحب واصطفى لا ينظر إلى الجسم أو الهيئة ولكن إلى الروح حتى الوصف يأتى عنده شفاها مضيئاً معنوياً فصديقه أبو النور (كالماء الصافى البارد إذا اشتد الحر ، وكالنسيم البليل يمسح الجبين المحموم فى تواضع ، وهو كالنور يهدى ولا يصدى هو روح وذكاء وخير ومواساة .. وهو يعطى من نفسه ولا يبدى ماينم عن أنه يعطى • عيناه الغائرتان تملؤهما الرحمة وصوته الخافت ينهض بالإخلاص حتى لحيته الخفيفة تبعث الثقة وتوحي بالصدق) ص ٤١ •



وفى الكتاب صلاة للحرية التى هى أثمن من كل مال وأطيب من كل رزق فقد التقى جحا بالمال فى (جانبولاد) وبعد حرمان طويل ولكنه ركله .. باعه بنسمة حرية فى (ماهوش) •

(لقد هاجرت من وطنى لأننى لم أجد فيه مكانا يرضينى ، ولأننى لم أجد فيه رزقاً يغنينى ولكنى علمت بعد أن وجدت الرزق فى جانبولاد أن وطنى كان يمنحنى ما هو أثمن من كل مال وأطيب من كل رزق • الكرامة والحرية ، وهما لا يقومان بمادة هذه الحياة كلها فواحر قلباه) •

ثم يسترسل جحا الأبى " ساخطا على الوطن الجديد (هذا البلد الذى لا كرامة فيه إلا لأصحاب الأعلام والريش والذى تحكمه القدور المملأ بالمعدن اللامع ... ولكن الذهب شئ والكرامة شئ آخر لا علاقة بين

هذه وذاك فالكرامة حق وهبة الله للناس منذ خلقهم ناسا • فاذا كانت
جانبوالاد تهب إلى القوت لكى تسلبنى هبة الله الثمينة فلا مقام لى فيها)
ص ١١٨ •



وفى الكتاب قيم خلق الأدب من أجلها وعاش بها فقصة جحا مع
تيمور الذى وعظه حتى انهلت مدامعه تأنيب للشعوب التى تصنع من
الأفراد العاديين طغاة بإيهاهم ، وتنمية غرورهم ، بالملق والرياء والمداهنة
ولولا مصانعة الشعوب الجاهلة أو الساذجة لكان لها فى هؤلاء الأفراد
أنفسهم خير كثير ، فهم فى دخيلة أنفسهم بشر فيهم رحمة وفيهم رقة وفيهم
استعداد لتقبل النصيحة الصادقة لو وجدوا من يسوقها إليهم بدلا من
النفاق والمدح الكاذب • ولكن الناس كما يقول جحا (لا يرضيهم إلا
الإغراق والغلو ولو علموا الحق لعرفوا أن الله لم يخلق من البشر شياطين
مردة ولا ملائكة بررة ، إن الله خلقنا بشراً نقارف الخير والشر ويمتزج
فينا الضعف والقوة • وما أجدرنا أن نفيض بالحب والعفو وأن نعرف
أننا أبدأ فقراء إلى الحب والعفو) •

وهو يسخر من الشعوب مرة أخرى أو من طبيعة الانسان حين
يقول بعد بضع صفحات :

(إن الناس لا يعرفون إلا العنف ولا يفهمون من الحاكم إلا القوة
والقسر • وهم لا يخرجون عن أن يكونوا فى إحدى حالتين إما أن
يكونوا فرائس تتخذ طعاماً أو مفترسين يتخذون من غيرهم طعاماً ، ولقد
حاولت أن أعلمهم ولكن التعليم لا يجدى إلا بعد أن يؤتى الثمار ويحرك
القلوب ويفتح العقل ويهذب النفوس • وهيات أن يكون ذلك إلا بعد
حين طويل • لقد حاول موسى أن يعلم قومه احتمال أعباء الحرية فأذاقوه
مرارة الحنق والألم حتى فنى جيل منهم بعد جيل • ولا سبيل إلى استقامة

الحكم حتى يستعد الناس لتحمل أمانة السلام والكرامة والعدل في غير
عنف ولا قهر (ص ١٧٩ •



هذه بعض انطباعاتي عن الكتاب • وتشاء المصادفة أن أطلع بعد أن
فرغت من سطوري عن أستاذنا (فريد أبو حديد) مجلة الكتاب العربي
(العدد التاسع فبراير سنة ١٩٦٥) وفيها لقاء بين الأستاذ جمال بدران
الذي يسأله :

— لو خیرت فی انتقاء کتاب من کتبک الكثيرة لتتناول عنه جائزة فأی
کتاب تختار ؟

ویأتی الجواب هادئاً سمحاً ذکياً :

— لو سلمت بأنه من الممكن أن أختار کتاباً من مجموعة کتبی التي نلت
عليها الجائزة التقديرية بعد أن نال نصيبه من التقدير فی هذه الجائزة
التقديرية الشاملة فإنی — نزولاً علی رغبتکم — أخص بالذكر کتاباً کان
من أقل کتبی رواجاً وهو « آلام جحا » •

ترى هل كنت معه أنا أيضاً علی موعد فی هذا الکتاب ؟

لقد امتنع أن يتحدث عنه إلا لحماً تارکاً (تفصیل ما یقصده) لمن
یهمه أن یقرأ الکتاب •

وها أناذا قد قرأت الکتاب وتحدثت عنه ، بدلاً منه فی لون من
التفصیل : أترانی وعیت عنه (ما یقصده ؟) • • • لعل •

وبعد • • فلیست هذه هی المرة الأولى التي تکرّم فیها الدولة
الأستاذ (محمد فريد أبو حديد)

فقد نال محمد فريد أبو حديد جائزة الدولة عن كتابه (الوعاء
المرمرى) سنة ١٩٥٢ كما أشرنا •

* * *

إن صاحب جائزة الأدب سنة ١٩٦٤ خليف بتقدير الأدب والتاريخ
معا على مر السنين وما أحقه بقولته في أستاذ جليل هو شفيق غربال
(بلغ ما بلغ من المراتب في الوظائف وهو باحث منقب في أعماق الحياة
والإنسان ••) (١) •

تحية للإنسان •• الفنان (محمد فريد أبو حديد) •

أعماله الأدبية

مؤلفات :

- صحائف من حياة (قصة في مذكرات يومية مثل فترتر) ١٩٢٤
- ابنة المملوك (قصة تاريخية تمثل نهضة الشعب المصرى
بعد الحملة) ١٩٢٥
- مقتل سيدنا عثمان • ١٩٢٥
- ميسون العجزيه (اوبريت شعريه) ١٩٢٧
- صلاح الدين الأيوبي ١٩٣٠
- خسرو شيرين (تمثيلية من الشعر المرسل) ١٩٣٢
- سيرة عمر مكرم ١٩٣٧
- الملك الضليل ١٩٤٣
- جحا في جانبولاد ١٩٤٣
- مع الزمان (مجموعة قصص تاريخية قصيرة) ١٩٤٤
- المهلهل سيد بنى ربيعة ١٩٤٤
- زنوبيا ١٩٤٤
- آلام جحا ١٩٤٤
- عهد الشيطان (تمثيلية) ١٩٤٥
- أبو الفوارس عنقرة ١٩٤٧
- عمرون شاه ١٩٤٧
- كريم الدين البغدادى ١٩٤٧
- ازهار الشوك ١٩٥٠

جی اے حق



— شبه جزيرة المورة — أسرته — اشتغاله
بالمحامة — معاون الإدارة — كتاب
(خليها على الله) — انقلاب في حياته — يحيى
حقى في السلك السياسى — يتعلم التركية —
يتعلم الايطالية — وظائف بعد عودته من
الخارج — الثقافة الغربية — قصة زواجه من
فرنسية بعد مصرية — أثر الجبرتى في حياته —
امضاءات مستعارة — ابن المقفع — الشاعر
اقبال — أناتول فرانس والقضية المصرية —
القصة الروسية — اقصة الغربية — قصته مع
اسرائيل — يحيى حقى والمازنى — يحيى حقى
والحكيم — مقارنة غنية — الدعوة الى أسلوب
محدد دقيق — الصعيد فى أدب يحيى حقى —
صور : قطار الصعيد . وفاء النيل . واعظ
القرية . الحان . المطحن . ميدان السيدة
زينب — يحيى حقى الساحر — أسلوبه —
قصصه (دراسة وتحليل) — يحيى حقى
والعامية — الناقد والمترجم — فن الصورة
عند يحيى حقى — مقارنة أخرى بينه وبين
المازنى . المصرية . الشعبية . قفشات .
سخرية جادة — مفتاح شخصيته — تحليل
السخرية عند الرجلين — فن التجسيم — كتاب
فكرة وابتسامة . نقد وتحليل . عناصر الصورة
عنده . عنصر المكان عنصر الزمن . عنصر
اللون . الجو النفسى . المقابلة . المفارقات .
الملمس . الرائحة . تعميق الخطوط بالعامية .
السخرية . الحنان . الأشياء الصغيرة
في الحياة .

هناك في شبه جزيرة المورة رجل لا يعرف ما إذا كان قد هاجر إليها من الأناضول أم أنه من أهلها في الصميم ولكنه على كل حال فكر في الزماع فنهد إلى مصر •• وفي مصر تولى إبراهيم حقى بعض الأعمال في الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل مديرية البحيرة وفيها أنجب من البنين ثلاثة :

أولهم : محمد حقى وقد تلقى هذا الابن دراسته الأولى في الأزهر ثم انتقل منه إلى المدارس الفرنسية ولم يقدر له أن يتم تعليمه بها ولكنه بفضل دراسته في الأزهر ظل يواصل قراءاته عاكفاً عليها •• كان يقرأ الكتب العربية القديمة كـديوان المتنبي ومقامات الحريري • ومن الطريف أنه ذهب مرة للصلاة فإذا امام المسجد غائب وأقبل عليه الناس ليؤمهم في الصلاة وكان مأزقاً فهو لم يتهياً للخطابة وليس عنده ما يقوله • وفكر هنيهة ثم راح ينشد قصيدة للحريري فدهش الناس منه وارتاحوا له •

ولكنه لم يحدث أن اشتغل بالتأليف أو الترجمة أو التحرير بل كان موظفاً بوزارة الأوقاف •



والابن الثانى

محمود طه حقى وفيه تجلت النزعة الأدبية فشارك في تحرير بعض الصحف في مقتبل عمره • وله قصة جيدة سماها « عذراء دنشواى » بلغ من قوتها أن تأثر بها يحيى حقى تأثراً شديداً بكى له • وله هذا ظلت عقدة دنشواى من العقد الكبيرة في نفسه ومكن لها عنده ما كانت تنشره (مجلة المجلات) التي كان يصدرها حسيب عن تنفيذ الأحكام •

وقد اشتغل منها محمود طه بالسياسة ولكنه أيضاً لم يتم تعليمه

وقد كتب قصصاً منها مجموعة (الغاديات الرائحات) مطبوعة • كما عالج القصة الطويلة كقصة (غادة حمان) التي طبعت أكثر من مرة وكتب للمسرح عدة مسرحيات مثلت • وهياً له الجو طبيعة عمله فقد كان يشتغل سكرتيراً للفرقة القومية مع خليل مطران • ومن مسرحياته مسرحية فكاية بالعربية الفصحى تحدياً لمن يرى الفصحى غير صالحة للكتابة • • وكان يكتب في الصحف تحت عنوان (بين جحا وإينه) • ويحيى حتى وإن كان قد حضره مراراً وهو يشتغل بكتابة هذه المسرحيات إلا أنه لم يتأثر تأثراً ما باتجاهه الأدبي أو مذهبه في الكتابة فقد كان إحساسه به دائماً أنه بقايا عهد لا بداية عهد وإن كان يذكر له أنه مهد له الطريق إلى لقاء شوقي • فقد كان بفضل اشتغاله بالسياسة واتصاله بالسراى في وقت ما • له صلة وثيقة مكينه بالمرحوم أحمد شوقي الذي دعا مرة يحيى حتى إلى بيته وأطلعه على مسودة (أميرة الأندلس) زاعماً أنه يريد رأيه فيها • وكان يحيى حتى في ذلك الوقت قد بدأ يكتب القصة فنقد (أميرة الأندلس) • ولم يغضب شوقي على حساسيته الشديدة للنقد وإن كان يحيى ندم على ذلك •



أما الابن الثالث كامل حتى فلم تكن له صلة بالأدب ومن هؤلاء الأبناء الثلاثة للمهاجر التركي ينتمى يحيى حتى إلى الابن الأول محمد حتى وقد ولد يحيى بالقاهرة في ١٩٠٥/١/٧ وقد تنقلت طفولته بين أحياء السيدة زينب والصليبية والحلمية الجديدة •

وكانت أمه (المرحومة سيدة حسين) من أبوين غير مصريين فان أمها ألبانية تزوجت من رجل من الأتراك المقيمين في مصر كان يشغل وظيفة في بندر المحمودية من أعمال البحيرة • وفي هذه المدينة التقت الاسرتان وتزوج أبوه من أمه • كما تزوجت خالته أيضاً في هذه المدينة تاجراً وأنجبت منه ابناً صار فيما بعد (الافوكاتو العام) هو الأستاذ محمد

عبد الحميد السكري • وله ميول شعرية ويكتب شعراً ينحو فيه منحى
الإصلاح الاجتماعي والديني ولكنه على كل حال شعر لم ينشر •



وكانت والدته تجيد القراءة والكتابة • كانت تقرأ القرآن والبخاري
وكتب الأدب القديم • ولعل أسماء أولادها تصور مدى تأثرها بالكتاب
الكريم وتيمنتها به • فمن القرآن خلعت على أولادها هذه الأسماء
إبراهيم ، اسماعيل ، يحيى ، زكريا ، موسى ، فاطمة ، فيحيى حتى شب
في بيئة لها بالأدب صلات حتى لتعد ظهور قصيدة لشوقي حدثاً تلتقى عنده
وتجتمع عليه •• كانت قصائد شوقي تحظى عند هذه الأسرة بالقراءة
مرات وخاصة القصائد الوطنية كالقصيدة المشهورة :

سل يلدز ذات القصور هل جاءها نبأ البدور

حتى لقد وجد يحيى حتى نفسه سنة ١٩١٢ في إبان الحرب البلقانية
يقول شعراً بالطبع محاولات غير ناضجة ولكنها إن دلت على شيء
فإنما تدل على انطباعات بيئة الطفولة عليه •



ومن الأصول الأدبية في هذه الأسرة خال أبيه المرحوم حمزة فهمي ••
كان رئيس القلم العربي بـديوان الخديوي عباس • وكان يحب أن يعرف
عنه أنه صاحب أسلوب في أدب الرسائل فكان يجود فيها متأنقاً كما كان
يتأنق في ثيابه وحياته حتى ليرجح أن « شوقي » وكان صديقاً له إنما
كان يعنيه أو يداعبه في (شذور الذهب) بقوله أيها الشيخ المتصابي أنت
كالضرس المحشو ذهب ولا عصب •

ولحمزة فهمي رسالتان من انشائه ضمنهما • « الجواهرى » كتابه :
(جواهر الأدب) • وهوى الأدب من هذه الأسرة أيضاً إبراهيم حتى
الأخ الأكبر ليحيى حتى وكان يكبره بسبع سنوات • استعلنت ميوله الأدبية

فى المكتبة الصغيرة التى كونها فى بيته من الكتب العربية والإنجليزية كما
اشترك فى مراسلة صحيفة السفور زمانا • وكان له أسلوب تميز به سهل
رشيق جديد •

كما كتب أخوه إسماعيل مرة مسرحية • ولم يخل البيت قط من مكتبة
وقراء •



ويحىى حقى فى طفولته عرف طريقه إلى كتاب السيدة زينب ثم التحق
كسائر إخوته بمدرسة والدته عباس باشا الأول ولهذه المدرسة ظلال فى
أدبه • كانت مدرسة مجانية من أوقاف إلهامى تعلم التلاميذ وتخلع على
كل منهم بدلة مكتوبا عليها بالقصب « مدرسة والدته عباس باشا الأول »
وفى هذه المدرسة تعلم مصطفى كامل •• كانت مدرسة للشعب يتجه إليها
خاصة أولاد الفقراء حين يلتحق أولاد الأغنياء بمدرسة الناصرية حيث
يجلون على الضرب • ويعى يحيى حقى هذا الفرق فيحمل فى أغلب
قصصه على نظام التعليم (خليها على الله) ص ٣٣ — ٣٤ •

وتلقى يحيى حقى تعليمه الثانوى فى مدرسة الالهامية ثم الحلمية
الجديدة التى صارت الآن بنبا قادن ومنها حصل على شهادة الكفاءة • ولكنه
لم يواصل تعليمه بها فقد انتقل منها إلى مدرسة السعيدية ثم الخديوية
ومن هذه الأخيرة حصل يحيى حقى على شهادة البكالوريا سنة ١٩٢١ • ثم
دخل مدرسة الحقوق حيث تخرج منها سنة ١٩٢٥ • ومن رفاق دراسته
فيها الأستاذ توفيق الحكيم والأستاذة عبد الحكيم الرفاعى وسامى المازنى
وعبد الكريم أبو شقة والمرحوم بهجت بدوى • ومن أساتذته الذين
يذكرهم (الأستاذ الشيخ أبو زيد ، مدرس الشريعة ، رجل دائم الابتسام
يعالج الشريعة حتى يحيلها شراباً مساعاً لو استطاع لصبه فى حلوقنا
صباً •• والأستاذ أحمد أمين العالم الثبت فى قانون العقوبات ، لو وضعت
كل كراكيب العالم شذر مذر فى زكية وسلمتها لهلزها هزة واحدة وصبها
فخرجت لك محتوياتها فى نظام بديع منسق خير تنسيق • الأستاذ

المرحوم أحمد نجيب الهاللى .. دخل علينا الفصل فحسبناه لنحافته
وصغر سنه تلميذاً مثلنا إن زاد علينا بشيء فبهذه النظارة السمكية التى
تدل على إفناء بصره فى القراءة .. فما كاد يتكلم حتى انعقدت ألسنتنا
وفغرت أفواهنا اعجاباً به • لقد هدم فى درسه الأول كل ما بين أيدينا من
كتب قديمة بالية بكلام جديد تشع منه الحياة (خليها على الله ص ٣٢ —
• ٣٣



وقد اشتغل يحيى حقى عقب تخرجه بالمحاماة فى الاسكندرية
ودمنهور • وإن كان هذا بعد فترة تمرين فى نيابة الخليفة ومقرها بالمحكمة
الشرعية لهذا الحى •

وفى سنة ١٩٢٧ ، وسنة ١٩٢٨ نهد إلى مركز منفلوط معاوناً للإدارة •
وهذه الوظيفة التى ضاق بها فى مبدأ الأمر كانت ركيزة ضخمة استمد
منها كثيراً من صوره الأدبية • فقد أتاحت له أن يخالط الفلاحين وينفذ
الى مطاوى نفوسهم .. أن يتعرف على مشاكلهم .. أن يفتح عينه على
بيوتهم وأسلوب معيشتهم • وخير سجل لهذا كله كتابه (خليها
على الله) •



ويعد يحيى حقى انتقاله إلى السلك السياسى نقطة تحول خطيرة فى
حياته • (كنت راقدًا بعد العشاء على السرير بعد نهار أنكى قواى
وأنّ له جسدى ، أقلب ولا أقرأ صحيفة يومية فإذا بنظري يقع على
إعلان لوزارة الخارجية بأنها ستعقد مسابقة تعين الفائزين فيها بوظائف
أمناء المحفوظات — أى سكرتير — فى القنصليات والمفوضيات • إلقاء
النظرة كان مجرد صدفة ولكن .. ولكنها قلبت حياتى رأساً على عقب
فقد تقدمت ونجحت وإن جاء اسمى فى ذيل قائمة الفائزين فصدر الأمر
بتعيينى أميناً لمحفوظات القنصلية فى جدة باعتباره أسوأ المناصب
الشاغرة •

ما أبلغ هذا الانقلاب في حياتي

* * *

وهكذا اتصلت أسبابه بالسلك السياسى ففى سنة ٢٩ — ٣٠ عمل أميناً لحفوظات القنصلية المصرية بجدة •

وفى خلال سنة ٣٠ — ٣٤ عين أميناً لحفوظات القنصلية المصرية باستامبول • وفى استامبول تعلم التركية • فقد كانت أسرته لا تتكلمها أبداً وقد صهرتها مصر وخلعت عليها طابعها فغدا يحيى حقى بمولده ونشأته فى الأحياء الشعبية التى أشرب حبها ، مصرياً صميماً !

ومن سنة ٣٤ حتى سنة ٣٩ أصبح مأمور القنصلية المصرية فى روما • وفى روما تعلم اللغة الإيطالية •

ثم عاد إلى مصر سنة ٣٩ وظل بديوان وزارة الخارجية حتى سنة ٣٩ • وقد تقلب أثناء هذه السنوات العشر فى مناصب الديوان • فكان زمناً مدير مكتب الوزير • وعمل مع شخصيات ذلك العصر وعاصر لطفى السيد ودسوقي أباطة وأحمد محمد خشبة والنقراشى وإبراهيم عبد الهادى •

وفى سنة ٥٠ — ٥١ أصبح سكرتير أول سفارة مصر بباريس • وفى هذه الفترة تقدم تقدماً ملحوظاً فى اللغة الفرنسية •

وفى سنة ٥١ — ٥٢ غدا مستشاراً لسفارة مصر بأنقرة •

وفى سنة ١٩٥٣ رقى إلى منصب سفير مصر المفوض فى ليبيا :

وقد أتاح له السلك الدبلوماسى الاتصال المباشر بالثقافة الغربية ، كما أتاح له الاتصال بفنون الموسيقى والمسرح والباليه •

* * *

تري لماذا لم يعكس لنا يحيى حقى الدبلوماسى صـور البلاد التى
تنتقل بين ربوعها فى عمله بالسلك السياسى ؟ لقد وعدنا وعودا خلافة :

(•• سآزور الحجاز وأدرس المذهب الوهابى وأعرف مشاكل الحج
والكونتينات وأرى جميع الشعوب الإسلامية وبعض كبار المستشرقين ،
وكيف أن بعض الدول الاستعمارية تعين قناصلها هناك من بين رجال
وزارات المستعمرات لا الخارجية ثم أزور تركيا فأشهد الحركة الكمالية
فى عنفوانها ومظاهر تحول حكومة شعب مسلم من دولة تعترف بدينه
إلى دولة تتجاهله بل تعاديه ثم أعود إليها بعد غيبة طويلة فأرى انحسار
هذه الموجة وأقارن بين العهدين • عشت فى إيطاليا مع أطماع موسولينى
وبهلوانيته خمس سنوات • زرت المانيا ورأيت وسمعت هتلر وأعوانه ،
يؤججون الحركة النازية بمشية الإوزة وذهبت إلى فرنسا لأرقب مبادئ
احتصار الجمهورية الرابعة على أحزابها المتفتتة ، ثم إلى ليبيا فأشهد
مشاكل أمة عربية جديدة تحاول تدعيم استقلالها وسط مصاعب هائلة
وشهدت بعد هذا وذاك نمو سياسة مصر الخارجية مدى ثلاثين
عاما ••)

لقد استقر الأستاذ يحيى حقى فى مصر زمننا يكفى لبطورة هذه
الموضوعات فى النفس فى هدأة من زحام المشاهدة لماذا لم ينفذها على
الورق لقد أصبحت الآن شريطا متواكب الصور فى ذكرياته ، فى وسع
طاقاته النفسية والفنية أن تعكسه لنا •

* * *

وقد تزوج سنة ٥٤ من سيدة فرنسية وطبقا للقانون طلب نقله من
السلك الدبلوماسى فعين لفترة وجيزة مديرا لمصلحة التجارة الداخلية
بوزارة التجارة والصناعة ثم مديرا لمصلحة الفنون لمدة ثلاث سنوات حتى
ألغيت هذه المصلحة فانتدب وكيلا لدار الكتب •

ويحيى حقى قد سبق له الزواج من سيدة مصرية من أصل عربى
هى السيدة نبيلة كريمة المرحوم الأستاذ عبد اللطيف سعودى من الفيوم
ومن هذه السيدة أنجب وحيدته نهى) •

وقد رثى زوجته المصرية فى مجلة الثقافة سنة ٤٥ تحت عنوان
« الموت إلى نبيلة » •

هذا هو الجانب الخاص فى شخصية يحيى حقى القصاص الأديب •
من أين استقى أدبه ؟ لقد ورد الأدب العربى القديم ثم وصلته مكتبة
أخيه إبراهيم بالأدب الانجليزى ، أصلاً وترجمة • وفى سنة ٣٩ — ٤٠
كانت له عودة إلى الأدب العربى • هذه المرة جلس إلى الأستاذ محمود
شاكى فقرأ عليه كثيراً جداً من الشعر الجاهلى ومن أدب الجاحظ •
ويحيى حقى يذكر له دائماً أنه قوم لسانه وصحح أسلوبه وعباراته • وفى
هذه الفترة دنا أسلوبه من الفصحى وتعلق بها مؤثراً لها على العامية •
وهو على كل حال تتمثل علاقته بالعامية فى إحياء ألفاظ فيها معبرة
غنية الدلالة قوية التصوير للمعنى المراد مثل لفظة (مأنفد) • إن لفظها
بصوته وانعكاسه وإيحائه والصورة الماثلة له فى الذهن يغنى غناء
تاماً بل غناء مفرداً عن جملة أو جمل تشير إلى المعنى ولا تستقصيه •
ولكنه يقف عند حدود الألفاظ لا يتعداها إلى الجمل •



وقد تأثر فى حياته « بالجبرتى » الذى يمثل الالتقاء بين مصر
والحضارة الغربية •• بين الأزهر المحافظ والتعليم الحديث •• ولعله
يؤمن بالجبرتى إنساناً ورمزاً • لقد وقف الجبرتى فى وجه محمد على •
وقد كتب يحيى حقى عن الجبرتى مقالات بعنوان (الفكاهة فى المجتمع
المصرى) • وكانت المقالة الخامسة فيها بعنوان (هز القحوف فى
شرح قصيدة أبى شادوف) • لقد سجل جميع ما ورد فى الجبرتى من
فكاهة حصرها وبوبها وأرجعها إلى أصولها النفسية كما لاحظ فى دراسته
للجبرتى استمرار بعض ظاهرات كقلب القصائد إلى موضوعات أكل ••

وقد بلغ من حبه للجبرتي أن اتخذ له رمزاً له فظل فترة يوقع أعماله الأدبية بإمضاء « عبد الرحمن بن حسن » ومن امضاءاته المستعارة « ي » فقط •

« يحيى » ، « عابر سبيل » ، « قصير » ، « أبو شنب فضة » ، « لبیب » ، « شاکر فضل الله » ، « عبد الرحمن بن حسن » ، « محام » •

هل نعزو هذا التخفى في الإمضاء إلى الخجل والتواضع أو الحرج ؟ فقد كان مثلاً ينقد الأفلام الأجنبية في الوقت الذي كان فيه مدير مصلحة الفنون ؟



ومن الكتاب الأثيرين عنده « ابن المقفع » الذي يعد أسلوبه معجزة من المعجزات ، أن يجري بهذه السهولة في صدر الإسلام تلك السهولة التي تجعله مقروءاً في العصر الحاضر • وقد قرأ يحيى حقى له •• كليلة ودمنة أكثر من مرة • كما قرأ شعر المتنبي •

ولكن مثله الأعلى في الشعر (إقبال) الذي لا يشائيه عنده شاعر آخر •



وممن تأثر بهم في حياته من كتاب الغرب « اناتول فرانس » فقد قرأ كتاب سكرتيه عنه : (اناتول فرانس في مبادئه) في أصله الفرنسي • وقد حُبب اناتول فرانس إليه ، دفاعه عن القضية المصرية • وقد أسر هذا الدفاع يحيى حقى حتى لقد بلغ به التأثير أن دان بالإنسان •• الإنسان مجرداً من الأوطان والأقاليم •• تحول يحيى حقى في هذه الفترة إلى إنسان عالمي •• غدا متسامحاً يحس أن الدنيا كلها يسعها قلبه • حتى أنشئت دولة إسرائيل على أساس إجرامي • أحس أن كيانه يتهدم •• كيانه الأخلاقي • انقلب متعصباً • كفر بإنسانيته وتعصب عن عمد

لدينه وقوميته ولغته • وهو من أجل هذا يحس بمرارة عميقة • إن
افتقاد المبادئ دونه بكثير فقد الأرض •

وقد انعكست هذه الحالة النفسية على أدبه فأدار ظهره نهائياً للعامة
داعياً إلى إحياء أدبنا القديم •

بل إن إنشاء دولة إسرائيل عنده أخطر حدث في تاريخ الأمة
العربية منذ فجر وجودها • إنه أفنك من الصليبيين فإن قدرة إسرائيل على
التفتت • • الغرور • • الصفاقة • • قدرتها على الهدم لا يعدله خطر
آخر مهما استشرى وقدر • • لقد سمعت يحيى حقى يقول (ليس لى دعاء
أكرره غير هذا الدعاء أو الأمنية) ألا أموت قبل يوم الانتقام من
إسرائيل) •

وقبل إسرائيل هزته « دنشواى » هزاً عنيفاً • لقد أجج شعوره
الوطني حادثان بارزان في ذهنه وفي واقعه : دنشواى وإسرائيل • •



وقد نشأ يحيى حقى فى القصة على تولستوى ودستوفسكى
وتورجنيف وشيخوف وجوركى من أعلام القصة الروسية •

ومن الأدباء الأمريكىين قرأ يحيى حقى مارك توين •

وقرأ من الأدباء الإنجليز ديكنز وأستيفنسن • وتتمثل عظمة
شكسبير عنده فى جمعه بين الشعر والأسلوب الذهنى المحكم مما أشبع
روحه وذهنه إشباعاً كاملاً • وأعجب زمناً بالموسيقى فى أسلوب جيون
وماكولى ثم مال عنهما إلى أسلوب ليتون سترانشى وفرجينيا ووكف •
وقد كان هذا شأنه مع الموسيقى لقد سيطر عليه حبه للمصور (ويجاس)
حتى مال به عن موزار وبتهوفن وتشايكوفسكى وكورساكوف إلى
براهمز ديبوسى ورافاييل كما مال فيما بعد عن الأدب الإنجليزى إلى
الأدب الفرنسى حيث يلتقى العقل والروح فى مواءمة وقعت من نفسه •

فأكب على بلزأك وبول فالهى وفلوبير وجى دى موباسان ولكنه تأثر
بالمدرسة الروسية • وفى القصة القصيرة تأثر كثيراً بشيخوف وجى دى
موباسان •



والأستاذ يحيى حقى تذكرنا كتاباته بالمغفور له الأستاذ إبراهيم
عبد القادر المازنى على اختلاف عند المقارنة أو القياس • ولـكن هناك
وجوه شبه كثيرة فيحيى حقى والمـازنى كلاهما وصف حياته وصفاً
محيطاً • كما تحدث عن بيته وأسرته • • كلاهما تأثر بأمه وإن كان
المـازنى أشد تأثراً ، وأكثر ترديداً لذكر هذا الانسان الكبير فى حياة
الأبناء • • كلاهما سخر من نفسه (١) • كلاهما لمح ناحية الطول
والقصر وغمزها مرات كأن المقصود بالغمز سواء • كلاهما وصف
طريقته فى الكتابة (٢) وصفاً مفصلاً ينقلك إلى جو التجربة إن لم
يفرض عليك أن تعيش فيها ولو صفحات من الكتاب أو لحظات من
الزمن •



كلاهما حمل على التعليم (٣) كلاهما وصف الأحزاب والمظاهرات •

هذا من ناحية الموضوع أما من ناحية الشكل فكلاهما ولوع بالجمال
الاعتراضية • وهى ظاهرة مردها عند المازنى إلى شدة احساسه بأفة
ضمير الغائب فى اللغة العربية • ومن هنا أكاد أوقن أن الجمل الاعتراضية
عند المـازنى مقصودة كأنها تشهير بضمير الغائب أو دعوة إلى معالجته
بين الدعوات القائمة إلى تبسيط اللغة وتطويعها ، حين تعنى الجمل

(١) يحيى حقى كتاب (خليها على الله) ص ٤٥ ، ٥٥ •

(٢) يحيى حقى كتاب صح النوم ص ٧١ — ٧٢ •

(٣) يحيى حقى كتاب خليها على الله ص ٣٣ •

الاعتراضية عند يحيى حقى فيما أحسب ، إفراغ معنى فى الطريق للتخفف منه فى زحمة المعانى والأفكار •

كلاهما يتسم أسلوبه بالبساطة فى التعبير والشعبية فيه • والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى كما يقول الأستاذ حسن كامل الصيرفى ، أول من أثبت قدرة اللغة الفصحى على احتضان التعبيرات الدارجة وعلى صياغتها بحيث لا تفقد ، ولا تنقص جاذبيتها أو يتلاشى سحرها وتبرد حرارتها وإن كان اللفظ العامى عند الأستاذ يحيى حقى يحتل مكانه فى السطر كما هو فى الشارع أو القرية أو البيت •• ولا عليه فيما يبدو إن كان هذا اللفظ له أصل عربى أم عريق العجمة • حين كان المازنى يتحرى فى استعمال ألفاظ الحياة اليومية سلامتها من العجمة فيحسبه القارئ العابر عاميا لسبق معرفته به واستعماله وما درى أنه يتحدث بلغة فيها كثير من الألفاظ السليمة العربية النسب • وكثير من ألفاظ المازنى مستمدة من (لسان العرب) ، كما يستمد يحيى حقى أسماء ألوانه من كتاب (فقه اللغة) •

وتجمع الأسلوبين أيضا الواقعية فى التعبير وإن كان المازنى ولوعا بالمبالغة من غلبة الروح الفنية عليه • والمبالغة فى التصوير تؤدي عنده الى المبالغة فى التعبير • وعلى هذه المبالغة بنوعيتها تقوم سخريته فهى كفن الكاريكاتور الذى يبحث عن الشيء الظاهر ويمضى به الى أقصاه فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن يبدل شكله •• فهو فن مبالغة وإن لم تكن المبالغة غايته وإنما هى وسيلة إلى ما يريد التعبير عنه (١) •

هذا حين يكلف يحيى حقى بالتحديد حتى ليعد الدعوة إلى أسلوب محدد دقيق أساسا لكل إصلاح أدبى وفلسفى وفكرى • وقد تجلّى هذا فى محاضراته التى ألقاها فى دمشق وعنوانها :

(١) كتاب « أدب المازنى » للدكتورة نعمات أحمد فؤاد •

(حاجتنا إلى أسلوب جديد) •• وقد وصلت دعوته هذه إلى أقصى مداها في كتابه (صح النوم) • وهو كتاب كان يستطيع أن يظهره في مثل حجمه مرتين ولكنه ضد الاطناب •

وقد التزم هذا المنحى في الأسلوب منذ محاولته الأولى في اليفاعة • هل الأمر عقدة أم تكوين ذهني ؟ كان (التعبير) هو همه المؤرق حتى ليقول : (لم تكن القصة عندي غاية في ذاتها بل وسيلة لهذه التجربة التي قضت بها منذ أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ومع ذلك فإن هؤلاء السادة النقاد ركزوا بصرهم على القصة ولم يروا طريقة التعبير) (١) •

المازني ويحيى حقي يتلاقيان في ظاهرة أخرى هي « الاستطراد »

فالإطار الخارجى عندهما ليس محدد الخطوط والمعالم كما يبدو للعين عند توفيق الحكيم وإن كان يحيى حقي في استطراده أسرع عودة من المازني إلى ما هو بسبيله من الموضوع الأصلي ربما بوحى « الدقة » التي يحاول التزامها •



ويحيى حقي كالمازني في تقصى الخوارج النفسية وتفسير الحركات

والكلمات بل تفسير الصمت فأدبهما بهذا وحده ، فضلا عما سواه ، أدب إنسانى ذو قيمة •• وتتمثل إنسانيتهما في سخريتهما النابعة من الألم المشبع بالعطف على الضعف الإنسانى مهما هبط مستواه •

والخط الأخير من وجوه الشبه عندي بين المازني ويحيى حقي يتمثل في أن كليهما ينبع من نفسه فأدبهما أدب ذاتى يحمل شخصية صاحبه وطابعه في التفكير وأسلوب العيش وطريقة التعبير • وسنوفى هذه

(١) مجلة الآداب عدد يوليه سنة ٦٠ •

سنعود الى تحليل أسلوب يحيى حقي على انفراد حتى لا ينقطع الحديث عن المقارنة هنا بينه وبين المازني •

المقارنة بين الكاتبين عند الحديث عن « السخرية » وفن التجسيم عندهما •

وحين يلتقى يحيى حقى مع المازنى فى هذا كله — تلمح العين بينه وبين توفيق الحكيم اختلافاً يصلح أيضاً أن يكون موضعاً للمقارنة • ويبدو أن تفرد توفيق أو اختلافه عن الآخرين كان من البداية ، فقد حدثنا عنه يحيى حقى فى كتابه (خايها على الله) حديثاً يغرى بمتابعته فى الأدب والحياة كما يكلف المرء بالجرى وراء الغامض المجهول إثباتاً لفضول أو استكناها لسر •

(على قيد ذراع متى يجلس تلميذ ، يلبس دون سائر الطلبة — طربوشاً قصيراً جداً ، غليظ الأسنان ، جاحظ العينين شيئاً قليلاً ، يجلس معتمداً ذقنه على قبضة يده ونظراته شاردة وذهنه سارح • ملابسه نظيفة ، ياقته منشفية • • قلما يكلم أحداً من زملائه • كنت أقول لنفسى هو ، ولا ريب أحد أبناء المرفهين يأتى للمدرسة لا للجهاد وقصد العرق بل للفرجة والترويح عن النفس سواء لديه نجاح أم لم ينجح • • ولذلك فبالرغم من طول تأملى له كأن شيئاً يجذبنى نحوه — لم أسع إلى مخالطته أو التعرف إليه •

هذا هو الأستاذ توفيق الحكيم فى مدرسة الحقوق • وأذكر أننى ما سمعته قط يذكر لأحد مفاخرأ أنه يؤلف المسرحيات ، وكان قد فعل وهو ما يزال طالباً معنا • •

لقد خدعنى توفيق الحكيم عن نفسه بصمته وحيدائه وعزوفه عن الناس وتهيبه الغرباء (ص ٣١ •

لقد سافر توفيق الحكيم إلى أوروبا كما سافر إليها وطوف بها يحيى حقى وكان لهذه السفرة البعيدة التى نقلتهما من الشرق بأجوائه إلى الغرب بأفأقه أثر كبير الخطر فى حياتهما • • كانت نقطة تحول فى

حياة كل منهما استفاد منها توفيق أبلغ استفادة وتطور على إثرها أدبه
فعكسها في صور شتى حين اخترنها يحيى حقى ولم يفض بها حتى الآن ..
وهى ناحية من موضوعى كنت أؤثر ألا أعرض لها الآن فإن من حقها
التفصيل .



والذى يسترعى العين في باب المقارنة موقف كل من يحيى حقى
وتوفيق الحكيم من الريف . فالأول راض عنه كل الرضا فهو حين يتحدث
عنه حانى الوصف ، مملوءا بالعطف ، يستوقفه فيه كل شيء فتحس معه
حين يصفه أنه يتملاه ويتعمقه من حب ووفاء .

وليس أندى على النفس — خاصة المحبة للريف — من قوله :

(فوقنا سماء رقيقة السحب ، والهواء صاف شفاف كأن يدا من
السلام والطمأنينة تمسح على جبهتى . أحس أنا القاهرى أن نوافذ
مغلقة فى نفسى تتفتح لأول مرة . انقطعنا عن العالم كله وخلصنا إلى
الأرض والزرع والحيوان والنيل ، غمرت قلبى راحة جميلة تمنيت أن
لا تفارقه أبداً) ص ١٢٠ .

وقد وسع حبه كل شيء فى الريف حتى الحيوان . لقد وقف وقفة
طويلة عند الحمار وليس للمسكين حظ من جمال الصورة كالحصان ،
أو لفظة الجيد كالغزال ، أو بدع الألوان كالطاووس ، أو سحر الصوت
كالببل . ولكنه ، ولا أدري كيف استهوى كاتبنا يحيى حقى فوجد
سعادته معه . ومضى بالوصف المستغرق يقسم **دنيا الحمار** طبقات
وطوائف أو درجات على حد تعبيره . فحمار للسبخ وحمار الأجرة وحمار
الفلاح . و (على رأس القائمة حمير تعد من الطبقة الارستقراطية
لعلها أوشكت الآن على الانقراض فى الريف .. يهيم بعض الأعيان
أصحاب الأطيان من أجل راحته وإشباعا لزهوه وتدليلا على مكانته بأن
يكون له حمار فاره قوى ، منتصب الرقبة مرفوع الرأس ، راقص الخطوة

أكل العينين له بردعة من جاد ثمين أو من قطيفة لها زينة كثيرة ،
ولجام وركائب ويضن به إلا على كبار الحكام • أكله موفور وتعبه قليل
إذا حمل صاحبه إلى المدينة أو انتظره على المحطة رمقته الأبصار ،
وإن سار به إلى الغيط صدرت من فوقه الأوامر من تحت المظلة مؤيدة
بعلو المقام • ٧٧ — ٧٨ •

وإن كان هذا الحمار الارستقراطي أقل إخوانه منزلة عند الأستاذ
يحيى حتى يؤكد لنا أنه لم يثر انتباهه إليه كثيراً وإن كان يعلم أنه
سعيد بلحمه وشحمه •• (والسعادة وإن كانت مطلبنا الأسمى إلا إنها —
على خلاف الشقاء — قضية واضحة ليس لها ظاهر وباطن إن نكتشت فيها
لم تخرج بسر أو عجيبة • ومن دواعي الحيرة لاتباع إلا بثمن واحد
هو التقاهة) ص ٧٨ •

ثم مضى يحيى حتى يتحدث في لذة لا تخفى عن مدرسة الحمير ،
وحمير القاهرة ، ولصوص الحمير أيضاً ، ونكت الحمارة ، والسرک
وحماره ، وجراحات الحمير و (الطبيب الداويا) أو الطبيب
البيطرى ••• ماذا نقول ؟ تخصص •



ولم يستأثر (الحمار) بحب القلب الكبير فإن **الجاموسة** هذه الكادحة
الصابرة تحظى منه بنصيب كبير حتى لتهز نفسه سعادتها — وما أحسبها
إلا ومضا يلوح ثم يختفى — هذه الصورة تشى بتجاوبه معها على بعد
ما بين عالمه وعالمها ••

(البرسيم علوه شبران ، أخضر ندى ، مربوط عليه هنا وهناك بقرة
أو جاموسة مستغرقة في سعادة كبرى وهى تلوكة بين فكها وتهز أذنيها •
ما كان أخشن أكلها في الشهور الماضية • لا أعرف شيئاً يفوق وداءة
عينيتها) • ص ١٢٠ •



وهكذا سائر الحيوان **فالبقرة** (عليها هالة من قداسة وإن نسي الناس عبادتها • وهذا **الجمال** ، سيد متكبر هبط علينا من كوكب آخر - فلا شبه بينه وبين بقية حيوان هذه الدنيا • إذا استنأخه صاحبه أرغى وأزبد ثم انهد طبقة بعد طبقة وظلت رقبتة تمتد بعجرفة من وسط خرائبه • أما الماعز المتوثبة النزقة فأغلب الأمر أنه يسمع مأماتها قبل أن يرى قرونها الخروبية) (١) •

أشهد انى قرأت وصفه للجمال ينيخ وهو يتمسك ببقية من كبرياء غلبت على أمرها مرات • ولا أحسب أنى سأنسى هذه الصورة الفريدة لذلك الحيوان الأصيل (ثم انهد طبقة بعد طبقة وظلت رقبتة تمتد بعجرفة من وسط خرائبه) • صورة للجسم والنفس معا حين تطرد حركاتهما فى تأدية معنى واحد ، كل بأسلوبه وعلى طريقته قد اتفق المؤثر واختلف الأثر •

ألا إنها ألفه شديدة للحيوان هى ككل حب وان اختلفت طعوم وألوان ، تسعد صاحبها وتسعد الآخرين أيضاً •



هذا حين تنشى (يوميات نائب فى الأرياف) بضيق توفيق الحكيم بالريف وإحساسه فيه بالعزلة كأنها قدر ••

(وانصرف بعد ذلك كل منا إلى شأنه : المأمور إلى ناديه وأنا إلى منزلى حيث خلعت ملابسى وذاوت إلى نفسى وأخرجت كراسة يومياتى ألقى فيها هذا الكلام الذى لا أجـد من أفضى به إليه فى هذا الريف • إن القلم لنعمة لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة) ص ٨٣ أو تلك الصرخة الممرورة التى ندت عنه فيما بعد فى حضرة صديق :

— أنا روحى طلعت خلاص زهقت من حاجة اسمها أرياف زهقت
من أصناف « اللبد » •

أنا اشتقت لمصر نسيت شكل عاصمة بلادى أحب ياناس أغير نوع
الجريمة واشتغل مع مجرمين لا بسين سترة وبنطلون ص ١٧٠ •

وما أنا بحاجة إلى تفسير كلمة (ألقى) وما فيها من إعباء وململة
ثم كلمة (كتبت) وما فيها من احساس الابتلاء •



إن القرية عند توفيق الحكيم لا يكاد المرء يرى فيها (غير مبان
قليلة أكثرها متهدم ، وغير هذه « الجحور » المسقفة بحطب القطن والذرة
يأوى إليها الفلاحون • إنها فى لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماذ
وفضلات البهائم وفى تكدسها وتجمعها « كفورا » و « عزبا » مبعثرة
على المزارع ، لكأنها هى نفسها قطعان من الماشية مرسلة فى الغيطان •
هذه القطعان من البيوت التى تعيش فى بطونها ديدان من الفلاحين
المساكين هى كل ما تقع العين عليه فى هذه البقاع • ويزيد فى كربه هذا
السكون الذى يهبط على البلدة منذ الغروب فلا يسمع بعدئذ غير خوار
الجاموس ، ونبح الكلاب ، ونهيق الحمير ، ونحيب السواقى والشواديف
والكباسات ، وأصوات بعض الأعيرة النارية يطلقها فى جوف الليل
الخفراء الخصوصيون أو النظاميون أحيانا إرهابا للغير أو تشجيعا
لأنفسهم •• إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق • وهل من دواء للريف
غير الزواج أو السير المعوج أو المطالعة وتحرير المذكرات كما أفعل
أنا كلما وجدت إلى ذلك سبيلا ؟) ص ٦٠ - ٦١ •



مساكين قومنا فى الريف إن ما يعيشون فيه من كبَد ينوء ببعضه
أهل الحضر لو قدر لهم أن يقعوا عليه ولو بالنظر أو المخالطة ولو كان هذا
لوقت محدود معدود • هذا الشقاء نفسه صورته يحيى حتى ولكن فى

نعمة حانية عطوف بل إنها لا تخلو من دفاع واستعلاء • ماذا أقول بل من فلسفة أيضاً • فأهل القرية عند يحيى حقى (ملح الأرض يكسبون رزقهم بشق الأنفس يكابدون كالحيوان من مطلع الشمس إلى مغربها عملاً مرهقاً تنجزه الآلات في بلاد أخرى بأيسر جهد ونفقة في وقت قليل •• وليتهم بعد ذلك فازوا بما يقيم أودهم أو يستتر غريهم وهم مع ذلك قانعون • جاروا في فهم القدر ، وتعليل أسباب الخلل وطال تساؤلهم متى تنتهى المظالم وتتعدل الأمور ويستقيم المعوج ويعم السلام ؟ وهم مع ذلك صابرون أصبح مطلبهم الأوحـد أن يتركوا لأنفسهم ، لنسائهم وعبالهم ، لدوابهم وشقائهم ، لإيمانهم وخرافاتهم • كل جديد في الحياة عندهم ضئيل إذا قيس إلى قديمهم وإن أمنع الدروع هو الذى يلبسه من لا يبالى • إذا قالوا « إنما الأعمال بالنيات » عنوا بها : « إنما الأعمال بخواتيمها » • وإذا لم تر وجوههم مبتسمة أغلب الوقت فلأنهم يضحكون في سرهم من الخطيب والبهلوان والواعظ والمهرج (خليها على الله) •

وهذا الاختلاف في النظرة والاحساس عند الكاتبين بلغ أقصى مداه في موقفيهما من الصعيد بخاصة الذى تعكس له (اليوميات) صورة عجفاء ناصلة فالصعيد العريق (بلاد قريية من الفطرة والوحشية ، هذا الوجه القبلى من مصر شىء مخيف لساكن الوجه البحرى • إن المرأة هناك شبح لا يـُرى ولا ينبغى أن يـُرى • وهى مخلوق جاف لا فرق بينها هناك وبين الرجل كلاهما شىء لا أثر للرقعة فيه • وكلاهما فى الجسم والطبع والروح كتلك الأرض السوداء التى يعيشان عليها وقد جف عنها النيل فى زمن التحاريق ، آدميون قد جف عن تركيبهم ذلك الماء الذى فيه سر امتياز الآدميين) •

لقد أورد توفيق الحكيم هذا (الكلام) على لسان صاحبه المرفه المتطرى وكيل نيابة طنطا ولكنى لا أعفيه من العتب العاتب فلو لم يكن

هذا الكلام قد صادف هوى في نفسه لما تخلى عنا دفاعه البليغ أو منطقته
المقنع أو قدرته الموهوبة على المصاورة والتحكم في النتائج والنهايات .

* * *

هذا حين يتعشق يحيى حقى الصعيد كالبهاء زهير بل لعل كاتبها
لم يمجّد الصعيد كما مجّده يحيى حقى .. مجّد كل شيء فيه ..
تقشفه .. صرامته .. حتى الجنازات فيه تمس قلبه .. مجّد أهله
(حتى الباعة الجوالون من فقرائه المعدمين يمشون في عزة كأنهم جنود
في استعراض عسكري لجيش ظافر ، تضرب أقدامهم الأرض تكاد
تخرقها ، أجسامهم مشوكة ورءوسهم مرفوعة ، بطونهم مشدودة ،
وظهورهم مبسوطة إذا بان لك عظام الصدر أحسست أنها غطاء
دينامو لا يلهث ولا يصفق طالباً للنجدة . كأن كل واحد منهم أمير في
قومه ، أكثر ما يجذب العين فيهم رقبة طويلة مغروزة في الجسد كصخرة
في جبل هي وحدها التي تضيئ عليهم هذا النبل وهذه المهابة) .

* * *

أما عمال البناء من أبناء الصعيد فهم في عينه وبيّينه (جنس يحيل
العمل من فوره إلى وقدة الحمى ، يشبه النمل في دأبه وتبعثر أفرادها
وانتظام مجموعته معا ، إذا كان لا مفر من « الحزق » فعيب أن يصدر
من حلوهم إلا متسترا في ترجيع جماعي لمقطع في أغنية يشدها واحد
منهم ، لقد طوفت في بقاع الأرض فلم أجِد للصعيدى ندا في تحمله
للجهد .

في ليالى الشتاء حين أمر على مداخل عمارات ملفوفة في شبكة
من السقالات كأنها قنفذ ضخم قد نصب أشواكه تسمر قدمي أغنية منبعثة
على ضوء نار وشرر وسط الظلام تسيل رقة وحنانا . أصبحت
« الحزقة » بحة محروقة من شدة الوجد) .

* * *

إن أغانيها تسمر قدم الرجل .. يا قلة رصيدنا من الوفاء إن لم نذكرها ليحيى حقى مخلصين .

* * *

إنه لا يصدق أو لا يريد أن يصدق الشائعة تدمغنا بما ليس فينا . وهب أن صعيدنا يحيى حياة خشنة صارمة مجردة من الزينة لا تعرف ولا تجيز دلع الحضري في طعامه وملبسه ونكاته ونزهاته .. هب الليل في الصعيد سجاناً له يد سوداء تغلق الأبواب عند غروب الشمس على الإنسان والحيوان .. هب كل ذلك حقيقة واقعة ماذا يضير الكاتب أن يعلن بملء حبه لمن يحتاجه :

(ومع ذلك أشعر بسعادة الانطلاق إلى عالم غامض أحس بسحره وعطره ، كنت أشتاق إليه من قديم وأدرك أن مصريتى ومحبتى لبلدى لا تتمان إلا إذا اغتسلت في حوضه . منذ صغرى ألحظ في زملائي أبناء الصعيد في المدرسة رجولة ونخوة وشهامة وجلداً ، ثم — وهو الأهم — عندهم قدرة أشبه بالغريزة على تناول الحياة حلوها ومرها كما تلقاهم ويلقونها لا يفسد تمتعهم بها ابتلاء بالتهيب ، والشكوك والملل وفراغة العين والبحث في ملك اليد عما وراءه .. ما سمعت منهم شكاية ولا أحسست بهذا النازع الخبيث المتستر في النفوس الضعيفة لاستدرار العطف والحدب عليها هو نوع من الملق والنفاق يصوب سهمه للداخل لا للخارج) .

* * *

إنه بعد لم يفرع شحنة العاطفة في صدره . دعه يسترسل إنه يطربنا — على الأقل — نحن أبناء الصعيد .

(وكنت أتتبع من فوق الكبارى هذه المراكب العريضة — تكاد تغطس في الماء — قادمه مع التيار ، محملة بالتبن أو البلايص . جماعة من أهلها متعلقون عند الدفة حول قدر مسود ، تحس أن صمتهم أكثر

من كلامهم ، ورجل آخر يقفز في خفة القرد يتسلق الصاري يعلق القلع المرقع ويميل به حتى تمر المركب من تحت الكوبرى • بينه وبين ماسك المدفة صراخ لا أتبين ألفاظه ، حاد غضوب كأنه تلاحم النبابيت ، تتقد له الأعين كالشرر ، وتبرق الأسنان كوميض السلاح ، ما هو بلدهم ؟ من أين هم قادمون ؟ ما طعم هذه الحياة الطافية فوق الماء ؟ كم تمنيت أن أصحبهم في رحلة لأعرف أسماء الرياح وعلاماتها وحيل التيار المختل وأطل على الدوامات ويرسم لها النخيل الرشيق في كل لفته لوحة في النهر متباينة وأسلم في كل ليلة على «موردة» جديدة) •



مثل هذا الحب العميق لا يمكن أن يكون عارضاً أو وليد صدفة • إنه متأصل في نفس الرجل • لقد أشرب حب الصعيد طفلاً منذ كان بائع الرمان يدخل حارتهم • (في كل جانب من عبه — فوق حبل مشدود على وسطه — أقتان على الأقل من الرمان ، على كفيه رمان وفوق رأسه قفة كبيرة مملوءة لقم عينها رمانا • لو قبل الشاري في غفلته أن يساعد على إنزالها كادت تخلع ذراعه وتطرحه أرضاً ولو كان فحلاً ، يمشى هذا الرجل الشيخ ، وقد خط الشيب شعره ، من مطلع الشمس إلى العشاء • لا ترى فيه من أثر الجهد إلا رفع حاجبيه وخفضهما كأنه يوازن بهما القفه فوق رأسه « منفلوطى يارمان » • كل قوته انحبست في رقبته ولا تسألنى من أى طعام تستمد قوتها) •



هل تستطيع أن تنسى هذه الصورة لبائع الرمان ؟ هذه اللوحة الزاخرة بالخطوط والحركة واللون ؟ لا أحسبك تستطيع •

هكذا تمضى الصور عند يحيى حتى غنية مصورة موحية تتساب الخطوط فيها وتتدفق الكلمات وكأن السطور تكتب نفسها بنفسها • ويعلم الله كم شقى الرجل الولوع بالتحديد اللفظى في خلقها وتسويتها حتى جاءت على هذه الصورة • • ومن الفن أن يخفى الفن •

ما أروح الطواف في معرض يحيى حتى • هناك صورة فريدة عن
(قطار الصعيد) (١) وصورة (للمحطة) وصورة (للقاهرة في الريف)
وصورة (للقروي في المدينة على محطة الترام) صورة (للفلاحين
وموظفي الحكومة) صورة (لبيت الفلاح) صورة (للسلام الريفي)
صورة (للدجالين) صورة (ليوم الفرز) صورة (لوفاء النيل) صورة
لتنفيذ (حكم الطاعة) صورة (لواعظ القرية) • • وصورة (لقصاب
القرية) • صورة (للحنان) وصورة (للمطحن) (٢) • صورة لميدان
السيدة زينب (٣) •



وفي معرضه صورة لأساتذته في مدرسة الحقوق وصورة أيضا
(لعم فرجاني — فراش المدرسة) صورة (لمجالس التحقيق) وصورة
(للمحكمة الشرعية) صورة (للاسكندرية وأهلها) وصورة بالمطبع
(لمنفلوط) صورة (لعيادة الطبيب في الريف) (٤) •

وفي معرض يحيى حتى أيضاً نماذج بشرية • • هناك صور
أخلاق (٥) • وصور تجارب • هناك صورة (لتجربة الحمامة) ،
و (نفسية المظاهرات) • • وبعد هذا كله أو قبل هذا كله (صورته
هو) • لقد وصف نفسه أو حيرة الفنان بين الواقع والخيال (٦) •
بين الحقيقة والمثل العليا والأمانى • • صورة للشوق يهفو إلى الجمال • •
صورة للروح تشرئب إلى أعلى • • صورة للنفس تستشرف إلى النقاء
والصفاء والطهر • • صورة للنفس تبحث عن قطب • • تحلم بالتصوف
والوصل ، صورة للإنسان يفتقد حياً كبيراً يرويه ويحتويه ويستغرقه •



- (١) اقرا « خليها على الله » واقرا « دماء وطن » •
- (٢) كتاب « صح النوم » •
- (٣) كتاب « قنديل أم هاشم » •
- (٤) كتب للجميع العدد ١٥٠ مارس سنة ٦٠ •
- (٥) خليها على الله •
- (٦) أم العواجز •

إن معرض يحيى حتى قد سمر بدوره قدمى حتى لا تريم وحتى أنساني ما كنت بسبيله من مقارنة بينه وبين توفيق الحكيم بدأتها بالناحية الموضوعية •• بقى على بحثنا ، الناحية الفنية ، وفيها أيضاً يختلف كاتبانا •• يختلفان من حيث الإطار والصورة • فالإطار عند توفيق الحكيم مرسوم محدد الخطوط والأبعاد ، والصور عنده واضحة المعالم متميزة الشخصيات ، حين تتواكب الصور عند يحيى حتى وتتدافع متراحمة كالزفة في الريف خليط من الناس ، مختلفى الأعمار ، والثياب والألوان ولكنها في بساطتها وعفويتها أقرب إلى الفطرة وقد تكون أقرب إلى القلب عند البسطاء أو هواة السمر الشهي يقصدونه لذاته سواء لديهم أحفل بالفن أم تخفف من قيوده ومقاييسه •



ومن يدري لعل هذا التبسيط نفسه يغنى الصورة بتفاصيل أكثر إن لم تكن أوفى •• قد يكون لها فيه حياة أو متاع فهو — فيما يخيّل إلى — متفرغ للوصف لا يشغله عنه شاغل • قد يشط أحياناً ويتطوح بعيداً عن الموضوع الأصلي ولكنه لا يبالي من استغراق • هذا حين يشدك توفيق إلى موضوعه بخيط خفى لا تملك معه فكاكاً • وأنت في انقيادك إليه راض سعيد تعشق هذا اللون من الأسر • لا تنتهى الخلاص أو حتى تفكر فيه بل لعلك ترفضه مادام في الكتاب بقية من صفحات أو سطور ••

وبعد يحيى حتى المصور ، يأتي يحيى حتى الساخر يليهما يحيى حتى صاحب الأسلوب وهنا يدخل الرجل في زمرة أصحاب الدعوات من حيث اعتناقه لفكرته وإيمانه بها حتى لقد غدت الدعوة إلى أسلوب محدد ، همه الكبير •



لنقف الآن عند يحيى حتى الساخر • لقد سخر من نفسه في مواضع كثيرة من كتاباته كما سخر من الناس ، منك ومنى ، في حديثه عن المجرمين

وما يلزمهم من صفات جسدية ، رأف بحالى وحالك أو هكذا زعم فأبى
أن يخبرنا بهذه الأوصاف حتى لا يثير الشك فى نفوسنا •



وهو حين يهبط الاسكندرية تستهويه مشاهدة السفن فى الميناء
ويستهوينا بدورنا وصفه الساخر لها فالمسكينة (تفسد مؤخرتها الحبل
رشاقة عرنينها • مربوطة كأنها الخيل أمام المداود ، تحس أنها تغلى
وهى باردة ميتة الأنفاس • يخيل لك أنه لو قطع الحبل لوثبت من
فورها ولوت عنانها واختفت وراء الأفق لنشأت رغم ضآلتها متعجرفة
تمخر فى خيلاء البطة ومشاكسة كلاب الصيد الجائعة • لها ولولة ترج
القلب • ما ألد الشعور بالخوف المفاجيء وأنت فى أمن مطمئن •
قوارب صغيرة يدفعها رجالها وهم وقوف • وجوههم لا ظهورهم إلى
الطريق تتأرجح فوق ماء أزرق يفصله عن ماء رمادى خط مرسوم
لا ندرى سببه ، عربات النقل الطويلة يسوقها أيضاً أصحابها وهم
وقوف (يذكروننى برمسيس فى عربته) فتوتهم تحب الرعشة السارية فى
أبدانهم من قلقلة العجلات فوق البلاط • أعود فأمر أمام الدكاكين التى
تبيع الحبال والقلوع البكر ، لا أعرف غيرها يصلح مصنعاً للأحلام •
وعلى الشواطىء هياكل لسفن أخرى من الخشب عجفاء بادية الضلوع
كأنها ديك رومى فى نهاية مأدبة مصرية ، أرقب بلذة « قلفطة » شقوقها •
يقطع عليك نسيم البحر فجأة رائحة غليظة عطنة (زخمه) يضيق بها
صدرك وتنجذب إليها فى وقت واحد ، يقولون إنها « يود » البحر •
والبلدية ومجاريها أعلم •)



ويحى حقى حين يسوق آراء (بلدياته) فى قريرتهم التى لا يمر بها
القطار (سابقاً) • وهو يرسل على لسان معلم الرسم فى مدرسة
القرية هذا رأى الصريح •

(ستبقى جدران بيوتنا بيضاء لا يشوها الدخان ولا تموت تلك
الزهور الجميلة تقاسمنا النوافذ فتظل علينا كما نطل عليها ، وإن كنا
لا ندري رأيها في رائحتنا نحن) •

ولا أستطيع أن أمضى بك معه أبعد من هذا فإن شأقتك هذه الفكاهة
الخفيفة المرحية فإن كتبه تتفسح لك كما تتفسح لها ••

* * *

على أن الكاتب الذي ندرسه ليست مهمته التسلية أو الإضحاك
فإن وراء الوجه المستدير الباسم نفس يكرثها همومنا في القرية
والمدينة •• في التعليم والصحة •• في الفن والسياسة وهنا تكون سخريته
هادفة واعية يقظة كبيرة المطالب أيضاً •• إنه يدعو إلى الإصلاح دعوة
حارة ولكن هادئة وهي على هدوئها تنفذ إليك وتعمق في نفسك وتبلغ
منك مبلغاً لا تحلم به الخطب المنبرية أو محترفو الوعظ والإرشاد •

* * *

ننتقل الآن إلى صاحب الأسلوب لا كما ينتقل الدارس إلى نقطة
من نقط موضوعه ولكن كما ينتقل المرء إلى موضوع آخر يصاح
بآخاقه وتكامله أن ينهض ، وحده ، مادة للدرس وموضوعاً للدارس ، يتواصل
عليه منهجه ويتضح به صورته أو صورة الكاتب الذي استوقفه •
ويجيب حتى ليس بأديب محترف بل هاو •• إنه ليس من المكثرين •
يظهر له في العام قصتان في الأعم الأغلب • رسالته المخيبة إلى نفسه
الدعوة إلى أسلوب فيه تحديد لفظي •• دقيق •

ومن الأبحاث التي شغلته في سبيل هذه الغاية (الألوان • فأسماء
الألوان بالتحديد مشكلة يعانيتها كتاب القصة • وفي سبيل التحديد أيضاً
ملازمته لكتاب (فقه اللغة) كما أشرت •

إن اللفظ عند يحيى حقى فى دقته وتكامله واضطلاعه ، وحده ،
بالمعنى المقصود ، تجربة تعبيرية •



وأسلوب يحيى حقى أسلوب مرح تحمل ألفاظه من المعانى أكثر
مما تجود به الحروف • وهو فى سبيل تحقيق الدقة التى يتوخاها حارب
الربط بين الجمل بالطريقة القديمة مثل (بيد أن) ، (مع أن) وأشباهها
مما يجعل القارئ طفلاً محتاجاً إلى أن يمسك بيده خشية السقوط حين
يريد أن تكون الصلة بينه وبين قارئه صلة ذهنية ككتاب الغرب • ومن
الطريف أنه فى سبيل هذه الغاية ، يحدف حروف العطف ثم تأتى
المطبعة فتضيفها ! ويحدث أحياناً أن يكتب الجملة عشرات المرات حتى
تستقر فى موضعها مطمئنة فيه وقد لا يوحى بهذا الجهد الشاق المتصل
تدفق أسلوبه وعفويته حتى ليظن قارئه أنه لا يشقى فى التعبير ، وأنه
عليه جد يسير • ولكن الكاتب يكشف عن سر صنعته •• عن سر هذا
التدفق بعينه حين يقول : (قد أكتب الجملة الواحدة من سطر ونصف
أكثر من ٣٥ مرة ولكن لا أضعها مكانها إلا إذا شعرت أنها جاءت
متدفقة) مجلة الآداب يوليو سنة ٦٠ •



وقد وقف هذا الولع بالدقة والتحديد فى طريق القصة الطويلة ومن
طبيعتها الفيض والانسياب • ومن ثم كانت القصة القصيرة وسيلته إلى
التعبير عن قطاعات من الحياة مغمورة قد لا يحتفل بها أحد ولكنه هو
يروق له أن يقف عندها ويتعمقها ويعكسها فى كثير من التحليل والتفصيل
فى نعمة حزينه حزناً رقيقاً يتأثر بها الكاتب الشرقى والقارئ الشرقى
على سواء •



وقصص يحيى حقى وقفات (شعورية) على طريق الحياة ، أمام

تجارب بسيطة قد لا تستوقف الكثيرين ولكنها تلذه هو ويرى فيها أعماقا
وأبعادا لا تنفذ اليها العين العادية •• أعماق لا بد لها من فنان ••

* * *

ويحيى حتى أدبه أدب ذاتى يبت فيه خلجاته هو • وهو ينبع عن
نفسه حتى حين يختار ألفاظه • فاللفظ العامى حين يعذب فى موضعه من
الجملة أو يوحى لا يتردد فى نظمه فى السطر فى حفاوة لا تخفى بل إن حبه
للألفاظ المصرية النابعة من صميمنا والسايرة فى لغة الحياة اليومية يقف
وراء اختيار اللفظ الفصيح فهو حين يكتب مثلا : « لو كان عندنا معهد
للحب كان (احسان) كاهنه الأول » • تلمح عيني وراء لفظ (كاهن)
كلمة (كهين) •• العامية •

* * *

ويحيى حتى منبت فى قصصه فقصة « قنديل أم هاشم » نبتت من
نفسه بعد أن عاد إلى مصر من أوروبا • فأدبه أدب ذاتى فيه
خلجاته هو •

وفى قصة (امرأة بغير زجاج) حيرته فى البحث عن نموذج • إنها
قصة تحس معها أنه يتمنى أن يعيش إلى جوار فنان ، إلى جوار
(قطب) •• إنه يهفو إلى الصفاء الروحي يترشفه ويتملاه •• ولكنه
لم يظهر بضالته المنشودة • هل صدمه الواقع ؟ أم أن تلهفه على الجواب
السريع أفقده الصبر على التأمل ؟ إنه عندما يقرأ كيف تعلم جى دى
موباسان على فلوبيير لا يخفى حسرته على الفرصة التى لم تتح له مطلقاً
أن يتلمذ على أحد كبار كتابنا • ولعل من قبيل التعويض النفسى
احتضانه للناشئين •

ولعل هذا الشوق كان يعمل فى نفسه حين اختار زوجته الرسامة

ليعرف من خلالها الفنان فى صورته كلها •

أما كتابه (صح النوم) فقد نبع من شعوره بالثورة •• من شوقه إلى زعيم ثم تجاوبه مع هذا المثال حين يضطر إلى العزلة وحين تفرض عليه الزعامة قيوداً ترهقه •• قيوداً تحد من حديثه •• من فراغه •• من صداقاته •• كل يغدو عنده بمقدار •• إن وحدة الزعماء قاتلة وخير تحية تهدي إليهم إحساس الطبقة المثقفة بمعاناة الإنسان فيهم من كبت أشواقه • وقد عبر يحيى حقي عن هذا كله في (صح النوم) • إنه فيه يعنى بالناحية الإنسانية في الزعيم ••

* * *

و (صح النوم) بعد هذا يعد من الناحية الفنية ، أقرب كتبه إليه لأنه مجلى دعوته إلى التحديد •• وقد طبعه على نفقته وأصدر منه خمسة آلاف نسخة لم ينفق منها غير ١٣٠ نسخة • ولعل إحساس الأبوة له دخل في قرب هذا الكتاب من نفسه فقد يكون الكساد الذى منى به على قيمه فيه ، عطفه عليه كما يرى الأب أحب أبنائه إليه مريضهم حتى يشفى •

ويضحك يحيى حقي ضحكة ذات معان وهو يقول : —

« قدر وضعنى مع الفقراء على الرصيف » وهى عبارة طريفة تحدد مصير كتبه وتفسر أسماءها • وهكذا لا يفتقد التحديد حتى إذا توسل في التعبير بالكنايات وبالسخرية أيضا •

* * *

ومن كتبه الأثيرة عندي على الأقل ، كتابه « خليها على الله » الذى وصف فيه المظالم الواقعة على الفلاح وصفا لا يبارى •

* * *

ويحيى حقي وإن كان قاهري النشأة إلا أنه له صلة بالريف عن طريق المحمودية • وبين أوائل قصصه قهوة ديمتری — وهى قهوة

ببندر المحمودية — نشرت سنة ١٩٢٦ في السياسة اليومية وإن لم
يضمنها أى مجموعة • لعله اعتبرها من المحاولات الأولى •

وهو من المدرسة التأثرية إذ وجدها آخر المطاف أكثر قربا إلى
نفسه • وقد عاش زمنا عاشقا للمصور (ويجاس) وصوره •

وكاتبنا تلمح عينه السمات والحركات • وقصصه لقطات سريعة
لحركة أو تعبير • وهو لا يحتاج إلى أضواء كثيرة تبرز له موضوعه فكثيرا
ما انفرجت همومه الفنية عن زوايا ، مهجورة ، كما آثرت ، زوايا
تعيش في الظل •

ومن أمثلة (عفوية) أسلوبه أنه يكتب على الطبيعة فاذا غاب
منه شيء جاوزه في بساطه من مثل قوله (وراء كل قضية قصة •
كم كنت أتمنى في ذلك الوقت أن اشتغل كاتباً لمحام شرعى كما قال
« . . . » إنه كان يتمنى أن يشتغل بوابا لماخور . . .) خليها
على الله ص ٥٥ •

وفي أسلوبه جدة وطرافة وليدة انفعاله الشخصى كقوله (إن منازل
القرية المتداعية ستظل كإخوان الصفا متماسكة بعضها في حضن بعض
لا ترزعها زلزلة القطار . . .)^(١) أو قوله (له ابتسامة) تمتيت النقد
من قبل أن تنطق به الشفقتان) أو قوله في وصف الأستات :

(لا يجمعهم رباط واحد ، شأن ضيوف « الالبوم » الغريب في
قفا القريب أو كهذه المرايا المضحكة في حدائق الملاهى مصطفة جنباً

(١) « صبح النور » ص ٥٩ •

إلى جنب تنطق للمار امامها برسوم متباينة وما هي جميعا إلا رسمه
هو (٠) (١) أو قوله (كنت محتاجا إلى يد تدلك عن رقبتى وركبتى
تصلبهما من ركوب الحمار ، وتدلك أعصابى أيضا لأنها كالزنبرك هو
وحده الذى إذا انفك تعقد (٢)) .

* * *

وهو إذ يكتب تستهويه (العامية) أحيانا وإن كان دائما يعلن
تعصبه للفصحى التى يكشف تاريخ الاستعمار معنا عن محاربتها
والترويج للعامية واللهجات الدارجة (٣) .

ومن أمثلة استعماله للعامية قوله (ووقف الفلاح وحده يقلب
الورق بين يديه كأنما عثر على حيوان عجيب يتلوى فى خشخشة الورق
أنين خوفه . ولكرت حمارى هارباً من منظر عينيه وهو (يبربش) بها .

* * *

وهكذا تتمثل علاقته بالعامية فى إحياء ألفاظ فيها معبرة غنية الدلالة
قوية التصوير للمعنى المراد مثل لفظه (يبربش) هذه . إن لفظها
بصوته وانعكاسه وإيحائه والصورة الماثلة له فى الذهن يغنى غناء تاماً بل
غناء مفرداً عن جملة أو جمل تشير الى المعنى ولا تستقصيه . ولكنه يقف
عند حدود الألفاظ لا يتعداها إلى الجمل اللهم إلا فى الحوار كما سبقت
الإشارة . إنه يبحث أولاً عن اللفظ الفصيح الدقيق فإن وجده مستساغاً
سعد به وإن لم يجده فضل استعمال اللفظ العامى ليعبر من خلاله
تعبيراً مباشراً هو عنده خير من اللف حول المشكلة أو الهروب منها .
ولو انى أعثر فى قراءاتى له على ألفاظ عامية فيما يقابلها بالعربية ندحة
عنها لو أراد . وأنا أعنى هنا قوله فى كتابه « خليها على الله » (الصبية

(١) صح النوم ص ٥٩ .

(٢) صح النوم ص ٧٢ .

(٣) اقرأ مجلة الآداب ص ٦٩ .

يلهثون من ورائى وعلى جانبي كأنهم كلاب غطشى مدلدة الألسن (هنا مثلاً لفظة (مدلاة) الفصيحة أحكم فاللفظ العامى هذا لا يزيد شيئاً فى المعنى أو الجو أو الصورة .

هل هو إعزاز للشعب وإيثار للغته ؟ حب أشربه طفلاً فإن أسرته كما يقول — لشد ما يذكرنى بالمزنى فى مثل هذه المواضع — كان يشملها منذ وعيت روح من الديموقراطية والشعبية لا أدرى من أين جاءت . • هى طبع وخلق • لا ثمرة علم واقتناع • فما دخل بيتنا خادم إلا خالطنا مخالطة الأهل • لم ننظر قط بأنفة إلى القصاب والبقال وبائعة الجبن والصابون ، ولكنى أظنها ديمقراطية معاملة فحسب فلو جاء لأمى خاطب يطلب يد ابنتها لقدمت الموظف الصغير على التاجر الميسور لا تقضيلاً لطبقة على طبقة بل بحثاً عن الاطمئنان ، باتصال الرزق على نمط مضمون وفى موعد محدد ، ولفضلت أيضاً المطربش على المعمم والمصرى على الأجنبى أيا كان سبحانه مغير الأحوال) « خليها على الله » •

وقد شارك يحيى حقى القصاص ، فى حركة النقد فكتب ناقداً هذه المرة ، عن مسرح كليوباترة ، وعن مجموعة (سخرية الناي) لطاهر لاشين ، وعن أهل الكهف ، وعودة الروح لتوفيق الحكيم ، ثم ديوان رامى •

وفى الأيام الأخيرة شارك أكثر •

كما أسهم يحيى حقى فى الترجمة فراجع أخيراً مسرحية الكترا للكاتب جى رى دف وهو الآن معنى بترجمة مسرحية فكاوية Jules Romains Kneek والترجمة الأمينة عند يحيى حقى وسيلة لتكميل اللغة بالعثور على الألفاظ التى تنقصنا • وهو حقى بها يرى فيها النافذة التى يطل منها على تجارب أعرض وأعمق • يستهويه أن يختار

منها لوطنه ألواناً لاسيما أنه يرى في بعض التراجم الموجودة مسخاً للعمل الفني الأصيل الشيق وتشويهاً له •

ولعل سر حفاوته بالترجمة ، في طواعيتها له • فإن التحديد الأسلوبى الذى يكلف به مما يعين عليها •

* * *

وكما يشتهى أن يترجم للآخرين فقد وجد من يترجم له فترجمت إلى الفرنسية قصصه : قنديل أم هاشم — البوسطجى — صح النوم — كنا ثلاثة أيتام — السلم الحزونى •

وهذه الأخيرة ترجمتها إلى الفرنسية مجلة ميلانج للمدنيكان وهى تصدر مرة واحدة فى السنة •

* * *

أما فى مصر فقد تناول كتبه بالنقد والتعليق الدكتور طه حسين الذى كتب عن (صح النوم) •• والدكتور على الراعى فى كتابه (دراسات فى الرواية المصرية) والدكتور نعيم عطية (١) •

كما تناول كتاب (فجر القصة المصرية) الأستاذ أحمد رشدى صالح •

* * *

ويحىى حقى القصاص الفنان سمعته يطوى صدره على أمل ••• إنه يود أن يترجم حياة (أبى معشر) الذى وضع علم السحر • وأبو معشر عالم دينى صوام قوام خرج من بلده قاصدا الحج فنزل فى طريقه عند

(١) بحث بعنوان « لوتريك فى منفلوط » مجلة الكاتب عدد نوفمبر سنة ١٩٦٣ •
بحث بعنوان « تجربة الكتابة الأدبية عند يحيى حقى » مجلة الكاتب عدد مايو ١٩٦٦ •

الفيلسوف العربى (الكندى) فتغير مجرى حياته حتى لقد ترك الحج واشتغل بالنجوم والعرافة •

ومن أمانى يحيى حقى الأدبية أن يكتب عن مواقف حزينة أو (بالتحديد)

• • وفاة الرسول •

• • موقعة قوطاجنة ووفاة هانيبال فيها •

• • المتنبى حين رماه سيف الدولة بالدواة في وجهه •

• • اجتماع هتلر بموسيلينى •

وأخيراً لعل من أظهر أمانيته أن يترجم من لغات أجنبية إلى العربية •

والآن نقف وقفة مستأنية أمام « فن الصورة عند يحيى حقى » •
وموضوع (فن الصورة) يعود بنا مرة أخرى إلى المقارنة بين يحيى حقى والمازنى •

(فالمصرية) ، والشعبية والسخرية خطوط عريضة في أدب الكاتبين ولا أقصد بهذا كمال وجه التشابه بينهما • • فالمازنى يمد في اتجاهاته الشخصية المرسومة طولاً وعرضاً ليمد لنفسه في السخرية منها ولقرائه في الضحك منها أيضاً • فالصورة عنده على نقد فيها خفاف وظاهر ، كاريكاتورية • أما يحيى حقى فإنه يعرى الأشياء وكأنه يزيح المظاهر البراقة عنها وعن الناس لينفذ مخترقا الجلد والعظام • •
نفاده مخيف •

المازنى سهل .. سخريته من الظاهر فقط وهو لا يتجاوز فيها حدود الفكاهة فهي سخرية فكهة مجرد (تريقه) . أما يحيى حقى فإنه يسخر لهز الشخصية التى وقعت عليها عينه .. بل ليهر الدائرة المحيطة بها كأنه يرمى حجرا فى الماء . عملية خلخلة فى وضع فاسد .. يحيى حقى هادف يتلطف على التغيير والتهذيب والصقل لتستقيم أمور الناس ، ويصفو العيش للأحياء ولكن المازنى لا يريد تحويراً أو تبديلاً لقد عرك الحياة وعركته الحياة . فغدا يأخذها كما هى فى استعلاء عليها واستخفاف بها أحسنت أم أساءت .. استخفاف يتمثل فى الضحك منها وإشراك الناس فى هذا الضحك . المازنى يسخر ليضحكنا وينفس عن نفسه وعنا ولكن يحيى حقى يسخر ليعطينا وإن قرر غير هذا . يسخر لنفريق ونعيد النظر فى حقيقة أنفسنا التى تخفيها زيوف كثيرة كالمال والبريق والشهرة والتعلم وفاخر الثياب .. أو تكيفها أو هام كاذبة أو شعارات خادعة فالأب يقتل ابنته التى عاش على (عرق أحضانها) زمنا طويلا متسترا وراء الشعار التقليدى الضخم (الدفاع عن الشرف) هذا الشعار الذى استيقظ من سباته فجأة عندما انقطع عنه المدد ..

يحيى حقى على الرغم من (قفشاتة) كاتب جاد حين كان المازنى فى حياته اليومية وفى أدبه كثير العبث أو كما يسميه الأستاذ العقاد الطفولة الخالدة فى طبيعة الموهوبين التى تملك قابلية التجدد باستمرار وجدة الشعور Freshness .



كان المازنى كثير العبث .. كثير الدعابة . ولعل كتابه (رحلة الحجاز) يؤكد هذا فقصته مع وكيله داخل الكعبة وقصته مع العفريت الذى زعمه فوق أكتافه ، وقصته فى سوق مكة وندائه على الجنيه المصرى الذى اقترضه من صديق ، وصورته على مائدة الأمير حين دفع يده فى خاصرة الخروف كما يزعم ، وقصته مع العبد الذى اتخذ منه عمودا ينحدر عليه إلى الأرض ، كلها تقول إن المازنى فى هذا الكتاب

(فايق ورايق) • حين نجد (يحيى حقى) مهموما دائما بعيوب الناس ووجوه النقص فى المجتمع •



يحيى حقى على الرغم من سخريته ، دائم الجد كبرنارد شو وإن اختلف الرجلان فى الروح والطابع ووسيلة التعبير • إنه مثله سخريته وراءها فكرة وليست الله فى الله غير أن الفكرة عند برناردشو مقيمة ينزلها من أدبه فى قصر كبير ثابت الدعائم موطن الأركان • يسخر من الجنديّة وشرفها المزعوم فيؤلف (ايناس الجديد أو الأسلحة والرجل) ، ويسخر من الزواج وقديسيته التقليديّة فيكتب (مهنة مسز وارن) ، ويسخر من الدين ونفاق المتدينين فيكتب (الميجر بربارا) ، ويسخر من الاستعمار وتعميره الكاذب فيكتب (جزيرة جون بول الأخرى) وهكذا •

الفكرة عند برنارد شو لا تقنع بما دون الرواية الطويلة أما يحيى حقى الذى يحنو على المقلين والمساكين فالفكرة عنده تعبر عنها سطور أو قصة قصيرة وما بالقليل هذا ولكنه اختلاف الوسائل •

ويحيى حقى مرة أخرى يشبه من كتاب الانجليز سويفت فهو ولوع بتوضيح الصورة بالمتناقضات فى الأشخاص والأشياء وسأوضح هذا بعد قليل •

أما المازنى فيشبهه أناطول فرانس وإن لم يتأثر به فسخريته مثله إنسانية عليها مسحة حزن وهى ليست قاسية رغم ملاحظاتها الشديدة كسخرية سويفت • إن سخرية المازنى كأناطول فرانس تنطوى على سماحة فكلا الرجلين يأخذ الأمور مأخذاً سهلاً •• قد يوضح الطريق ولكنه لا يكلف نفسه رسم خطة الإصلاح ••

سخرية المازنى كما أشرت فى دراستى له ، كسخرية مارك توين

الكاتب الأمريكي المشهور (١٨٣٥ — ١٩١٠) وقد تأثر المازنى به كثيرا في أدبه الساخر .

* * *

مفتاح شخصية يحيى حقى وأدبه معا تعثر عليه في صفحة ١٣٩ من كتاب (فكرة وابتسامة) . هناك في موضوع (فضائل في الثلاجة) هناك تمسك عينك يحيى حقى متلبسا بسبحاته أو أحلام رؤاه أو أحلام يقظته كما يريد هو أن يسميها . وفيم ؟

(إنما كنت سرحانا في تأمل هذا الشعور الغامض الخفى المتخلف في قلبي بعد معايشرة أنماط مختلفة من الناس . وشيئا فشيئا يتكشف هذا الشعور الغامض عن احساس واضح بأن حياتهم يكمن فيها ، كالقبح . غلط مستور ولكن ما هو ياربى هذا الغلط ؟ الذى لاشك فيه عندي أولا أن هذا الغلط المستور هو وحده مرجع شقائهم في الحياة وفقدانهم لذة التمتع بمباهجها وسبب اضطراب أرواحهم وانزعاجها رغم الهدوء الكاذب على وجوههم بل هو علة ترددهم بين الرضا عن النفس ومقتها ، هو مصدر ما يتضمنه مسلكهم من متناقضات يعسر تفسيرها ويعسر بالتالى الحكم عليهم هل هم أخيار أم غير أخيار — تعبیر مهذب عن الشر يفصح عن رجل السلك السياسى — أود بادئ ذي بدء أن أؤكد لك أن الذين أتحدث عنهم هم أناس من معدن طيب ولا ريب نفوسهم غير فاسدة ، وأنا من المؤمنين بأن الإنسان مفطور على الخير لا الشر .) (١) .

هذا حين علل المازنى سخريته بقوله (لو وسعنى أن املأ الدنيا سرورا واغتباطا لفعلت فإننى عظيم الرثاء للخلق وأحسب أن هذا تعليل ملى للفكاهة . فإننى أتسلى بها وأنشد أن أدخل السرور على قلوب الناس لا اعتقادي أن عند كل منهم ما يكفيه من دواعى الأسى ، وما دام

فى الوسع أن نعرض عليهم الناحية المشرقة الضاحكة فلماذا نغمهم ونحزنهم .. ثم إن للفكاهة مزية أخرى هى أنها أقوى ما أعان على احتمال الحياة ومعاناة تكاليفها والنهوض بأعبائها الثقالة . فهى ليست هزلاً ولا تسلية فارغة وإنما هى تربية للنفس والرجل الذى يلقى الحياة بابتسامة المدرك الفاهم — لا الأبله الغافل خير وأصلح ألف مرة من الذى لا يزال يدير عينيه فى جوانبها الحالكة ويندب ويىكى ويعول . ولو نفع السخط والغضب والبكاء لقلنا حسن فلماذا لا ننظر إلى الجانب الوضاء .. أو لماذا نعى عنه وهو موجود أى لماذا نفقد القدرة على الاحتفاظ بالاتزان أو صحة الوزن للأمور (٢) .



وما دام الموضوع قد ساقنا إلى المقارنة . فلا بأس أن نذكر فى هذا المجال أن المازنى وصف نفسه مباشرة فى (صندوق الدنيا) و (خيوط العنكبوت) .. وصف طفولته وصباه وآراءه فى الحياة والناس . . هذا حين نجد (يحيى حقى) يطل علينا من خلال شخصياته وقفشات وأسلوبه فى التفكير والتعبير .. حتى حين أراد أن يتحدث عن فن القصة حاورنا فلم يصرح بمذهبه فيها بل ساقه على صورة رأى فيما يجب أن يكون عليه القصاص .. أى قصاص . ألم أقل لك إنه جاد ظاهر الجد أو لعل أسلوب الدبلوماسية ، وهو من رجالها ، غلب عليه .

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

على أن يحيى حقى بعد هذه المتوازيات يلتقى مع المازنى فى فن التجسيم الذى يتمثل عندهما فى الصفات والصور التى رسمها كلاهما لما زعمه قصراً وإن كان المازنى أشد مبالغة كطبيعة فن الكاريكاتير — الذى كان يمثله فى الأدب .



ويحيى حتى كالمـازنى يكره الفلسفة (١) من بساطة الفطرة • كلاهما حنا على العامية حنوا شديداً من تأصل (المصرية) فى نفسيهما فإن العامية المصقولة إن هى إلا العربية (المصرية) • ولى فى هذا الصدد رأى تؤكد الأيـام يوماً بعد يوم • رأى خرجت به من دراسـاتى للكتاب وما كتبوا •• إن معتقى (المصرية) كلطفى السيد وحسين فوزى وتوفيق الحكيم ويحيى حتى والمـازنى ، على تمكنهم من الفصحى وباعهم فيها — مما ينفى عامل العجز أو الاستعلاء مما يعاب به دعاة العامية من القاصرين أو المقصرين — يحنون على العامية ويقربونها اليهم والى أقلامهم ، ألا يكمن وراء هذا ، سر ، فـحواه أن العامية إنما هى اللهجة المصرية من العربية •• إنما هى العربية المصرية مظهر استعلاء مصر وغلبة شخصيتها كدأبها دائماً ••



وبعد هذه المقارنة التى دفعنى إليها يحيى حتى نفسه بما ذكرنيه من أدب المـازنى أخلص للكلام عن كتاب يحيى حتى (فكرة وابتسامة) أو عن يحيى حتى نفسه •• الفنان •• والإنسان •• أخلص للكلام عن فن الصورة عنده •• وهو حديث طويل • هذه صورة :

حتى بلدى : وصورة هذا الحى من أعـمق الصور فى معرض يحيى حتى ••

حتى بلدى : (الاسم مسبوق بكلمة « خارطة » — وهنا يشترك الاسم فى تعميق « بلدية الحى » البلدى — •• « خارطة » وهى كلمة غريبة مفصلة من أجله وحده المنازل متلاصقة فى صف واحد يجازى الطريق بمثابة سور من طابق واحد ، فلا تزال متماسكة ، اللون الغالب هو البياض لأن المنازل من حجر وبغير طلاء ، وكذلك التراب أيضاً أبيض ناعم كأنه طحين به طباشير لوثته تلاميذ علق الحبر بأصابعهم • فى الجو

(١) كتاب « أدب المـازنى » ص ٣١١ •

خليط من رائحة حريق القمامة وقمايين طوب ودبغ جلود وتنفس
قبور اقتربت ولم تصل بعد للفناء • رائحة يشعر بها الغريب لا أهل
الحي • للأطفال هنا ضراوة واعتداد بالنفس ، زلنطحية ، لأن مجال
اللعب أمامهم فسيح ، الدكاكين منادر والبضائع المعروضة — من حيث
الكم والكيف — مقيسة على قدرة أهل الحي لا يشتري الغرباء منها شيئاً
انه عالم مستقل منفصل ، قانون الحياة عنده ليس هو التنازع بل
التباعد ، هناك إحساس بأن لا أحد يسأل عن أحد لأن كل واحد وإن
اقترب بجسمه من الآخر بعيد عنه بروحه كل البعد بسبب مشاغل
الدنيا • مرور النعش — ولو لعروس — لا يثير أقل اهتمام • الفقر
هنا جلد ، خشن ، كسطح الحجارة النيئة المقتطعة من محجر قريب لم
تجد بعد من يصقلها • فجوات الاثنين كأنما من قرص القمل والبق
والبراغيث وإن انفرد أهل الحي بلذة حكها ، آذان العشاء يغلق
الأبواب ويضىء الفتائل ويطلق السعال لا تظهر ليلة القدر لا فى أحلام
اليقظة ولا فى المنام) •

صورة كما ترى رسمها فنان غنى الوسائل غنى المادة • فالبيوت
وتلاصقها (المكان) ولونها والتراب ولونه والرائحة وألفة أهل الحي
لها فما عادوا يشعرون بها • الغريب وحده هو الذى يشعر بها لا أهل
الحي • والأطفال والدكاكين والبضائع المعروضة والكم والكيف
ودلالته على العزلة المادية التى مهد لها قبل هذا بتلاصق البيوت (فى
صف واحد يحازى الطريق بمثابة سور من طابق واحد) التى تقابل
العزلة النفسية التى يعيش فيها هذا (العالم المستقل المنفصل) العزلة
النفسية التى يعيش فيها إحساس بأن لا أحد يسأل عن أحد حتى بلغ
الأمر أن مرور النعش الذى يفيق عليه الأحياء على اختلاف مشاربهم
لا يثير أقل اهتمام حتى لو كان لعروس • إن الفنان هنا يعمق
(اللامبالاه) بصورة قاطعة •

ثم الجو النفسى الذى تحدده هنا ، وبعمق أيضا ، عمل الفنان حين يقرن الفقر فى التشبيه بالحجارة • الجو النفسى واحد • فالفقر حمل ثقيل ورزء والحجارة حمل ثقيل ورزء •

هناك من عناصر الصورة تدرجه فى وصف الرائحة من (حريق القمامة) و (قماين طوب) و (دبغ الجلود) ثم يجهز على الحظ العاثر (بتنفس القبور) وهنا لم تعد الرائحة الكريهة تطاق • ويبدو أن قسوة الصورة أعدته — وهو العطوف الحانى — فسخر من أهل الحى قاسيا حين أثرهم (بلادة حك القمل) •

وهناك عنصر الزمن والمقابلة به فى وصف الحى بالنهار وعند آذان العشاء الذى يخلق الأبواب ويضىء الفتائل ويطلق السعال ، ثم تجيء اللمسة الأخيرة للفنان فى ليلة القدر التى لا تظهر فى أحلام اليقظة ولا فى المنام •

ولا هذا أيضا !

حتى الترقيم استعان به الفنان فى رسم الأبعاد فلم يستعمل بين العبارات التامة ، النقطة ، لأنها وقفة نفسية وزمنية حين أراد أن يوثق العلاقة بين كل ما فى الصورة من أجواء مادية ونفسية فاتخذ سبيله إلى هذا (التماسك الوثيق) بعلامة (،) الفصلية يتابع بها العبارات فى اطراد منسجم مع صلاحية كل عبارة الأداء معنى كامل أو رسم صورة كاملة ولكنه يريد أن يقول لك خيرا لهذه العبارات والصور الجزئية أن تنتظم فى سلك لتعمق الصورة الكلية وتوصلها • لقد أدت هذه الحركة الصغيرة (،) الفصلية عنه كل هذا كأن السطور مقدمات ونتائج لا تنفصل • • وهى براعة من الفنان تستفيد من كل شئ حتى (الشكل) •

وكأن هذه الصورة التى تحارب الفقر (هدف يحيى حقى) بتصوير بشاعته فى العين وعلى النفس لم تستنفد كل طاقته الفنية ومرئياته المادية

والمعنوية فأفرغ الباقي من شحنته الحانقة على الفقر الراهية للفقراء في صورة أخرى ، تضاهيها من حيث التصوير وتعميق الأبعاد المرئية والنفسية ، أثرا وروعة •

حي قديم :

تجد خبره في الجبرتي منازل من طوابق متعددة كبيرة السلم كل والدرجات نصف متر ، والحجرات أكثرها مسروقة منازل بسياسة تقف بقدرة قادر وبفضل تساند بعضها ، وبعض أعمى يطلب من أعمى أن يأخذ بيده ليعبر معه الطريق هي أوقاف تحمل أسماء شركسية وتركية ومصرية ، أسماء لها رنين كشذى زجاجة عطر فارغة ماركة (مية القسيس) نسيت في قعر صندوق — وفجأة (على طريقة يوسف إدريس) — مسجد هو تحفة واه من حقه أن يمسح بمنديل من حرير ويوضع على صينية من ذهب • اللون الغالب هو الرمادي ظل سحب من الذباب والتراب أغبر لزج من الرطوبة والرائحة خليط من مرحاض وتعفن زبط وقمامة وجثة قطرة وبهارات وكسب بذر كتان في سيرجه غير بعيدة • الأطفال عليهم ذل الأسرى في معسكر اعتقال ، الفقر هنا جلده ناعم كقماش زكية أبلاه طول الامتهان ، الحياة هنا ليست تنازعا ولا تباعدا بل هي زحام وامتزاج واختلاط روك ووسلية ، ومع ذلك لا يحس أحد بأحد لأن كل واحد قريب كل القرب من الآخر فلا يرى فيه إلا نفسه ، حيان مختلفان ولكن يجمعهما على الفقر قانون نصه كالآتي : المادة الأولى والأخيرة لا يسأل أحد عن أحد •

إن أردت أن تطلق على هذا الحي اسما رمزيا يثير بالكناية وحدها إلى ما في المأساة من ذبح وإراقة دماء فسمه : الدرب الأحمر •

هذه لوحة علقت في معرض يحيى حقى إلى جانب اللوحة الأولى. لتمييزها بالأضداد والتضاد : فالمنازل هناك طابق واحد وهنا طوابق متعددة واللون الغالب هناك البياض واللون الغالب هنا (الرمادى) الذى يدكن حتى يصير (كحل) فى بير السلم • والتراب هناك أبيض والتراب هنا أغبر والأطفال هناك زلنطحية والأطفال هنا عليهم ذل الأسرى فى معسكر اعتقال • الفقر هناك جلده خشن والفقر هنا جلده ناعم نعومة النضوب • • الرثاءة • • البلى • • الضعف بعد أن ذهبت خشونة القوة وقوة الاعتداد • • الحياة هناك تباعد والحياة هنا زحام وامتزاج واختلاط يبلغ أوسع مداه فى كلمة (روك) • • وفى كلمة (وسية) • •

ومع ذلك لا يحس أحد بأحد لأن كل واحد قريب كل القرب من الآخر فلا يرى فيه إلا نفسه •

عمق التعليق يجعل من الشجى قمة وحده • • قمة يلتقى عندها الحيان اللذان يجمعهما على الفقر قانون (لا يسأل أحد عن أحد) •



خدم الفنان فى هذه اللوحة الألوان والمفارقات واللمس والرائحة. ثم المقابلة لتوسيع الأبعاد • فبعد المقابلة فى الصورة العامة تقابل فى الهيئات والألوان وما وراء هذا من أبعاد نفسية يعمق لها الفنان بطريقته الخاصة التى تخفى السخرية فتستعلن وحدها • فمثلا يرسم المنازل المتهاكة المتداعية لولا أن يمسك بعضها كما يقول شوقى من الذعر بعضاً هذا التماسك الذى شد به خيوط الصورة كلها بتخديم فن الترقيم فوصف الحى كله ليس به نقطة واحدة على الرغم من تمايز الجمل والعبارات • • إنما استعمل الفنان بالفصلة من أول الوصف إلى آخره ليؤكد أنه شئ واحد • • منازل بسياسة يتألق وسطها مسجد هو تحفة وإيه • • وفى (إيه) هذه شحنة من البهر والإعجاب • • • ما شئت أن تقول حتى ليحق للمسجد أن يمسح بمنديل من حرير ويوضع على صينية من ذهب • تثرى كم تكلف ؟ ! • •

دعنا من التكلفة حتى لا نغضب المنازل (البسيطة) .. ما أريد أن أقوله هو أن المقابلات عند يحيى حتى قعم تبعـد عن السفوح بقدر بعد المسجد التحفة وإيه — كم تعجبني (وإيه) هذه — عن المنازل البسيطة ..

وهناك مقابلة أخرى تكمن فيها سخرية خفيفة • فاللون الغالب جعله الفنان « الرمادى » ثم خشى أن تتهمه بالتناقض لاختياره لونا فخما فى حى قديم فقير فأردف بأن هذا اللون (ظل سحب من الذباب) وكأنه يعلن السخرية التى جهد فى إخفائها ، ليستريح .. فاللون الرمادى من الألوان القيمة الطيبة الودود فهو يأتلف بسائر الألوان • وهو لون غير أناى إذ يظهر الألوان الأخرى إذا التقت معه .. وعلى النقيض من هذا كله • الذباب الكريه المتطفل ..

• ومقابلة أخرى •

الفقر هنا جلده ناعم .. لقد نفى الفنان مرة أخرى التناقض الموهوم • بين الفقر الغليظ وبين النعومة بسخرية عميقة .. انها نعومة الخيش البالى • نعومة تجىء من الامتهان لا من النعمة •

• ومقابلة أخرى •

الاشارة هنا الى الذبح وإراقة الدماء التى يريد أن يسمى معها (الحى) ، الدرب الأحمر ..

الذبح هنا نفسى لأن الفقر ناعم من طول الامتهان حتى الأطفال عليهم ذل الأسرى هيهات للجريح الذبيح أن يريق دما أو (يحدث جرحا) ..

وهكذا ترتفع (المقابلة) عند يحيى حتى إلى : فن • لم تعد صناعة تافهة عدتها لفظان مختلفان ولو على حساب المعنى ولكنها مقابلة نفسية .. مقابلة فى المعنى والجو والحظ فى الحياة .. لقد ضربت المثل الأول من عالم الأشياء والأحياء • أما المثل الثانى فأسوقه من عالم النساء •

وهذه اللوحة أطلق عليها يحيى حتى اسم « فاتن » (الست مسترخية على مقعد وثير كانت قد تناولت فطورها وأكلت حتى شبعت وقفت أمامها على بعد تحدده أنظمة الكورنيتين امرأة مسربة بالسواد شاحبة الوجه كسيرة النظرة تحمل على ذراعها طفلة في خرق رثة ، في عينيها النونو مسكنة البالغين ورعب راشد أبكم ، هذه هي الخادمة الجديدة التي جاءت تلتمس رزقها بالذل وعرق الجبين تبينت منها أنف الست رائحة غريبة عليها لا تعرف لها اسما ، ليست هي البحر ، أو زخمة العرق ، بل هي شيء يجمع بين رائحة الرماد ورائحة أوراق الشجر الصفير حين تنفت عطنها قبل أن تنفت على الأرض) •

لقد غدت المرأة المسكينة حطام امرأة •• كالرماد الذي تخلفه شعلة متوهجة •• شيء آخر أخطر •• إنى ألمح من خلال التشبيه بأوراق الشجر تهديداً للمجتمع بأن أوراقه الصفير سوف تنفت على الأرض ••

(استجوبتها الست استجواب وكيل نيابة لمتهم وحددت لها أجراً تصرف مثله وأكثر منه في سهرة واحدة ثم أبت أن تترشح عنه « اذا كان يعجبك » قبلته الخادمة صاغرة ودعت بسعة الرزق وطول العمر ، فلما خيل لالست أن الخادمة تستحق التجربة اعتدلت في جلستها ولعت نظرتها وهي تصوبها إلى الطفلة ببريق خاطف من الغيظ : كيف يمكن أن يترعرع كل هذا اللحم الملظظ وسط الخرق وعلى صدر مطبق ثم أشارت الى آية الشذوذ •• بالسبابة وقالت :

— إيه ده اللي انتى شايله على دراعك ؟

ابتسمت عين الأم وأجابت •

— هذه بنتى فاتن (لا عجب فنحن في عصر السينما) عمرها ثمانية شهور سابنا جوزى ومشى من قبل ما أولدها •

— احنا عاوزينك وحدك ، شوفى لك صرفة في بنتك أنا مش عاوزة وساخة في البيت •

— ماليش حد ياستى ربنا يطول عمرك ويخلى لك أولادك •

— ده شغلك مش شغلى •

— ما يهونش علىّ أرميها عند واحدة من الجيران تخيب أملها •

— أهى زيتها زى غيرها •

أشاحت الست بوجهها وتناولت قطعة من الشكلاتة وأخذت تمضغها كأنما عز عليها أن يضيع لها وقت في انتظار رد تملكه خادمة • •
مدت الأم أصبعها نحيلاً لأنه جميل إلى شفة ابنتها تحاول أن تداعبها لتبتسم وتمتمت لها بحنو عميق :

— لو كنت تموتى (•



وهكذا ترى فى هذه اللوحة سيدتين إحداها مسترخية — لا جالسة فقط — على مقعد وثير والأخرى واقفة كسيرة النظرة • •
واحدة تناولت فطورها وأكلت حتى شبعت ولم يبق إلا الشكلاتة تتمم بها أثناء الحديث تأكيداً من جانب الفنان للوفرة والترف ليزيد الجانب الآخر من الصورة دكنة وحرماناً • الجانب الآخر الذى تقف فيه منبوذة كالأجرب أو الموبوء سيدة شاحبة الوجه • — والجرب والوباء معنى فهمته من قول يحيى حقى عامداً : وقفت أمامها على بغداد تحددته أنظمة الكورنتينات •

ومقابلة أخرى :

ولم أنها هنا من صنع الطبيعة أقصد (اللحم المألاظ وسط الخرق وعلى صدر مطبق) •

ومقابلة أخرى خفية بين الاسم المقتبس من عالم الأضواء وبين صاحبه الغارقة فى الظلام والضياء •

ثم مقابلة أخرى بين مداعبة الأم للطفلة بحنو عميق وبين قولها
(لو كنت تموتى) مقابلة هى وحدها صورة عنوانها : المرارة •

إن كتاب (فكرة فابتسامة) كتاب متفكه ، من يأخذ الأمور
بظواهرها يقرؤه فى جلسة أو جلستين ولكنى قرأته فى مدة طويلة
استغرقت بضعة أسابيع قراءة محتشدة له لم تتخفف قط لأن الكاتب
كان جاداً وإن رسم على فمه ابتسامة عريضة • وقرأت بعده كتباً أخرى
ولكنى لم يغب عن عيني قط صورة (أم محمد الغسالة) كما ينقش
المتحف صورة فى ذاكرة زائر فنان • أنا أراها (لها بسبب وش الوابور
هيئة الصماء : نظرة شاخصة وصوت مرتفع النبرة •) أراها وهى تنزل
الصفحة (الملوثة لثم عينها يتقوس ظهرها وتزم شفيتها وتتفحص
موضع قدميها لتحكم وقفتها وترفعها بحزقة تشرخ الحلق لئلا تخرق
جدار البطن) ص ١٣ •

أراها وأسمعها وهى تعدد فيكى قلبى وإن لم تدمع عيناى •

لم يغب عن عيني قط صورة سيدة الأتوبيس ص ١٥ وصورة
البواب الذى يعيش فى زنزانة ص ٧٨ وصورة التائه الصغير ص ١٥٩
وصورة جمهور المسرح إذا غضب ص ١٧٩ وبين هؤلاء صورة عربية
الفاكهة ص ٣٤ وصور ضحايا السجارة (١٦ — ٢٣) ودكان الفول
ص ٢٧ •

لم أنس صورة الأم الشاردة اللب تسير خلف المنادى وصوته
رغم عنائه غير مذبوح (لأن يده ليست فى النار ، أما الصوت المذبوح
رغم خفوته فينبعث من فم امرأة تتهاك وراءه على شبشب زحافى
لا تحسن ستر جسمها بملاءتها لو صب للدوخة تمثال لكان هى ، تردد
وراءه ، بأنين « يا أولاد الحلال » ثم لا تريد إنها تترك إعلان توهان

ابنهما للرجل يحجز أن ينطق به لسانها عرفت من أنينها لأول مرة في حياتي معنى الفجيرة وكيف تهصر القلب (ص ١٦٠ •

ويتكرر النداء كلما غابت الشمس عن تائه جديد فلا يسلب تكراره (وقعه الأليم كل مرة) في نفس الفنان الحساس •



فإذا تجاوزنا بالحديث عن فن الصورة عند يحيى حقى التخطيط العام ومادته ، وصلنا عند نقطة تطور الشخصية • لقد رسم يحيى حقى صورة لفتاة عز عليها القوت إلا في حمأة الرذيلة فتقلب (الجلابية) المخططة إلى فستان مشجر ، وحذاء الغورية الذي ينفج برائحة دباغة رخيصة تزكم الأنف إلى حذاء من أول الموسيقى من مشمع له رائحة لذيدة أصبحت فتاة متمدينة نقهم في المودة والرقص وأنواع الخمور عاشت الطبيب والمحامي وتلميذ الجامعة وعرفت شيئا عن السياسة الدولية ومجموعة ضخمة من النكت البذيئة ، حذاؤها الآن بكعب ألومنيوم من شارع قصر النيل كل شياكته أنه يعقر قدمها وأصابع هذا القدم لا تزال رغم حبسها الطويل غير مضمومة • بلى ثوب الفتاة الشغالة ولبسها ثوب يفرزها عن الحرائر والعفيفات ويدل عليها أينما ذهبت وحيثما جلست ، حتى وهى فى المايوه • يحسبها الرائي وسيمه فاذا تأملها وجد ميل مدورها القديم قد فضح دمامة تجللها من الرأس للقدم وتتبع من النفس ، ترق فى أول الجلسة غاية الرقة حتى لتحسبها إنسانة مهذبة تبكى شفقة لدجاجة مذبوحة فاذا غولطت فى الأجر بان لها وجهه غليظ متجههم ينطق بالشراسة والقسوة والبغضاء وجهها لوح رسم ملامحه أزميل قوس خدها نصل لامع (« ص ١٢٣ — ١٣٦ » •

وهكذا طور يحيى حقى ، الشخصية ، دون أن يعلن ، من الحذاء والثوب وأسلوب التفكير والحديث وملامح الجسم أيضا :

فالثوب : جلابية مخططة ، ثم فستان مشجر ، ثم ثوب يفرزها عن الحرائر والعفيفات •

والحذاء : حذاء الغورية الذى ينفج برائحة دباغة رخيصة تركم الأنف ثم حذاء من أول الموسيقى من مشمع له رائحة لذيدة ثم حذاء بكعب ألونيوم من شارع قصر النيل يعقر قدمها •

فإذا لبست « مايوه » : **فالجسم :** وسامته زائفة يفضحها ميل محوره القديم والقدمان أصابعهما لاتزال رغم حبسها الطويل غير مضمومة •
وتصل الدمامة أقصى مداها وأقصى مداها حين تتكشف خباياها عن نفس دميمة • هنا حكم بالإعدام • •

إن النفس الجميلة تغفر كل قبح يشوب جسم صاحبها ولكن الدمامة إذا طفحت من النفس ولا أقول نبعت — لأن اللفظ يقتزن في مفهومنا بأشياء طيبة — فلا خير يرجى ولا ينال •

والفتاة : شغاله ثم فتاة متمدينة تفهم في المودة والرقص وأنواع الخمور وتعرف شيئاً من السياسة الدولية ومجموعة ضخمة من النكت البذيئة •

والحديث يرق في أول الجلسة فإذا غولطت في الأجبر غلظ وقسها كوجهها ، الذى تبدو ملامحه رسمها أزميل ••



ومن أدواته في رسم الصورة : « العامية » التى يعمق بها الصورة ويحدد خطوطها بما يشبه الحفر كقوله : (وقد يكون الضائع شيخاً متجهماً بما تحس من صورته أن الأيام قد دعت وأرهقته) ص ١٥٢ •

هناك (عركته) وهى قريبة من (دعت) ولكن الأخيرة في مكانها أقوى وأوسع في معنى الإيلام المادى والنفسى •

وقوله : الغسيل « يندع » يخيل إلى أن ليس هناك كلمة تغنى غناء (يندع) هذه من حيث الكم والكيف والزمن والوقع فهى شئ أخضر غير (ينقط) في المقدار والطبيعة •

وقوله : امرأة « مريوحه » • فيؤدى اللفظ فى مكانه من الحركة والهيئة والخرافة ما لا تؤديه ألفاظ منها نزقة ، رعناء ، ولا مخبولة •
وقوله : « تفسخت » روحه بما تحمل من انحلال وبلى وتفكك وانحدار •



ومن عناصر فن الصورة عنده (السخرية) يشيعها فى الكلمة والجملة أو الجو العام للصورة •• لا تسرية ولا تسلية ولكن سخرية جادة كثيرا ما تقارع ناقوس الخطر •

ومن صوره الساخرة : طبق اللحم ص ٢٥ ، وصورة العزول فى الأغاني المصرية ص ٥١ والكذبة الأولى ص ٦٣ والسياح ص ١٠٧ ودعوى الغيرة على الشرف ص ١٣٧ ونساء المجتمع الراقى والفنان ص ١٨٢ •

ومن صور الفكاهة عنده (شباك البنك ص ١٨٨) (ملابسه) ص ٨٥ • وهنا يلتقى بالمازنى أقصد يلتقى الفنانان والأسلوبان فى موضوع واحد : (السخرية من النفس) • كلاهما يتخذ نفسه موضوعا لدعاباته وفكاهته ••



وأسلوب يحيى حقى أسلوب مباشر لا تعمل فيه ولا فضول • أناقته أناقة الطبع الفنان المصقول لا أناقة الصنعة •• وقد سبق لى أن وقفت طويلا عند أسلوب يحيى حقى عند حديثى عن كتابه (خليها على الله) •• فحسبى الآن أن أشير إلى لمحات جذابة شددتني • فى ص ١٣٩ يقول :
الهواء ظاهر فيلتقى فى اللفظ البسيط الصفا والنقاء فى قمة •

وقبيل هذا فى ص ١٦٨ ألوان من الفرحة : الفرحة الأولى للكون حين أفلتت من العدم فرحة كل رسام سابق وقادم حين تحقق لوحته أحلامه ، فرحة كل شاعر كلما نطق الفن بلسانه • وأخيرا فرحة الجذل الذى يقول

عنه : (الجذل هو قرار السعادة وجماعها • • إن من يملك الجذل هو في غير حاجة لشيء آخر • إنه يجد له طعاماً حلواً في فمه • كل العواطف إلى جانبه أقمار تستمد ضوءها من شمسها الليل حين يغيب هو ولو طلعت كافة هذه الأقمار) •

لمحات جذابة في الأسلوب ولكن أغلى منها وأعذب ، إنسانية كريمة تحنو حتى على الخطأ • فالأب المتبطل يتبدل حسه وضميره ويزغرد الشر في نفسه المظلمة فيتذكر فجأة شرفه الذي أهدرته ابنته وما كان ليتذكره ، لو استمرت في الدفع وتلبية الطلبات المسعورة فيذبحها ولا يبالي وكأن هذا الهم قد طرحه الأب على الفنان الغريب ، فيخرج القاتل وفي جيبه الأساور ليبيعه بثمن بخس • ويهناً بليلة فنطزية ، ويترك الأديب • • القلب الكبير يتساءل في صوت مهموم خافت ممرور ساخر أيضاً : يا هل ترى لحظ وهو يذبحها تحت النجفة الكبيرة وبجانب الأبا جور الأحمر أثر جرح من زجاجة لمبة نمرة (ه) في قدم من كانت ذات يوم صبية ارتمت بين أحضانها ؟



وأسمع (يحيى حقى) حين يعتذر عن الهاربين من الحياة ولا يفوتك خلال الحديث أن تسمع حديثاً آخر عن الموت والحياة • (٢٧١)

(الانتحار • • نعم ! فإن أخبار (خرج ولم يعد) تجعلنى كما أحس بأن الموت هوة سحيقة تشفط الناس يجعلنى كذلك أحس بأن الحياة هي الأخرى هوة سحيقة تشفط الناس • السقوط واحد والضياع هو هو • • يجعلنى أحس كأنما نمشى على صراط دقيق بين الهوتين وأنا رغم ما ننعم به من أمان وانتظام عيش ومستقبل مضمون بقدر علم الإنسان — احتراس وخوف غامض من المجهول — نعيش مع ذلك في رهبة دفينية مستمرة من أن نزل يساراً فنقع في هوة الموت أو نزل يميناً فنقع في هوة الحياة ويبتلعنا خضمها • ذلك أن مرض الرغبة في الهرب قلما يسلم منه إنسان في العصر الحديث وإن اختلفت حدته) ص ١٦٤ •



فنان حساس بينه وبين الأشياء ألفة كبيرة ومهما ضربت من أهلة
فأنا مطمئنة لا أخشى ملالا • إن حديث يحيى حقى وخاصة عن بدلتـه
القديمة يستهـديها البواب يمتـع ويشوق •

(هيهات أن يصدق أن أقدم ملابسى هى أحبها عندى ، ليس أنا الذى
ألبسها بل هى التى تلبسنى فى غمضة عين انقطعت خشختها ، وتودكت
كل عروة على زرارها ، ونعمت أظافر الليف الذى يحشوها فرقد
واستكان ، الكتف هو كتفى لا كتفها وأصبح باطى والريح لا تشعر يدي
وهى تدخل جيباً أنها تجوس خلال أرض مجهولة ولا تعدم وقت
الزئقة أن تعثر على عود تسليك أسنان مختبئ كمتهم منذ أن سرقتـه من
مطعم ، جيوب البدل القديمة دافئة أبداً ولو كانت خراباً وجيوب البدل
الجديدة باردة دائماً ولو كانت عمرانة ، انعقد بينى وبينها صلح هى
فيه مخلصـة وأنا منافق فلا أستبعد أن أخونها فى يوم وأسلمها بعد عمر
طويل إلى تاجر الروبايكيا) ص ٨٥ — ٨٦ •



فنان فى حديثه عن الفن ، والفنان والجمهور ، والفنان والزمن
يسرقه (ص ١٧٧ / ١٨٥) •

ثم حديثه عن القصاص وفن القصة ، ولست أرى لماذا أحس أن
« يحيى حقى » فى هذا الحديث إنما يصف نفسه •

(أنا أريد منه « أى من القصاص » أن ينتفع أتم انتفاع بكل
ما وهب الله لبنى آدم من بصر وسمع وشم وذوق ولمس ومن عقل
كالجوهرة ، وروح هيهات أن تفتنى إذا بلى الجسد فلا تكون مقلته مرآة
صدئه بكماء ، الصورة التى تسقط عليها كأنما تتعثر بها ولا تجد من
يلقطها وتبقى لرجة أو باهتة أو مشلولة بل يترك عينه التى خلقها الله
له تعمل عملها على سجييتها • إنها عدسة سحرية مستوية لا محدبة
ولا مقعرة شأن مرايا حدائق الملاحى •

هذه الكرة الضئيلة الرجراجة التي يفقأها أصبح طفل قادرة على أن
تمده بضوء لا يقل عن ضوء المصابيح الكشاف للطائرات أو أشعة
اكس (•) ص ١٩٢ •

هذه هي الحقيقة

إن يحيى حتى نفسه يملك في عينه هذا الضوء •

نجاحه

ذلك

ويطيب عندي قوله عن الفن :

(لا فن بلا صنعة ، ولكن الصنعة في الفن هي أيضا فن ، وإن قشور
الصنعة قد تنال بالتعليم أما روحها فهي روح الفنان ذاته •) ص ١٩٤ •

وبعد فلعل خير تحية أوجهها إلى أدينا « يحيى حتى » أن أسجل
هنا أن حديثه عن الفن وكتابه « فكرة وابتسامة » بل وكتبه قد أغراني
جميعها أن أدرس (فن الصورة) عند أدبائنا •• وفي أدبنا •

البحث

في الفن

في الفن

في الفن

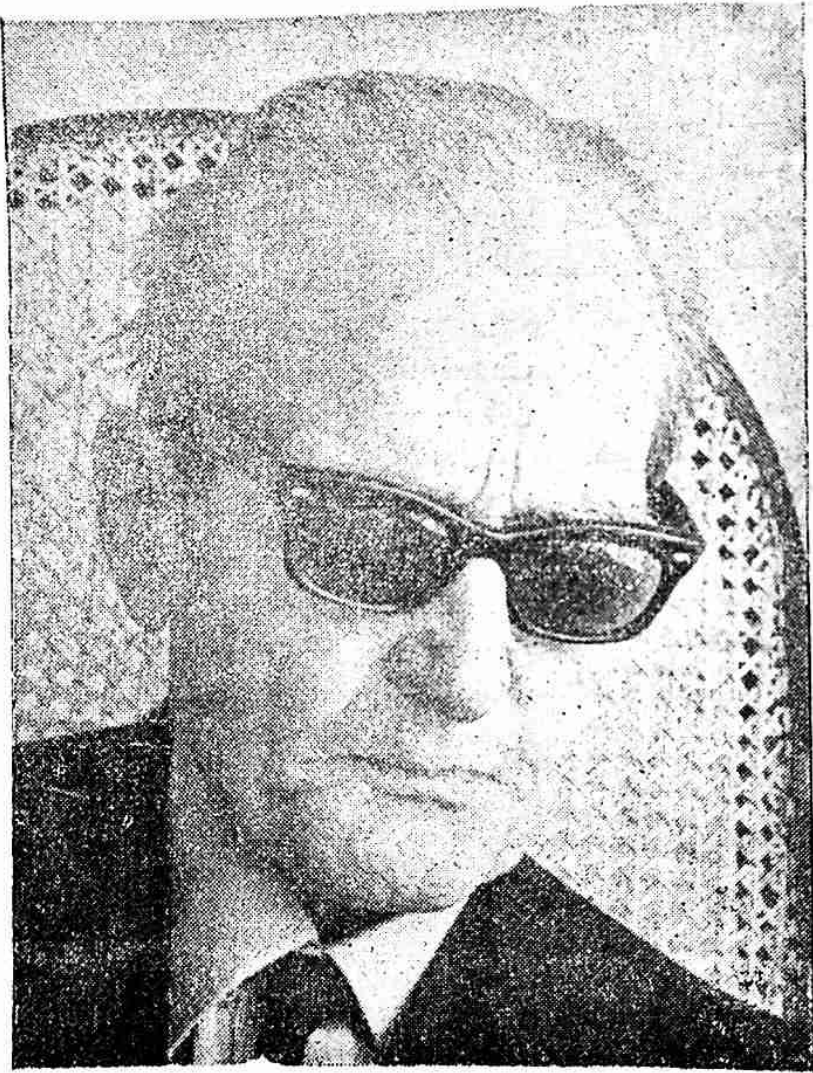
في الفن

في الفن

أعماله الأدبية

- قنديل أم هاشم ١٩٤٣
- صح النوم ١٩٥٤
- أم العواجز ١٩٥٥
- دماء وطن ١٩٥٥
- « مع أنه يمثل مرحلة سابقة على القنديل ويضم قصة
البوسطجي التي ظهرت مستقلة قبل ذلك »
- خليها على الله ١٩٥٩
- فجر القصة المصرية ١٩٦٠
- فكرة فابتسامة ١٩٦٣
- عنتر وجولييت
- خطوات في النقد ليس عليه تاريخ
- دمة وابتسامة ١٩٦٠
- حقيبة مسافر

سنگ و تپو



بلدة قره جولان — درب سعادة — دار عامرة
— ألف ليلة وليلة — موباسان وتشيوخوف —
مدرسة المهجر — مجلة الفنون — الرومانسية
— الواقعية — اللغات الأجنبية — الأدب
الانجليزى — الأدب الروسى — أربع مراحل
(المحلية . موضوعات انسانية . تطور
اجتماعى . فلسفة حياة) — أسلوبه الأسلوب
التعبيرى أو اللفظى . الأسلوب الكتابى
(أو الفنى) — تحليله — رسم النماذج — عناصر
القصة عند تيمور (التشويق . الحكمة الفنية .
عناصر الصدفة) — المرض فى حياة تيمور —
حرمان — كفاح فى سبيل مركز أدبى — قصص
وراء نشر كتبه — دوره فى ثورة سنة ١٩١٩
— محمد تيمور — نقطة تحول فى أدبه —
زواجه — أبناؤه — جوائز — رأى المستشرقين
فى أدبه — فن تيمور — طابع قصصه — العامة
والفصحى فى أدبه — إيمانه بالثنائية اللغوية .

الابن الأصغر والثالث للمرحوم العلامة أحمد تيمور باشا ينتهى
نسبة من ناحية الأب إلى الأكراد • والأكراد منهم عنصر ينتهى إلى العرب
وإن نفى المتعصبون منهم ذلك ولكن الواقع أن أسرة تيمور تتحدر من
عرب الأكراد •

فأحمد تيمور باشا بن إسماعيل باشا تيمور بن السيد محمد تيمور
كاشف • جاء فى كتاب (لعب العرب) أنه من أسرة كردية كانت تسكن
(بقرة جولان) وهى بلدة بكرديستان من ولاية الموصل ولا يعرف عن
هذه الأسرة شئ بالتفصيل سوى أن أحد أفرادها وهو محمد تيمور
كاشف فارقها إثر خصام وقع بينه وبين أخيه والتحق بالجيش العثمانى •

ولأفراد هذه الأسرة نعمة وتفاخر بأصلهم العربى اعتمادا على
ما أثبتته مؤرخو العرب فى أصل الكرد وجزم به محققوهم كابن الكلبي
وابن خلكان وغيرهما من اتصال نسبهم بقحطان وأنهم من نسل (عمر
مزيقياء) ابن عامر ماء السماء أو أنهم عدنانيون فى قول آخرين على
ما هو مفصل فى موضعه من كتب اللغة والتاريخ • على أن هذه الأسرة
تمت إلى العروبة بسبب آخر من جهة الشرف على ما ينقله خلفهم عن
السلف وهو علة ورود أسماء أفرادها فى الأوراق والصكوك القديمة
مقرونة بلفظ (السيد) •

وقدم محمد تيمور كاشف إلى مصر مع أجناد محمد على الذى
اصطفاه حين خلصت له مصر ودفعه فى مراتب الجيش حتى بلغ به أعلى
مناصب القيادة ولم يقصره على الجندي بل ولاه عدة أعمال من أعمال
البلاد المصرية المسماة إذ ذاك (الكشوفية) ومنها لزمه لقب الكاشف الذى
كان يلقب به حتى بعد تركه تلك الأعمال •



أما الأم فيجرى فى عروقتها مزيج من دماء شركسية وإغريقية •
والدها أحمد رشيد باشا ناظر الداخلية وصديق إسماعيل باشا تيمور

جد أديينا محمود تيمور •• وأحمد رشيد باشا كان اغريقياً يونانيا أسلم وهو في الثامنة من عمره حين حضر إلى مصر مع الرؤساء الأتراك • • وأما شركسية ساعد على جمعها مع الوضع السياسي في ذلك الحين فقد كان الأتراك متسلطين على القوقاز وتركستان وطشقند عاصمة تركستان الروسية •



ولد محمود تيمور في حي «درب سعادة» سنة ١٨٩٤ م حيث ينفج الجو عبر المسك والجاوى يتطاير إليه من حي الحمزاوى مربى أبناء البلد ومجتمع مجالسهم • الحى الذى تدور فيه أحداث قصة (ساق من خشب) • وتلقى تعليمه الأول بمدرسة الناصرية الابتدائية والإلهامية الثانوية وهنا دهمه المرض وهو في طراءة السن وزهو الشباب مما ألزمه داره واضطره إلى الحصول على «البكالوريا» عن طريق المنزل لا المدرسة •

والتحق بعد هذا بمدرسة الزراعة العليا ، فطاف به المرض مرة أخرى وكان التيفود ، فلم يكن بد من الانقطاع عن الدراسة وإن لم ينقطع عن طلب العلم وما إن أبلى من مرضه حتى التحق بإحدى وظائف وزارة الحفانية حيث مكث بها سنة كاملة ثم انتقل منها إلى وزارة الخارجية ليمضى فيها ستة أشهر ضاق بعدها بأعباء الوظيفة وقيودها فخلفها إلى الأدب • فأقبل على هوايته المحببة «القراءة» التى هى طابع الأسرة الكبيرة المحبة للعلم المضياف لأهله المقتنية أسفاره المستعزة به شرفاً وغنى وجاها وهى التى أفاء الله عليها سابعاً من الشرف والغنى والجاه •



خلص محمود تيمور للأدب فأقبل عليه بهوى نفسه كله يعب منه عللاً بعد نهل مستهلاً بالأدب العربى • وكانت الأسر الكبيرة تنشئ بنيتها نشأة أجنبية ولكن والده أحمد تيمور كانت نزعته وطنية عربية إسلامية وقد

أورثه هذا الأب مؤهلات الكتابة • كان يحفظه طفلا وتلميذا بالمدارس الابتدائية ، عيون الأدب العربى كمعلقة امرىء القيس •

طفل نمته أسرة تكلف بالأدب وتحتفل به وتحشد له وتهدى إليه (١) أسرة تقول نساؤها الشعر وترويه وتنفسح دارها لقصادها من العلماء والأدباء والمستشرقين ورواد الفكر فى الأقطار العربية •• وكم ضمت هذه الدار كوكبه تنتظم الشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطى الكبير ومحمود سامى البارودى والشيخ رشيد رضا والشيخ طاهر الجزائرى والشيخ خضر (٢) ونظرأءهم من رجالات الأدب والعلم •

ويفتح الطفل عينه على مجلس الثقة الأعلام وتتفتح نفسه إذ يرى ويسمع ويعى ويختزن ••



فى هذه الأسرة وهذه البيئة نشأ محمود تيمور فما إن رويت نفسه من ينابيع الأدب العربى حتى تطلع إلى الأدب الغربى فأعجب بالقصاص الفرنسى « موباسان » والقصاص الروسى (تشيخوف) الذى يعدده القصاص العالمى الأول ••

عاش محمود تيمور فى أدب هذين الكاتبين وتشربته نفسه حتى صدر عنهما فى مستهل حياته الأدبية ثم نزع إلى الاستقلال بفنه فاستوحى بيئته ونبع عن نفسه بمذخوراتها فنجح فى أن يقدم لنا فنا مصرىا صميما نهض بتمثيلنا فى ميدانه فالتفتت اللغات الأجنبية إلى أدب تلك الفترة من حياة تيمور التى نسميها (المرحلة الأولى) تنقل عنه نماذج تمتاز بمحليتها ومصريتها الأصيلة ••



(١) أهدت الأسرة التيمورية الى دار الكتب (الخزانة التيمورية) ولها بالدار قسم خاص بها •
(٢) مهاجر من تونس وتولى مشيخة الاسلام فى مصر وطلب أن يدفن فى مدافن الأسرة التيمورية •

ولعل أهم ما قرأ محمود في هذا الطور من أطوار عمره « كلية ودمنة » و « الصادح والباغم » و « ألف ليلة وليلة » التي أثرت فيه تأثيراً كبيراً أذكى موهبته في التأليف القصصى .



ومن الأدب الحديث مؤلفات المنفلوطى لنزعها الرومانتيكية التي وافقت هواه وقتئذ كما استهوت مدرسة المهجر للسبب نفسه وعلى رأسها (جبران) . وقد أعجب محمود تيمور (بالأجنحة المتكسرة) وتأثرت بها كتاباته الأولى وأغلبها شعر منشور وهو ما يسمونه الآن « الشعر الحر » . إن الأمر لا يعدو كونه راحة نفسية .

وكثير من الروائيين بدعوا حياتهم شعراء من الشعور المشبوب .. وقد ترجم محمود تيمور بعض هذا الشعر المنشور إلى قصة سماها (الفرغور والزهرة) ضمنها مجموعاته القصصية .



وكان محمود تيمور حفياً بمجلة الفنون التي كانت تعرض ألوانا من الأدب المهجرى منها « القصة » التي كانت أشدها إثارة لنفسه واستثارا بها ..

ثم أغراه أخوه محمد تيمور بلون آخر .. لون جديد من الأدب الواقعى فقرأ (حديث عيسى بن هشام) للمويلحى وقصة (زينب) للدكتور هيكل ..



وإذ تعلم اللغات الأجنبية قرأ لموباسان كما أشرنا وزولا لأنه من لونه وفلوبير الذى كان أستاذ موباسان . وقد ترك هؤلاء انطباعاتهم فيه .. إذ كان في دور الانطباع والتأثر فخرجت قصصه الأولى ذات مذهب واقعى صارخ .

وقرأ من أعلام الإنجليز ديكنز وستيل وسويفت وديفو صاحب روبنسون كروزو ..

وقد لفته إلى أديسون خاصة دراسة ما كولى له فقد نبهته هذه الدراسة إلى لون أديسون الفنى •• ولا يمكن أن يكون تيمور قد خلا من آثار هؤلاء فهو وصاف شخصيات على مثال من ديكنز وأديسون خاصة •



ولكنه بعد هذا يفضل الأدب الروسى • لقد قرأ طويلا ، من أعلام القصة الروسية ، شيخوف ، وتورجنيف الذى كتب عن الأرواح ، ودستويفسكى وتولستوى ، ومكسيم جوركى الذين أخرجوه من مذهبى الانطباعية والكلاسيكية اللذين سادا أوروبا فى مطلع القرن العشرين • وهو مثل تشيخوف من أنصار الفكرة الواحدة تعرض فى القصة عرضا بارزا •

رأى تيمور فى الأدب الروسى مرحلة جديدة من التعبير القصصى •• رأى فيه أدبا منطلقا دافقا متحررا من القيود معبرا عن حقائق الحياة إنه لا يعتمد على الحادثة ولكنه يروع بالصدق الفنى ويحتفل برسم الشخصيات على أن قارئه لا يفتقد فيه الفكرة فكثيرا ما تكمن بين طيات الأسطور ••



ونستطيع أن نقسم أدب تيمور الى أربع مراحل :

المرحلة الأولى وكان فيها يختار شخصياته ذات طابع قريب وهو يلحمها لمحا سريعا فقسته «الشيخ جمعة» التى كانت صدى إعجابه بأقاصيص أخيه محمد تيمور (ما تراه العيون) بمنحها الواقعى ، وصدى تجاوبه مع الدعوة القومية التى كان يعتنقها أخوه محمد أيضا •• لقد كان لوالده وأخيه فى حياته أثر بعيد • قصته هذه ليست إلا صورة قيمتها فى بساطتها وصدقها وهى فى وقتها لون جديد باعتراف النقاد ولكنه اللون المحلى • والمحلية ، كما أشرت فى قصص تلك الحقبة من حياة تيمور ظاهرة بل واقعة •• ولعل هذا سرها فإن صاحب كتاب «Lands of Enchanters» (١) أو أرض السحرة حين

(1) Lands of Enchanters. Egyptian Short Stories from the earliest times to the present day. Edited and introduced by Bernard Lewis and illustrated by Ali Nur.

أراد أن ينتخب مجموعة من القصص تمتاز بالغرابة والسحر وقع لاختياره على قصة (عم متولى) •

وكانت المحلية فى ذلك الوقت تشغل محمود تيمور (١) عن الأسلوب والتجديد فيه • وقبل أن يغادر الحديث عن المحلية نذكر أن اخوان هذا الطراز والمتأثرين به صلاح ذهنى ويوسف جوهر ونجيب محفوظ •

* * *

المرحلة الثانية :

وفى هذه المرحلة احتفل تيمور بمعالجة الموضوعات الانسانية المتصلة بالحياة وشخصيات هذا الطور شخصيات نستطيع أن نجدها فى أى مكان •

* * *

ثم تأتى **المرحلة الثالثة** فقد نحا تيمور فى سنيه الأخيره نحوا جديدا هو صدى للأيام التى نعيشها والأحداث التى نحياها •• تطور فنه بتطور مجتمعه الذى اهتزت فيه الارستقراطية هزة عنيفة لم تجد معها بدا من التأقلم •

ومسيرة التطور ظاهرة فى أدب تيمور فهو ضد الجمود لأن من يقف فى وجه تيار الحياة المتجددة المندفعة يجرفه التيار • وتمثل نزعت هـذه بموضوعها وعنوانها قصة (انتصار الحياة) •

كما تتمثل نزعت ه إلى مسامرة الأمر الواقع قصة (خاود) ، وقصته الطويلة (إلى اللقاء أيها الحب) ، وقصة (شمروخ) التى تفسر مقدمتها هذا الاتجاه •

ولعل هذه النزعة تقف وراء زهده فى المذاهب الفلسفية بعامة فهو لا يؤثر مذهباً بعينه يستأديه التعصب له والذود عنه • والتعصب كما يقول آفة حرية الرأى فضلاً عما يحجبه من مزايا الآخرين مما يمكن الانتفاع به ••

(١) اقرا كتابه « ظلال مضيئة » •

وقصة تيمور (إلى اللقاء أيها الحب) تصور صراع تلك الطبقة للتأقلم • كما تعالج قصته (شمروخ) ، وهى الأخرى اجتماعية عصرية ، متابعة التطور العصرى •• مشكلة البترول والحياة الحاضرة فى الشرق الأوسط • ومن قصص هذه المرحلة مجموعات (تمر حنة) ، (نبوت الغفير) ، (ثائرون) ••



المرحلة الرابعة :

وتتمثل فى محاولة بلورة اتجاه المؤلف فى الحياة وفلسفته فيها وهى آية عمق فنه • إنها مرحلة (النضوج) • وهذه المرحلة متداخلة فى سابقتها ••



وقد تطور أسلوبه بتطور حياته وتطور أدبه فإن « محمود تيمور » بعد سنة ١٩٤٣ وقد زادت تجاربه فى الحياة واتصالاته بالمجتمع وإطلاعه على الأدب الأوروبى ، عمد أسلوبه إلى الفصحى لإيمانه بسلامة التعبير وقوته « إنه النضوج » •

والأسلوب أسلوبان :

١ — الأسلوب التعبيرى فى اللغة وهو الأسلوب اللفظى •

٢ — الأسلوب الكتابى وهو الأسلوب الفنى •• أسلوب الكتابة ••
تكنيك •• الطابع •• طريقة رسم النماذج •• طريقة العرض •• تصوير الأحداث •••

والأول يهتم به الكاتب بقدر وهو يتغير عند الترجمة إنما الثابت فى المؤلف طريقة التعبير •• طريقة المعالجة التى هى محك الأصالة ••



وأسلوب تيمور الفنى فى قصصه يحتفل برسم النماذج الإنسانية
متأثراً عن قصد أو غير قصد بالأدب الروسى كما يهتم بالتحليل النفسى
واستبطان المشاعر الخفية ووصف البيئة .. والأحداث •

* * *

وعنصر التشويق فى القصة لا تفتقده عند تيمور ولعل خير مثل له
قصته (إلى اللقاء أيها الحب) •

وقد اهتم محمود تيمور بالحبكة الفنية إلى حد كبير • لست أعنى
الحبكة المسرحية ولكنه شوق إلى القراءة •

* * *

وهو يعتمد كثيراً على عنصر « الصدفة » وحجته فى هذا أن الحياة
صدفة وأن الفنان له أن يستخدم أى أداة .. صدفة أو غيرها طالما أنه
ينبع من الحياة ويصدر عنها بعد أن يتمثلها فى نفسه • وإن من أهم الأمور
فى الفن ، استجابة الكاتب لموضوعه وتلبسه بفكرته .. إن الكاتب هو
ممثّل أو صنوه •

* * *

وهناك خط عريض فى حياة تيمور أثر فى أدبه وعمّق أثره .. ذلكم
هو المرض • • المرض الذى عرفه فى السابعة والرابعة عشر والثانية عشر
والعشرين والخامسة والعشرين .. إلخ صدمات صحية تبعها الكثير من
النواهى والزواج لا تأكل كذا .. لا تسهر .. إلخ •

ومن ثم عاش فى قوقعة فكان الأدب له متنفساً وتعويضاً .. فيه
يعيش ينطلق .. يحيا .. على الورق .. من هنا خط الانطلاق فى أدبه •
لقد حرّمه المرض من الاستمتاع بالحياة على الوجه الأكمل لكنه
طوعه .. طوع أخلاقه فجنح إلى الاعتدال حتى حياته العاطفية خلت من
الاحتحام والمغامرة فشطح الخيال •

لقد أدبه المرض فأحسن تأديبه فهو هادىء وادع يتهيب الافراط في كل شىء وفى كل ناحية سواء فى الماديات أو فى المعنويات سواء سلوكه الشخصى أو فى علاقاته بالناس ييغض العنف والاقترحام والجموح ويحب السلام • والمسألة وسيلة لا تخيب فى نظره فى حل المشكلات • ولكن هذه الصفات فيه لا تحجب معنى كبيرا يقتزن به وإن بدا هذا الاقتران فى ظاهر الأمر لونا من المفارقة • فانتاجه الخزير فى تواصل ودعوب تقف وراءه إرادة حديدية استطاعت أن تقهر المرض والضعف والاستسلام •

ومن الطريف قول تيمور فى المرض أو قوله عنه (و آخر ما أذكره لأستاذى الأكبر « المرض » أنه هو صاحب الفضل فيما أبلت من سنين جاوزت الستين) •

بل يزيد : (لست أدري لماذا يخطر لى أحيانا أنه لولا هذا المرض لفارقت الدنيا منذ أمد) •

ان المريض أشبه شىء بذلك « الماجور » الفخارى المشروخ يعيش صالحا للخدمة صالحا **للت والعجن** أكثر مما يعيش « الماجور » الصحيح كما تتحدث بذلك الأمثال الشعبية السائرة • فقد أصبحت أحب مرضى كل الحب وآنس بصحبته أيما أنس ، حتى إن أخشى ما أخشاه أن يترايل عنى فإن فراقه إيأى إيذان لى بالنهاية الحاسمة والمصير المحتوم •



وخط آخر : **الحرمان**

الحرمان الذى يدفع الفنان إلى الانتاج ويثرى فنه •• وليس معنى هذا أن « محمود تيمور » كافح فى الحياة من أجل العيش •• لا •• إن الحرمان كلمة كبيرة فقد يكون الحرمان من مال •• من عاطفة •• من شىء غير موجود فى بيئته الإنسانية فإن عطف تولستوى مثلا على الفقراء إنما هو

صدى لا فتقاده العطف في بيئته المترفة .. وينسى اليساريون تولستوى
وتورجنيف ويقصرون الحرمان على ناحية واحدة هي : المال .



وخط الحرمان في حياة تيمور يبدأ من القمة .. وأعنى أن الحرمان أتاه
من الوجدان .. من الوفرة فابن الارستقراطية والجاه ، مال منذ صغره إلى
البسطاء فاختلط بالبيئات الشعبية في « درب سعادة » وفي « الحلمية » وعين
شمس التي عاشوا بها حياة ريفية بحتة . هناك حيث حضر مجتمعات
الفلاحين ولعب مع أبنائهم ، وطرب لأغانياتهم . ولعل حبه للريف عودة إلى
الطبيعية .. إلى البساطة وهو يؤكد هذا ، عملا ، في قصصه ، وقولا ، حين
ينفر من تلقيبه بالمليونير أو « الباشا الأديب » ويثور الإنسان الوداع قائلا:
لا أنا مليونير ولا أنا باشا ، وإنما أنا رجل في حالي « مستور » يخدم الفن
والوطن . لقد كان لا يآلف الأمراء وبيئاتهم الارستقراطية التركية .. متأسيا
بوالده الذي لم يذهب يوما إلى نادى محمد على .. إن الارستقراطية التي
يعتزون بها هي ارستقراطية العلم .. إن ارستقراطيتهم لو صحت هذه
التسمية ارستقراطية مصرية . تجمع إلى مصريتها إسلامية راسخة فقد
كان أبوه أول من أسهم في إنشاء الرابطة الشرقية وهو ممن أسسوا جمعية
الشبان المسلمين .

وحينه إلى البساطة والطبيعة يبدو مرة أخرى في قصته (نداء المجهول)
وفي روايته (رابحة) . (١) فقد اكتسحت العالم بعد الحرب العالمية الثانية
موجة نفور من المدنية .. إنسان هذه الفترة محروب صدم في مثله العليا
فارتد إلى الطبيعة وهي ظاهرة بوضوح في أفلام أجنبية كثيرة . فابن الأسر
في الرواية والذي بلا الحياة وسئمها ، حنَّ إلى الطبيعة ممثلة في (رابحة)
بنت الصحراء وان كانت شخصية رابحة غير واقعية ١٠٠ ٪ .

(١) كتبت منذ نحو خمسة عشر عاما .. أخذها حسين (بك) سعيد
مدير استوديو مصر في ذلك الحين ..

والغريب أقدر على الملاحظة وأسرع إلى التأثر وأصدق في الوصف •
أليس من الجائز مثلا أن الفلاح إذا تمكن من الكتابة يهرب من واقعه ••
من بيئته ؟

وقصص محمود تيمور تصطرع فيها الغرائز والمثاليات ويمترج الشر
بالخير وذلك سر المصاييح الزرق كما يقول • ويتجلى هذا في قصته (كيلوبتره
في خان الخليلي) ومسرحيته (صقر قریش) وغيرهما وإن كان يهدف إلى
الخير ويحفز إليه في تحليل يستمد من الحقيقة • وهو يقول عن أثر هذه
الفترة من عمره ، في أدبه :

(وهذه الحيات المختلفة من تلك البيئات الشعبية والوطنية والريفية
كانت ينبوعا ترويت منه ما استطعت • ولا ريب في أن كثيرا من صور تلك
الحيوات وأحداثها وشخصاتها قد ترسبت في أعماق وجداني •• وأنها كانت
مددا لي أستوحيه فيما أكتب من أقاصيص وما أرسم من مناظر وأبطال ••

وهو يقول ردا على الدهشة البادية من إثارة تصوير البيئة الشعبية
وهو ربيب القصور (الحق أنى أحسست بواعيتي الخفية أن البيئة الشعبية
في البوتقة الإنسانية الكبرى التي تحتدم فيها ضروب المشاعر ويتوضح فيها
الكفاح الاجتماعي وتتجلى المشكلات النفسية على أوسع نطاق • فالبيئة
الشعبية هي الساحة الفسيحة لمعركة الحياة ومقاومة التيارات المختلفة ،
والاصطدام بمختلف أسلحة القتال •

لعلني أدركت ذلك بعقلي الباطن فرأيت أنه من المحتم لموضوعاتي التي
تعنلج في نفسي أن تخوض هذا الغمار ، وأن تبدو في ذلك الاطار لكي يتاح
لها مجال التألق والإشراق (١) •



وليس معنى هذا أن حياة محمود تيمور خلت من ألوان الكفاح الأخرى
فقد كافح في سبيل توطيد مركز أدبي •• إن حب البقاء يتشكل بأشكال

(١) مجلة الآداب عدد سبتمبر سنة ٦٠ •

مختلفة •• حب الظهور أو التفوق الأدبي أو السياسى أو التجارى حتى المجرم
يشبعها بدون وعى على طريقته •

لقد عرف محمود تيمور رفض النشر وذاق مرارته إلى أن ظهرت
« السفور » • وكان لأسرته صلة بعبد الحميد حمدى فأرسل له محمود تيمور
إحدى محاولاته فرحب بها لأن فيها لونا جديدا من الرومانسية • وقد شجعه
هذا ثم أخذت الجريدة تنشر له •
على كل حال لم تكن هناك عوائق شديدة •



وقد كان لنشره كتبه الأولى على نفقته الخاصة أثر فعال فقد سمرت له
في السوق •

يضاف إلى هذا عامل الزمن فإن الأقصوصة وقت ظهوره كانت لونا
جديدا تلقفه المشتغلون بالأدب وباركوه • ومما يذكر هنا أن أول أثر له
« الشيخ جمعه » إنما هو مجرد صورة قيمتها في بساطتها وصدقها ولكن
« ابراهيم رمزى » حين قرأها هلل لها وقال له « هذا لون جديد » •

حتى الكتاب الكبار كانوا في شغل عن هذا اللون الذى سبقهم إليه
كوكبة من الشباب أمثال طاهر لاشين وحسين فوزى ويحيى حقى ومحمد
تيمور ومحمود تيمور رواد القصة الأولى بعد صاحب قصة « زينب » •
وبعد هذا اجتذبت القصة « المازنى » و « طه حسين » • قد يكون
عملهم أكمل ولكن عمل أولئك كان الأسبق فضلا عن اتصال تجاربهم في هذا
النوع •• وهو اعتبار له خطره •



كما عرف محمود تيمور لونا آخر من ألوان الكفاح الأدبى فقد نشأ في
وقت نشأت فيه معه فكرة « المصرية » • وهذا الإحساس بالمصرية سبق

ثورة ١٩١٩ بل هو الذى مهد لها فلم تكن كما يحسب البعض هبة بدون مقدمات بل سبقها وعى متأهب ، استجابة لمنطق الحقيقة والتاريخ ، للخروج من النطاق العربى الإسلامى •

وقد انفلتت البيئة المصرية فى ذلك الحين بحركة السلطة وجمع العمال وجمع المحاصيل والأرزاق • • سلب المال والبنين •

وكان (محمود تيمور) فى زمرة جريدة السفور التى تدافع عن المرأة وعن الأدب الجديد •

وهكذا كان دور محمود تيمور فى ثورة سنة ١٩١٩ دورا أدبيا • • دور وعن الأدب الجديد •

وقد كان محمود تيمور فى هذه الدعوة متأثرا بأخيه محمد تيمور فضلا عن التيار العام فقد كان محمداً عائداً من فرنسا بعد أن أمضى فيها ثلاث سنوات تشبع خلالها بآراء جديدة فى الأدب والمسرح حملها إلى وطنه وبشر بها أثر وصوله فكان محمود بالطبع أقرب الناس إليه وأشدهم استجابة له • فاستمد بواكير قصصه من صميم الحياة المصرية • ونجحت التجربة حين أحب « محمد » المسرح (١) واتخذ مسرحاً لنظريته المتحمسة « المصرية » فاستوحى البيئة المحلية عدة مسرحيات ناجحة •

وقد غدت أدب تيمور بعد ذلك ورفدته ينابيع كثيرة لعل من أهمها الرحلة الطوافة التى كانت نقطة تحول فى أدبه • • كان اتجاهه قبلها محافظا وكانت تجاربه الأولى فى الكتابة مما لم ينشر ، تقليداً للقدامى فنطق أدبه

(١) كان محمد تيمور يمثل فى حفلة خيرية فى رواية (عزة بنت الخليفة) • وشاهده السلطان حسين • وبعد الحفلة أظهر السلطان أسفه لأحمد تيمور باشا • • ان العاملين فى المسرح والصحافة وقتئذ كانوا من مستويات لا يرضاها فضلا عن أن هاتين البيئتين كان الراى السائد فيهما وقتئذ أنهما هوة تبتلع ضحاياها •

وانطلق بعد أن زار — أكثر من مرة — أوروبا وأمريكا وبلاد الشرق العربي وادخر الكثير مما تفيده الرحلة من علم وخبرات وآفاق كيفت نظرته إلى الحياة •• وكتابه (أبو الهول يطير) رسائل كتبها في أمريكا حين سافر إليها لعلاج زوجته ، إلى ولده محمد سعيد « الذي اخترمه الموت في العشرين فخلف في قلبه لهفة حرى تفجر الذكرى دموعها » •

وهذا الكتاب أقرب كتبه إلى نفسه •



كما أفادته الرحلات بين الكتب ، الفرنسية والانجليزية • فمحمود تيمور يجيد الفرنسية وإن وافته هذه الاجادة في المنزل كما يجيد الانجليزية التي تلقى علومه بها في المرحلة الثانوية • وهو يفهم التركية •

ولما كانت ثقافة زوجته فرنسية فقد أعانته بل كملته • ويذكر محمود تيمور أنه تزوج وهو في الخامسة والعشرين حيث لم يتح له المرض ما تتيحه الصحة والعنفوان للشباب من مغامرات تلهي عن الزواج أو تسوف فيه •• وزوجته تعدله مستوى وعقلية • وهى تقرأ كثيرا حتى لتسبقه أحيانا وإن كان هو الذى يوجهها ولكن لها بعد هذا فضل الاستجابة والمضى في التحصيل •

كان زواج الكاتب موفقا متوافقا هادئا •• الفن بعض خبزه اليومى •• شاهد شبابهما الأجواء الفرنسية والمسارح وغنيت جلساتها بالحديث فى الأدب حتى لتناقشه زوجته فى كتبه وتنتقدها •

وقد أعطى هذا الزواج للحياة ابنتين :

إحداهما نازلى تيمور حرم السيد سليم رشيد بطل مصر فى الزمالية ، والأخرى حورية تيمور حرم السيد سامى أبو الفتوح سفير مصر فى استوكهلم •



ومحمود تيمور الذى يعد أحد رواد القصة القصيرة فى مصر قد
توجته الحياة الأدبية فيها أكثر من مرة ، فقد منحه المجمع اللغوى الجائزة
الأولى سنة ١٩٤٧ •

وفى سنة ١٩٥٠ حصل على جائزة الدولة للآداب •

وفى سنة ١٩٥١ حصل على جائزة واصف غالى بباريس عن كتابه المترجم
إلى الفرنسية « عزرائيل القرية » •



ولعل جائزته الكبرى اختيار المجمع اللغوى له عضوا فيه ، تقديرا
لمكانه الكبير فى أدبنا حتى ليقول الدكتور طه حسين فى كلمة استقبله :
(وسبقت أنت إلى شىء لا أعرف أن أحداً شاركك فيه فى الشرق العربى كله
إلى الآن •• وسجلت به لنفسك خلودا فى تاريخ الأدب العربى لا سبيل
إلى أن يمحو ، هو القصص على مذهبه الحديث فى العالم العربى وأنتك
لتوفى حقك إذا قيل أنك أديب عالمى بأدق معانى هذه الكلمة وأوسعها) •
كما قال عنه الأستاذ محمد فريد أبو حديد فى حفل جائزة المجمع اللغوى
سنة ١٩٤٧ م (إنه يعرفنا بالجانب الذى يعرفه من مجتمعنا المصرى فهو
معلم من معلمى هذا الجيل وهو عامل من العوامل القوية على تعريفنا
بأنفسنا) •



وأشاد به عميد المستشرقين فى أوربا المرحوم أغناطيوس
كراتشكوفسكى الروسى والمستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم
جرمانىوس •



وأحب قصص محمود تيمور إلى نفسه قصة (سلوى فى مهب الريح)
ويعزى هذا إلى عطفه عليها لانه زج بها فى شدائد كثيرة وإن كان قد أخذ
بيدها بعد هذا •



وفن تيمور ربيب الحياة المصرية فهو ينبع منها ويصدر عنها بكل مزاياها وعيوبها . وهو دائما وراء أشخاص قصصه وكأنه يوحى لها ويسر إليها حتى لتبدو عليها طابعه من صفاء ووداعة وسماحة نفس . إنها لمسات يلمس بها الصورة الإنسانية ثم يتفرغ للتحليل النفسى وأحيانا يتداخل اللونان عنده . . وذلك كله فى أسلوب سهل شف تترأى خلاله المعانى وتتأدى إليك فى بساطة ويسر على فصاحة ألفاظها وبلاغة التعبير . . وهو مع هذا لا يخلو من دعاية وسخرية يغرى بها ما يتغياها موضوعه من نقد صادق أصيل . مثال هذا قصة (كيلو بطرة فى خان الخليلى) .



وعلى ذكر الفصاحة فى الأسلوب يحل لنا أن نشير إلى أن « محمود تيمور » جنح إليها فى المرحلة الثانية من أدبه . فقد كتب محاولاته الأولى فى المسرح : (أبو شوشة) و (الموكب) و (الصعلوك) بالعامية ثم بالعربية عندما أراد لها أن تكون قصصا للقراءة وحجته فى هذا (أن الأعمال الأدبية الكبرى فى مختلف اللغات أكثرها القصص الفنى وأغلبها يعد المظهر الأرقى للبلاغة فى لغاتها) .

على أنه مما يدخل فى تفسير هذه الظاهرة عندى هدوء الدعوة إلى (المصرية) بعد أن اتضحت الشخصية المصرية بعد ثورة سنة ١٩١٩ وأخذت تعمل عملها فى إحساس بذاتها وثقة بنفسها . . لقد كانت العامية فى مولد القصة المصرية الذى اقترن بمولد (المصرية) مقصودة متعمدة عند كثير من كتاب القصة مع قدرتهم على الأداء الفصيح ولكن الأمر كان تأكيدا للذاتية المصرية فى شتى مظاهرها ومنها لغة الحديث . . لغة الشعب . . الشعب الذى هب يدافع عن وجوده ويتذكر ماضيه ويرسم حاضره .

على أن (محمود تيمور) — كان وما يزال وقد بلغ هذا الأوج يؤمن بالثنائية اللغوية التى لاندحة عنها فى أى لغة من اللغات وبين أى شعب من الشعوب فى أى عصر من العصور . . فإن الحياة اليومية الجارية لا تستطيع التوقف لحظة من أجل مواضع البلاغة ، كما أن الأعمال الفنية الكبرى لا بد أن يتوفر لها ، فيما يوفره لها أصحابها ، فنية التعبير . .

مؤلفاته

مجموعات قصصية :

١٩٣٤	أبو على الفنان
١٩٣٦	زامر الحى
١٩٣٧	قلب غانية
١٩٣٩	فرعون الصغير
١٩٤١	مكتوب على الجبين
١٩٤٦	شفاه غليظة
١٩٤٩	إحسان الله
١٩٥٠	كل عام وأنتم بخير
١٩٥١	شباب وغانيات
١٩٥٣	أبو الشوارب
١٩٥٥	ثائرون
١٩٥٧	دنيا جديدة
١٩٥٨	نبوت الخفير
١٩٥٩	تمر حنا عجب
١٩٦١	أنا القاتل
١٩٦٣	انتصار الحياه

قصص مطولة :

١٩٣٩	نداء المجهول
١٩٤٤	سلوى فى مهب الريح
١٩٤٦	كليوبطرا فى خان الخليلى
١٩٥٨	شمروخ
١٩٥٩	الى اللقاء أيها الحب

المصابيح الزرق
معبود من طين

١٩٦٠
تحت الطبع

صور وخواطر :

عطر ودخان
ملايح وعضون
شفاء الروح
النبي الإنسان

١٩٤٤

١٩٥٠

١٩٥١

١٩٥٦

رحلات :

أبو الهول يطير
شمس وليل
جزيرة الحب

١٩٤٤

١٩٥٧

١٩٦٣

مسرحيات :

عوالي
سهاد أو اللحن التائه
المخبأ رقم ١٣
المنقذة وحفلة الشاي
قنابل
أبو شوشة والموكب
اليوم خم
حواء الخالدة (وقد أخرجت على المسرح وأصابته نجاحا كبيرا)
ابن جلا
فداء
المزيفون
كذب في كذب
أشطر من إبليس

١٩٤٢

١٩٤٢

١٩٤٢

١٩٤٣

١٩٤٣

١٩٤٣

١٩٤٥

١٩٤٥

١٩٥١

١٩٥١

١٩٥٣

١٩٥٣

١٩٥٦

١٩٥٦	صقر قريش
١٩٦٣	خمسة وخميسة
تحت الطبع	طارق بن زياد

دراسات لغوية وأدبية :

١٩٤٥	فن القصص (دراسات في القصة والمسرح)
١٩٥٦	مشكلات اللغة العربية
١٩٥٩	الأدب الهادف
١٩٦١	معجم الحضارة
١٩٦٢	مناجيات للكتب والكتاب
١٩٦٣	أنا والمسرح (طلائع المسرح الحديث)
١٩٦٣	ظلال مضيئة

تحت الطبع :

كتب بالفرنسية : (مكتبة دار الكتاب الفرنسي)

(٥٥) شفاة غليظة	(٥٤) عزرائيل القرية •
(٥٧) كل عام وأنتم بخير •	(٥٦) بنت الشيطان •
(٥٩) زهرة المرقص •	(٥٨) نداء المجهول •
(٦١) حلم سمارة •	(٦٠) غراميات سامي •
(٦٢) حياة الأشباح •	

وظهرت له مجموعة بالإنجليزية تحمل اسم : قصص من صميم الحياة المصرية • (مكتبة النهضة المصرية) •

كتب بالألمانية :

- (١) مجموعة قصص نشرها المستشرق الألماني الدكتور « ويدمار » •
- (٢) مجموعة قصص نشرها الأديب الألماني الهر « كالم » •
- (٣) مجموعة نشرتها وترجمتها الأنسة « آرثل » • ()

بالروسية :

ثلاثة مجلدات ضخمة نشرتها السيدة كلثوم عوده فاسيلمييفا استاذ
الأدب العربى بجامعة (موسكو) •

باليوجوسلافية :

مجموعة قصص (زهرة المرقص) نشرها مكتب الاستعلامات
اليوجوسلافى ، عدا مجموعات أخرى تعد للطباعة الآن باليوجوسلافية •

بالبهارية (المجرية) :

مجموعة نشرها المستشرق المجرى الدكتور الحاج (عبد الكريم
جرمانوس) عدا مجموعة (عزرائيل القرية) التى أصدرها بالمجرية المجمع
اللغوى المجرى ••

بالإيطالية :

مجموعة قصص ترجمها المستشرق الإيطالى (جبريللى) •

بالعبرية :

مجموعة قصص نشرها المستشرق (م • كابيلوك) •

بالقوقازية :

- (١) مجموعات نشرها اتحاد القوقازيين •
- (٢) مجموعة نشرت (بالجيوزينية) لغة القوقاز الجنوبى فى
(تفليس) •

بالازبكستانية :

- (١) مجموعة نشرت باللغة (الازبكستانية) بمنطقة (الخزر) •
- (٢) مجموعة أخرى ترجمها ونشرها بالازبكستانية الأستاذ
(كميل يش) •

وقد ترجم له قصص أخرى إلى الأسبانية والصينية والاندونيسية ،
والكردية والبنجالية • والأرمنية •

كتب عن (محمود تيمور) :

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------|
| ١ — رائد القصة العربية | للاستاذ نزيه الحكيم |
| ٢ — قصة محمود تيمور | للاستاذ أنور الجندى |
| ٣ — الأديب الإنسان | للاستاذ صلاح الدين أبو سالم |
| ٤ — محمود تيمور وفن الأقصوصة | للاستاذ فتحى حسين اليبارى |
| ٥ — فن القصة عند محمود تيمور | |
| ٦ — أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ | |
- للاستاذ محمود بن الشريف

على أدهم



— تعليمه —

مولده — وظائفه — الذين أثروا في حياته
ابان نشأته — اشتغاله بالترجمة — قراءاته — من
تأثر بهم من الكتاب الغربيين — أسلوبه —
مؤلفاته : في باب التراجم — في باب الترجمة
في النقد — في الأدب — كتاباته السياسية .

الأستاذ على أدهم

في كتاب المازنى (حصاد الهشيم) يقول (قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تمهيد ، وإن يشتغل أبناءه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وبتسوية الأرض لمن يأتون من بعدهم ، ومن الذى يذكر العمال الذين سبوا الأرض ومهدوها ووصفوها ؟ ومن الذى يعنى بالبحث عن أسماء المجاهيد الذين أدموا أيديهم فى هذه الجلايمد ؟

وبعد أن تمهد الأرض وينتظم الطريق ، يأتى نفر من بعدنا ويسيرون الى آخره ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم ونسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد ؟) •

كانت هذه العبارة عن أدينا المازنى وراء اختيار موضوعى لرسالة الماجستير فقد هزنتى هذا عميقا فأردت أن أطمئن روح المازنى الى وفاء جيلنا له ولصحبه من الرواد واخترت (أدب المازنى) موضوعا لرسالتى وحسبت يومئذ أن عتاب المازنى قد رضى عنا ورضى بنا ولكنى اليوم أعود من جديد أحس وقدة هذه العبارة وخزا ، لا من أجل المازنى هذه المرة فقد توالى الكتابات عنه ، ولكن من أجل علم آخر من أعلام الرواد المجاهيد أسهم فى تسوية الأرض وتمهيدها ورصفها ودميت يداه • ثم جاءت بعده صفوف من الكتاب وراء صفوف وأقام بعضها القصور على جانبى الطريق المهد المرصوف والموصوف ونسى هو أحد الذين اهتموا بالتمهيد وبالتشييد ولكن دون تمجيد •

الكاتب الرائد الذى نسيناه هو الأستاذ على أدهم الذى كتب (تلاقى الأكفاء) و (بين الفلسفة والأدب) و (على هامش الأدب والنثر) و (صقر قریش) ضمن سلسلة طويلة من أعمال أدبية يعتر بها الأدب والفكر • كما ترجم (قصة رينيه لشتاتوبريان)

و (محاورات رينان الفلسفية) وراجع عددا كبيرا من الكتب المترجمة الى العربية •

كثيرون لا يعرفون ولا يقرؤون (على أدهم) لان الصعود اليه شاق وجهيد ولا من يريد في عصر السهولة والسرعة والقراءة المسطحة أو قل اختلاف (الوسائل والغايات) أن يجهد نفسه •

من آخر ما كتب الأستاذ على أدهم كتاب (لماذا يشقى الانسان) وهو سؤال أحسبه عاش في أعماقه طويلا ، معنى ، قبل أن يرتسم على الورق ، حروفا ••• لماذا يشقى الانسان ؟ يشقى اذا افتقد أربعة لأبد منها لحياته : (الحب والتقدير والوفاء والجزاء) فماذا نال منها على أدهم على المستوى الأدبي ؟

قد يكون في سيرته الأدبية جواب على هذا السؤال • وأهم من هذا قد يكون فيها جواب على الشباب الذي يعيش الى أضواء المناصب بالوقوف على الأبواب أو إراقة العمر على الأعتاب أو تبديد الطاقة في الهتاف والتأييد ، أو التحزب والتنديد دون استهداف غاية كبرى أو الاستشراف الى قيمة أو قمة في الحالين على السواء •

كاتبنا الذي تجاوز الثمانين - وبلغتها - ولد بالاسكندرية في ١٩ يونيو سنة ١٨٩٧ في حي الجمرک في بيت قريب من البحر وقد كان لموقع بيته هذا أثر في حياته كانت الأسرة تعيش دائما مع أخبار الغرقى وحوادثهم ومشاهدهم فكان طبيعيا أن تفرع اذا هم فتاها بالذهاب الى البحر فاذا ذهب طار في أثره من يأتي به راضيا أو باكيا وقد كان من أثر هذا أن نشأ لا يعرف السباحة وكان من أثره العكس أن دفع أولاده اليها وأغراهم بها فدرّبوا عليها مشايخا العادل عمر بن الخطاب الذي كان يقول (علموهم السباحة قبل الكتابة لانهم سيجدون من يكتب عنهم ولكنهم لن يجدوا من يسبح عنهم) ، أبواه مصريان ولو أن جده لأبيه كان تركيا • ولهذا كان أبوه واسمه محمد جمعه يتشيع للأتراك فلما انتصروا بقيادة ابراهيم أدهم باشا على اليونان أسماه على أدهم •

وفي طفولته دخل مدرسة المنياوى وهى شبيهة بمكتب ثم مدرسة الحجارى (١) ثم مدرسة الشيخ طه لفترة قصيرة انتقل بعدها الى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية التى أسسها الشيخ محمد عبده وكان بها قسم تحضيرى وقسم ابتدائى . والى هذه المدرسة يعزو دقته فى الاملاء فقد كان القائمون عليها يهتمون كثيرا بالاملاء وكان يقوم بتدريسها له الاستاذ عبد المتعال فكان كلما التقى به فى لجنة التأليف والترجمة والنشر التى ألحقه بها الدكتور أحمد أمين حياه قائلا أنت استاذى أنت الذى علمتنى الاملاء .

وقد مكث على أدهم بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية سنتين هما أولى تحضيرى وأولى ابتدائى . وفى الأجازة درس مقرر السنة الثانية ثم التحق بعد الأجازة بالسنة الثالثة الابتدائية بمدرسة رأس التين قاطعا بذلك عامين دراسيين فى عام واحد . وفى رأس التين درس له الاستاذ عبد الرحمن شكرى . وقد ذكر هذا فى مقال ضاف كتبه فى (المجلة) عقب وفاته سنة ١٩٥٨ ، ومن مدرسة رأس التين حصل على شهادة الكفاءة سنة ١٩١٤ ولم يمض على وفاة والده شهران .

وانتقلت الأسرة الى القاهرة لتكون فى رعاية خاله أحمد فوزى . وفى القاهرة دخل على أدهم الخديوية حيث التحق بالسنة الثالثة الثانوية بها ثم انتقل الى السنة الرابعة ومنها حصل على البكالوريا وبعدها ألحق بوظيفة فى الجمرك وكان ذلك فى أول فبراير سنة ١٩١٨ .

وفى سنة ١٩١٩ توفيت والدته فطلب نقله الى جمرك القاهرة وظل به حتى آخر ديسمبر سنة ١٩٢٣ .

وفى أول يناير سنة ١٩٢٤ التحق بوزارة المعارف كاتبا للحسابات ، ثم صار رئيسا لقسم الحسابات وفى سنة ١٩٣٣ انتخب مديرا لمكتب وكيل

(١) الحجارى نسبة الى وادى الحجارة جهة فى الأندلس . وكان له ضريح فى الاسكندرية .

الوزارة • وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٠ حين انتدبه الوزير (طه حسين) للعمل بمكتبه وكان ذلك سنة ١٩٥١ • وفي أوائل سنة ١٩٥٢ جاء القبانى فنقله الى ادارة الثقافة نائبا لمديرها • وفي ادارة الثقافة انتدبه مركز قيادة الثورة « ١١ شهرا » عاد بعدها الى عمله بادارة الثقافة الى أن خرج على المعاش فاستراح من أعباء لم تكن ثقلها لتكافى موهبته الأدبية أو تتناسب معها • وأحسب أن لو كان له مورد خارجى لآثر ترك الوظيفة منذ زمن طويل لينتفرغ للأدب الذى نشأ عليه طفلا ويافعا فقد كان والده يقتنى مجلة الهلال وكان على أدهم يستهويه منها باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال الذى كان يكتبه وقتئذ جورجى زيدان وقد أثرت فيه متابعة قراءة هذا الباب حتى غدا يحب كتابه التراجم وحين يسبر الأستاذ العقاد أغوار الشخصية ، فإن (على أدهم) يعرف الشخصية بحيث يشعر قارئه بها بل يحبها بدوره •• يتعرف إليها •

ومن بين كتاب التراجم ، يعجب الأستاذ على أدهم بـ « ستيفان زفاريج » ويرى في كتابته عن « فوشيه » ترجمة جميلة لشخصية فوشيه • كما كان يطلع في حداثته بانتظام على مجلات سركيس — المقتطف — العمران — الشتاء (١) وكذلك الكتب الأدبية ثم مجلة البيان ، وصحيفتى اللواء والمؤيد • وقد زوده أبوه يوما بنسخه من ديوان عنتره فلما قرأه حفظه وظل الكثير من أبياته ، لسهولة ، عالقا بذاكرته •

وكان لعلى أدهم قريب فى معهد الاسكندرية الدينى يسمى الشيخ محمود يونس • وكان الرجل أدبيا بذاكرة حافظه « كان اذا قرأ صحيفة اللواء وسأله سائل عن شىء ورد فيها ، انطلق يعيد عليه ما كتب ، من ذاكرته فى استيفاء يكاد يكون تاما • كان قارئاً لم يفته حتى الكتب الأجنبية المترجمة •

(١) مجلة موسمية فقد كانت تظهر فى الشتاء فقط وصاحبها لبنانى اسمه سليم عنجورى •

وقد أثر هذا الرجل ، على طرائفه سنه ، فى على أدهم فقد دفعه الى قراءة المعلقات التى غدت ثقافته العربية •

وممن أثروا فى على أدهم ، خاله ويسمى أحمد فوزى • وقد تخرج من المعلمين سنة ١٩٠٣ وكان ترتيبه الأول • كان أدبيا وكان يتقن الانجليزية • وقد دفعه الى قراءة الأدب الانجليزى •

كما كان خاله الثانى « خليل فوزى » أيضا أدبيا شاعرا زجالا وهو صاحب جريدة « الانسان » ويذكر على أدهم أن خاله « خليل فوزى » كان يحفظ كتاب عبد الرحمن الكواكبي (طبائع الاستبداد) •

كانت أمه اخت هذين الرجلين ، سيدة تركية ، أبوها رجل متدين قارىء فى الاسلاميات فكان عندها وان لم تعرف القراءة والكتابة ذخيرة من الثقافة الدينية • وكانت تتمتع بذاكرة قوية تستوعب الكثير من الحكايات والقصص مما يلهب الخيال وقد كان لما سمعه منها فى طفولته أثره فى ميله الى القصص القصيرة ، والروايات • • حتى اذا شب عن الطوق وعرف القراءة والكتابة اشترى كتبا صغيرة كقصة حسن البصرى • كان يقرأ لها وهى تنصت له مسرورة • • كانت كريمة رحيمة طيبة هادئة ولعله قبس من مزاياها الكثير فهو هادىء صموت عزيز النفس لا يرتخصها من أجل المال أو الحكم •

وممن تأثر بهم على أدهم الأستاذ عبد الرحمن شكرى الذى كان أستاذه فى مدرسة رأس التين الثانوية كما تأثر بالأستاذ العقاد •

ولما كان على أدهم لا يجب الوظيفة ولا يعتد بها فقد عالج الكتابة منذ كان شابا فى الحادية والعشرين فقد ترجم فى ذلك الحين لمجلة البيان ، رسالتين تبودلتا بين زوجة كارليل وبين مترينى مع مقدمة وقد نشر هذا فيما بعد فى كتابه (ألوان من أدب الغرب) وهو من الكتب التى يعتز بها على الرغم من أنه لم يلق من الرواج والذويوع ما هو خليف به •

ثم ترجم في البيان قصة رينيه لشاتوبريان سنة ١٩١٩ • ثم اتصلت
كتابات في البيان •

بعد البيان كتب في السياسة اليومية فقد كان بها صفحة أدبية ومن
كتابات فيها مقالة كمقدمة عن هيجل حدث أن أخروا نشرها شهرا فغضب
ولم يكمل السلسلة •

ثم صدرت مجلة المشكاة كما أصدرت السيدة ليلي عبد الحميد (١) •
مجلة (الرجاء) الأسبوعية وكان يشرف على هذه المجلة كامل الكيلاني
ويكتب فيها العقاد وسلامه موسى وعبد الرحمن صدقي وكثيرون من إخوان
هذا الطراز • كما كتب في مجلة السفور وفي صفحة البلاغ الأدبية •

حدث في سنة ١٩٢١ أن أعلنت جريدة السياسة عن مسابقة بين
الصقر والنسر أي عبد الرحمن الداخل ونابليون • فكتب على أدهم
عن صقر قريش وفاز بالجائزة ومقدارها ثلاثون جنيها وهو مبلغ كانت
له قيمته في ذلك الحين وكانت لجنة التحكيم مكونة من طه حسين ومصطفى
عبد الرازق وخليل مطران وقد كانت هذه المسابقة نواة لكتابة صقر
قريش الذي شجعه على كتابته الأستاذ عبد الحميد العبادي فخرج
كتاب صقر قريش الذي يعتز به كثيرا والذي لم يطبع إلا سنة ١٩٣٨ فقد
ضن به على آراء الناشرين وادخره حتى طلبته مجلة المقتطف ليكون
هديتها الى القراء سنة ١٩٣٨ • كما نال جائزة أخرى عن مقال له عن
الاشتراكية في مجلة سركيس عام ١٩٢٧ •

وقد كان مثل هذه المسابقات خليقا أن ينبه الحكومة الى مكانه
الصحيح ولكن المسابقة ذهبت ولم يعره أحد التفاتا حتى كتابه « صقر

لقد توفيت في الخامسة والعشرين •

(١) كانت متزوجة من ابراهيم عبد الرازق • وقد صدرت المجلة سنة
ثم توقفت عن الظهور وكانت تصدر على هيئة مجلة السفور •

قريش » لم يلق من النجاح والذيع ما هو أهله • إن (على أدهم)
يذكرنا مرة أخرى بشوبنهاور الذي لم تكن كتبه تدر عليه شيئا حتى لقد
ذهب بعد مدة طويلة الى ناشر كتابه (الدنيا ارادة وفكرة) •
فقال له : لقد بعته بعد طول كساد للبقالين !!

وكتاب (الدنيا ارادة وفكرة) من خير ما كتب !! وقد تأثر به على
أدهم كثيرا •

وعلى الرغم من هذا يعد على أدهم كتابه (صقر قريش) من أقرب
كتبه الى نفسه فهو أول ترجمة كتبت في الأدب الحديث وقد سبق به العقاد
وهيكل وأضرابهم في أصحاب التراجم الحديثة • كما كان أول من كتب
عن هيكل في الأدب العربي •

كما ترجم محاورات رينان الفلسفية عن الانجليزية والفرنسية معا
مما ينبىء عن دقة واحساس علمى بالمسؤولية • فهو لم يكتف بالترجمة
الانجليزية مع ما فى هذا من يسر لمعرفته الواسعة بالانجليزية بل جشم
نفسه قراءة الأصل الفرنسى حتى لا تخرج الترجمة العربية غير أمينة
أو غير دقيقة أو غير وافية • وقد كتب للمحاورات مقدمة كبيرة هى دراسة
مقارنة بين رينان وكارليل وقد طبعها له الاستاذ اسماعيل مظهر سنة
١٩٣٥ — ١٩٣٦ فى مطبعة العصور •

وقد كتب على أدهم فى الهلال من سنة ١٩٣٥ — ١٩٤٢ وفى سنة
١٩٤١ بدأ يخرج الكتب • وفى مجلة (تراث الانسانية) كتب عن ٢٦
كتابا من الكتب العالمية ومجموعاته القصصية حصيلة مئات القصص يختار
من بينها ، أحادا •

إن (حارس المنارة) من أحسن القصص العالمى •

(فى الصومعة) من أحسن ما كتب « أناتول فرانس » •

ثم هناك مجموعته (الخطايا السبع) •

ولكنه لم يمارس كتابة « القصة » فقد كان يقول : اثنان أحبهما وليس عندي « استعداد » لهما : القصة والشعر •

وكتاباتة تأليفا أو ترجمة تعكس ثقافة واسعة واحساسا بالمسؤولية عزيز المنال •

وهو يعرف من اللغات الفرنسية والانجليزية • ويتقن الأخيرة اتقاناً تاماً حتى لتعد شرفته الكبيرة على بحر لا حد له هو الأدب العالمى كله • فمن خلالها رأى وعرف روائع الألمانية والايطالية والروسية والفرنسية • لقد قرأ كل مؤلفات شوبنهاور وروجيه وشيللر وهابنى ومن الايطاليين متزين وليوناردى ومن أعلام الروس دستوفسكى وتورجنيف وتولستوى • قرأ يلزاك موياسان وارنست رينان وتين Tane قرأ ستيفان زفايج النمساوى • قرأ يوميات اميل Amiel السويسرى (١) •

كما عكف طويلا على الأدب الانجلىزى بالطبع وانه ليعد مقالات كارليل (٢) عن الأدب الألمانى وعن جيته من خير ما قرأ • بل من خير ما كتب فى الأدب العالمى الى الآن •

وقرأ هازلت وماتيو ارنولد من النقاد وكتاب المقالة وقرأ من الشعراء بيرون •••

ومن كتابه المفضلين ويلز خاصة فى كتابه Outline of History أما فى الأدب العربى فقد سبق أن أشرنا الى قراءته المعلقة صغيرا وهو يؤثر من الأدب العربى ، قديمه ، وصدر الاسلام كما يؤثر من الشعراء أبا تمام والبحترى والمتنبى ومن الكتاب الجاحظ • لقد قرأ كل أعلام الأدب العربى وهو يشايع البارودى فى مختاراته التى وعها جيدا •

(١) كتب اميل هذه اليوميات بالفرنسية وقد طبعت بعد وفاته واخذت مكانة كبيرة وتعد الآن من عيون الادب العالمى لما بثه فيها من ملاحظات وآراء فى الكتب والناس •

(٢) كارليل هو الذى نشر الادب الألمانى فى انجلترا •••

وعلى أدهم له أسلوبه الذى يمتاز بالوضوح فى غير تزويد فاللفظ عنده على قدر معناه كما يمتاز بالدقة والمحافظة على الأساليب العربية الصحيحة • قد لا ترى فيه ألفاظا فخمة ولكنه ، ألفاظه كلها محققة وكأنه يهتم كل لفظة •

وهو على الرغم من غلبة الفكر على العاطفة فى كتاباته إلا أنه يحس موضوعه بشهوره كله فهو لا يكتب إلا ما يحسه لا ما يعجب الناس • ومع تقديره للنماذج التى كتب عنها إلا أنه لم يغفل حسابها به وضعها فى الميزان •

ويتمثل نشاطه الأدبى بعد التأليف فى تغذية المجالات الأدبية بالمقالات والبحوث فكتب فى مجلة البيان والرجاء والسفور ، والمشكاة ، والبلاغ ، والسياسة اليومية • والمقتطف والهلال والثقافة والرواية والكتاب المصرى والرسالة الجديدة ، والمجلة ، والآداب ، والعربى •

وهو من كتاب الخاصة لا يترخص فى موضوع أو وسيلة ومن ثم لم تنتسح شهرته بقدر كفايته •

ولكن الشهرة لم تكن له يوما مطلبا أو مأربا فهو يعرف أنها قد تخطىء المجيدين ، ربما بسبب الإجادة نفسها حتى كتب مرة يقول (يعجبني هؤلاء الكتاب الامناء فى تفكيرهم والذين يحترمون قراءهم ويخلصون لهم • سواء ظفروا منهم بالتشجيع والاقبال أو تعرضوا للاهمال والاغفال •

وأرجو أن يكون هذا الاعجاب قد بعثنى على أن اقتدى بهم وارتضى خطتهم ، وأدين بمذهبهم) وأقول بدورى ولكنهم أحرى بتكريم فما أحلى أن نكرم كريما أضاء وأفاء • فالتكريم فى الحياة عرفان وتتويج و • • أمانة وتقدير ولكنه بعد الحياة كلام فى الهواء قد يحمل معنى الوفاء ولكنه فى النهاية رثاء لا جزاء •

وهذه « اضافة » على أدهم الى المكتبة العربية :

في باب التراجم :

في باب الترجمة

- | | |
|-----------------------|--------------------------------------|
| ١ — صقر قریش | ١ — محاورات رینان الفلسفية |
| ٢ — منصور الأندلس | ٢ — رينيه لشاتوبريان |
| ٣ — المعتمد بن عباد | ٣ — روضات الفردوس لمازرياجا |
| ٤ — عبد الرحمن الناصر | ٤ — مستقبل روسيا — ليونارد شابيرو |
| ٥ — مترينى | ٥ — ألوان من أدب الغرب |
| ٦ — أبو جعفر المنصور | ٦ — الخطايا السبع |
| ٧ — صور تاريخية | ٧ — فبراتا |
| ٨ — صور أدبيه | ٨ — صديق الشدة (الهلال) |
| ٩ — بعض مؤرخى الاسلام | ٩ — فاريبالدى (فرانكلين) |
| ١٠ — تلاقى الأكفاء | ١٠ — هداة الانسانية (فصل عن غاندى) |
| ١ — شخصيات تاريخية | |

في باب الأدب والنقد

- على هامش الأدب والنقد
- نظرات فى الحياة والمجتمع
- بين الفلسفة والأدب
- لماذا يشقى الانسان
- الهند والغرب

كتابات سياسية

- * المذاهب السياسية المعاصرة
- * حقيقة الشيوعية
- * الاشتراكية والشيوعية
- * الجمعيات السرية

من كتبوا عنه :

- ١ — الأمير شكيب ارسلان في جريدة السياسة عام ١٩٢١ •
 - ٢ — الأستاذ العقاد عن كتابه « صقر قريش » في الجهاد عام ١٩٣٨ •
 - ٣ — الأستاذ ابراهيم المصرى عن كتابه « صقر قريش » في الهلال عام ١٩٣٨ •
 - ٤ — الأستاذ عبد الله حبيب عن كتابه « صقر قريش » في الجهاد عام ١٩٣٨ •
 - ٥ — الأستاذ العقاد عن كتابه « ألوان من أدب الغرب » في الرسالة عام ١٩٤٧ •
 - ٦ — الأستاذ الدكتور طه حسين عن كتابه « ألوان من أدب الغرب » في مجلة الكاتب المصرى عام ١٩٤٧ •
 - ٧ — الأستاذ نيقولا الحداد عن كتابه « ألوان من أدب الغرب » في الرسالة عام ١٩٤٧ •
 - ٨ — الأستاذ العقاد عن كتابه « ماترينى » في البلاغ عام ١٩٥٣ •
 - ٩ — الأستاذ زكى نجيب عن كتابه « على هامش الأدب والنقد » في الثقافة •
 - ١٠ — الأستاذ الدكتور احسان عباس في كتابه « فن التراجم » •
 - ١١ — الأستاذ غريب
 - ١٢ — الأستاذ أنور الجندى
- في الزمان عام ١٩٥٤

د + محمد كامل حسين



—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

—

محمد كامل حسين

أو ابن سينا — الفيلسوف — الطبيب —
الأديب — العالم — دراسة لكتبه — الوادى
المقدس — الذكر الحكيم — قرية ظالمه —
متنوعات .

الشعر العربى والذوق المعاصر — وحدة
المعرفة — التحليل البيولوجى للتاريخ — اللغة
العربية المعاصرة — النحو المعقول .

ابن سينا القرن العشرين

أو

الدكتور محمد كامل حسين

« ابن سينا » كان امضاؤه المستعار على المقالات التي كان يكتبها في أوائل الثلاثينات • والاختيار ملهم ودقيق فهو أديب وطبيب ، الالهام فيه طبع والدقة فيه طبيعة • هو أستاذ جراحة العظام وهو عضو في المعهد المصري وعضو في مجمع الجراحة بباريس ، وعضو مراسل في الجمعية البريطانية لجراحة العظام • وأخيرا هو مدير جامعة • وما أجله بذاته مهما تعددت مناصبه •

فالدكتور مذكور يضيف الى عدد صفاته صفة « الفيلسوف » حين استقبله في المجمع اللغوي ••• فيلسوف يرى العلم عقلية ومنهجيا ويشرح لتلاميذه منهج ديكارت وقواعده الأربع •

انه صاحب : متنوعات والكتاب (جزآن) — قرية ظالمة — اللغة العربية المعاصرة — الشعر العربي والذوق المعاصر — وحدة المعرفة — الذكر الحكيم — الوادي المقدس — التحليل البيولوجي للتاريخ •

كان طبيبا عالما وأنا أعني هذه الصفة فقد كان يفرق بين صناعة الطب وعلم الطب •

كان طبيبا وكان أدبيا وكان عالما ، كتب في العلم أو الأدب يقارن ويحلل ويطوف ويناقش •• وسيلته الثقافية الواسعة العريضة ، والعمق ، والجدية ، والذكاء ، والموهبة ، والدراسة ، والاستشفاف ، والمنهجية ، ودقة العالم وروح الأديب •

إذا كتب في العلم ، أكسب الأدب أسلوبه الرواء والطلاوة والسلاسة •

وإذا كتب في الأدب ، اكسب العلم سطورَه ، الدقة والتحديد والتحليل
والموضوعية •

لنبدأ الرحلة في كتب محمد كامل حسين •••

المثل الأعلى عند المسلمين : النفس المطمئنة

والمثل الأعلى عند المسيحيين : النفس المحبة

والمثل الأعلى عند الموسويين : النفس العادلة

ولعل المثل الأعلى عند البوذيين : النفس المتخلصة

هذه المثل العليا تختلف اختلافاً بينا • إلا أنها كلها تؤدي إلى الصحة
النفسية إذا وافق المثل الأعلى ما ركب في نفس المؤمن به من طباع •

ولا تنفع تعاليم النفس المتخلصة في تحقيق صحة النفس من مثلهم
الأعلى العدل أو الحب • وهذه الأمور لا توائم النفس الساعية إلى
التخلص ، والنفس التي جبلت على إكبار العدل لا تستقيم صحتها على
خير وجه إذا أرغمت على الأخذ بتعاليم النفس المحبة لأن هذه تضع
الحب فوق العدل •

والنفس المطمئنة جماع ذلك كله • تطمئن إلى العدل إذا هذبت
حواشيهِ وخففت من قسوته عاطفة الحب **والجمع بين العدل والحب يؤدي**
إلى الرحمة وهي عند المسلمين أرقى من العدل ، وأقوى من الحب ، وأقرب
إلى طباع أكثر الناس • وهي عندنا أعظم صفات الله) •

ويمضي الدكتور كامل حسين مع كلمة الرحمة : فيقف عندها في كتاب
آخر له (الذكر الحكيم) فيسجل أن كلمة الرحمة في العهد القديم نادرة
جدا • والرحمة في المسيحية تلتبس من الله ولكنها في الإسلام وعد من الله
أي أمر محقق فليس أصدق منه وعداً جل شأنه • الرحمة في الإسلام وعد
أو (حق) وهذا شعور يزيد في طمأنينة النفس المسلمة • فالإيمان بالرحمة

عند المسلمين يجعل طاعة الله خشية لا رعبا • والمسلم حين يرحم غيره يزيد نفسه اطمئنانا لإحساسه أنه بذلك يتقرب الى الله من حيث أنه تعالى جعل الانسان أداة لتنفيذ إرادته • والرحمة فضلا عن أنها وسيلة للتقرب الى الله يجب أن تعد أصلا لتحديد علاقة الناس بعضهم ببعض والتقى هى فرع من علاقتهم بالله •

ومن الرحمة فى الاسلام مضاعفة الجزاء فى الحسنة وقصره على المثل فى السيئة •

لقد بدأت رحلتنا بكتاب الدكتور محمد كامل حسين (الوادى المقدس) •

والوادى المقدس صفة رمزية لاسم كبير هو الايمان • وحين يكون ايمان تكون واحة خضراء داخل النفس يأوى اليها صاحبها كلما لفحه الهجير •• وان تخضر هذه الواحة إلا بايمان قوى ••• أقوى من اليأس ومن البغى •• أقوى من الملل المركب فى طبيعة الانسان •• وقل كمايقول الدكتور كامل حسين أن تجد رجلا مؤمنا يصيبه الملل من كتبه المقدسة ، وقليل منهم من يمل العبادات ، وهم يكررون صيغا واحدة فى دعائهم وفى صلاتهم له ولا يصيبهم من ذلك ملل • بل إن أثر الدعاء والصلاة فى نفس المؤمن يظل قويا أبدا رغم تكراره يوما بعد يوم ، وهى ظاهرة لا نراها فى غير الامور النفسية العميقة •

والايمان فى كتب الدكتور محمد كامل حسين وكتاباته ليس طقوسا انما تنفع صاحبها وحده ولكن التقوى فى الاسلام ايمان قلبى وحياة نافعة صالحة مصلحة سخية العطاء ندية الخير • لقد وقف فى كتابه (الذكر الحكيم) عند سورة البقرة • وعلى التحديد عند آية (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) •

وهو يرى فى هذه الآية التقوى مقرونة بالخير يشيع التعاطف والمشاركة الوجدانية • فهى كغيرها من آيات (الذين آمنوا واتقوا) ، (الذين اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) ، (والذين اتقوا وإحسنوا) ، (ومن اتقى وأصلح) ، (ومن أوفى بعهدده واتقى) •

الايمان في الاسلام حياة فيها خير وفيها وفاء بالعهد وفيها عطاء رحيم .
واذا كانت التقوى تحمل معنى الاتقاء . . . اتقاء غضب الله فإن الدكتور
كامل حسين يرى **الخوف من الله عند المسلمين يشبه خوف الابن من الأب الرحيم** .
وأثره في النفس يختلف عن أثر الخوف من الملك الجبار مهما يكن
عادلا . (والفرق بينهما أن الخوف من الاب الرحيم يسمو بالنفس ويطهرها
ويدعوها الى الفضيلة في غير عنف . أما الخوف من العقاب الذي سيقع
على المذنب لا محالة فهو احساس مرهق للنفوس الانسانية يمنعها أن
تنطلق في سماء الطهر حرة راغبة) .

التقوى في الاسلام أن تتأثر الأقوال بالأعمال وتندمج العقيدة في
الحياة وتتواصل في لقاء حميم .

الاسلام يهب النفس الطمأنينة بما يودع في القلب الانساني من أمل
أن رحمة الله حتى وإن عظم الذنب طالما لم يترد في الشرك بالله
والكفر به .

وحين كتب الدكتور محمد كامل حسين عن معنى الظلم في القرآن
الكريم خرج من بحثه أو خرج قارئه بأن **النفس ليس من طبعها الشر عند
المسلمين**) . واختلافهم في ذلك ، عن أهل أكثر الديانات الاخرى) .

وعنده من الاثياء التي تفرد بها الاسلام ، اعتبار الخطأ ظلما للنفس
قبل أن يكون ظلما للغير .

(وظلم النفس تعبير اسلامي خالص لا أعلم أنه عرف قبل الاسلام)
ولا أعلم أنه وجد في غير القرآن من الكتب المنزلة . وله في القرآن معان
كثيرة) . وتبدو روعته عنده في أنه (لا يجعل اتباع الهدى أمرا يرجع
الى جزاء يرجى . ولا يجعل اجتناب الشر أمرا يرجع الى عقاب يخشى .
ولا يحرم المحرمات لأنها تضر بالنظام والاجتماع ، بل يزيد على ذلك
دافعا أكبر ورادعا أقوى فهو يدعو الى الخلق القويم لأن من يرتكب اثما

يكون ظالماً لنفسه ولا يليق بأحد أن يظلم نفسه إلا أن يكون به سلفه
أو خبال) •

ويعنى هذا أن النفس فطرتها طاهرة لا يستثنى من هذا إلا النفس
التي تغلبها شهواتها فهي أمارة بالسوء •

قيم المسيحية احتواها القلب المسيحي وتبناها زهد الآباء الرهبان
ولكن قيم الاسلام يشعها القلب المسلم الذى أحب الحياة وعاشها في
غير سرف أو صلف •••

اما الغيب الذى اقتترن أيضا بالتقوى فهو فى الاسلام محله الايمان
لأن فيه حجة تسليم قلبى فى محبة • أما المحسوس الذى تقوم الشواهد
عليه امام العقل فموضوع تصديق وهو درجة دون الحب القلبى وسلامه
وتسليمه •

إن الصلاة والطقوس فى رأى الدكتور كامل حسين لا يراد بها حرفية
دينية ولكن إرواء المعنى الدينى بالخلوص الى الله • فالصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ، والصيام تجربة إرادة والزكاة عطاء وبر وتراحم وتكافل،
والحج اجتماع وتوثيق •• وليس من هذا القيام والقعود والجوع والعطش
والمن بالصدقة والتظاهر بالتقوى رثاء الناس وابتغاء الصيت •

وللدكتور كامل حسين رأى فى إعجاز القرآن فالقول بالاعجاز البلاغى
يعزوه الى غلبة علماء اللغة على غيرهم من العلماء حين كانت الدراسات
القرآنية فى أوجها • أما هو فيرى عظمة القرآن (أوسع مدى من أن تكون
بلاغية فقط • ولعله أن يكون أوقع فى النفس أن نذكر أنه نزل على قوم لم
يعرفوا من قبله كتابا وأنه جاء العرب بدين كامل • علمهم فيه من أمر الله
وتنزيهه ومن أمر الثواب والعقاب ما لم يكن لهم به عهد • ولم يعرفوا
شيئاً عن التشريع فجاءهم بتشريع لا ينقصه شيء • ولم يكونوا يعرفون
شيئاً من أنباء الأولين فجاءهم منه بالشيء الكثير فيه عظة وحكمة • وعلمهم
الأخلاق السامية • بل علمهم الآداب الخاصة والعامة • ولم يعرفوا شيئاً

من ذلك قبله • كل ذلك سما بالقرآن عن ثقافة العرب في الجاهلية سموأ
كبيرا • وهذا أبلغ الدلالة على صدقه من القول بأن التحدى انصب على
الإعجاز البلاغى وحده) •

ولا يرى الدكتور كامل حسين رأى من يقولون أن الله يرسل رسله
بمعجزات من جنس ما تفوق فيه قومهم ليكون ذلك أبلغ في إقناعهم • (قالوا
إن العرب كانوا أفصح الناس وأبلغهم وهذا في الغالب صحيح • وهو
بالنسبة إلينا لا نزاع فيه • ولكن كثيرا من الامم يقول مثل قولنا • ولا
ضرورة لشيء من ذلك في إثبات قوة التحدى ••••• وكان المصريون متفوقين
في السحر فجاءهم موسى بعصاه • ولكن المصريين كانوا مبرزين في غير
السحر) • ولعله يشير بغير حروف الى الهرم أو المسلة التى أوقعت ف •
لوولن جريفيث أستاذ الآثار المصرية بجامعة اكسفورد ، في حيرة شديدة
كغيره حتى ليقول (إن الكيفية التى تقام بها مسلة ثقيلة نحيلة إن المسائل
الكثيرة التى أثارها مصر طلبا للحل) • ويقول :

(كان المصريون القدماء مهرة في صناعات كثيرة بصورة خارقة ولنا
أن نعجب بقدرتهم على نقل النصب الهائلة التى بلغت زنة الواحدة منها
ألفا من الاطنان من المحاجر الى المعبد البعيد ورفعهم المسلات الى وضعها
العمودى فوق قاعدة ضيقة • وذلك كله بلا روافع هندسية) •

ويعارض الدكتور كامل حسين بشدة : **التفسير العلمى للقرآن ويسميه**
التفسير الحرباوى اذ يجد فيه ، كل ، ما يريد •

إن العلوم الحديثة سريعة التغير والتقدم (ويتعلق نجاحها أكثر
ما يتعلق بالطبيعيات • والطبيعيات أبسط قوانين الكائنات وأيسرها درسا •
وهى أسهل كشفا من قوانين الحياة وقوانين الانسان • وهى من غير شك
دون قوانين النفس البشرية والغيب والالهيات • والكتب المنزلة تتعلق أكثر
بهذه الامور • يقول الدكتور كامل حسين إن الكتب المنزلة (لا ينقص من
قدرها أن يبلغ العلم من الرقى ما يبلغه واو أدى ذلك الى تمكين الناس

من السفر الى القمر والكواكب • وعندى أنه إذا استطاع العلم أن يخلق
حيوانات جديدة كما خلق عناصر جديدة بل إذا استطاع أن يخلق الانسان
نفسه ما كان في ذلك مساس بوجود الله وقدرته ولا يكون هذا طعنا في
الأديان) •

إن تصيد التوافق لا محل له عند الدكتور كامل حسين • هل في شعر
ابى نواس كما يقول ما يدل على انه عرف التطعيم والمناعة والعلاج
الهوميوباثى (وداوئى بالتى كانت هى الداء) •

وفصل الدكتور كامل حسين الحديث عن العقائد وجماعه أن (العقيدة
الموسوية تؤكد العدل تأكيدا خاصا • وليس غريبا على قوم خضعوا
للاضطهاد والظلم أن يؤكد دينهم العدل) •

ثم جاءت المسيحية فقامت على الحب بين الله والناس • وبين الناس
بعضهم وبعض • وما يتبع ذلك من تسامح وبر • وقويت فيهم هذه الصفة
باعتمادهم انهم يتبعون ويتعلقون بشهيد طاهر عذب من أجلهم •

اما العقيدة الاسلامية فالصفة الغالبة عليها هى الأمل فى الله هذه
هى العاطفة التى تدفعهم دفعا قويا الى الخير ••• والقرآن الكريم يؤكد
ذلك فى كل موضع) •

ومن الأمل فى الله بشرى الجنة فى القرآن • فالجنة فى الاسلام
حياة أخرى هنيئة أى انتصار على الموت هم الانسان الأزلئ وشغله
الشاغل •

والجنة فى الاسلام تتسق مع العقيدة الاسلامية التى لا ترى فلسفة
التحريم والحرمان • فالجنة تقع من نفس المؤمن موقعا يحمله على الخير
والطهر على قدر ما تسمح به طبيعته •

والجنة أيضا صفاء القلب من الغل (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) •

أما أوصاف الجنة الحسية والتي يحلو للبعض أن يشير إليها فإنه مجرد تعبير عن نعيم الآخرة ورمز عام له فبعض الناس لا يطمئنون إلا حين تجسد لهم المعنويات تجسيدا على نحو يعرفونه في دنياهم .

يقول الدكتور كامل حسين (قد يرى بعض الناس ان الجنة التي كان فيها آدم ليست إلا رمزا للنفس المطمئنة التي يكون عليها المؤمن الخالص الايمان . وأن التحريم خير وسيلة يضمن بها الانسان عدم الوقوع في الخطيئة . وهو تعليل الزهد وأصله . وهو أمر لا غبار عليه . ولكن الاسلام لا يراه ضروريا للفلاح ولا يرى انه يقرب الانسان من الله لأن البعد عن الشهوات أقل ابتلاء للنفس من التعرض لها والاعتدال فيها) .

ومن العفة ألا تجد .

إن الاسلام أقرب ما يكون الى القلب الانساني حين يحنو على رغباته البريئة ما دامت لا تؤذي أحدا (ولعل موسى حين هشم العجل بالالواح ورأى الالواح تتكسر في يديه ، ادرك ان الحق اذا استعمل بعنف شديد في القضاء على الباطل أصاب الحق من ذلك أذى كبير) .

وهي عبارة فيها رمز الى خطر الغلواء حتى وان كانت تنصر حقا .

والدكتور كامل حسين في كتابه (متنوعات) يرى القرآن من أعجب ظواهر التاريخ ، كما له من الأثر في ملايين الناس مدى أجيال عدة .

وهو يرفض ترجمة القرآن لأنها تذهب بقوة التأثير الذي يملكه التعبير العربي في القرآن ودليلة كلمة المسلمين الكبرى (الله أكبر) ففي رأيه أن (ليس في تاريخ العبارات في العالم كلمتان لهما ما لهاتين الكلمتين من قوة . فهما أقوى نداء حرب عرفه الناس وهما نداء للصلاة وبهما تبدأ ولهما أثر قوى في المسلمين كلهم . والانسان يعجب لهذا النجاح الخارق لهاتين الكلمتين فمعناها بسيط جدا . ولو حاولنا ترجمتهما حرفيا ما دل ذلك على شيء) .

ويرد الدكتور كامل حسين على آراء بعض الغربيين في القرآن فقائل بعدم اطراد نظام التعبير فيه • وهنا يقول (ان القرآن تعبير تام كامل عن الروح العربى • والخط المستقيم غير معروف أصلا في الصحراء وليس من طبيعة العربى فى شىء • فقد ينعرج اللوى متعرجا متسعا جدا دون سبب واضح وقد يصعد الطريق فوق مرتفعات صعبه وكان يمكن ان يتبع طريقا سهلا • ولغير أهل الصحراء ان يعدوا ذلك نقصا فى المنطق لكنهم يخطئون فهذا طبع الصحراء لا يمكن أن يكون لها طبع غيره • • وأهم ما فى الصحراء ينحصر فى الغاية والاتجاه اليها ، والعربى لا يخطئ الاتجاه مهما التوى الطريق • كذلك القرآن غايته تمجيد الله وحمده وكل ما فيه يدعو الى ذلك • ومهما تعددت العبارات واختلفت المعانى فإن الاتجاه العام الأول ، هو تمجيد الله • فالفرق بين القرآن والعقلية غير العربية هو الفرق بين طريق الصحراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وبين طريق للسيارات الحديث (أوتوستراد) والعربى مع التواء الطريق لا يضل غايته • وقدرته على ذلك بالغة العجب) •

وهنا تذكرت الفن الاسلامى ولى معه مشاهدات كثيرة • الفن الاسلامى يستقيم فيه الخطوط ويتأود تارة أخرى وقد ينطوى ثم يفصح وقد يتعرج ثم يطرد من جديد ولكنه فى كل مرة وفى مجموع المرات يعود من جديد كما بدأ كالسائر الذى يعرف طريقه فهو لا يضل غايته •

ويتناول الدكتور كامل حسين دعوى التكرار فى القرآن (لست فى حاجة ان اذكر رواد الصحراء والذين يحبون حياتها أن مناظرها تتشابه كثيرا وان لها مع ذلك جمالها الخاص وأن أهلها أكثر الناس احساسا بالفروق الدقيقة بين معالمها المتعددة المتشابهة وأنهم أبعد الناس عن أن يشعروا ازاءها بالسأم • أما أهل الحضر فهم ملولون مسرفون فى حب التغيير وطلب المزيد من أنواع الملاهى والمناظر الشهية ولا يقاس جمال الصحراء بمعيار أهل الحضر • وهى فى الواقع أقرب الى قلوب أهلها وهم أشد تعلقا بها من أهل المدن بمدنهم ولا يملون هذا التكرار الذى هو صفتها التى لا تكون (م ٢٨ — قمم أدبية)

بدونها صحراء • وأهل البداوة مطبوعون بطابعها الى حد بعيد وتشابه مناظرها وتكرار معالمها جزء من حياتها وحياتهم • ولا غرابة أن يكون التكرار في القرآن مدعاة للتأثير فيهم فهو تكرر فيه كل مميزات الصحراء ولم يحدث أن أحدا من أهلها غاب ذلك في أي عصر من العصور) •

بل إنه لما يدعو الى العجب والتأمل معا أن (القرآن مع انه طويل وفيه آيات عدة يشبه بعضها بعضا • وهو مع ذلك سهل الحفظ فقد استطاع كثيرون جدا أن يحفظوه عن ظهر قلب حرفيا ولم يستطع أي كتاب آخر مهما يكن فيه من التنظيم والتنسيق أن يحفظ كله كما حفظ القرآن •

ويتصل بالشكل وتعليقه ، موقفه من السجع اذا اعتبرنا انه مقاطع متحدة الجرس (فجمال السجع عند العرب شيء يسهل فهمه جدا حيث تذكر الصحراء أيضا) • فإن الذي يحاول السفر الطويل في الصحراء يجد نفسه مضطرا الى تقطيع الطريق أمامه الى قطع تختلف طولاً وقصراً تنتهي بمعالم معينة • ولا أقول هذه العملية تتم وهو عالم بها بل هي تتم دون أن يشعر بها المسافر فتقطع الكلام قطعاً تنتهي بمعالم معينة صورة من صور انعكاس طبيعة الصحراء في حياة أهلها العقلية) •

ولكنه لا يستمرىء التسجيع في غير قومه وفي غير زمانه • (فالسجع تعبير عجيب عن هذه الصفة في الصحراء ومن تشملهم بروحها ولا شك ان السجع حين خرج عن دائرة العرب الاقدمين فقد د كل معنى ولم يعد يعبر عن شيء وأصبحت العودة اليه عبثاً • وقد حاول كثيرون منذ ذلك الحين الى اليوم أن يعودوا اليه ولكنها عودة لا جمال فيها لأنهما لا تعبر عن شيء) ص ٢ •

وأسخف شيء في رأيه تقعيد القواعد للجمال • وهو يعتقد أن المحسنات اللفظية وضعها الفرس بأسلوب نميمة السجاجيد • • أي بالحس السجادي عندهم كما يسميه • • حتى سجع نهج البلاغة ليس من عمل الامام علي كرم الله وجهه وإنما هو من عمل الشريف الرضى •

وهو يكره **سجع المدينة** إن صح هذا التعبير لأنه مفتعل صناعي لا توحيه طبيعة معينة ولا يمليه فطرة بل أنه يتناقض تنافضا تاما مع سره الأول (إن المحدثين قد عموا عن أصل جمال السجع فضلوا ضلالا بعيدا فهو أبعد ما يكون عن تفكيرنا واسلوبنا في الحياة أما السجع في القرآن فلا هو بالمفصل تفصيلا صناعيا كالسجع عند متأخري الكتاب العرب ولا هو بالمضطرب اضطراب السجع عند المحدثين وإنما هو صورة طبيعية جميلة لروح الصحراء وأجمل تعبير عنها بل أنى أزيد على ذلك أنى لا أعلم مثلا آخر للسجع غير القرآن يصح أن يعد عملا أدبيا موفقا وكان يجب على الكتاب جميعا منذ نزل القرآن أن لا يحاولوا السجع لعلمهم أنهم لن يستطيعوا أن يبلغوا منه شيئا يمكن أن يقرب من المثل الأعلى له) ص ٢١ •

والدكتور كامل حسين يرى **القصص في القرآن** يتخلل آيات الدعوة (بمثابة الواحات في الصحراء وهي بديعة في ذاتها يشعر الإنسان أنها تزيد في قوة آيات الدعوة التي تسبقها والتي تليها • وهي ملجأ من عنف التهديد أو قوة الدعوة التي قد تشتت على الناس حتى لتكاد تفقد أثرها فيهم إذا لم تعترضهم هذه العيون الخصبية) •

وعند الدكتور كامل حسين أن من خواص القرآن التي يعبر فيها أصدق التعبير عن روح الصحراء أنه يمثل روحها الزمني أيضا فهو يقول (والسرعة شيء غير طبيعي في الصحراء بل كل حركة فيها أقرب إلى البطء • والقرآن أن أردت تفهمه يجب أن تسمعه مرتلا قرتيلا بطيئا ••• بل إن القرآن أجمل ما يكون حين تستمع إليه لا حين تراه مكتوبا لأنه جاء منسموعا) • وحين تمثل سورة القمر عنده روح الصحراء في المطابقة بين ألفاظها واسلوبها وقوة تعبيرها • تمثل صورة الرحمن وهي عنده (أعجوبة في الأدب العالمي) واديا ممتدا مستطيلا تحف به الأشجار من الجانبين متشقة كأنها النخيل في انتظام تام لا أحسبه يتفق لغير النخيل واديا خصبا رطبا به طراوة ونعيم) •

ويطوف الدكتور كامل حسين ما يطوف في آفاق القرآن ليعود بعد الطواف وطول المطاف وهو يقول (يخيل إلى أن الباحثين من غير المسلمين لو درسوا القرآن من هذه الوجهة دراسة خالصة ما وجدوا كلمة تصف سره وصفا صادقا إلا أن يقولوا انه وحى الهى) •

أما المسيحية فقد ذهبت بكتابه الجليل (قرية ظالمة) • وفيه حديث عن ضمير الفرد وأسلوب الجماعة (لو أن القاضى حين يحكم بالإعدام يتولى هو تنفيذه لكان له رأى آخر فى قيد الأدلة • والقائد الذى يأمر جيشه أن يسرف فى القتل إنما يأمر ، وعلى غيره أن يقتل • وقديما قتل الأنبياء ، وكان قتلهم يتم على هذا النحو ، موزعا على الناس توزيعا يجعل الجماعة وحدها هى القتالة) •

لقد تأمر على المسيح البغى والعزة بالاثم فأخذوه بغير ذنب ، وروعوه بغير دليل إلا أن يقول ربى الله •

••• انها قرية ظالمة

وقد حل الدكتور كامل حسين العقلية اليهودية من خلال قصة الخروج فى الجزء الثانى من كتابه « متنوعات » تحليلا علميا موضوعيا رائعا وممتعا •

(لا أظن أحدا مهما يكن عطفه على اليهود بل لا أظن أحدا من اليهود أنفسهم يستطيع أن ينكر ما لهم من عقلية خاصة وطباع تختلف اختلافا تاما عن طباع غيرهم من الناس ، ولا يستطيع أكثر الناس عطفًا على اليهود أن يدعى إنهم محبوبون أو ان حياتهم بين الناس طبيعية فالمذابح التى أصابتهم منذ ألقى عام ، والتعذيب المستمر والتشتيت الذى عانوه فى كل مكان من العالم فى عهود مختلفة على أيدي أمم متباينة كل ذلك يدل دلالة قاطعة على أن فى بنى اسرائيل صفات تجعلهم على الأقل غير طبيعيين) •

وهو يقر انه من الصعب تفهم سر العقلية اليهودية لما فيها من تناقض وتضارب دليله انك (ترى فيهم رقة فى الطبع ، ودقة فى الحس ،

وتراهم يسرفون في العطف على المريض والفقير والطفل وهم مع هذا أقسى الناس قلبا لا يزعجهم إفقار آلاف من الناس في سبيل غناهم • وهم أشد الناس صبرا على ذل وخضوعا لظلم حتى اذا آنسوا عطفًا أو قوة قست قلوبهم غاية القسوة لا يرعون إلا ولا ذمة •

ان الرجل يمتحن عند الشدة فتظهر ما فيه من خلق كريم واليهودي لا تظهر منه الشدة إلا أسوأ ما فيه •••

ويعزو الدكتور كامل حسين هذا كله الى أن نجاتهم لم تكن خيرا • فالنجاة الفجائية بعد اليأس من أكبر العوامل التي تقضى على التوازن العقلى والنفسى • فاليأس القاتل ذهب بكل ما فيهم من حيوية ، والمحنة التي حاقت بهم في اللحظة التي سبقت النجاة استنفدت كل ما فيهم من قوة بل لعاهها هدمت عقليتهم هدمًا • وزاد في عنفها أنهم تعرضوا للموت لا لنكبة دونه ، وكأنما نضب معين الحياة فيهم وأصبح حتمًا عليهم أن كتبت لهم الحياة ثانية ان تتكون أنفسهم من جديد على اطلال نفس هدها الرعب هدهًا •

(في هذه اللحظة أصبح بنو اسرائيل أمة تجمعهم خبرة واحدة ولكنها كانت خبرة قاسية جدا فليس عجيبا أن يخرجوا أمة شاذة التكوين فما هكذا تتكون الأمم عادة وإنما يتم تطور الأمم بالملاءمة البطيئة على مر القرون بين النفس الانسانية والطبيعة التي حولها ولم يتحقق ذلك لليهود فقد تكونت قوميتهم فجأة دون هذه المطابقة بين الأمة ووطنها وبذلك لم يعد لهم وطن ولا نشأة يمكن أن يقال بحال من الأحوال انها طبيعية •

وما لاقاه اليهود من ذل على مسار تاريخهم ترك بصمته عليهم • ولا أدل على ذلك من **حائط المبكى** الذي لا يقلعون عنه • والذل يخلق في الناس فضائل سلبية ، يخلق فيهم الصبر وسعة الحيلة والدهاء ولكنه يميئ الكثير من الفضائل الايجابية كالشجاعة والكرم والاقدام والتضحية • ولم يكن لهم أن يثوروا ذلك أنهم غرباء وأنهم لا بد خائبون

في ثورتهم فالثورة لا تقوم إلا أن يتهيأ لها جو عقلى خاص يدفع الفرد الى الثقة بأن شعوره بالغضب شعور عام •

يقول الدكتور كامل حسين (علمهم الذل الحذر الشديد • وكلنا يذكر ما ارتكب موسى في عنفوان شبابه (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى ففضى عليه) كما جاء في القرآن الكريم • ولكن التوراة زادت على ذلك تفصيلا ذا مغزى فقد ورد في العهد القديم أن موسى قبل أن يضرب عدوه تلفت حوله واطمأن الى أن أحدا لا يراه • فكأن الأصل العبرى لم يكن ليتصور أن يهوديا تأخذه الحمية والنخوة فيندفع لنصرة أخيه أو لإحقاق حق قبل أن ينظر حوله ليرى أن لا خطر عليه من هذا الاقدام) •

إن صحراء مصر التى علمت اخناتون التأمل والتجرد وحياة الفكر ، لم يفد اليهود من هذه الصخراء نفسها حين خرجوا اليها • ويعطى دكتور كامل حسين هذا بأن اليهود (خرجوا يكاد يرهق نفوسهم الخوف والشك واليأس • خرجوا يحملون فيما حملوا اثما أمرهم به زعمائهم حين خانوا جيرانهم فنقلوا عاريات من الذهب والفضة أخذوها من المصريين خدعة وعن سوء نية ولم يكن ذلك ليزيد في ثقتهم بنجاحهم في الهروب ولم تخف عليهم سهولة اللحاق بهم) •

ومن بصمات قصة الخروج فيهم إسرائفهم في حالتى اليأس والأمل •• (إن ظلموا صرخوا حاسبين الظلم سيباغ بهم غايته ، وإن نجحوا حسبوا نجاحهم سيباغ الغاية التى لا يحدها قانون طبيعى أو وضعى • وقد علمتهم قصة الخروج أن نجاحهم لا يتم الا بالقضاء على عدوهم ولو كان ذلك دون جهد منهم • فليس في خلقهم التسامح أو المروءة أو الشهامة أو النخوة وهى صفات من الترف الخلقى لم تنهيا لليهود ففى عقليتهم عنف بالغ وقسوة لا تتيح لمثل هذه الصفات أن تتكون فيهم •

ثم طغوا بعد نجاحهم غاية الطغيان وفقدوا كل اتزان وليس غريبا أن ينشأ فيهم هذا النوع من **الطغيان المكبوت** فهو مرض نفسى كامن فيهم إن لم يظهر أثره دائما واضحا فإن أثره الخفى يتبين فى غير صورة • وهو فى أقلهم بأسا وأضعفهم شوكة وليس هناك يهودى يفهم أن من الحياة أن تعيش وتدع غيرك يعيش بجوارك (ص ٣٧ •

وهذا الوصف أو النتائج التى خرج بها دكتور كامل حسين من قصة الخروج قالها ولكن بصورة أخرى أديب آخر قصاص ويهودى أيضا هو ستيفان زفايج فالصورة العجيبة التى رسمها فى قصته (حذار من الشفقة) لـ (ليوبولد كانيتز) أو (هرفون كيكسفالفا) تجمع هذه الصفات وتزيد عليها بعدا آخر هو السخرية اللاذعة •

هل هى روح رياضية أم ان اليهود أيقنوا ألا فائدة من الانكار أو التمثيل على الناس •

لم ينته بعد درس سفر الخروج فأحد مضامينه أن اليهود تاجروا بالنجاة وناقشوها بلغة الفوائد والحساب فقد (كانوا يظنون أن ربهم أصبح مدينا لهم • وكانوا لا يفتئون يطالبونه بدينهم عليه • وكانوا يعدون تأخره فى تحقيق ما وعدهم به على لسان نبيهم أمرا يستحق منهم الثورة عليه والكفر به • وكانوا يدلون عليه بأنهم يؤكدون ذلك الدلال بالكفر والحصيان • وفى العهد القديم تعبير عجيب اذ جاء فيه أن موسى أنب الرب فى أمر من الأمور • دلال وكن على الله لم يقع من غير بنى اسرائيل • فلما خرجوا من الذل والعبودية نسوا نعمة الله عليهم • وانقلب هذا الدلال كفرا ونكرانا) •

والدكتور كامل حسين ، بحوثه الأدبية فيها من الضلالة والبراعة والاقتدار ما لا يزيد عليه متخصص لا يزحم الأدب عنده ، طب أو فاسفة • ومن أحسن ما قدم فى هذا المجال ، بحثه فى المتنبي •

وفى كتابه (الشعر العربى والذوق المعاصر) آراء جديدة وطريفة

في المعلقة بعمامة ومعلقة امرىء القيس بخاصة ، وفي شعر عمر بن أبي ربيعة ، ومن أجمل أبحاث هذا الكتاب (الموسيقى والتصوير في الشعر العربي) •

وهو مفكر يكره الاستبداد الذي يصيب الأمم بالشلل الفكري • ولكنه مؤمن بأنه لا يدوم مهما ضربت حوله استار حديدية • وأصحاب نظرية الحديد ، لن يستطيعوا ضربها أو فرضها الى الأبد ، وإذا قدروا استطاعوا دهرًا ، فإن الحرمان من حرية الفكر يفت في عضد الأمة حتى لتخضع لأول ضربة تأتيها من الخارج • بل ان الدكتور كامل حسين يقول ان (حرية الفكر من الأمور التي لا تستطيع أية أمة ان تستعيز عنها بغيرها من الأمور • فالقوة والغنى والفتوحات لا تمنع الدولة من الانحطاط إن لم يكن فيها القدر الكافي من حرية الفكر بل إنه يشاهد في التاريخ القديم إن زوال بعض الدول إنما تم بعد فتوحات ضخمة لان ذلك دفع القائمين بالأمر فيها الى الاستبداد وعند ذلك يبدأ الضعف الميت) ص ٧٣ •

ويعرف الدكتور كامل حسين ، المعرفة ، في كتابه « وحدة المعرفة » فيقول (في الكون نظام ، وفي العقل نظام ، والمعرفة هي مطابقة هذين النظامين • والنظامان من معدن واحد ، والمطابقة بينهما ممكنة لما فيهما من تشابه • ولو لم يكونا متشابهين لاستحالت المعرفة • ولو لم تكن المطابقة بينهما ممكنة ما علم أحد شيئًا) •

فمن أخص صفات العقل أنه لا يطبق الفوضى ، وأنه لا يحتمل الفراغ وأنه يجسم المعنويات (ومن هنا نشأت رغبته في تصوير الجمال ، والتغنى بالحب ، واختراع الموسيقى إيرادًا لمعنويات كامنة في النفس ، في صور حسية) •

وهذه الصفات الثلاث عند الدكتور كامل حسين ثابتة في العقل وهي مصدر قوته • إلا أنه ضل بها كثيرًا (وأصل هذا الضلال ما يكون في علم

الانسان من نقص • فحين تكون الحقائق التى لدى العقل قليلة نراه يضطر الى تنظيم علمه وملء فراغه وتجسيم معنوياته قسرا ، مسرفا فى ذلك على نفسه وعلى الحق) •

ويقول فى موضع آخر عند الحديث عن (الانسان) : (سنجد أن أكثر الفضائل تدل عليها أعمال مصدرها الفكرى منظم •• فالصدق نظام والكذب فوضى ••• والأمانة نظام ، والخيانة فوضى •• والشجاعة نظام ، والرعب فوضى الى غير ذلك من الأمثلة العديدة • فإذا تعلقت ارادة الشخص بعمل يبدأ فى خلايا مخه منظما ويسير فى مسالك منظمه ويؤدى الى عمل منظم فهذا هو الخلق الجميل) •

على أنه يرى المعرفة وظيفة عرضية للمخ الانسانى وليست حتمية • وليست من الضروريات الحيوية لأنها من الترف الذى صادف العقل فأوغل فيه واستعذب نتائجه وأصاب منه فوائد كبيرة لم تكن فى أول الأمر واضحة أو مقصودة أو محتملة •

وفى كتابه (وجه المعرفة) يبحث مذاهب التفكير ، يبين ان التفكير يجمع بين الخرافة والعلم فـ (الخرافة نظرية لم تثبت ، والعلم خرافات تثبت أصولها ، واطردت نتائجها الى حد ما) •

ولا يخلو تاريخ أمه أو فرد من عهد بدائى تكون فيه الخرافات أول مظاهر التفكير •

ومن مذاهب التفكير : **الثنائية** فالطبيعيون يقسمون الأشياء الى حار وبارد ورطب ويابس ، والفلاسفة يتحدثون عن الخطأ والصواب ، ورجال الدين يتكلمون عن الخير والشر • ويعزو الدكتور كامل حسين هذه المقابلة فى تناول أو هذه الثنائية فى التفكير الى أن الانسان جعل نفسه مركزا للعالم ثم وضع الأشياء كلها عن يمينه أو يساره وقاسها حسب رؤيته لها ومدى نفعها له • والمعرفة الحقيقية وحدها ، القائمة على العلم بقوانين الأشياء هى التى تقضى على مظاهر التفكير الثنائى •

ويتحدث عن الزمن فيراه أكثر الأمور غموضا على العقل لأننا لا نستطيع أن نقصوره مجردا عن الأشياء فنحن نقيسه بحركة نجم أو بتنوع بندول • ولو أن الأشياء كانت ساكنة سكونا تاما ما استطاع الإنسان أن يدرك الزمن أو يقيسه أو يعرف له وجودا • وليس المقصود بالزمن هنا الزمن الكوني الرياضي الذي يعده الطبيعيون البعد الرابع ، ولا الزمن الفيزيائي الذي يقيس به الرياضيون سرعة جسم ساقط في أى نقطة من سقوطه وإنما المقصود هو الزمن التاريخي الذي نعرفه بمتتابع الحوادث فيه •

وينتقل الدكتور كامل حسين الى الحديث عن المفجوات الثلاث : الأولى بين المادة والحياة والثانية بين الحيوان والانسان ، والثالثة بين الانسان وما فوقه ويرأها بعيدة الغور واسعة المدى • وهنا يناقش الدكتور كامل حسين الدهريين والطبيعيين نقاشا عقلانيا فائقا •

(هؤلاء المنكرون يرون ان وجود ما وراء الانسان فرض يجب أن يقوم عليه برهان • وهم يقولون أنه من الممكن أن نكون نحن القمة العليا للكون) • • • • •

ويفند رجل العلم هذا القول بقوله (إن أعلا قانون في الكون « أو أعلى شيء فيه » هو الذي لا يؤثر فيه قانون آخر أعلى منه ، وهو الذي تاريخ حياته بيده لا يخيره شيء يعطو إرادته • فهل الانسان يمثل هذا القانون الأعلى ؟ وهل إرادته وحدها هي المتحكمة في حياته ؟ كل الدلائل تدل على أن ذلك يخالف الواقع) •

ويرى الدكتور كامل حسين أن القضاء والقدر هما أثر وجود الله في أعمال الانسان • • وان وجودهما دليل على وجود قوة عليا وقانون أرقى منا • • ومادام الانسان ليس المتحكم الوحيد في حياته • وأن هذه الحياة تتأثر بما لا يفهمه ولا يعرف له كنها وبما هو أعلا منه مما سبق أن بسميناه القضاء والقدر • هذا هو البرهان العلمي على أن وراء الانسان فجوة ، وأن وراء الفجوة قانونا أعلى •

وحين ينتقل القارىء من كتاب الدكتور كامل حسين (وحدة المعرفة) الى كتابه (التحليل البيولوجى للتاريخ) يجده يخص التاريخ بمكان ومقام كبير بين ألوان المعرفة (فليس هو قصصا ممتعا تراد به التسلية • وليس هو عظة للناس تهديهم طريق الصواب • فقد ثبت أن الانسان لا تغير طباعه عظة تاريخية مهما يكن الدرس قاسيا والموعظة واضحة • وإنما هو بحث يراد منه فهم الحياة الانسانية ، وهو الوسيلة الوحيدة لهذا الفهم) •

ويرد على المتشككين فى وقائع التاريخ لبعد العهد بها بأنه (ليس على التاريخ أن يصدق فى تفصيلاته • وهو صادق من غير شك فى عمومياته • وقضاياه الكبرى هى أصدق ما فيه ، وعليها وحدها المعول فى إثبات القوانين التاريخية • والتاريخ فى هذا على نقيض العلوم الطبيعية حيث التفصيلات تكون صادقة حتما والقضايا العامة موضع الشك • أما التاريخ فقضاياه العامة صادقة وإن تكن تفصيلاته موضع الشك) •

والتاريخ ليس وصفا ولكنه فهم القوى التى تعمل فى حياة الناس •

أما التاريخ السياسى فهو عنده (تاريخ امتيازات التفوق) • التفوق الجسمى ثم تفوق الشخصية والخلق ، ثم تفوق المال ، ثم تفوق الذكاء والعلم ، ثم التفوق العددي • وهذه الأنواع المختلفة من التفوق عملت على خاق امتيازات لهيئات عدة • الأفراد ثم الأسر ثم المدن ثم الأمم ثم الطبقات •

وهنا يقف الدين والعلم قمتين • الدين سوى بين الناس اجتماعيا حين قال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) والعلم حاول أن يسوى بينهم فى القوى الطبيعية بالأجهزة كالتلسكوب أو الميكروسكوب •

وقد وقف وقفة طويلة عند بيولوجية التاريخ متمثلة فى غرائز الأفراد والجماعات والمدنيات وكذلك فنون هؤلاء وعلمهم •

ولعل من أمتع فصول هذا الكتاب فصل (عظماء الرجال) ركز فيه كثيرا وبحق على اللحظة المناسبة ثم العوامل التاريخية المعاصرة فالاسكندر مثلا (لو كان تاريخ الاغريق في ذلك العهد في طور الجزر ما استطاعوا أن يسايروا الاسكندر في فتوحه ، وما استطاع الاسكندر أن يحمل الاغريق على هذه الفتوح • ولو صادف عصره داريوس أو تحوتموس ما تم له النصر البالغ على فارس ومصر) •

والى المد فى حياة الامم يعزو الدكتور كامل حسين مجد من يعيشونه دون أن تكون لهم مزايا خاصة كلويس الرابع عشر واوغسطس قيصر وسليمان القانونى وغيرهم كثيرون كما يقول •

وأخيرا يأتى كتابه (اللغة العربية المعاصرة) فحين يرتفع الجدل من وقت الى آخر بين الفصحى والعامية وتحتدم المناقشة يقول هو فى هدوء (نريد أن ننقذ الفصحى العالية من عنت الذين يعلمون وعبت الذين لا يعلمون • والذين يعلمون يريدون أن يخنقوها بما يحتمونه على المتعلمين من علم بقواعد لا تعرض للأديب أو الكاتب ولا يعنى بها الا المحترفون من رجال النحو وهم الذين القوا فى قلوب المثقفين الرعب من لغتهم القومية واليأس من اتقانها • وأكثر هذه القواعد وليدة نوع من التفكير كان سائدا فى العصر الذى وضعت فيه • وليس لها من القدسية ما يفرضه علماء اللغة) •

وهنا يدعوا الى الفصحى المخففة فمن الخطر فى رأيه ان تكثر المتناقضات فى حياة أمة من الأمم • ومن المتناقضات الصارخة أن ندعو الى نشر التعليم وننتشبت بتعميم الفصحى العالية مع كل ما فيها من صعوبات • فهو يؤكد أنها لا تصلح لدراسة الرياضيات العليا مثلا وكذلك علوم الفيزيكا والكيمياء وكلها تعتمد اعتمادا كليا على الرياضيات •

(فاللغة العربية لغة معربة إعرابا دقيقا ، ثم هى اشتقاقية • وكلا الأمرين يحول بينها وبين أن تكون لغة العلوم الحديثة كلها • وإن كان ذلك مستطاعا بعد جهد عنيف ، ولن تكون فيه فائدة لا للغة ولا للعلوم) •

كما يدعوا الى العامية المنقحة (وهى التى يجب أن يبدأ منها
الاطفال حتى لا يثبت في أذهانهم أن الفصحى لغة تختلف اختلافا تاما
عن اللغة التى نشأوا عليها) •

ثم ما هذا النحو • إن أعلى وأكرم كتاب فى العربية ، فيه آيات لا تطرد
مع قواعد النحو •

فالآية (ان هذان لساحران) والآية (وأسرؤا النجوى الذين
ظلموا) لم يتم اللقاء بينهما وبين قواعد النحو • وهنا نحن نتبع طبعاً
بكل الاجلال ، الآيات ، لا علامات الاعراب • ليست هناك لغة بلا قواعد
ولكن ليست هناك أيضاً ، قداسة لنحو أى لغة يجعله حرماً لا يمسسه
تغيير أو تطوير • هذه هى المسألة •

انه يدعو الى تنقية النحو من شواهد الخطأ حتى لا نترحم المتعلمين
بالمتركوك أيضاً !!

(فالتاريخ المقارن للغات الحية المعاصرة يدل على أنها تتطور دائماً
الى السهولة) •

وقوله هذا يذكرنا بقول هين عن اللغة اللاتينية (لو اضطر الرومان
لتعلم اللغة اللاتينية لما وجدوا لديهم من الوقت ما يسمح لهم بفتح
العالم) •

ولهذا يقول ديورانت فى (قصة الحضارة) ان المدرس عند الرومان
كان فى العادة من العبيد أو من العبيد المحررين • ج ٩ ص ١٥٠ •

إن الأصل فى اللغة الإبانة والوضوح دون أن نضع قيوداً حديدية
للصواب والخطأ بينما يجب أن تكون لها مقاييس سهلة يدركها كل متعلم
بلغ السادسة عشرة من عمره •

فهل هذا يحدث ؟ بكل أسف لا •

ان الدكتور كامل حسين يعلنها صريحة (الثقة في صحة ما نكتب وما نقرأ هي أكثر ما تحتاج اليه العربية في هذا العصر) •
انه ينبغي على العصر « الهولة » (١)

ويأخذ الدكتور كامل حسين على اللغة أو اللغويين بمعنى أصح كثرة المسميات للمسمى الواحد • وهو عنده ليس دليلا على غنى اللغة كما يزعمون ، بل هو عنده دليل على التخبط الذي لأصاب اللغة في أول عهدنا بالتدوين •

ويسخر الدكتور كامل حسين قائلا (فغلوا ذلك بما سموه درجات الحب حين قسموه الى حب وعشق وشغف وهيام وتدله ووله • وقالوا ان الحب يسمى شغفا حين يمس شغاف القلب • ولا أدري كيف يعرفون متى يمس الحب شغاف القلب • هذا التقسيم من عمل اللغويين وحدهم ولا غناء فيه • وهناك عدة ألفاظ للرجل يمص مشاشن العظم ، ولا أظن أن هناك ما يدعو الى وجود كل هذه الألفاظ لمثل هذه العملية المألوفة عنده •

وعنده ان التفاضل بين اللغات يكون في كثرة انتاجها الأدبي والفكري ، لا في عدد الفاظها • • • فمئات الأسماء للأسد لا بطولة فيها وقد فطن بعض القدماء الى هذا فقالوا إن للأسد اسما واحدا وما عاداه أوصاف •

وفي مقام الاعراب يدعو الى أن يكون المعنى هو الذي يحدد الاعراب •

كما اوضع قواعد لتيسير الإملاء ، وقواعد لتعليم اللغة العربية ومنهجها مبسطا للنحو كاملا •

(١) اقرأ كتاب (من القرية الى الوادي المقدس) للاستاذ اميل توفيق •

هذه اطلاله سريعة على كتب الدكتور محمد كامل حسين التي نفذ معظمها . . . ومن حقها بل من حقنا نحن أن يعاد طبعها ثم درسها (١) . . . انها . . . كتب قيمة . وليس أولى من الفكر والأدب والعلم من النقد والتهذيب والتخليد .

مؤلفات الدكتور كامل حسين

- متنوعات الجزء الأول ١٩٥١ مطبعة مصر
الجزء الثاني ١٩٦١ مكتبة النهضة المصرية
قرية ظالمة ١٩٥٤ مكتبة النهضة المصرية
التحليل البيولوجي للتاريخ ١٩٥٧ المطبعة العالية
وحدة المعرفة ١٩٥٨ مكتبة النهضة المصرية
الوادي المقدس ١٩٦٨ دار المعارف
الذكر الحكيم ١٩٧١ مكتبة النهضة المصرية
الشعر العربي والذوق المعاصر ١٩٧١ مطبوعات الاذاعة
والثليفيون
اللغة العربية المعاصرة ١٩٧٧ دار المعارف
النحو المعقول
وللدكتور محمد كامل حسين أبحاث علمية في العربية والانجليزية
أوردها كتاب (الدكتور محمد كامل حسين عالما ومفكرا وأديبا) للاستاذ
محمد محمد الجوادي .

(١) قرأت مقالا في مجلة (أكتوبر) يقول كاتبه ان الدكتور كامل حسين له كتاب واحد هو كتاب (قرية ظالمة) .

خاتمة

ليس هذا حصرا للقمم الأدبية .. فمن القمم الأدبية التي نعتز بها :
الدكتور أحمد أمين لولا أنه كتب (حياته) و (فيض خاطره) بتفصيل
يجعل الكتابة عنه ، تحصيل حاصل •

حقا لقد كتب الدكتور طه حسين (أيامه) وكتب الاستاذ العقاد
حياة قلمه ، وما أغناها • • ومع هذا يجد كاتب التراجم شيئا يضيفه
تفسيرا أو تأويلا ، أو تحليلا ، أو مقارنة بحكم ما كان بينهما من وجوه
الاختلاف أو الائتلاف • • ولكن الدكتور أحمد أمين كان بمنأى عن المعارك
الأدبية — والسياسية والصولات والجولات ، عكفا على الاسلام في
(فجره) و (ضحاه) حتى (الظهيرة) والى آخر اليوم
(يوم الاسلام) • ثم جاء أبنائهم وهم بدورهم ، كتاب ، فكتبوا عنه
ما لا يتسنى لغيرهم ، كشفه من سيرته الذاتية ، وهى ميزة ينفرد بها •

كما عكف الدكتور أحمد أمين على الأدب العربى ، شعره ونثره ،
فى وهاده وذراه فأوسع وأمتع • • وعطاؤه فى هذا ، مكانة وعلامه •

ومن القمم الأدبية **استاذنا أمين الخولى** وإن كان ، كسقراط ،
شخصه ودرسه أشد تأثيرا فى تلاميذه من كتبه التى كتبت لخاصة
الخاصة ولكن ما بالقليل أن يكون (الاستاذ) صاحب مدرسة ،
وفكر ، ومنهج •

وكم فى حياتنا من أعلام من حقهم التسجيل والدراسة فليكن هذا
الكتاب دعوة للدارسين لتتواصل الأجيال على طريق ، وتلتقى الأقلام
على ، هدف ، بالجهد خليق •

د • نعمات أحمد فؤاد

من مؤلفات الكاتبة

- * من عبقرية الاسلام
- * أعيدوا كتابة التاريخ
- * شخصية مصر
- * النيل في الأدب المصرى
- * خصائص الشعر الحديث
- * الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد
- * أدب المازنى
- * أحمد رامى (قصة شاعر وأغنية)
- * أم كلثوم وعصر من الفن
- * الأدب والحضارة
- * التراث والحضارة
- * قمم أدبية
- * شعب وشاعر (أبو القاسم الشابى)
- * مشروع هضبة الأهرام أخطر اعتداء على مصر
- * أزمة الشباب وهموم مصرية
- * الاسلام وانسان العصر « العودة الى المنبع »
- * رسائل الى ابنتى
- * القاهرة فى حياتى
- * رحلات فى الشرق والغرب
- * « الانسان والمكان »

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٦
فن التراجم والسير	٧ — ١٦
الاستاذ أحمد لطفى	١٧ — ٥٨
الاستاذ عباس محمود العقاد	٥٩ — ١٠٠
الاستاذ طه حسين	١٠١ — ١٧٤
الاستاذ أحمد حسن الزيات	١٧٥ — ٢٣٤
الاستاذ توفيق الحكيم	٢٣٥ — ٢٥٨
الاستاذ عبد الوهاب عزام	٢٥٩ — ٢٨٦
الاستاذ محمد فريد أبو حديد	٢٨٧ — ٣٢٨
الاستاذ يحيى حقى	٣٢٩ — ٣٨٤
الاستاذ محمود تيمور	٣٨٥ — ٤٠٨
الاستاذ على أدهم	٤٠٩ — ٤٢٢
الاستاذ محمد كامل حسين	٤٢٣ — ٤٤٧
خاتمة	٤٤٨

رقم الايداع ٢٢٠٠ لسنة ١٩٨٥

مطابع سجل العرب